المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
الدراسات العليا العربية
فرع الأدب

٣٠١٠٢٠٠٠٠١٠٦٨

التأثير العربي
في شعر "حالي" ونقده

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب

جامعة أم القرى مكة المكرمة
UMM AL-QURA UNIVERSITY MAKKAH

اعداد الطالب
محمد عزير شمس الحق

اشراف الأستاذين
الدكتور عبد السلام عبد العزيز فهمي و الدكتور عبد الله عباس الندوي

عام
١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

وبعد، فعملاً بقول النبي صلى الله عليه وسلم: "لا يشكر الله من لا يشكر الناس"

أتقدم بالشكر الجزيل للقائمين على أمر جامعة أم القرى على اتاحتهم لي ولزملائي فرصة الدراسة في ربوع هذا البلد الأمين، وأخص بالذكر منهم الدكتور راشد الراجح مدير الجامعة، والدكتور عليان بن محمد الحازمي عميد كلية اللغة العربية، وأستاذنا الدكتور حسن محمد باجودة رئيس قسم الدراسات العليا العربية.

كما أجزل شكري للأستاذين الفاضلين المشرفين على هذا البحث:

الدكتور عبد السلام عبد العزيز فهمي، والدكتور عبد الله عباس الندوي، فقد كانا خير عون لي أثناء عملي، وأفادني كل منهما بتوجيهاته، ولم يضنّ عليّ بالوقت فجزاهما الله خير الجزاء.

وأخيرًا أتقدم بشكري لكل من ساعدني في هذا البحث، ومدّ لي يد العون باعارة بعض المصادر والمراجع النادرة وابداء ملاحظات قيمة استفدت منها كثيرًا، فجزاه الله خير الجزاء.

المقدمة

المقدمـــــة

الحمد لله رب العالمين ،والصلاة والسلام على رسوله محمد وعلى آلـــه وأصحابه أجمعين .

وبعد ، فان اللغة الأردية وآدابها لم تحظ الى الآن بدراســات متخصصة من قبل الباحثين ،فلا نجد في المكتبة العربية كتابا يؤرخ الأدب الأردى في مراحله المختلفة ،ويتحدث عن فنونه المتنوعة من الشعر والقصــة والمقال والنقد وغيرها ،أو بحثا علميا يتناول نشأة اللغة الأردية وتطورها ،وتأثرها باللغات الأخرى ،ولم تصدر الى الان دراسة عن أحد من الشعراء والأدبــاء وترجمة روائعه في هذه اللغة الى العربية اذا استثنينا الشاعر محمد اقبال . وهناك بعض المعاجم اللغوية وكتب القواعد الا أنها ليست وافية ،كما أن المقالات المنشورة في بعض المجلات والموسوعات والكتب لا تعطي الا معلومات قليلة مــن الصعب أن يصدَّق بها ،لأنها تعتمد على آراء قديمة عن نشأة هذه اللغة باتت مرفوضة في الآونة الأخيرة . وقد حاول بعضهم دراسة التأثير العربي في اللغة الأردية (١) ، الا أنهم اقتصروا على التقاط الكلمات العربية من المعجم الأردى ،وتكلفوا أحيانا في ارجاع بعض الكلمات الهندية الــخالصة الى الأصول العربية ،ولا تسع صفحات هذه المقدمــة للحديث عنها .

ولما رأيت أن الباحثين من الهند وباكستان - على كثرة ما نشروا من بحوث ودراسات بالأردية والانجليزية - قد قصّروا في التعريف بلغتهم وأدبهم لاخوانهم العرب ،فلم ينشروا بالعربية كتابا واحدا في هذا الموضوع (٢) ، أحببت أن أسهم

---

(١) مبارك الباكستاني : الكلمات العربية في اللغة الأردية (في : مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، المجلد ٢٩/ ٢٥٢ - ٢٦٠ عام ١٩٥٤م) ، وحسين على محفوظ : أثر اللغة العربية في اللغة الأردية (في : مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد ،المجلد ٢١/ ١٢٩-١٦٥ عام ١٩٧٧م) .

(٢) لأستاذنا الدكتور عبدالله عباس الندوى : " دراسة عن اللغة الأردية والتطبيقات التربوية " ،ستطبع قريبا باذن الله .

فيه ببحث عن شخصية أدبية ودراسة التأثير العربي في أدبه . وقد وقع اختياري على شخصية ألطاف حسين "حَالِي" (١٨٣٧-١٩١٤م) لأسباب :

منها أنه أحد الرواد الأوائل للشعر الأردى الحديث ،وهو أول من نظم شعر الدعوة الاسلامية في العصر الحديث ،وتبعه الشاعر محمد اقبال وآخرون في الهند ،وسلكوا هذا الاتجاه . وله قصيدة طويلة بعنوان "مسدس مد وجزر اسلام" (قصيدة في تصوير مد الاسلام وجزره) صور فيها ماضي الاسلام وحاضره بأسلوب شعري جميل ،وهي أشهر قصيدة أردية على الاطلاق ،وكان لها تأثير كبير في المجتمع الاسلامي في الهند .

ومنها أنه أول من خصص لأصول النقد كتابا بالأردية ،وتأثر فيه بآراء النقاد العرب القدامى ،وقد أحدثت آراؤه ضجة في الأوساط الأدبية ، ولا زالت آثارها ملموسة الى الآن في كتابات الأدباء والنقاد في شبه القارة الهندية .

ومنها أنه انتهج نهجا جديدا في كتابة التراجم الشخصية بالأردية فقد ألف ثلاثة كتب في دراسة كل من : "سعدى الشيرازي" (الشاعر الفارسي المعروف) ، و "غالب" (الشاعر الأردى الكبير) ،و "السيد أحمد خان" (مؤسس الجامعة الاسلامية بعلى كره) وتعتبر هذه الكتب رائدة في فن التراجم بالأردية ،لأنها ألفت طبقا للمنهج العلمي الحديث .

وما حدا بي الى أن يقع اختياري على هذا الشاعر العظيم تمسكه بالعقيدة الصحيحة ، ودفاعه عن مبدأ التوحيد ،ومحاربته لما كان سائدا في عصره من الخرافات والبدع التي ما أنزل الله بها من سلطان . والقصيدة العصماء التي تنسب الى هذا الشاعر باسم "المسدس" كانت موضوع محاربة وجدال ونقاش من قبل الخرافيين ، وكان هذا الشاعر داعية الى الاسلام ومدافعا عن حياضه ومناضلا لأجله . فكان يستحق أن تفرد دراسة عن شخصيته وشعره وأسلوبه في النقد ومنهجه في الدعوة .

وقد نشرت بحوث ودراسات عديدة بالأردية والانجليزية تتناول حياته وشعره وآراءه في النقد وأسلوبه في النثر واتجاهه في السياسة[١] ، الا أن أحدا من الباحثين لم يتناول بالدراسة تأثره بالثقافة العربية في شعره ونقده . وبعضهم ينسب الفضل في تجديده في الأدب الأردى الى تأثره بالثقافة الأوربية ،والواقع أنه لم يكن يعرف اللغة الانجليزية ولم يطلع على آدابها ،وكل ما في الأمر أنه اطلع على ترجمة بعض النصوص منها بواسطة زملائه ،وتأثر بها في بعض الموضوعات . أما الثقافة العربية والفارسية فقد كان لها أثر كبير في شعره وآرائه النقدية . وقد رأيت أن هذا الجانب لا زال متعطشا الى البحث ،فآثرت أن يكون ذلك موضوع دراستي . وهذا هو البحث الذى أقدمه الآن .

---

(١) من أهم هذه الدراسات بالاردية : اسماعيل پاني پتي : تذكرهٔ حالى (ط. پاني پت ١٩٣٥م)، صادق قريشى : ذكر حالي (لاهور ١٩٤٩م) ، واضح زيدى : حالي ميرى نظر مين (لاهور ١٩٥٠م)، اين زاهدى : مقالات يوم حالى (لاهور ١٩٥١م) ،شجاعت على وناظر كاكوروى : مطالعهٔ حالى (لكهنو ١٩٥٦م) ، صالحه عابد حسين : يادگار حالى (دلهي ١٩٥٨م) ،ناظر كاكوروى : حالى كانظريهٔ شعرى (الله آباد ١٩٥٩م) ،معين أحسن جذبي : حالى كاسياسى شعور (على كره ١٩٥٩ م) ، نور الحسن هاشمي وغيره : نقش حالى (لكهنو ، د . ت) ، شجاعت على سنديلوى : حالى بحيثيت شاعر (لكهنو ١٩٦٠م) ،وحيد قريشى : مطالعهٔ حالى (لاهور ١٩٦١م) ، اختر انصارى : حالى اورنيا تنقيدى شعور(على كره ، د . ت) ،عبد القيوم : حالى كى اردو نثر نگارى (لاهور١٩٦٤م)، أمين زبيرى : تذكرهٔ حالى (لاهور ١٩٦٥م) ،أبو الليث صديقي : تذكرهٔ حالى (على كره ١٩٦٥م) ،غلام مصطفى خان : حالى كاذهني ارتقا (لاهور ١٩٦٦م) ، ظفر أديب : دوحالي (دلهي ١٩٧٤م)، كنول كرشن بالى : مطالعهٔ حالى (لكهنو ١٩٨٠م) . وقد نشرت أعداد خاصة لبعض المجلات الأدبية ، وهي : "أردو" عدد ابريل ١٩٥٢م ويوليو ١٩٦٢م ،و" زمانه "عدد ديسمبر ١٩٥٣م ،و " فروغ أردو" (مجلدان) عام ١٩٥٩م.

====

وقد اقتضت طبيعة البحث أن أقسمه الى تمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة.

أما التمهيد فهو في التعريف باللغة الأردية وصلتها باللغة العربية ،جعلته مدخلا لدراسة التأثير العربي في أدب "حالى" ،وذلك لأنه لا يمكن دراسة مثل هذا التأثير الا بمعرفة طبيعة اللغة الأردية وصلتها بالعربية . وقد تحدثت في التمهيد عن جوانب مختلفة تأثرت فيها الأردية بالعربية ،وهي : الأصوات، والخط والحروف ،وعلامات الشكل، والمفردات ،وقواعد اللغة ،والتراكيب ،والمصطلحات، والتعابير والأقوال المأثورة ، والصور البيانية ،وأوزان الشعر . وحاولت أن يكون البحث مقصورا على هذه الجوانب ،ولذا آثرت الايجاز.

ويتناول الباب الأول : شخصية حالى ،ويحتوى على أربعة فصول ، تحدثتُ فيها عن عصره وحياتهوثقافته ومؤلفاته ،وحاولت أن أرسم صورة صادقة للبيئة التي نشأ فيها ،والاتجاهات الفكرية والسياسية التي كانت سائدة في عصره ، والعوامل التي كان لها تأثير كبير في شخصيته وأدبه ،كما ذكرت آثاره العلمية والأدبية وعرّفتُ ببعضها وبينت خصائصها ومميزاتها .

ويتناول الباب الثاني : شعر حالي ،ويحتوى على أربعة فصول،الأول : في الأنواع الشعرية التي نظم فيها من "القصيدة" ،و"المثنوى" ،و"الغزل"،

=== ومن الدراسات الإنجليزية :

- Shaikh Sbdul Qader , The New School of Urdu Literature(Lahore 1898) p. 17 ff
- T. Grahame Bailey, A History of UrdU Liertature (London 1932) pp. 88, 94, 96.
- Tahir Jamil , Hali's Poetry. (Bombay 1938).
- Saksena , A History of UrdU Literature (Allahabad 1940) pp. 210 - 219 , 279-282.
- A. Bausani, Altaf Husain Hali's Idia on Ghazel.in : Christeria Orientalia , Prague 1956, pp. 38-55.
- M. Sadiq , A History of UrdU Literature, (London 1964).
- Aziz Ahmad , Islamic Modernism in India and Pakistan. (Oxford 1967) pp. 97 - 100.
- ---- , Hali' in : Encyclopaedia of Islam (New Edition) III , 93-94.
- Malik Ram, Hali (Delhi 1982).

و "الرباعي" و "القطعة" ،وغيرها من الأنواع . والفصل الثاني : في موضوعات شعره ، وهي : الغزل ،والمدح ،والرثاء ،والوصف ،والشعر التعليمي ، والشعر الاجتماعي ،وشعر الدعوة الاسلامية . والفصل الثالث : في الظواهر الفنية ،ركزت فيه على الالفاظ ،والمعاني والصور ،والأوزان . وقد درست في الفصول الثلاثة تأثير الثقافة العربية في شعره ،سواء كان في الشكل أو المضمون، وخصّصت الفصل الرابع لدراسة قصيدته "مسدس مدوجزر اسلام" لأنها أشهر قصيدة له ،ويتجلى فيها بوضوح التأثر الشديد بالثقافة الاسلامية.

أما الباب الثالث والأخير فيتناول : النقد عند حالي ،ويحتوي على ثلاثة فصول ،استخلصت في الفصل الاول منها آراءه في النقد بعد دراسة كتابه "مقدمة شعروشاعري" (مقدمة في الشعر ونظمه) وموّلفاته الأخرى . والفصل الثاني : في دراسة تأثره بالنقد العربي القديم ،ذكرت فيه المصادر التي اعتمد عليها صاحبنا،والنصوص التي اقتبسها أواستفاد منها، والموضوعات التي تأثر فيها بآراء النقاد العرب . والفصل الثالث : في دراسة تأثره بالنقد الأوربي الحديث ،والى أي مدى استفاد من المصادر الانجليزية .

وجعلت الخاتمة في ذكر أهم النتائج التي توصل اليها البحث .

وقد ألحقت بالبحث الترجمة العربية الكاملة لقصيدة "مسدس مد وجزراسلام"، وذلك لأهميتها وقيمتها الفنية ،وقد تُرجِمتْ هذه القصيدة الى الانجليزية والروسية والبشتو والهندية والبنغالية والبنجابية وغيرها ،وذكر بعض العلماء أن الشاعر اليمني محمد محمود الزبيري ترجمها الى العربية أيضا [1]، الا أنني لم أعثر عليها مطبوعة أو مخطوطة ،ولم أجد لها ذكرا في البحوث والدراسات التي نشرت عن حياة الزبيري ،وسألت عنها بعض الباحثين من اليمن فلم يعرفوها . وأخيرا اضطررت الى ترجمة القصيدة .

---

(١) خليل حامدي : تركي قديم وجديد ص ٥٥ (ط. لاهور)، وأخطأ حيث ذكر اسمه "محمود محمد الزبيري".

ويلي الملحقَ فهرسُ المصادر والمراجع التي استفدت منها ،وذلك قبل فهرسة محتويات البحث .

أما المنهج الذى اتبعته في هذا البحث فيمكن تلخيصه كمايلي :

أولا : حاولت أن أدرس التأثير العربي في أدب حالى من خلال شعره وموقفه ،لأن الدراسات المنشورة لم تسعفني بشيء في هذا المجال .

ثانيا : عند الاقتباس من المصادر الأردية وغيرها اكتفيت بترجمة النصوص الى العربية ،وأحيانا أوردتها مع الترجمة اذا كان الغرض المقارنة بينها وبين نصوص أخرى ،أو الاشارة الى وزن الشعر أو غير ذلك من الفوائد .

ثالثا : جمعت في هذا البحث بين دراسة اللغة الأردية والشعر والنقد كما يتطلب الموضوع ، ولذا آثرت الايجاز دون الاطناب،وخاصة عند الاشارة الى كثير من الأبيات الشعرية التي يتجلى فيها التأثير العربي ،فقد اكتفيت بالاحالة اليها دون ايرادها كاملة .

رابعا : عند الاحالة الى المصادر والمراجع في الهامش التزمت بأن أذكر العناوين الأصلية لها بأى لغة كانت ، مع تحديد الطبعات في أول موضع يرد فيه ذكرها .

خامسا : ورد في ثنايا البحث ذكر كثير من الشخصيات والجمعيات والأماكن وغيرها ،وقد عرّفتُ ببعضها اذا كانت لها صلة وثيقة بشخصية حالى ،وتركت غيرها فان الايضاحات الجانبية تحتاج الى كتاب مستقل في تاريخ الأدب الأردى أرجو أن يوفّق أحد لتأليفه في المستقبل .

سادسا : مررت مرا سريعا في الباب الأول عن شخصية حالى لأن كثيرا من الباحثين تناولوا حياته وعصره وموقفه وآثاره بالدراسة ،الا أنني لم أجد من كتب عنه بالعربية مقالا واحدا ،ولذا أحببت أن أعرف بشخصيته ومكانته في الأدب الأردى الحديث ،وأجعل ذلك مدخلا لدراسة شعره وآرائه النقدية .

سابعا : حاولت في ترجمتي لقصيدة " مسدس مد وجزر اسلام " أن أنقل الأفكار التي تحتوى عليها ،مع المحافظة على أسلوب حالى وألفاظه بقدر الامكان ،الا أنني اعترافا بالحقيقة أقول : ان القصيدة فقدت كثيرا من جمالها وروعتها بعد الترجمة ، وهكذا شأن الترجمة مهما كانت دقيقة وبليغة ،يقول الجاحظ : " الشعر لا يُستطاع أن يُترجم ،ولا يجوز عليه النقل ،ومتى حُوِّل تقطَّعَ نظمه وبطل وزنه ،وذهب حسنه ، وسقط موضع التعجب "(١) .

*

هذا واني أشكر الله تعالى على أنه سهَّل لي أن أجتاز الصعوبات التي واجهتها في الحصول على المصادر والمراجع الأردية ، فأن معظمها طبعت طبعة واحدة ، ولا توجد الآن في المكتبات،و مع ذلك فقد اقتنيتُ كثيرا منها وصوّرت أخرى ، حتى تجمَّع لدى عدد لا بأس به من الكتب والمراجع التي لم أجدها في مكتبات البلاد العربية.

وبعد ، فهذه دراسة في الأدب الأردى أسهم بها في إثراء المكتبة العربية ،ولعلها تثير هم الباحثين الى دراسة شخصيات أخرى من الهند وترجمة آثارهم العلمية والأدبية ،كما أنها تُعرِّف إخواننا العرب بشاعر وناقد أردى بعد أن كانوا يعرفون الشاعر محمد اقبال فحسب ،وتُقدِّم اليهم ترجمة عربية لأشهر قصيدة أردية في التاريخ . وهي كذلك تعرض للباحثين الهنود منهجا جديدا لدراسة شعراء الأردية وأدبائها ، يكون الاهتمام فيه بدراسة التأثير العربي في الشعر والأدب واللغة والنقد وما اليها . وأرجو أن تتتابع البحوث والدراسات في هذا المجال في المستقبل .

وأخيرا أدعو الله أن يوفقنا للمزيد من خدمة ديننا وتراثنا وأدبنا ،إنه سميع مجيب .

---

(١) الجاحظ : الحيوان ١/ ٧٥ (تحقيق عبدالسلام هارون).وانظر قول أبي سليمان المنطقي السجستاني في " صوان الحكمة " الورقة ٣٥/أ (مخطوط مكتبة مراد ملا ،برقم ١٤٠٨) ،وقول حالى في (المقدمة)ص٧٩ .

تمهيد

في اللغة الأردية وصلتها باللغة العربية

تمهيـــــــد
في اللغة الأُردية وصلتها باللغة العربية

اللغة الأُردية (أو "أُردو ")إحدى اللغات الحية السائدة في شبه القارة الهندية ،ويتحدث بها مئات الألوف من الناس في كل من أفغانستان وبورما والملايو وسيلان ودول الخليج العربي وجنوب أفريقيا (١) . واعترفت بها الهند كاحـــدى اللغات الوطنية الدستورية للبلاد ،كما أنها اللغة الرسمية لباكستان .

وقد اختلف علماء اللغة في أصل الأُردية ونشأتها اختلافا كبيرا (٢) ،فلم يتفقوا على موطنها الأُصلي هل هو السند أو بنجاب أو الدكن أو دلهي ؟ وهل الأُردية متفرعة عن احدى اللهجات المحلية (" برج بهاشا" أو " كهڑى بولى " أو " سورسينى " أو " مغربى اپ بهرنش ") أو مزيج من اللغات السنسكريتيـــة والفارسية والعربية والتركية ؟ ومهما اختلفت الأقوال فلا شك أنها ظهرت بعـــد احتكاك المسلمين بالهندوس إثرَ غزو السلطان محمود الغزنوى منطقةَ بنجاب فـــي أواخر القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى ، ونشأت وترعرعت في ظل الحكم الاسلامي طوال ثمانية قرون ،حتى تغلبت على سائر اللغات واللهجات المنتشـــرة في الهند ،وأصبحت اللغة المشتركـــة (LINGUA FRANCA) لشبه القارة الهندية .

عُرِفت هذه اللغة مدة طويلة من الزمن بالهندية والهندوية و "ريخته " . أما تسميتها بـ "أُردو " فليست قديمة ،وأقدم الشواهد التي نجد فيها هذا الاســـم يرجع الى أواخر القرن الثاني عشر الهجرى / الثامن عشر الميلادى (٣) ،ومن هنانشأ

---

(١) محي الدين الألوائي : الأدب الهندى المعاصر ص ٥٨ (ط. القاهرة ١٩٧٢م) .
(٢) انظر سليمان الندوى : نقوش سليماني ص ٢٤٢ -٢٥٨ (ط. اعظم كره ١٩٨٠م)، وشرف الدين اصلاحي : اردو سندهي كے لسانى روابط (ط. لاهور ١٩٧٠م) ، ونصير الدين هاشمى : دكن مين اردو (ط. حيدر آباد الدكن ١٩٤٦م) ، و محمود شيراني : پنجاب مين اردو (ط.لاهور ١٩٦٣م) ،ومحمد حسين آزاد : آب حيات ص ٦-٢٥ (ط.لاهور ١٩٠٧م) ،وشوكت سبزواری : داستان زبان اردو (ط. كراتشي ١٩٦٠م) ،وشوكت سبزواری : اردو كاارتقا (ط.دكا ١٩٥٦م)، ومعين الحق : اردوزبان كى قديم تاريخ (لاهور ١٩٧٢م) ،ومسعود حسين خان : مقدمة تاريخ زبان اردو (ط. على كره ١٩٥١م) .
(٣) انظر: ابو الليث صديقى : جامع القواعد (قسم الصرف) ص٢٧ فمابعدها (ط. لاهور ١٩٧١م) .

الوهم بأن عمرها لا يتجاوز ثلاثة قرون . والواقع أن لها تاريخا عريقا ،وتراثها العلمي والأدبي حصيلة ثمانية قرون متوالية (١) . وقد مرت الأردية فيها بثلاث مراحل تأثرت فيها بمختلف اللغات والثقافات (٢) :

أما المرحلة الاولى فقد تأثرت فيها باللغات الهندية واستخدمت معظم الكلمات والأساطير الهندية ، واستفادت من التشبيهات والرموز المحلية والأوزان العروضية للشعر الشعبي . تبدأ هذه الفترة من زمن الشاعر مسعود سعد سلمان اللاهورى (ت ٥١٥هـ/ ١١٢١ م) ثم أمير خسرو الدهلوى (ت ٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م) وتستمر الى نهاية القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى في منطقة كجرات والدكن .

ثم اتجهت الأردية الى الاستفادة من لغات الشعوب الاسلامية (العربية والفارسية والتركية) ،وكان العامل الديني واضحا في تأثرها باللغة العربية ،فانها لغة القرآن والحديث وسائر العلوم الاسلامية ،ولذلك اهتم المسلمون بها في الهند في جميع العصور (٣) . أما الفارسية فقد أثرت في الأردية تأثيرا كبيرا (٤) ، لأنها كانت لغة الدواوين ولغة التأليف والكتابة ،ولغة الدراسة في جميع مراحل التعليم .ولم يكن للغة التركية نصيب من التأثير في الأردية بالنظر الى العربية والفارسية ،لأن الحكام المسلمين المغول الذين كان أصلهم من الترك ، لم يستخدموها الا قليلا ، فلم تتطور كما تطورت الفارسية في أحضانهم ،واقتصر تأثيرها في الأردية على استعارة بعض المفردات منها ،وهي لا تتجاوز ١٠٥ كلمة (٥) .

بدأت هذه المرحلة من القرن الحادى عشر الهجرى / السابع عشر الميلادى حيث نجد صراعا عنيفا بين الثقافة الاسلامية والثقافة الهندية ،أدى الى تغلب الأولى على الثانية في أواخر هذا القرن لأسباب دينية وسياسية واجتماعية ،وبذلك تظهر صورة جديدة للأردية تسمى " ريختـه " عند الشاعر "ولى دكني "وغيره من الشعراء

---

(١) أفضل كتاب صدر حتى الآن في تاريخ الأدب الأردى : جميل جالبي : تاريخ ادب اردو جـ١ ، ٢ (ط. لاهور ١٩٧٥ ، ١٩٨٣م) .

(٢) جميل جالبي : قديم اردو لغت ص ٦ (ط. لاهور ١٩٧٣م) .

(٣) انظر عن تاريخ اللغة العربية في الهند :
Zubaid Ahmad , The Contribution of India to Arabic Lit. (Lahore 1967).
وأبو الحسن على الندوى : المسلمون في الهند ص ٣٥-٤٦ (ط. دمشق ١٩٦٢م).

(٤) انظر عن تأثير الفارسية في الأردية : نذير احمد : فارسى كے اثرات هندوستانى معاشرت اور هندوستاني زبانون پر (في مجلة "خدابخش لائبريرى جرنل" ١/ ٣-٢٨ عام ١٩٧٦م).

(٥) سيد احمد دهلوى : فرهنك آصفية ٤/ ٧٩٤ .

والأدباء. وتبقى الثقافة الاسلامية (وبالتالي الفارسية والعربية) مسيطرة على اللغة الأردية وأدبها منذ ذلك الوقت الى وفاة الشاعر العظيم "غالب" (ت ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٩م).

يلي ذلك عصر جديد عندما تغلّب الانجليز على الهند ،وبدأت الثقافة الانجليزية تنتشر وخاصة بعد الثورة الهندية عام ١٢٧٣هـ/١٨٥٧م ،وجعل الهنود يتعلمون الانجليزية ويدرسون آدابها في الجامعات والمعاهد الحكومية في الهند وخارجها ، وتتقلص آثار الفارسية حتى أصبحت في أيامنا هذه لغة غريبة للجيل الجديد ،كل هذا وذاك أدى الى تأثير الثقافة الغربية في جميع ميادين الحياة ،وظهر جليا في تأثر اللغات الهندية كلها بالانجليزية في كثير من المفردات والتعبيرات والمصطلحات العلمية والحضارية . وكانت اللغة الأردية حسب طبيعتها أكثر تقبلا لهذه الآثار، الا أنها احتفظت بطابعها الاسلامي وثروتها اللغوية الكبيرة مما دخلها من المفردات العربية والفارسية ،ورغم كل الجهود لقطع صلتها عن أصولها الاسلامية لا تزال الأردية تحمل خصائصها ومميزاتها .

ويهمنا هنا دراسة التأثير العربي في الأردية . وسنتحدث عن هذا الموضوع باختصار ،ونحصر كلامنا في نقاط محدودة ،تاركين التفصيل لدراسة أخرى .

(١) الخط والحروف :

أول ما نلاحظ في الأردية أنها تكتب بالخط العربي ،مع أنها من اللغات الهندية - الآرية التي كانت لها حروف هجاء خاصة بها ،وخط ديوناكرى تكتب به معظم اللغات الهندية الى الآن، الا أن الأردية خالفت أخواتها في ذلك،واختارت الخط العربي وحروف الهجاء العربية . واذا قارنّا بين العربية والأردية وجدنا أن الحروف الثمانية والعشرين العربية موجودة في الأردية ، اضافة الى الحروف الأخرى للأصوات الهندية والفارسية التي لا توجد في العربية . وللتعبير عن الأصوات الهندية الخالصة استخدم حرفا (ط/ هـ) مع الحروف العربية ،وزيدت بعض النقط والخطوط فيها للتعبير عن الأصوات الفارسية الهندية ، حتى صار مجموع عدد الحروف المستعملة في اللغة الأردية ٥٢ حرفا [١] كالتالي :

---

(١) ذكر محمد لقمان الصديقي في قواعد اللغة الأردية ص ١ (ط. القاهرة ١٩٦٣م) واحدا وخمسين حرفا ،وكأنه لم يعد الياء الطويلة مستقلة عن "ى".

- الحروف العربية ٢٨ + ١ (الهمزة التي تعد مستقلة عن الألف) .
- الحروف الفارسية ١ (ژ)
- الحروف الهندية :

(أ) الحروف الصحيحة ٣ (ٹ / ڈ / ڑ)

(ب) الحروف المركبة مع الهاء ١٥ (کھ / گھ / چھ / جھ / ڈھ / ٹھ / ڑھ / تھ / دھ / پھ / بھ / رھ / لھ / مھ / نھ)

- الحروف الفارسية / الهندية ٤ (پ / چ / گ / ے)

بهذا التفصيل يظهر لنا أن اللغة الأردية اختارت الخط العربي للتعبير عن الأصوات التي لا توجد في العربية ، واستخدمت النقط والحروف العربية للتفريق بين حرفين متشابهين في الخط ، ولم يبق بعد ذلك أي لبس بين حروف الهجاء .

(٢) الأصوات :

مجموع الأصوات الصحيحة الموجودة في الأردية ٣٨ صوتا [١] ، من بينها ١٤ صوتا مشتركة بين العربية والفارسية والهندية ، وهي (ب ، ت ، ج ، د ، ر ، س ، ش ، ك ، ل ، م ، ن ، و ، هـ ، ى) ، وخمسة أصوات مشتركة بين العربية والفارسية وهي (ح ، خ ، ز ، غ ، ف) ، وصوت واحد فقط خاص بالعربية ، وهو (ق) .

وهناك أصوات عربية لا وجود لها في الأردية ولكن يعبّر عنها بالحروف العربية ، وهي : (ث ، ح ، ذ ، ص ، ض ، ط ، ظ ، ع) ينطق بها كالآتي :

ث/ص = س
ذ/ض/ظ = ز
ط = ت

ع = الهمزة (في أكثر الأحيان) .
ح = الهاء (في أكثر الأحيان) .

---

(١) انظر: مسعود حسين خان : اردو میں صوتیات کا خاکه ص ٢٥٢ (في مجموعة : " شعر وزبان " ط. حيدر اباد ١٩٦٦م) .

فاستعمال هذه الحروف العربية كما هي مع أنها فقدت أصواتها الأصلية في الأردية دليل على تأثرها بالعربية ،فقد أبقتها حفاظا على أصلها العربي في كثير من المفردات.

(٣) - علامات الشكل :

استعارت الأردية الحركات الثلاث والتنوين وعلامات السكون والشدة والمد بهيئاتها العربية مع شيء من التعديل ،فالسكون في الأصل رأس الجيم (ح) اشارة الى الجزم[١] ،وقد استعملت في الأردية (۸) أو (ه) مما يدل على صلتهما بأصل الوضع ،بخلاف علامة الدائرة الصغيرة (٥) المستعملة الآن في الكتابة العربية الحديثة . والمد في الأصل رأس الميم (مـ)[١] ،وهو في الأردية يستعمل بصورة (~) شأنها في ذلك شأن العربية . والتنوين من خصائص اللغة العربية ،أخذته الأردية عنها ، فاستعملته في بعض الكلمات العربية ،مثل : مثلاً ، يقيناً ، تقريباً .... وغيرها . وكتبوا " اندازاً " بالتنوين مع أنها كلمة فارسية_قياسا على الكلمات العربية .

(٤) - المفردات :

أحصى سيد أحمد دهلوى عام ١٨٩٢م في معجمه "فرهنگ آصفيه"[٢] عدد الكلمات الموجودة في الأردية ،فجاءت على الوجه التالي :

١ - الهندية والبنجابية	٢١٦٤٤
٢ - الأردية (أى التي تركبت مع الهندية من اللغات الأخرى)	١٧٥٠٥
٣ - العربية	٧٥٨٤
٤ - الفارسية	٦٠٤١
٥ - السنسكريتية	٥٥٤
٦ - الانجليزية	٥٠٠
٧ - اللغات الأخرى الشرقية والأوربية	١٨١
المجموع	٥٤٠٠٩

(١) أفادني بذلك الأستاذ الدكتور ف. عبدالرحيم بالمدينة المنورة .
(٢) فرهنك آصفيه ٤/٧٩٤ . ونقل عنه : وحيد الدين سليم: وضع اصطلاحات ص ١٧٢ ، وگيان چند جين : لسانى مطالعے ص ١٨١- ١٨٢ .

ويلاحظ أن البند رقم ٢ يحتوى على كلمات اتحدت مع الهندية مكونة ألفاظا جديدة ،وأكثرها عربية وفارسية ، ومن هنا يمكن أن نضم - على أقل تقدير - ٤٥٠٠ لفظة عربية الى مجموع الألفاظ العربية المذكورة في البند رقم ٣ ،ليصبح المجموع التقريبي لألفاظ اللغة العربية المستخدمة في الأردية (١١٦٠٠) لفظة في عام ١٨٩٢ م ،وهو زمن إعداد معجم "فرهنك آصفيه".

وبمقارنة عدد الكلمات العربية في الأردية في مراحلها الأولى الى عام ١٧٠٠م بعدد الكلمات في زمن تأليف "فرهنك آصفيه" نلاحظ أنه ازداد عدد الكلمات العربية والفارسية زيادة سريعة ،وصُحّحت أشكال كثير من الألفاظ العربية المستعملة في الأردية والمكتوبة بطريقة غير صحيحة ،كما تناقص عدد الألفاظ الهندية وألفاظ اللغات الأخرى والتي هي من أصل آرى ،واستبدلت الكلمات الهندية بأخرى عربية أو فارسية . وقد بدأت هذه العملية في الفترة الأولى لتكوين اللغة ، ونشاهدها في الكتب المؤلفة في القرن السابع عشر الميلادى وما يليه . وقد أورد الأستاذ عبد السلام الندوى فهارس تفصيلية توضح مختلف المراحل لتداخل الكلمات العربية في الأردية واستيعاب الأردية لهذه الألفاظ وهضمها (١) .

ونظرا الى ما سبق يمكن القول بأن الكلمات العربية قد أخذت في التزايد منذ عام ١٨٩٢م ،وهي زيادة طبيعية تفرضها طبيعة الثقافة الاسلامية في شبه القارة الهندية . وقد اعترف المؤلفون الهنادكة أيضا بأن تأثير اللغة العربية واضح في اللغة الهندية (٢) ، على الرغم من محاولة الكتّاب الهنادكة التخلصَ من هذا التأثير عن طريق تنقيتها من الكلمات العربية والفارسية واستبدالها بأخرى سنسكريتية خالصة . ومع ذلك فلا تزال ألفاظ اللغة العربية ذات مكانة واضحة بين كلمات اللغة الأردية ،يبدو ذلك جليا في الصحف والمجلات ونشرات الأخبار والخطب والمحادثات اليومية . وقد نشرت إحصائية للكلمات المستخدمة في الجرائد الأردية (٣) ،وهي ٦٥٧٩ كلمة ، أحصيتُ منها الكلمات العربية الخالصة (ما عدا

---

(١) انظر: عبد السلام الندوى : شعر الهند ١/٣٧-٤٠و ١٩٢-٢٠٠ سمير عبد الحميد : اللغة العربية وقضية التنمية اللغوية في باكستان ص ٦٠ .

(٢) گيان چندجين : لسانى مطالعے ص ١٨٤-١٨٥ .

(٣) أعدها محمد عبد الرحمن باركر وآخرون بعنوان:
An Urdu Newspaper Word Count.(Montreal 1969).

الكلمات التي تركبت مع الهندية والفارسية) ،فوجدتها تتجاوز ٢١٥٠ كلمة ،أى حوالي ٣٣ ٪ من الكلمات تقريبا .

وقد استطاعت اللغة الأردية أن تهضم الكلمات العربية وتجعلها كألفاظها الأساسية ،فتصرفت فيها أحيانا فاختلفت أشكالها عما كان عليها في العربية ، أو استعملت في معنى جديد يختلف عن المعنى الأصلى ،والأمثلة على ذلك كثيرة(١) ،نذكر من النوع الأخير : اخلاص (بمعنى : محبة) ،ارشاد (= بيان ،قول) ، اشتهار (= اعلان) ،الزام (= تهمة) وغيرها .

أما الكلمات التي تغيرت عن أصلها العربي في البنية أو الحركات أو الخط ، وبقي معناها كما كان ،فهي كثيرة . والسبب في تغير كثير من هذه الألفاظ أنها دخلت في الأردية عن طريق اللغة الفارسية التي كانت قد استعملت تلك الألفاظ بعد تعديل كبير ، وبما أن اللغة الأردية تأثرت بالفارسية تأثرا شديدا في استخدام المفردات ،فقد قبلت الكلمات العربية في صورها التي كانت توجد بها في الفارسية ،وربما حدث تغيير جديد عندما استعملت في الأردية . ومن الكلمات العربية التي تغيرت حركاتها في الأردية : بَشارت (أصلها : بِشارة) ، جَبْروت (= جَبَروت) ،رَمْضَان (= رَمَضَان) ، رِهَن (= رَهْن) وغيرها كثير(٢) .

وهناك كلمات أخرى تغيرت في الخط والحروف(٣) ،مثل كلمة " افراتفرى " (بمعنى الانتشار) ،فهي في الأصل كلمة مركبة من لفظين : " افراط " و "تفريط" وبكثرة الاستعمال صارت (افراتفرى) في الكتابة والنطق . وكذلك كلمة "خير سلا " (بمعنى الصحة والسلامة) ينطقها عامة الناس ،وهي في الأصل " خير وصلاح " . وكلمة " تانے تشنے " في الأصل "طعن وتشنيع " ، الا أن الأردية هضمتها وأخرجتها كتابة بالصورة الموجودة لكن بنفس المعنى العربي ، الى غير ذلك من الكلمات .

---

(١) انظر: سليمان الندوى : نقوش سليماني ص ٣٤٢-٣٤٦ .
(٢) انظر: رشيد حسن خان: زبان اورقواعد ص ١١-١٥٥ (ط. دلهي ١٩٧٦م) .
(٣) انظر: محمد حسين آزاد : آب حيات ص ٣٥-٤٠ .

(٥) - قواعد اللغة :

تأثرت اللغة الأردية في قواعدها باللغة العربية الى حد كبير ،سواء في المصطلحات ،أو طرق اشتقاق الكلمات ، أو تقسيمها الى الاسم والفعل والحرف أوغير ذلك . فليس هناك باب من أبواب النحو والصرف في الأردية الا وهو مأخوذ من اللغة العربية في أغلب الأحيان . وتكفي الاشارة الى أن معظم المصادر الثلاثية وغير الثلاثية وسائر المشتقات منها تستعمل في اللغة الأردية كما تستعمل في اللغة العربية . وهذه بعض الأمثلة لمصادر الأفعال غير الثلاثية : اعلان ، اتمام ، تعليم ،تكريم ،مقارنه ،مجاهده (وتكتب بعض الكلمات على هذا الوزن بالتاء الطويلة ، مثل : مناسبت ،مجانست ،مفاهمت . . .) ،جهاد ،دفاع ،انقلاب، انعقاد ،انتظار ،ابتداء ،استقلال ،استقبال ،تمدن ،تدبر ، تلاطم ،تصادم ، اضمحلال . . . .

وهكذا نرى أن معظم المصادر العربية استعملت في اللغة الأردية ،وصيغت على أوزانها مصادر أخرى ،ثم اشتقت منها سائر المشتقات الاسمية ما عدا تصاريف الأفعال ،فان الأفعال تصاغ من المصادر المركبة (المصدر العربي + هونا/كرنا/ دينا / . . . . وغيرها من علامات المصادر الهندية) في أغلب الأحيان ،وتبقى المصادر العربية على حالها ،ويتصرف الجزء الثاني فقط في صيغ الأفعال المختلفة .

أما المشتقات العربية الأخرى من الأسماء والصفات فهي موجودة في اللغة الأردية ،وتستعمل بكثرة ، ولا تخلو صفحة من كتاب أردي من عشرات الأمثلة لاسم الفاعل ،واسم المفعول ،والصفة المشبهة ، واسم التفضيل ،وصيغة المبالغة ،وظروف الزمان والمكان ،واسم الآلة . . . وغير ذلك من المشتقات .

وتنقسم الأسماء الأردية الى المفرد والجمع ، ولا يوجد فيها المثنى ،شأنها في ذلك شأن اللغة الفارسية ،فالمثنى مقصور على العربية ،ومع ذلك فقد دخل المثنى في اللغة الأردية مع كثير من الكلمات العربية ، فيقال : والدين ،زوجين ، قوسين ، حرمين ،عيدين ،جانبين ، دارين ، طرفين ، سيدين ، فريقين ،حسنين ، بحرين ، معوذتين . . . . الى غير ذلك . ويلاحظ أنها لا تستعمل الا بالياء

والنون في جميع الأحوال . ولا يمكن أن يقال : والدان ،زوجان ،جانبان ،طرفان ... مهما كان وضع الكلمة من ناحية الاعراب.

وقد أثرت قواعد الجمع العربية في اللغة الأردية ،يظهر ذلك جليا في كل أنواع الجموع ، ومن أمثلة الجمع السالم : حاضرين ،مهاجرين ،زائرين ، (ويلاحظ أنها تلزم الياء والنون في كل حال ، ولا تستعمل بالواو والنون الا في بعض الأحوال بعد ابدال النون الظاهرة بنون الغنة) ، وآفات ،خدمات، حالات ... أما جمع التكسير فيستخدم معظم أوزانها في الأردية ،ومن الأمثلة الشائعة لها : أحباب ،أمور ،أئمة ، شعراء ،حكّام ،مساجد ،اكابر ،قواعد ، مساكين ،سلاطين ،كتب ،أمم ،حِكَم ...

وقد استخدم اسم الجمع العربي أيضا في اللغة الأردية ،مثل : قوم ، فوج (بمعنى جيش) ... ومثل هذه الكلمات تعامل معاملة المفرد ، ويمكن أن تجمع ،فيقال : أقوام ،أفواج ...

أما ضوابط التذكير والتأنيث فهي تختلف عن العربية الا أن الأردية أخذت عنها تاء التأنيث العربية للفصل بين المذكر والمؤنث في كثير من الكلمات وخاصة في الصفات ،مثل : خالد ـ خالده ، صالح ـ صالحه ، زاهد ـ زاهده ، معلم ـ معلمه ،شاعر ـ شاعره ، سيد ـ سيده ،وغيرها .

ويلاحظ أن الكلمات العربية أُخضِعت لقواعد التذكير والتأنيث الأردية ،ولم تبق على ما كانت عليه في الأصل ،وهناك قواعد طريفة للفرق بين المذكر والمؤنث لا ندخل في تفاصيلها لغرابتها بالنسبة للغة العربية (١) . والجدير بالذكر أن كثيرا من الكلمات لا زال أهل دلهي ولكنو يختلفون في تذكيرها وتأنيثها ،مثل: فكر ،طرز ،نقاب ،متاع ،مرقد ، فاتحه . كما أن هناك بعض الكلمات يتغير معناها باستخدامها في حالة التذكير أو التأنيث ،مثل : تكرار ،ضمير .

ومن الغريب أيضا أن بعض الجموع العربية مذكرة وان كانت مفرداتها مؤنثة ،

---

(١) انظر: عبد الحق : اردو صرف ونحو ص٢٩ ـ٣٠ (ط. دلهي ١٩٧٧م).

مثل : حقائق و معارف . وقد أشار الى هذا الموضوع حالى في احدى مقالاته ، وهو يرى أن جموع المؤنث تستعمل مؤنثة عند أهل دلهي باستثناء بعض الكلمات (١)

وقد أُنّثت طائفة من الكلمات العربية بطريقة التأنيث الاُردية ،وهي اضافة (ن) أو (ى) الى آخر بعض الكلمات سماعا ،مثل : إما من = مؤنث إمام ، وأميرن = مؤنث أمير ، ورحيمن = مؤنث رحيم ،و محمدى = مؤنث محمد ، وأكبرى = مؤنث أكبر ،وأصغرى = مؤنث أصغر .

(٦) - التراكيب :

والى جانب هذه المفردات التي تحدثنا عنها وتوجد في الاُردية بمختلف صيغها واشتقاقاتها ،تضم الاُردية تراكيب ثابتة مستعارة من العربية أو مكونة من مكونات عربية ، أو مركبة من كلمتين عربية وفارسية ، أو عربية وهندية ، أوعربية وتركية الى غير ذلك من التراكيب الملمّعة .

ونستعرض فيما يلي بايجاز مختلف أنواع هذه التراكيب (٢) :

ان أول ما تقع عليه أبصارنا تلك التراكيب العطفية عن طريق استخدام حرف العطف ،مثل : " شان وشوكت " (أى القوة والخطر) ،" ليل و نهار " ، " قول وفعل " ، " قول وقسم " ، " قول وقرار " ، "شكل وشباهت " (منظر) ، " حس وحركت " ، " عجزو انكسار " (خشوع) ، "نظم و نسق " (أى ترتيب) ، "حسب ونسب "... الى غير ذلك ،وهي كثيرة جدا .

ثم نجد كذلك تراكيب مترادفة غير منسوقة ، مثل : " هشّاش بشّاش " ، " صاف شفّاف " ،" حساب كتاب " ، " عجيب غريب " ، ويلحق بها " قريب قريب "(تقريبا) وأشباهها التي جاءت بتكرار كلمة واحدة .

---

(١) حالى : كليات نثر حالي ١/٤٣٧- ٤٣٨ .

(٢) تحدث عنها بتفصيل : الاستاذ سمير عبدالحميد في كتابه "اللغة العربية وقضية التنمية اللغوية" ص ٨٦-١٠٦ ،وانظر أيضا : حسين على محفوظ : مجلة كلية الآداب جامعة بغداد ٢١/١٥٩-١٦١ عام١٩٧٧م.

وثمة تراكيب تكون باستخدام المضاف والمضاف اليه ،مثل : نصف النهار، بُعد المشرقين ،دار الأمان ،دار العلوم ،مقدمة الجيش ،أمير البحر ،رأس المال ، بيت الله ،شمس العلماء ،علامة الدهر ، فخر الدولة ،فقيد المثال ،نادر الوجود ، صدر الصدور ... وغيرها كثير وربما تكون الاضافة في هذه التراكيب على الطريقة الفارسية ،أي بكسر المضاف مثل : " طالبِ علم " ، " وزيرِ خزانه " ، "حبِ وطن "، وغيرها .

أما التراكيب الوصفية فتتقدم فيها الصفة على الموصوف على عكس الطريقة العربية ،مثل : " شيطاني حركت " (عمل غير مناسب) ، "ذاتي تعلق " (علاقة خاصة) ، "فاسد خيالات " (وسواس) ،وربما يكون التركيب على الطريقة الفارسية بتقديم الموصوف على الصفة ،وكسره . مثل : "قوتِ ناميه " ، "شجرةُ ممنوعه " ، " فطرتِ صحيحة " ، " عقلِ سليم " ، "أعمالِ صالحه " ، "أخلاقِ حسنه " ، " قيامتِ صغرى " .

أما التراكيب المهملة (أو ما يسمى في العربية بالإتباع) فهي أيضا كثيرة في الأردية ،الا أنها أكثر ما تأتي في الكلمات الهندية ، وقليلا ما تكون في الكلمات العربية ،مثل "رعب داب" ،فكلمة "رعب " تفيد المعنى العربي نفسه ،و "داب " لا معنى لها ، وانما تؤكد المعنى الأول ،كما في العربية " حَسَن بَسَن ".

وهناك مركبات أخرى كثيرة تركبت بحروف الجر ومجرورها ،كما يلاحظ أن "لا" النافية ،و "ما " الموصولة ،و "ذو " و "ذى " (بمعنى صاحب) ،و "تحت " ، و "غير " تحتل جانبا هاما في تكوين هذه التراكيب ،وفيما يلي بعض الأمثلة من كل الأنواع المذكورة ،ويراجع لمعرفة العدد الأكبر منها الى معاجم اللغة الأردية مثل : " فرهنك آصفيه " و "نور اللغات " و " فيروز اللغات "وغيرها ،

(الباء) : بالتفصيل ، بالفعل ،بالقوة ،بجنسه ،بعينه ،بالآخر . ويلاحظ أن الباء تلفظ مفتوحة في بعض الكلمات ،مثل : بخلاف ،بحكم ، بكثرت ، بسبب ،بظاهر .

(في) : في الحال ،في الفور ،في الواقع ، في الجمله ،في نفسه ، في سبيل الله .

(على) : على الاعلان ،على العموم ،على الاطلاق ،على حاله ،على الرغم ، على وجه البصيرة ، على حده (على حدة)

(من) : من وجه ،من أوله الى آخره ،من جمله ،من جانب الله .

(اللام) : لهذا ،لله .

(حتى) : حتى المقدور ،حتى الوسع ،حتى الامكان .

(تحت) : تحت اللفظ ،تحت الشعور ،تحت الثرى .

(لا) : لا جواب (فريد أو صامت) ،لا علاج (مرض مزمن) ،لا وارث (ليس له من يرثه) لا محالة .

(ما) : ما قبل ،ما به النزاع ،ما تحت (طبقا ل) ،ما وراء ،ما مضى ،ماحصل (نتيجة) .

(غير) : غير حاضر ،غير ممكن ،غير مناسب ،غير مستعمل .

(ذو) : ذو أضعاف أقل (أقل حاصل في مسألة الضرب) ، ذو فنون .

(ذى) : ذى اختيار (صاحب سلطة) ،ذى استعداد (لائق) ،ذى حيات (حي) .

أما التراكيب الملمّعة - وخاصة تلك التي تتركب من كلمتين عربية وفارسية - فهي كثيرة ،وهي قسمان : قسم تتقدم فيه الكلمة العربية على الكلمة الفارسية ،وآخر عكس ذلك . ومن أمثلة الأول : حيرت انگيز (محيّر) ، "ذمّه دار" (مسئول) ، "رياضى دان" (عالم الرياضيات) ،"كتب خانه" (مكتبة) ،" كتب فروش" (بائع الكتب) ، "وفادار" (وَفِيّ) ...

ومن أمثلة القسم الثاني : با اثر (مؤثر) ، " بيوقوف " (أحمق) ، "بدا خلاق " (صاحب أخلاق سيئة) ، " برتكلف " (متكلف) ، كم بخت (سيء الحظ) ، " نامنظور " (غير مقبول) .

(٧)- المصطلحات :

واذا انتقلنا من المفردات والتراكيب اللغوية ،وجدنا أن هناك مئات من المصطلحات الدينية ،والسياسية ،والعلمية والفنية في كافة العلوم والفنون والصناعات، ولا سيما علوم الشريعة واللغة والقضاء ،الى جانب كثير من أعلام الأشخاص وأسماء الأماكن . ولو أردنا أن ندوّن هذه المصطلحات احتجنا الى مجلد ضخم.

وتدل هذه المصطلحات على مدى استفادة الأردية من العربية في مختلف الفنون وميادين الحياة . ويخيل للانسان عندما يدرس بعض هذه العلوم أنها ترجمت بمبادئها وقواعدها وتقسيماتها وأبوابها الى الأردية ،لتنظر مثلا الى المؤلفات في النحو والصرف والبلاغة والعروض تجد أن علماء الأردية بنوا كتبهم ومؤلفاتهم في هذه العلوم على منوال المؤلفات العربية ، وجروا على نفس التقسيمات والتعريفات والحدود التي وجدوها في الكتب العربية ،وطبقوها على الأردية مع التمثيل لها بمختلف الأمثلة من كلمات اللغةالأردية . ففي النحو الأردى مثلا (١) : اسم ، فعل ،حرف ،مذكر،مؤنث ،واحد ،جمع ، غائب ،حاضر ،متكلم ، فاعل ، مفعول ، مضاف ،مضاف اليه ، معرفة ،نكرة ،علم ،ضمير ،اسم اشارة ،موصول ، منادى ، ظرف زمان ،ظرف مكان ، شرط ،جواب ،استثناء ،عطف ... وغيرها من المصطلحات الكثيرة ، وقس على هذا بقية العلوم العربية .

والمصطلحات الدينية أيضا شأنها شأن المصطلحات اللغوية ، فقد أخذوا كل المصطلحات في الفقه والحديث والتفسير والعقيدة والأصول والتصوف والسيرةوالأخلاق والكلام والجدل وغيرها ،وشاع استعمالها حتى لدى العامة ،فتسمع منهم كلمات : نكاح ،طلاق ، وصيت ،وراثت ،وقف ،هبه ، صوم ،صلاة ،حج ،زكاة ، عمرة ،زيارت ،امام ،مؤذن ،عالم ،قاضي ،خليفة ،ارتداد ، افتاء ،افطار ،استخارة، احرام ... الى غير ذلك من الكلمات والمصطلحات التي تفوق الحصر.

---

(١) انظر : گل كرسٹ : قواعد زبان اردو(ط. لاهور ١٩٦٢م) ، عبد الحق: اردو صرف و نحو (ط. دلهي ١٩٨١م) ،غلام مصطفى : جامع القواعد (ط. لاهور ١٩٧٣م)وغيرها .

أما المصطلحات في العلوم الأخرى مثل الطب ،والجغرافيا ،والتاريخ ، والاقتصاد ،والسياسة ،والاجتماع ،والفلسفة ،فمعظمها مأخوذة أيضا من العربية. وفي العصر الحديث عندما بدأت حركة الترجمة للمؤلفات الأوربية في العلوم والرياضيات والطبيعة والكيمياء والاحياء وغيرها وكانت الحاجة ماسة الى وضع المصطلحات والكلمات لمقابلها من المصطلحات الأوربية أمدّت العربية بكثير من التراكيب والألفاظ ،وصيغت مصطلحات كثيرة بطريقة الاشتقاق العربي (١). وقد حاول بعض الباحثين بعد التقسيم وضع المصطلحات باستعانة اللغة السنسكريتية واستبدالها بالكلمات العربية ،الا أن هذه المحاولة لم تنجح ،فلم يكن لتلك المصطلحات السنسكريتية ذيوع وانتشار الى الآن. يقول الدكتور شوكت سبزواري -أحد المتخصصين في علم اللغة - : " لا معنى للاستفادة من السنسكريتية ،فهي ليست لغتنا العلمية ،ولا يعرفها معظم السكان ،والأردية تخالفها في طبيعتها الحضارية ،فلا يمكن أن تنتشر الكلمات والمصطلحات السنسكريتية .... أما الفارسية فهي وان كانت لغة المسلمين في الهند عدة قرون ،ولكنها لا تناسب للمصطلحات العلمية . وانما العربية هي التي تفي بها ، لأنها لغة راقية زاخرة بالمفردات وقوية محكمة ، وهي اللغة العلمية للبلاد الاسلامية ، واستفاد منها كل الشعوب الاسلامية في لغاتها ولا زالت تستفيد منها الى الآن ... وأهمية العربية للأردية مثل أهمية اللاتينية للانجليزية . ولا أرى أن المصطلحات غير العربية تنتشر في الأردية ويكون لها قبول في المستقبل "(٢). وتكتفي بهذه الشهادة فانها من لفوى كبير .

(٨) - التعابير والأقوال المأثورة :

وفي الأردية جملة من التعابير العربية والأقوال المأثورة ،أصبحت تستخدم في اللغة اليومية بالاضافة الى لغة الكتابة والأدب ،وكان للعامل الديني دور كبير

---

(١) انظر لهذه القضية بتفصيل : وحيد الدين سليم : وضع اصطلاحات (ط. كراتشي ١٩٦٥م).

(٢) شوكت سبزواري : اردو لسانيات ص ١١٦ (ط. اله آباد ١٩٨٢م).

في استخدام هذه التعابير والأقوال ،واقتباسها من اللغة العربية ، لننظر مثلا إلى التعابير والجمل التالية :

من كلمات التحسين : سبحان الله ،ما شاء الله .

من كلمات البراءة : تعوذ بالله ،أستغفر الله ،معاذ الله ، لا حول ولا قوة الا بالله .

من كلمات الشكر : الحمد لله ، لله الحمد .

من كلمات التعجب : الله اكبر ،الله الله .

من كلمات التبريك : بارك الله .

من كلمات الدعاء : جزاك الله .

من كلمات الرجاء : انشاء الله (يلاحظ أن " ان " تكتب متصلة بالفعل) .

من كلمات الترجيع : انا لله وانا اليه راجعون .

من كلمات التوكيد والقسم: والله ، بالله .

ومن التعابير الشائعة غير ما سبق : بسم الله ، العظمة لله ،المنة لله ، صلى الله عليه وسلم ،رضي الله عنه ،رحمة الله عليه ، عليه السلام ،الأعمال بالنيات ، الحياء جزء من الايمان ، الفقر فخرى ، توكلا على الله ، العلم عند الله ، خسر الدنيا والآخرة ،خير الأمور أوسطها ، في النار والسقر ،وما علينا الا البلاغ ، والله أعلم بالصواب ،نصفٌ لي ونصفٌ لك .

و نلمح أيضا تأثير الأدب العربي في الأمثال والأقوال العربية التالية ، وكان للمتصوفة أثرهم في إدخال هذه الأمثال وترويجها بين أهل اللغة :

آخر الدواء الكي ،أظهر من الشمس ، الأقارب كالعقارب ، الأشياء تُعرف بأضدادها ،الآن كما كان ، الإناء يترشح بما فيه ، النحو في الكلام كالملح في الطعام ،الولد سر لأبيه ، كلام الملوك ملوك الكلام ، كل طويل أحمق ،الكريم اذا وعد وفى ، المرء يقيس على نفسه ،المكتوب نصف الملاقاة ، خذ ما صفا دع ما كدر .

(٩) - الصور البيانية :

استخدمت الأردية كثيرا من التشبيهات والمجازات والاستعارات والكنايات العربية ، كما أن هناك كلمات كثيرة أصبحت رموزا لبعض الوقائع والأحداث الاسلامية ، مثل : بدر ، أحد ، كربلا ، القادسية ، معراج ، وغيرها . ومن التلميحات الشائعة : " حسن يوسف ، " دم عيسى " (اشارة الى معجزة عيسى عليه السلام ، وهي ابراء الأكمه والأبرص واحياء الموتى باذن الله) ، و " يد بيضا " (اشارة الى معجزة موسى عليه السلام) ، " چاه كنعان " (بئر كنعان) ، اشارة الى قصة يوسف والقائه في البئر ، و "گلزار خليل " (كناية عن كون النار بردا وسلاما على ابراهيم عليه السلام) ، و "أم الخبائث " (اشارة الى الخمر) .

وقد ترجمت بعض هذه الأساليب الى الأردية ، مثل "كوڑے برسانا" مأخوذ من قوله تعالى : " فصبَّ عليهم ربك سوطَ عذاب " ، و "ظل الهي " (للملك) مأخوذ من الحديث المشهور على الألسنة - وان كان ضعيفا من جهة الاسناد - " السلطان ظل الله في الأرض " . ونجد عند بعض الأدباء رغبة شديدة في استخدام الصور العربية ، ووصف البادية والصحراء ، والتغني بأمجاد الأمة الاسلامية ، وذكر الحبيبات وأسمائها على الطريقة العربية ، ومن بين الذين اشتهروا في هذه الميادين : الشاعر حالي و محمد اقبال و حفيظ جالندهري ، فكلهم استوحوا كثيرا من الموضوعات والأفكار والصور والأحداث من البيئات العربية المختلفة ، وسندرس التأثير العربي في شعر حالي في الباب الثاني باذن الله . أما هنا فأكتفي بالاشارة الى تأثر الشاعر اقبال في شعره بالأدب العربي ، وان كان هذا الموضوع يحتاج الى دراسة مستقلة ، ولكني أحاول أن أذكر هنا بعض الملامح الأساسية ، وقد اخترت الشاعر اقبال دون غيره لأنه يعتبر أعظم شاعر أردي في العصر الحديث ، ويتبع منهج " حالي " في اتجاهه الاسلامي في شعره (١) ، وكان

---

(١) انظر : محمد منور : ميزان اقبال ص ١٠١ (ط- لاهور ١٩٧٢م) ، ووزير آغا : اردو شاعرى كا مزاج ص ٢٧٠ .

له تأثير كبير في الشعراء المحدثين ،واليه يرجع الفضل في تعريف المسلمين بماضيهم المشرق، و تنبيههم من غفلتهم،واعادة الثقة إليهم بتاريخهم وتراثهم.

و يستغرب الانسان عندما يجد أن اقبال يصور المناظر الطبيعية لبلاد الغرب مع أنه لم يشاهدها بعينه ، فهو في إحدى قصائده " جواب خضر"(١) يذكر " النداء لرحيل القافلة في الصحراء " و "كثبان الرمل " و "تبختر الظباء عليها " و "نزول القافلة عند موارد المياه " و تشبيه ذلك بتجمع الموءمنين في الجنة حول نهر السلسبيل ،و "السلسلة الطويلة لأشجار النخيل " كل هذه الصور تذكّرنا بالقصائد العربية للشعراء الجاهليين . وفي قصيدة أخرى له بعنوان " ذوق وشوق "(٢) نظمها في فلسطين يمدح النبي صلى الله عليه وسلم، وذكر فيها جبال "إضَم " القريبة من المدينة المنورة ، و قرية "كاظمة " التي كانت قريبة من البصرة ،وأن كلتيهما استظلت ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم ،وكأن هذا البيت يشير الى قول البوصيرى في قصيدة "البردة ":

أم هبَّتِ الريحُ من تلقاء كاظمةٍ أو أومضَ البرق في الظلماء من إضَمِ

ومن الكلمات التي استخدمها اقبال كثيرا في شعره الأردى والفارسي ، وكلها تشير الى البيئة العربية : قافلة ،زمام ،ناقة ،مقام ،سلسبيل ،منزل ،طناب (وأصله في العربية "الطُّنُب " وجمعه "أطناب ") ،خيمة ،نخل ، نخيل ، رُطَب ،وغيرها . وازدادت هذه الكلمات العربية والصور في الشعر الذى نظمه في آخر حياته .

ومن أشهر قصائده التي نظمها على الطريقة العربية واختار قوافيها في قسم منها مثل قوافي الشعر العربي : قصيدته " مسجد قرطبة "(٣) ، حيث يأتي

---

(١) اقبال : كليات اقبال (اردو) ص ٢٥٧-٢٥٨.

(٢) المصدر نفسه ص ٤٠٣.

(٣) المصدر نفسه ص ٣٨٥- ٣٩٣. وانظر ترجمتها العربية في كتاب الشيخ أبي الحسن على الندوى : روائع اقبال ص ١٢١-١٣٠ (ط. بيروت ١٩٦٨ م).

بقوافي : دليل ،جميل ، نخيل ،جبرئيل ، خليل ،نيل ،رحيل ،أصيل . ومع أنه كان في أسبانيا إلا أن الصور التي تخيلها مأخوذة من الجزيرة العربية ،فهو يشبه أعمدة المسجد بأشجار النخيل ،ويخاطب المسجد بقوله "الى حرم قرطبة" كأنه يشبهه بالحرم المكي الذى يقصد اليه الناس من كل جانب ،وهذا يذكّرنا بأبيات ابن المثنّى في وصف هذا المسجد نفسه :

بنيتَ لله خيرَ بيت ... يخرس عن وصفه الأنسامُ
حجّ اليه من كل أوْبٍ ... كأنه المسجد الحرام
كأن محرابه اذا ما ... حفّ به الركن والمقام

وفي ديوان اقبال نجد قصيدتين (١) احداهما ترجمة لقصيدة عبد الرحمن الداخل يتحدث فيها عن أول شجرة غرسها في الأندلس بعدما هاجر اليها من الشام ، والثانية ترجمة لقصيدة المعتمد بن عباد التي نظمها في السجن . وترجمة هاتين القصيدتين تدل على عناية اقبال بالشعر العربي واهتمامه الشديد باستيحاء صوره وأفكاره ونقلها الى الأردية .

ولا نتعرض هنا كثيرا لشعره الفارسي ،وان كنا نجد فيه أيضا التأثّر الشديد بالأدب العربي ، حتى أنه يتخذ "رسالة الغفران" لأبي العلاء المعرى ، و "الفتوحات المكية" لابن عربي ،وكتاب "الطواسين" للحلّاج أساسا لمنظومته الشهيرة "جاويدنامه" ،واقتبس كثيرا من الصور والأساليب من الكتب المذكورة ، كما أنه استوحى معاني كثير من الأبيات .

ويطول بنا القول لو بدأنا نقارن بين شعر اقبال وما يشبهه من الشعر العربي ،وكذا ما استعاره من أساليب القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف واستخدمه في كثير من شعره ، وهذه ظاهرة موجودة في سائر ديوانه . ولا يمكن لنا في هذه المقدمة الموجزة أن نتحدث عنها كثيرا ،وكذلك لا ندخل في دراسة الشعراء الآخرين ،ويكفى الاشارة إلى أن معظم الشعراء استوحوا أفكار الشعر العربي

---

(١) اقبال : كليات اقبال (اردو) ص ٣٩٤- ٣٩٥ ، ٣٩٣ - ٣٩٤ .

واستفادوا من أساليب القرآن والحديث (١) ،وربما اقتبسوا بعض الجمل والعبارات بكاملها وضمّنوها في شعرهم ،ونظموا بعض القصائد الملمّعة بحيث يكون أحد الشطرين في بعض أبياتها بالعربية ، والآخر بالأردية . مثل قول الشاعر قائز دهلوى (٢) .

كهتى تهى هراك سون ووآشوبِ جان دَعْ كُوْ وسًا واسقنيها بالدِّنَانْ
سب كو دكهلا جام كهتى تهى ووحور انّها مفتاحُ أبوابِ السرور

وهذا ما يدل على شدة تأثر الشعر الأردى بالشعر العربي في موضوعاته وأساليبه واستخدام كثير من صوره وأفكاره .

(١٠) - أوزان الشعر :

واذا انتقلنا بعد ذلك إلى أوزان الشعر نجد أن معظم البحور التي نظم فيها الشعر الأردى مأخوذة عن العروض العربي ،وقد زيدت بعض البحور على البحور العربية ،وعُدّلت بعضها بالزحافات والعلل تقليدا للعروض الفارسي أومطابقة للحن الهندى . ونستعرض هنا بشيء من الايجاز هذه القضية ونبين مدى تأثر العروض الأردى بالعروض العربي .

من المعروف أن الخليل بن أحمد وضع علم العروض العربي ،ودون قواعده واستخرج خمسة عشر بحرا من خمس دوائر بعدما استعرض الشعر العربي كله . واستدرك عليه الأخفش بحر المتدارك ،فأصبحت بحور الشعر العربي ستة عشر بحرا ،وهي : الطويل ، المديد ، البسيط ، الوافر ، الكامل ، الهزج ، الرجز، الرمل ، السريع ، المنسرح ، الخفيف ، المضارع ، المقتضب ، المجتث ، المتقارب، المتدارك .

انتقل هذا النظام العروضي الى الأقطار الاسلامية الأخرى مع انتشار اللغة

---

(١) انظر : غلام مصطفى : اردو میں قرآن وحدیث کے محاورات (ط. اسلام آباد) ،و محمد عبد المغيث : " اردو شاعرى پر قرآن وحديث کے اثرات " (في مجموعة "پاكستان میں فروغ عربى " ط. كراتشي ١٩٧٥م)ص ١١٨-١٤٣ .

(٢) انظر: عبدالحق : متاع سخن ص ٢٩٣ (ط. دلهي ١٩٧٨م) .

العربية فيها ،وتأثر به سائر الآداب الاسلامية مثل الفارسية والتركية والاُردية وغيرها ، وقبِلَتْه بشيء من التعديل . وقد وصل العروض العربي الى الهند عن طريق ايران ، بعدما زاد عليه شعراء ايران بعض البحور (وهي : الجديد ،والقريب ،والمشاكل) وقللوا من استخدام بعض البحور العربية (مثل : الطويل ، والمديد ،والبسيط ، والمنسرح ،والسريع ،والوافر ، والكامل)[١] ، كما غيروا بعض البحور التي نظموا فيها بالزحافات والعلل وزيادة بعض الاُركان أو نقصها ،ومن أمثلة ذلك أن العرب كثيرا ما نظموا في البحور المجزوءة (ذات أربعة أركان) ، وهذا نادرا ما يكون في الشعر الفارسي .

وقد اتبع شعراء الاُردية نظام العروض العربي المعدَّل عند شعراء الفرس، كما تدل على ذلك المؤلفات في العروض[٢] ،ولكنهم خالفوهم أيضا في كثير من الاُمور ،وقللوا من استعمال بعض البحور الموجودة عند الفرس . وقد دعا بعض الباحثين أخيرا الى الاستفادة من نظام العروض الهندى والاُوربي ،فكتب عظمت الله خان مقالا طويلا عن الشعر بعنوان "شاعرى"[٣] ، هاجم فيه نظام العروض العربي المتبع عند شعراء الاُردية ،ووضع نظاما خاصا بعد الجمع بين الطريقة الهندية والطريقة الاُوربية ،وكانت هذه محاولة جريئة[٤] ، الا أنها باءت بالفشل ،

---

(١) جابر علي : اردو دائرة معارف اسلامية ١٣/٣٠٣ (تعليق على مقال "عروض") .

(٢) من أهم المصادر في العروض الاُردى : " حدائق البلاغت " لإمام بخش صهبائي (ط. لكهنو ١٨٤٢م) (وهو ترجمة أردية لكتاب شمس الدين فقير) ،و" زر كامل عيار " (ترجمة "معيار الاشعار" للطوسى) لمظفر علي أسير ،و "مقياس الاشعار "لميرزا أوج لكهنوى ،و"بحر الفصاحت "لنجم الغنى رامپورى ،و" قواعد العروض" لقدر بلگرامى ،و"عروض ،آهنك اوربيان" لشمس الرحمن فاروقي .

(٣) نشر أولا في مجلة "أردو " عدد يناير ١٩٢٣م ،ثم ألحق بديوانه " سريلے بول " (ط. حيدرآباد ١٩٢٧م) .

(٤) انظر دراسة عنها في : مسعود حسين خان : اردو زبان وادب ص ١٤٠-١٥٨ (ط. اله آباد ١٩٨٣م) .

ولم يقبل الشعراء ذلك النظام الذى اقترحه الباحث المذكور ،وحتى الباحث نفسه عندما نظم الشعر لم يقل شيئا يلفت الانتباه ،ولا يُمتِعنا الا بتلك الأبيات القليلة التي نظمها متمما للأوزان العربية.

يبدو لنا مما سبق أن نظام الأصوات وترتيبها في الآداب الثلاثة (العربية ، والفارسية والأردية) متقارب جدا ، وأن الثلاثة تتفق في معظم البحور والأوزان وان كانت تختلف فيما بينها ببعض الزيادة والنقصان واستعمال الزحافات والعلل .

ولا حاجة هنا الى ذكر المصطلحات العروضية والزحافات والعلل وقواعد التقطيع وغيرها ،فكلها مطابقة تماما للعروض العربي ،ولم يدخل فيها أى نوع من التغيير. ومن أجل ذلك باءت بالفشل كل الجهود التي ترمي الى تغيير هذا النظام العروضي ،واخضاع الشعر الأردى للنظام العروضي السنسكريتي ،ولم يكتب لها النجاح أمام القواعد الثابتة(١) .

و هنا نريد أن نتحدث عما يختلف فيه العروض الأردى عن العروض العربي بعد أن أشرنا الى الاتفاق في الأصول والقواعد والمصطلحات ،وأول ما يلفت الانتباه أن بعض البحور الكثيرة الاستعمال في الشعر العربي نادرا ما استعملت عند شعراء الأردية ، مثل : الطويل والبسيط والوافر ،فلا تجد فيها قصائد الا نادرا ،وكذلك المديد والمقتضب لم يستعملا عندهم وكلاهما قليل الشيوع أيضا في العربية.

أما البحور الأحد عشر الباقية المستعملة في الشعر الأردى ،فيمكن أن نقسمها الى قسمين : قسم جاء على أصله العربي ذا ثمانية أركان (المتقارب والمتدارك) أو ستة أركان (الخفيف والسريع) ،وقسم آخر استعمل ذا ثمانية أركان وهو في الأصل العربي ذو ستة أركان (الرجز ، الرمل ،الكامل ،المجتث ، المضارع ، المنسرح ، الهزج) ،وقد استعملت بعضها ذات ستة أركان أيضا ، ولكن ذلك قليل نادر.

---

(١) انظر : شمس الرحمن فاروقي : " بحرين اور زحافات " (في مجموعة " درس بلاغت " ط. دلهي (١٩٨١م) ص ٩٣.

والأمر الثاني أن بعض هذه البحور في الأردية تستعمل مضاعفة ، فتكون على ١٦ ركنا في كل مصراع ثمانية أركان (٨ × ٢) ،أو ١٢ ركنا (٦ × ٢) .

مثال الأول من البحر المتدارك قول الشاعر سلام مچھلی شہری :

موت ظالم سہی موت جیسی بھی ہو موت جھوٹی ادا کارہرگز نہیں
میں تو کہتا ہوں اسے سر پھری زندگی تو گلا بے پری ہے توساغر میں ڈھل

تقطيعه : فاعلن (٨×٢) . فترى أن كل مصراع من هذا البيت يساوى بيتا كاملا في العربية .

وهناك أمر آخر ،وهو أن الزحافات والعلل في العروض الأردى لا تختص بآخر جزء من كل شطر (العروض والضرب) على عكس العروض العربي ،فتجد تغيرات كثيرة تطرأ على سائر الأجزاء والأركان ،حتى جاءت بعض البحور بسبب هذه التغيرات والتقلبات على أربعة وعشرين وجها ، مثل "الرباعى" الذى أصله من بحر الهزج ، ويتحصل من التقلبات المختلفة لوزن "لا حول ولا قوة الا بالله" (مفعولُ مفاعيلُ مفاعيلن فَاعْ) أربعة وعشرون وزنا كلها تستخدم في الرباعي ، ويجوز أن يكون لكل شطر من أشطاره الأربعة وزن يختلف عن وزن الآخر . وان كان شعراء الأردية بصفة عامة لم ينظموا الا في ثلاثة أو أربعة منها ، ولكن بعض الشعراء حاولوا أن يستخدموا كل الأوزان (١) .

وكما تقلّب الرباعي على ٢٤ وجها ،فكذلك "بحر مِيْر" الذى أصله بحر المتقارب المضاعف (٨×٢) واستعمله الشاعر "مير" على أوجه كثيرة فنسب اليه . ونرى أنه ليس فيه نظام دقيق لترتيب الأجزاء والأركان في كل شطر منه ،ويتنوع بأشكال كثيرة ، وقد حاول أحد الباحثين استقصاء هذه الأشكال فلم ينجح ،ولكنه حدد تسعة أشكال مختلفة وقال ان ٩٥ ٪ من قصائد مِيْر في هذا البحر يمكن تقطيعها بأحد هذه الأشكال (٢) .

---

(١) انظر : شمس الرحمن فاروقي : "چار سمت کا دریا" (ط. لکھنو ١٩٧٧م) ، وهو مجموعة لخمسة وسبعين رباعيا استخدم فيها الشاعر الأوزان الأربعة والعشرين للرباعي .

(٢) شمس الرحمن فاروقي : "بحرين اور زحافات" (في كتاب "درس بلاغت") ص ١١٠ .

والى جانب الفروق التي أشرنا اليها هناك أمر آخر نود أن نلفت اليه الانتباه ،وهو أن بعض البحور التي لا تستعمل في العربية إلا مجزوءة ، استعملت في الأردية تامة . مثل : الهزج الذى دائما يجئ في العربية مجزوءا (أى بحذف الجزء الثالث من كل شطر ،فيبقى على أربعة أجزاء = مفاعيلن مفاعيلن × ٢) ولكنه جاء تاما على ستة أجزاء بل و على ثمانية أجزاء أيضا . مثال الأول قول الشاعر غالب :

هوس كو هے نشاط كار كيا كيا ... نه هو مرنا توجينے كامزا كيا

تقطيعه : مفاعيلن مفاعيلن فعولن ... مفاعيلن مفاعيلن فعولن

ومثال الثاني قول الشاعر غالب أيضا :

كسى كو دے كے دل كوئى نواسنجِ فغاں كيوں هو
نه هو جب دل هى سينے ميں تو پھر منه ميں زباں كيوں هو

تقطيعه : مفاعيلن (٤ × ٢) ثمان مرات .

وهذا ما لا يجئ أبدا في الشعر العربي .

وما ينبغي أن نشير اليه أن بعض الكلمات تقرأ بأشكال مختلفة ،ويختار الشكل المناسب عند تقطيع الأبيات لئلا يكون البيت خارجا عن الوزن . مثال ذلك كلمة "آئينه" (المرآة) تقرأ : "آ + ئى + نا" (على زنة : مفعولن) ، و" آ + ءِ + نَ" (فاعلُ) ، و"آ + ئى + نَ" (مفعولُ) ،و "آ+ ءِ+ نا" (فاعلن) ،وعند التقطيع يظهر أى قراءة منها تناسب الوزن . ومثل هذا الاختلاف لا يكون في العربية إلا نادرا ،ومن أمثلة ذلك قول الأعشى (١) :

وما لهُ من مجدٍ تليدٍ وما لـه ... من الريح حظٌّ لا الجنوبِ ولا الصّبا

فكلمة " له " الأولى حذفت منها مدة الهاء ،بينما الثانية ممدودة على القياس . و هذه من الضرورات الشعرية التي لا يلجأ إليها الشاعر إلا نادرا . وقد تحدث عن هذه الظاهرة سيبويه في كتابه (٢) .

---

(١) ديوانه ص ١١٥ (ط. القاهرة ١٩٥٠م) .
(٢) الكتاب ١٢/١ (ط. بولاق ١٣١٦هـ) .

بعد هذه الدراسة القصيرة عن اللغة الأردية وصلتها بالعربية ، ننتقل الى دراسة شخصية حالي وأدبه ، وننظر الى أى مدى تأثر في شعره ونثره وآرائه النقدية بالثقافة العربية . ولعل ما قدمنا في هذا التمهيد يغنينا عن تناول بعض الجوانب من التأثير العربي ،والتي لها علاقة باللغة (مثل الخط ، والحروف ، والأصوات،والقواعد ، والمفردات ، والمصطلحات ... وغيرها) ، فنصرف النظر عنها ،لأنها ليست من الأمور التي يختص بها شخص دون آخر عندما يكتب بالأردية أو ينظم فيها . وانما يهمنا البحث عن تلك الموضوعات والأفكار والأساليب والظواهر الفنية التي تأثر فيها حالى بالثقافة العربية ، وتميز بها عن غيره من الشعراء والنقاد ، ونحاول أن نكشف عن تلك المصادر العربية والنصوص التي اعتمد عليها في شعره ونقده ،ونبين مدى نجاحه في احتذائه لها . وقد قدمنا هذا البحث بموجز عن شخصية حالى ومكانته في الأدب الأردى الحديث ، لتكون أمامنا صورة صادقة عن حياته وعصره وثقافته ومؤلفاته ،ونتدرس في ضوئها أدبه ونحكم عليه . فلننتقل الى الباب الأول .

الباب الأول

شخصية حالي

ويحتوي على أربعة فصول :

الفصل الأول ـــ عصره

الفصل الثاني ـــ حياته

الفصل الثالث ـــ ثقافته

الفصل الرابع ـــ مؤلفاته

الفصـــــل الأول

عصـــره

عاش حالي في الفترة ما بين ١٨٣٧ - ١٩١٤م، وهي من أشد الفترات اضطرابا في تاريخ الهند، وأصعبها على المسلمين، ذلك أن الانجليز الذين كانوا قد دخلوا الهند في زى التجار منذ القرن السابع عشر الميلادى، بدأوا يتدخلون في الأمور السياسية بشتى المكائد والحيل، فانفجرت الثورة الهندية الكبرى (١٨٥٧م) من أقصى الهند الى أقصاها، ونشبت معارك دامية بين الهنود والانجليز عدة أشهر كادت تطيح بالسلطة الانجليزية، إلا أن القدر لم يساعد الهنود، فتمكن الانجليز من الغلبة عليهم باستعانة السيخ، وهكذا تم لهم ما أرادوا من السيطرة على البلاد سيطرة كاملة.

وبعد ما فشلت هذه الثورة انتقم الانجليز من أهل الهند انتقاما شديدا، وصبوا جام غضبهم على المسلمين بصفة خاصة، لأنهم كانوا يعرفون أن المسلمين هم المسئولون عن الثورة، فقتلوا آلافا منهم وأعدموهم شنقا، وصادروا ممتلكاتهم، وغصبوا أراضيهم وديارهم، وانتهكوا الحرمات، وأسروا آخر ملوك المسلمين "بهادر شاه ظفر"، وقتلوا أولاده وأقاربه بهمجية وقساوة، ثم حكموا عليه بالنفى المؤبد الى "رنجون" (في بورما) حيث مات عام ١٨٦٢م وهو محبوس في غرفة ضيقة.

لا أريد أن أدخل هنا في التفصيل لوقائع هذه الثورة وآثارها على الشعب الهندى، فقد كتب عنها الكثير من المؤرخين (١)، وانما أريد أن ألمّ بالأوضاع السياسية والاجتماعية والدينية والفكرية والأدبية العامة سريعا، لتكون أمامنا صورة صادقة عن تلك الفترة التي عاش فيها حالي، ونحكم في ضوئها على أعماله وجهوده في

---

(١) انظر بالأردية: غلام رسول مهر: "١٨٥٧" (ط. لاهور، دون تاريخ)، خورشيد مصطفى رضوى: "جنگ آزادى ١٨٥٧" (ط. دلهى ١٩٥٩م)، سيد أحمد خان: "أسباب بغاوت هند" (ط. كراتشي ١٩٥٧م). وبالانجليزية: Majumder, R.C., The Revolt and Mutiny of 1857. (Calcuta 1957). Mehta, Asoka ., 1857 The Great Rebellion (Bombay 1946). وبالعربية: مسعود عالم الندوى: تاريخ الدعوة الاسلامية في الهند ص ١٧٧-٢٠٦ (ط. دمشق، دون تاريخ)، أبو الحسن علي الندوى: المسلمون في الهند ص ٨٢-١٠٢ (ط. دمشق ١٩٦٢م)، وعبد المنعم النمر: تاريخ الاسلام في الهند ص ٣٧١-٤٧٦ (ط. القاهرة ١٩٥٩م).

سبيل اصلاح المجتمع والتجديد في فنون الأدب الأردى من الشعر والنقد والتراجم والنثر الفني ،و نبين منزلته بين معاصريه من الأدباء والشعراء والنقاد ،و نذكر موقفه من تلك القضايا والأحداث التي شغلت بال المفكرين وزعماء الحركات الاصلاحية في عصره .

لقد انتهى الحكم الاسلامي الذى استمر حوالي ثمانية قرون في الهند ،وأصبح المسلمون في حيرة من أمرهم ، بل ومصيرهم ،لا يعرفون كيف يعيشون بعد تلك النكبة التي أصيبوا بها ،وذهب ضحيتها آلاف من الرجال والنساء والأطفال ،و زج بالكثير من العلماء والقادة في السجون،وحكم على البعض بالنفى الموبد الى جزيرة "أندمان". أما عامة المسلمين فقد صدت عليهم أبواب الرزق الشريف ،وحرموا من الوظائف الحكومية ، وأبعدوا عن المناصب العالية في الحكم والادارة ،وصودرت تلك الأوقاف والممتلكات التى كانت تعول الأسر الكريمة وينفق منها على المدارس الدينية والمؤسسات الخيرية . وقد غير الانجليز نظام التعليم ،ففتحوا جامعات عدة لتعليم العلوم الحديثة بين عامي ١٨٥٧-١٨٨٧م في كل من كلكتا ،وبومباى ،ومدراس ،ولاهور ،والله آباد (١) ،ولكن المسلمين قاطعوها ولم يلتحقوا بها معارضين الانجليز ومقاطعين حضارتهم وثقافتهم . أما الهندوس فقد أقبلوا عليها ودرسوا فيها وتخرجوا منها ،وشغلوا الوظائف ونالوا المناصب العالية في الحكومة . هكذا كانت سياسة الانجليز في التفريق بين المسلمين والهندوس ،ونتيجة لذلك تدهورت الأحوال الاقتصادية عند المسلمين ،وشاعت فيهم البطالة والفقر والعجز ثم الاستجداء .

وهناك طائفة أخرى تأثرت بالحياة الغربية الى أبعد حد ،وتسربت اليهم مظاهر الحضارة الغربية في كل ناحية من نواحي الحياة الاجتماعية ،فانتشر فيهم اللهو والمجون والاباحية ،وشاع الغناء والرقص والخمر والميسر والسفور، وابتعدوا عن الأخلاق الاسلامية ،وأهملوا الفرائض والواجبات الدينية .

أما العقائد الدينية فقد ضعفت في قلوب الناس ،ووقع الخاصة والعامة في الخرافات والبدع ومظاهر الشرك والوثنية ،من الطواف حول القبور والسجود لها

---

(١) انظر تفصيل ذلك في كتاب :
Yusuf Ali, A., Cultural History of India during the British Period (Bombay 1940).

والتقرب اليها بالقرابين والنذور ،والغلو في شأن الأنبياء والأولياء الى غير ذلك من أنواع البدع والشرك (١) . وقد نهض لادراك هذا الوضع السيء كثير من العلماء والمصلحين المنتمين الى حركة الجهاد التي قادها الامامان الشهيدان أحمد بن عرفان واسماعيل بن عبد الغني ،وقاموا بدعوة المسلمين الى التوحيد واتباع السنة ، وانقاذهم من الخرافات الشائعة والتقاليد الباطلة التي كانت قد تسربت اليهم من الهندوس ،ويرجع الى هذه الحركة الفضل في نشر العقيدة الصحيحة واحياء السنة النبوية وتحريض المسلمين على الجهاد لاقامة الحكم الاسلامي في الهند (٢) . ولم يَغفَل الانجليز عن هذه الحركة التي كانت تريد توحيد صفوف المسلمين ضد القوى المناهضة لهم والدعوة الى الكتاب والسنة ونشر الوعي الاسلامي الصحيح ،فروجوا اشاعات باطلة حول هذه الحركة وجعلوها صنوا للوهابية ،ونجحوا في ابعاد كثير من المسلمين في الهند عنها ،ووسعوا الفجوة بين هؤلاء الدعاة المخلصين والعامة المتمسكين بالتقاليد غير الاسلامية ،كما شجعوا الخلاف والنزاع بين المسلمين في مسائل الفروع ،حيث كانت تعقد مناظرات وتؤلف فيها الرسائل والكتب ،وربما يؤدي الصراع آخر الأمر الى التعدي والهجوم على الفريق الآخر وأخيرا رفع القضية الى محاكم الانجليز أو الهندوس للبتّ فيها .

هذا ما كان عليه المسلمون فيما بينهم . ومن ناحية أخرى خطط الانجليز لتنصير الشعب الهندي (٣) ،فكان المبشرون ينشرون مبادىء المسيحية ويثيرون الشكوك والشبهات في دين الاسلام ،ويؤلفون الكتب المحشوة بالطعن في الاسلام والقرآن والرسول ،ويوزعونها مجانا بين أهل الهند . وقد فتحت المدارس التبشيرية باعانة الحكومة في سائر أرجاء الهند ،يعلّمون فيها مبادىء الدين المسيحي ،ولا ينجح الطالب الا اذا أجاب حسب عقائدهم . كما أسسوا مدارس البنات ودور الأيتام والمستشفيات

---

(١) انظر تفصيلها في كتاب الامام اسماعيل الدهلوي : "تقوية الايمان" (ط. لاهور ١٩٦٨م) ،وترجمته الى العربية بقلم الأستاذ أبي الحسن علي الندوي بعنوان "رسالة التوحيد" (ط. لكهنو ١٩٧٤م) .

(٢) انظر عن تاريخ هذه الحركة وآثارها : مسعود عالم الندوي : "هندوستان كي پهلي اسلامي تحريك" (ط. لاهور ١٩٤٨م) ،غلام رسول مهر: "سيد أحمد شهيد" (ط. لاهور ١٩٥٢م) ،و "جماعت مجاهدين" (ط. لاهور ١٩٥٥م) ،وسرگذشت مجاهدين (ط. لاهور ١٩٥٦م) ،أبو الحسن علي ندوي "سيرت سيد أحمد شهيد" (ط. لكهنو ١٩٣٩م) ،"اذا هبت ريح الايمان" (ط. الكويت ١٩٧٤م) ،و Qiyamuddin Ahmad, Wahabi Movement in India (Calcutta 1966).

(٣) انظر : امداد صابري : "فرنگيون كا جال" (ط. دلهي ١٩٤٩م) .

حيث يقومون فيها بتلقين عقائدهم ويبذلون جهودهم لتنصير الأطفال والبنات ،ويربونهم تربية غيراسلامية . وقد عزل الانجليز القضاة المسلمين ،وطبقوا القوانين الوضعية بدلا من الشريعة الاسلامية كما حدث ذلك في البنغال عام ١٨٦٤م (١) .

تلك كانت الظروف التي قام فيها السيد أحمد خان بحركته الاصلاحية (٢) بينما كان عامة المسلمين مشتتين في الأقطار ،وعلماؤهم في غياهب السجون أو متقوقعين في المساجد والزوايا ،والحكومة وأعوانها ينظرون اليهم بعين الازدراء والاحتقار ، وجيرانهم (الهندوس) - الذين كانوا بالأمس من رعاياهم - يتبوأون أعلى المناصب في دواوين الحكومة (٣) . كان أحمد خان يؤلمه مصير المسلمين ،ويوجعه ما آل اليه أمرهم من التشتت والتفرق والذل والمهانة وسوء معاملة الانجليز معهم ،فشمّر عن ساعد الجد بتوحيد صفوف المسلمين و تقريب ما بينهم و بين الحكومة من سوء التفاهم ، وقام بالدفاع عن قومه وجرد لذلك قلمه ولسانه ،فألف رسالة بالأردية بعنوان "أسباب بغاوت هند " عام ١٨٥٨م كشف فيها القناع عن أسباب الثورة الحقيقية ،وبرأ ساحة المسلمين من كثير من التهم والمفتريات التي كانت تلصق بهم . وكلّف العقيد جريهم (Grahame) بترجمته الى الانجليزية ،وطبع منها خمسمائة نسخة وأرسلها الى البرلمان الانجليزى والمكتب الهندى . كما ألف رسائل أخرى للدفاع عن المسلمين وضح فيها أنهم أوفياء للحكومة الانجليزية . وقد وفق السيد أحمد خان في خطته التي كان رسمها لانقاذ المسلمين الى حد بعيد ،وأقنع الحكومة الانجليزية بأن المسلمين قد ظُلِموا واضطهدوا بغير حق ، فغيرت سياستها قليلا ،وجنحت الى اللين وتعاطفت معهم ،وأعطت لهم الفرص للحياة وكسب العيش ،وسمحت بقبولهم في الوظائف الحكومية . وهكذا خرج المسلمون من المأزق بعد مساعيه المشكورة .

---

(١) انظر عبد المنعم النمر : تاريخ الاسلام في الهند ص ٤٠٥ .

(٢) انظر عن السيد احمد خان وحركته : حالى : "حياة جاويد " (ط.دلهى ١٩٨٢م) و ترجمة القسم الأول منه الى الانجليزية (ط.دلهي ١٩٧٩م) ،وعبد الحق : "سرسيد أحمد خان" (ط. كراتشى ١٩٥٩م) ،وخليق احمد نظامي : "سيد احمد خان" (ط. دلهي ١٩٧١م)،و "سر سيد اورعلى گڑھ تحريك " (ط. اله آباد ١٩٨٢م)، ومحمد اكرام : "موج كوثر" ص ٧٧-١١١ ،١٢٧ - ١٤٥ ،١٥٦-١٦٥ (ط.لاهور ١٩٨٢م) ،وسيد عبدالله : "اردو دائرة معارف اسلامية" ٢/١١٦-١٢٢ (وفيه ذكر المصادر الأخرى) . وانظر بالعربية : خليل عبد الحميد عبدالعال : جوانب من التراث الهندى الاسلامي الحديث ص ١٤٥-٢٤٠ (ط.القاهرة ١٩٧٩م) ، وأبو الحسن علي الندوى : الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الاسلامية ص ٦٩-٧٦ (ط. الكويت ١٩٨٣م) .

(٣) انظر : مسعود الندوى : تاريخ الدعوة الاسلامية في الهند ص ١٨٥ .

ثم انه سافر الى بريطانيا عام ١٨٦٩م (١) ،وشاهد هناك مراكز العلم والثقافة، وتأثر بمظاهر الرقي والازدهار ،فلما رجع الى الهند في العام المقبل بدأ حركته الاصلاحية الشهيرة التي تسمى "حركة علي كره" ،وأول ما فعله اصدار مجلة باللغة الأردية باسم "تهذيب الأخلاق" عام ١٨٧٠م ،كان هدفها الأساسي النهوض بالمسلمين وتوجيههم الى العناية بالتعليم العصري والأخذ من ثمرات الحضارة الأوربية ،ودعا الى انشاء جامعة اسلامية لتدريس العلوم العصرية ،وقد أنشئت فعلا باسم "مدرسة العلوم" عام ١٨٧٥م (٢) ،وأصبحت كلية (M. A. O.) عام ١٨٧٧م ، واتسعت فيما بعد حتى أصبحت جامعة راقية بعد وفاته،ولا زالت من أشهر الجامعات العصرية في الهند .

ويا ليته اقتصر على جهوده لنشر التعليم بين أبناء المسلمين واصلاح المجتمع بواسطة المقالات والكتب والقاء المحاضرات والخطب ،ولكنه -للأسف- أخطأ من جهتين (٣) ذاقت الأمة ولا تزال تذوق مغبتهما الى يومنا هذا ،فقد أضاف الى دعوته التعليمية الدعوة الى تقليد الحضارة الغربية ،وقبول طرق معاشهم ،ومحاكاتهم في مآكلهم ومشاربهم وملابسهم ،وكأنه أراد أن الأمة لا يمكن لها أن تنهض الا بعد أن تساير الغرب في كل شيء وتتثقف ثقافة غربية كاملة. والثانية أنه بدأ يفسر القرآن برأيه، ويؤول كلام الله وأوامر الشريعة حسب ما يجد في كتب الفلاسفة الغربيين ومفكريهم من آراء باطلة ،وأفكار زائفة ،فتجرأ على انكار الرق في الاسلام وتعدد الزوجات وولادة سيدنا المسيح من غير أب ، ثم جحد المعجزات برمتها ،وأنكر وجود الجن ... الى غير ذلك من شطط الآراء ، كما أنه نشر بعض الكتب والمقالات في مجلة "تهذيب الأخلاق" أبدى فيها آراءه الدينية ،وحاول أن يوفق -بزعمه- بين الاسلام والعلم الحديث بأسلوب كلامي عصري .

---

(١) حالي : حيات جاويد ص ١٤٦ ومابعدها ،عبدالمجيد سالك : مسلم ثقافت هندوستان ميں ص ٦٣١ (ط. لاهور دون تاريخ) .

(٢) حالي : حيات جاويد ص ١٨٣ ،هاشمي فريدآبادي : تاريخ مسلمانان پاكستان وبهارت ٢/ ٤٧٩ (ط. كراتشي ١٩٥٣م) .

(٣) انظر مسعود الندوي : نظرة اجمالية في تاريخ الدعوة الاسلامية في الهند وباكستان ص ٥٨-٥٩ (ط. لاهور ١٩٥٢م) ،وتاريخ الدعوة الاسلامية في الهند ص ١٨٧-١٨٩ ،وابو الحسن علي الندوي : الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية ص ٧٣-٧٥ .

وقد كانت لهذه الآراء الجريئة ردود فعل شديدة من قبل العلماء المحافظين والمتمسكين بالشريعة الغراء ،فقاموا للرد عليها وتكفير السيد أحمد خان من أجلها ، ومنعوا الناس من الالتحاق بكلية علي كره ومساعدتها ،وتخوفوا من التعليم الجديد لما رأوا من آثاره السيئة ،حيث ان كثيرا من الذين تخرجوا في هذه الكلية كانوا لا يبالون بالدين والاخلاق ،ونظرا لأن دعوته قد اقترنت بالدعوة الى قبول الحضارة الغربية وتعظيم الشعب الانجليزى وكل ما يتسم به من آداب ونظم وجعله المثل الأعلى في الحياة العصرية ، عارضوا هذه الحركة التي تزعمها السيد أحمد خان وأنصاره ،وساء ظنهم بذلك المنهج الدراسي الذى اختاروه في الكلية ،وخاصة بعدما رأوا أن الأساتذة الانجليز هم الذين يتولون رئاسة كافة الأقسام فيها .

ولما رأى العلماء ما آل اليه أمر المسلمين بعد تشتت أفكارهم وتفرق جموعهم وشاهدوا ما يدعو الناس اليه من متابعة الانجليز واقتفاء أثرهم في مناهج العلم وطرق المعيشة وآداب الاجتماع ، لما شاهدوا ذلك بأعينهم أحسوا بالخطر المحدق بكيان الأمة ،وشمروا عن ساعد الجد لأداء ما عليهم من واجب الدعوة والدفاع عن حظيرة الدين والذود عن حياضه ،فبذلوا جهودهم في تأسيس المدارس الاسلامية لتعليم الدين الاسلامي ،وحرضوا الناس على التمسك بتعاليم الاسلام والاعتزاز بها ، والحفاظ على العقائد الصحيحة ،والصمود أمام تيار الفكر الغربي . وقد أنشئت المدارس الدينية والمعاهد الاسلامية في اكثر المدن والقرى ،مثل : ديوبند ،ودلهى، ولكهنو ،وكلكتا ،وقنوج ،وجونفور ،وسهارنفور ،والله آباد ،وعظيم آباد ،ومدراس ، وويلور وغيرها ،حتى لم تخل منطقة من مثل هذه المدارس (١) . وقد حافظت هذه المعاهد الدينية على الثقافة الاسلامية والتراث العلمي والفكرى للمسلمين ،وأخرجت علماء ومفكرين تفقهوا في الدين ،وتعمقوا في دراسة العلوم الاسلامية ،واستطاعوا أن يقودوا الأمة الاسلامية ويقوموا بواجبهم خير قيام .

---

(١) انظر تعريفاً ببعض هذه المراكز التعليمية في كتاب : عبدالحليم الندوى : مراكز المسلمين التعليمية والثقافية والدينية في الهند (ط. مدراس ١٩٦٧م)، وابو سلمان شاهجهانپورى : "برصغير ميں مسلمانوں كے علمى تعلمى اورادبى ادارے" (ط. كراتشى)،ونذر احمد : "جائزه مدارس عربية مغربى پاكستان" (ط. لاهور) و

Aziz Ahamd, An Intelectual History of Islam in India pp.57- 65 (Edinburgh 1969) .

ومع ذلك فلا يسعنا الا الاعتراف بأن نظام التعليم في هذه المدارس العربية لم يكن مسايرا للعصر ، فقد كان المنهج الدراسي المتمثل في "الدرس النظامي"(١) يشتمل على كتب المنطق والفلسفة وشروحها و تعليقاتها ،وجملة من كتب النحو والبلاغة التقليدية ،وشيء من الفقه والاصول والكلام . أما القرآن والحديث فكانت العناية بهما قليلة نادرة جدا في معظم المدارس ،ولا تدرس اللغة العربية لقصد استيعابها كتابة و محادثة، بل يقتصر على تدريس نتف من كتب الأدب العربي القديم في النثروالنظم. ولم يكن للعلوم الحديثة واللغة الانجليزية أثر في هذا المنهج .

قام بعض المفكرين والعلماء لاصلاح هذا الوضع ،والتوفيق بين المدرستين الفكريتين : (مدرسة علي كره) ،و (مدرسة ديوبند) التي تمثل مدرسة العلماء المحافظين ،فأنشأوا جمعية باسم (ندوة العلماء)(٢) عام ١٣١١هـ/١٨٩٣م ، وأسسوا "دار العلوم" التابعة لها بعد خمس سنوات ،وعدلوا المنهج الدراسي القديم، وقرروا تدريس اللغة العربية و بعض العلوم العصرية ليطلع المتخرجون على مقتضيات العصر ،ويتسلحوا بالأسلحة الجديدة للدفاع عن الدين . ولندوة العلماء جهود مشكورة في نشر اللغة العربية بين أبناء الهند ،والجمع بين طبقات المسلمين بعامة وطبقات العلماء وأحزابهم بخاصة ،ورفع الشقاق والنزاع بينهم . وتطوير المنهج الدراسي وتعديله على مبدأ الجمع بين القديم الصالح والجديد النافع ،وطرح الخلافات المذهبية في الفروع .

الى جانب هذه المؤسسات التعليمية كانت هناك حركات وجمعيات أخرى كثيرة في سائر أنحاء الهند ،ومن بينها جمعية : "انجمن حمايت اسلام"

---

(١) نسبة الى أحد علماء الهند ملا نظام الدين السهالوى (ت١١٦١هـ)الذى وضع هذا المنهج لدراسة العلوم الاسلامية والعربية والفلسفية ،وحدد بعض المتون وشروحها في كل فن من هذه الفنون . انظر عن حياته واعماله: "بانى درس نظامي" (ط.علي كره)، وشبلى : مقالات شبلى ٣/ ٩١-١٠١ (ط. اعظم كره ١٩٥٥م)،وعبد الحي الحسنى : نزهة الخواطر ٦/ ٣٨٣-٣٨٥ . وانظر عن نظامه التعليمي ومقرراته الدراسية : أبوالحسنات ندوى : "هندوستان كى قديم اسلامي درسگاهين" (ط. اعظم كره ١٩٣٦م) ،ومناظر أحسن گيلانى : هندوستان مين مسلمانون كانظام تعليم وتربيت" (ط.دلهي١٩٤٤م).

(٢) انظر عن تاريخها وجهودها : اسحاق جليس ندوى : "تاريخ ندوة العلماء" (ط.لكهنو)، ومسعود الندوى : تاريخ الدعوة الاسلامية في الهند ص ١٩٦-١٩٩ ،و محمد اكرام : موج كوثر ص ١٨٧-١٩٢ ،و عبد الحليم الندوى : مراكز المسلمين التعليمية ص ٣٤-٥٢ .

(جمعية "الدفاع عن الاسلام") بلاهور، وقد أنشأها القاضي حميد الدين عام ١٨٨٤م (١)، وكان من أهدافها تربية الطلاب والطالبات تربية اسلامية، والدفاع عن الاسلام، والرد على أعدائه من المسيحيين المبشرين والهندوس الآريين، ونشر الكتب والرسائل، والقاء الخطب والمحاضرات، وعقد الندوات والمؤتمرات للبحث في قضايا المسلمين. وقد أنشد الشاعر محمد اقبال في هذه الندوات بعض قصائده الشهيرة لأول مرة. وكانت الجمعية تؤيد حركة علي كره في ميدان السياسة والتعليم، وتخالفها في آرائها الدينية المتطرفة، ولذا أقبل الكثير من العلماء والمفكرين على عضويتها، وأصبحت من أهم الجمعيات الاسلامية في ذلك العصر.

وكان السيد أحمد خان قد أنشأ عام ١٨٨٠م "مؤتمر التعليم الاسلامي" باسم "محمڈن ايجوكيشنل كانگريس" الذي سمي عام ١٨٩٠م (محمڈن ايجوكيشنل كانفرنس) (٢)، وكان هدفه دعوة الناس الى العناية بأمور التعليم، وانشاء الكليات المماثلة لكلية علي كره في سائر أنحاء البلاد. وكانت تعقد له الجلسات سنويا في مختلف المدن، واليه يرجع الفضل في توجيه الناس الى دراسة العلوم الحديثة بعد مقاطعتهم للجامعات التي أنشأها الانجليز في مختلف المدن في الهند.

لم تقتصر حركة السيد أحمد خان على التأثير في الحياة الثقافية والفكرية فحسب، بل أحدثت انقلابا عاما في ميدان الأدب والشعر واللغة. وقد كان الأدب الأردي يتميز باغراقه في الخيال وبعده عن الواقع قبل بداية النهضة الأدبية الحديثة التي قامت على أكتاف السيد أحمد خان وزملائه، ولم يكن فيه تصوير للمناظر الطبيعية والحياة العامة، ولا اهتمام بالموضوعات الاجتماعية والعلمية الحديثة، فكان غاية ما يريده الأديب والشاعر الأردي أن يزخرف أسلوبه بكلمات فارسية، ويقلد فيه الكتّاب والشعراء الفرس. عارض السيد أحمد خان وزملاؤه هذا الاتجاه واستخدموا

---

(١) انظر عن هذه الجمعية History of Freedom Movement Vol. III, 2, pp. 322-421 (Karachi 1961).

(٢) انظر: حالي: حيات جاويد ص ٢٤٢-٢٤٩.

الأدب لأغراض اجتماعية وثقافية ودينية وعلمية ،ونشروا لغة مبسطة سهلة عن طريق كتاباتهم في مجلة "تهذيب الأخلاق" ،منذ عام ١٨٧٠م . ولم تكن ميزتهـــا البساطة فحسب (فقد ظهرت بوادرها منذ بداية القرن التاسع عشر الميلادى عندما ألف "ميرأمّن" كتابه "باغ وبهار" (الحديقة والربيع) [١] ، وكتب "ميرزا غالب" رسائله الشهيرة [٢] ،ونشر المنتمون الى حركة الجهاد عددا من المؤلفات فـــي موضوعات دينية) [٣] ، بل كانت تتميز بأنها تتناول جميع الموضوعات العلميـــة والتاريخية والاجتماعية والفنية بطريقة حديثة . وقد استحدثت بعض الفنون الأدبية في النثر الأردى والتي لم يكن لها وجود قبل ذلك ،مثل : المقال ،والرسالـــة ، والقصة ،والرواية ،والمسرحية ،والنقد الأدبي ،والتاريخ الأدبي ،والتراجم وغيرهـــا . ومما ساعد على نشر الاردية تأسيس المطابع ونشر الصحف والمجلات ،وقد كثرت المجلات والصحف في هذا العصر كثرة هائلة [٤] ،ونتيجة لذلك انتشرت اللغة الأرديـــة انتشارا واسعا في سائر البلاد حتى احتلت مكانة اللغة الفارسية ثقافيا وأدبياوعلميا، كما أنها استفادت من الانجليزية فاقترضت كثيرا من المفردات ،وأصبح لها رواج وقبول لدى العامة والخاصة ،إلا أن السيد أحمد خان وزملاءه كانوا يتكلفون أحيانا فـــي استعمال الكلمات الغريبة من اللغة الانجليزية والتي يوجد لها مرادف في اللغـــة الأردية [٥] ، مع أنهم لم يكونوا يعرفون اللغة الانجليزية . وهذا ان دل على شيء فانما يدل على العبودية الفكرية للانجليز ،وحب الظهور بمظهر يوهم الآخرين بأنهـــم على معرفة تامة باللغة الانجليزية .

---

(١) انظر عنه : سيد عبدالله : "ميرأمن سے عبدالحق تك" ص٢٩-٤٣ (ط.دلهى ، د.ت) .

(٢) وهي في مجموعتين بعنوان "عود هندى" و "اردوى معلى" .
انظرعنهما : مالك رام : "ذكر غالب" ص١٦٧-١٧١ (ط. دلهي ١٩٧٦م).

(٣) انظر: خواجه احمد فاروقي : "اردومين وهابى ادب" ،وكليم الدين أحمـد : "اپنى تلاشمين" ١/ ٣٠ فمابعدها (ط.گيا ١٩٧٥م) .

(٤) انظر : عبد السلام خورشيد : صحافت پاكستان وهندمين (ط. لاهـــور ١٩٦٣م) ،وامداد صابرى : تاريخ صحافت أردو (ثلاثة مجلدات،ط.دلهى)، ومحمد عتيق صديقى : "هندوستانى اخبار نويسى كمپنى كے عهد مين" (ط. دلهي ١٩٥٧م) .

(٥) انظر أمثلة لذلك في : تاريخ أدبيات مسلمانان پاكستان وهند ٩/ ٦٢٧ - ٦٢٨ (ط. جامعة فنجاب ،لاهور ١٩٧٢م) .

والى جانب حركة على كره الأدبية - و المجمع العلمي (سائنٹفك سوسائٹی) الذى أسسه السيد احمد خان - كانت هناك مجامع وندوات كثيرة تعنى بالعلوم والآداب (١) ، وتنشر المجلات الأدبية ، وتعقد جلسات تلقى فيها المحاضرات وتقرأ المقالات و تنشد القصائد . ومن أهم هذه الجمعيات جمعية "انجمن پنجاب" التي أنشأها لا ئٹنر - عميد الكلية الحكومية بلاهور - عام ١٨٦٥م (٢) . وكان من أهدافها مناقشة القضايا الأدبية واللغوية ، ودعوة الناس الى القاء المحاضرات وانشاد القصائد . كان محمد حسين آزاد من أعضاء هذه الجمعية ، يتولى ادارتها وينظّم جلساتها ، وقد أبدى في بعض الجلسات آراءه الجريئة حول ضرورة التجديد في الشعر الأردى ، وكيف يمكن النهوض به الى مستوى مطلوب (٣) . وكانت الجمعية تصدر مجلة تنشر فيها البحوث والمقالات التي كانت تقرأ في جلساتها ، وقد سلكت مسلكا جديدا في عقد الأمسيات الشعرية ، حيث كان يحدّد لكل أمسية موضوع معين ينظم الشعراء قصائدهم حول هذا الموضوع وينشدونها في تلك الأمسيات ، وكانت هذه على عكس الأمسيات الشعرية السابقة التي كانت تحدّد مصراعا من بيت ثم يكمل كل شاعر حوله قصيدته في نفس البحر والقافية . بدأت هذه الأمسيات بتاريخ ٣٠ مايو ١٨٧٤م حيث عقدت أول أمسية شعرية من هذا النوع حول موضوع "موسم المطر" (٤) ، واستمرت الى مارس ١٨٧٥م . وتعتبر هذه الأمسيات الشعرية نقطة بداية للشعر الأردى الحديث (٥) ، من حيث الموضوعات والأساليب ، والدعوة الى الواقعية ، والتجنب عن المبالغة والتكلف ، والالتزام بالبساطة والفصاحة .

---

(١) انظر: گارسان دتاسى : مقالات گارسان دتاسى ٢/٨٩-٩٠ (ط. دلهي١٩٤٣م).
(٢) انظر : History of Freedom Movement Vol.II,2, p.548.
ومحمد صادق : "محمد حسين آزاد" ص ٤١ (ط. لاهور ١٩٧٦م).
(٣) انظر: عبد القادر سرورى : جديد اردو شاعرى ص ٧٦ (ط. لاهور١٩٦٢م)، و اسلم فرخى : محمد حسين آزاد ١/٢٣٢ (ط. كراتشى ١٩٦٥م).
(٤) أسلم فرخى : محمد حسين آزاد ١/٢٥٢ ،كيفى : "منشورات" ص٢٥٧-٢٨١ (ط. لاهور ١٩٥٠م).
(٥) اسلم فرخى : المصدر السابق ١/٢٨٠ ،و مجلة تهذيب الأخلاق عدد ٧ فبراير ١٨٧٥م ،وعبادت بريلوى : جديد شاعرى ص١٢-١٤ (ط. دلهى ١٩٧٣م).

كانت هذه النهضة الأدبية ذات أثر بعيد المدى ، فقد أقبل الناس عليها وشجعوا شعراءها واهتموا بما يقولونه ، وعقدوا أمسيات شعرية مماثلة لها في المدن الأخرى مثل لكهنو و دلهي وميرت ، وبدأوا ينظمون الشعر الذى يصف الواقع والطبيعة ، بدلا من تلك الأشعار الغارقة في الخيال ، وتوديد موضوعات العشق التقليدية .

كانت جمعية "انجمن بنجاب" تدعو الى التجديد في الشعر ، كما أن حركة على كره تدعو الى التحرر في الفكر واللغة والأدب والثقافة ، وهذا ما أغضب الأدباء والشعراء التقليديين ، فنهضوا لمقاومة الحركتين ، والرد على تلك الآراء الجديدة في الأدب واللغة . ويمثل هذا الاتجاه المحافظ مجلة "أودهـ پنچ" بلكهنو ، التي أصدرها منشى سجاد حسين عام ١٨٧٧م (١) ، وانضم اليها الكثير من الأدباء والشعراء ، وأصبحت حركة قوية عُرِفت باسم "حركة أوده پنچ" . وكانت مجلتا "أودهـ پنچ" و "تهذيب الأخلاق" على طرفي نقيض في الأهداف والأغراض والأساليب ، فبينما كانت مجلة "تهذيب الأخلاق" تدعو الى الحضارة الغربية وتخالف حركة "كانگريس" (المؤتمر الوطني) في السياسة ، وتميل الى الأسلوب العلمي الهادىء في تناول الموضوعات الاجتماعية والأدبية والدينية ، و تعتمد على العقل والاستدلال ـ كانت مجلة "أودهـ پنچ" تحافظ على التقاليد الاسلامية وتدافع عنها ، وتؤيد حركة "كانگريس" في السياسة ، وتروج أسلوب الفكاهة والسخرية بواسطة مقالاتها . وقد خالفت كل الاتجاهات الجديدة في الشعر ، ومنعت من الخروج على موضوعات الشعر الأردى القديم وأساليبه ، وانتقدت نماذج الشعر الحديث مما نظمه حالى وآزاد وغيرهما انتقادا لاذعا فيه كثير من السخرية والاستهزاء (٢) .

ولا شك أن هذه الحركة أفادت أيضا من ناحية ، وذلك أنها قاومت نفوذ الحضارة الغربية ، وكشفت عن آثارها السيئة في المجتمع ، ومنعت الشعب المسلم من تقليدها والجرى وراءها . الا أنها لم تبق على حد الاعتدال ، فمعظم كتّابها

---

(١) انظر: غلام حسين ذو الفقار : اردو شاعرى كا سياسى اور سماجى پس منظر ص ١٠٧ (ط. لاهور ١٩٦٦م) .

(٢) انظر نماذج من هذا النقد في كتاب : محمد صادق : "محمد حسين آزاد ـ احوال وآثار" ص ٦٠-٧١ .

وشعرائها كانوا يميلون الى الهزل والفكاهة ولا ينظرون الى المسائل والحوادث بالجدية والموضوعية . ولعل أبرزهم في هذا الميدان وأحسنهم أسلوبا أكبر اله آبادى (ت ١٩٢١م) [١] ،الذى دافع عن الثقافة الاسلامية والتقاليد الشرقية ،وهاجم المقلدين للغرب ،وصار يرمى بسهامه المحمومه الى عُبَّاد أوربا ومروجى عقائدهم وتراثهم الفكرى والحضارى ،والتي حوت الكثير من أسلوب السخرية والفكاهة . كان يخشى أن تغرق الثقافة الاسلامية بسبب سيل المادية الأوربية ،وتذوب الشخصية الشرقية في بهرجة الغرب ومفاتنه ،ولذلك كان ينظر الى كل حركة جديدة بعين الشك والريبة ، فيشهر بها ويهاجمها وينفر منها المسلمين . وقد كان أسلوبه سلسا فصيحا فكها مقبولا ،وكانت مزاحاته ونكته الأدبية موثرة وموثلة في آن واحد ، ولذلك أحرز شعبية كبيرة بين العامة والخاصة على السواء وأحبه الجميع. الا أن هذه الشعبية بدأت تقل يوما فيوما ،لأن معظم أشعاره كانت ذات تأثير وقتي . ولم يتمكن أحد من تقليد أسلوبه فيما بعد ،وهكذا انتهى ذلك الأسلوب الطريف بوفاته .

تلك كانت لمحة سريعة عن الحركات الأدبية والدينية والتعليمية ، والأوضاع الاجتماعية والسياسية والفكرية في الفترة التي عاش فيها حالي . ومن المعروف أنه كان أحد أعضاء حركة السيد أحمد خان ، ومن أشد المدافعين عنها ، وقد كتب عدة مقالات وألقى محاضرات حول جهود السيد أحمد خان الاصلاحية [٢] ،وألف كتابا ضخما عن حياته وأعماله بعنوان "حيات جاويد" (الحياة الخالدة) . وكان يشترك في حفلات "موتمر التعليم الاسلامي" (محمڈن ايجوكيشنل كانفرنس)الذى أنشأه السيد أحمد خان لتوجيه المسلمين الى دراسة العلوم الحديثة ،ويتابع أعمالها ويرأس بعض جلساتها [٣] ، ويكتب عن "مدرسة العلوم" (نواة الجامعة الاسلامية بعلى كره) [٤]،

---

(١) انظر عن حياته وشعره : تاريخ ادبيات مسلمانان پاكستان وهند ٩/١٣٨-١٧٢ ،ومحمد اكرام : موج كوثر ص ٢١٢-٢٢٠ ،وغلام حسين ذو الفقار : اردو شاعرى كاسياسى وسماجى پس منظر ص ٣٧٥-٤٣٠ ،وسكسينه : تاريخ ادب اردو ص ٤٠٠-٤٢٠ (ط. لاهور،د . ت) . وابو الحسن على الندوى : الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الاسلامية ص ٧٧-٧٨ ، ومجلة "الفتح" المصرية عام ١٣٥٤هـ ،المجلد ٩ الاعداد ٤٤٠-٤٤٤ .

(٢) انظر حالي : كليات نثر حالى (ط. لاهور ١٩٦٧ ، ١٩٦٨) ١/٣٤٩-٣٥٧ ، ٣٥٨-٣٨٤ ، ٢/٥٣-٧٣ ، ٨٣-١٠٩ .

(٣) المصدر نفسه ٢/١٢١-١٤٨ ، ٤٩٠-٧٣ .

(٤) المصدر نفسه ١/٣٨٧-٣٩٣ .

ويهتم بشئونها ويزورها بين حين وآخر (١)، ويفرح بنهوضها وازدهارها، ويخاطب طلابها ويوجههم إلى ما فيه صلاحهم (٢). وكان حالي قد تأثر بشخصية السيد أحمد خان تأثرا شديدا، واعترف بفضله في توجيهه الى الأدب الهادف وانصرافه عن ميدان شعر الغزل التقليدى، وقد نظم قصيدته الشهيرة "مسدس مد وجزر اسلام" المعروفة بمسدس حالى باشارة منه كما صرح بذلك في مقدمتها (٣).

ولا يعني هذا أنه وافق السيد أحمد خان في آرائه الدينية، فقد خالفه في الكثير منها، وتمنى لو أن السيد أحمد خان لم يكتب في هذه الموضوعات فكان الاقبال على حركته التعليمية والاستفادة منها أكثر (٤). وكان حالى يعرف جيدا مضار التعليم الانجليزى، وقد انتقده في عدد من المواضع، ودعا الى الجمع بينه وبين العلوم الدينية، وقارن بين المتخرجين من الجامعات والكليات العصرية وبين الدارسين في الجامعات والمدارس الدينية، وذكر أنه لا يمكن أن تقوم الطائفة الاولى بالتجديد والابتكار في العلوم والآداب، وفضّل الطائفة الثانية عليها في هذا الميدان (٥).

ومن أجل اقتناعه بهذه الافكار كان يؤيد حركة "ندوة العلماء"، وله مقال قيم في اصلاح نظام التعليم في المدارس العربية، أعده للقراءة في أولى جلسات ندوة العلماء عام ١٣١١هـ/ ١٨٩٤م، ولكنه لم يتمكن من الحضور فيها (٦). وله فيه آراء صائبة تدل على عنايته بفكرة اصلاح المنهج الدراسي القديم وتأييده لحركة ندوة العلماء. ولا زالت هذه العناية والاهتمام الى آخر حياته، فقد كتب قصيدة للحفلة التي عقدت بمناسبة تأسيس مبنى دار العلوم التابعة للندوة عام ١٩٠٨م (٧). وكان يرى ضرورة الجمع بين القديم والجديد ويوجه الندوة الى الاهتمام باللغة الانجليزية والعلوم الحديثة (٨).

---

(١) المصدر نفسه ١/ ٣٨٨-٤٦٨.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ٢٤ - ٢٨.
(٣) حالى : مسدس حالى ص ٦ (ط. لاهور، د. ت).
(٤) انظر : كليات نثر حالى ١/ ٣٨١.
(٥) المصدر نفسه ١/ ٢٠٦ -٢٠٨، ٢/ ١٣٣-١٣٤، ١٧٨، ٢٢٥.
(٦) المصدر نفسه ٢/ ٣٤ - ٤٧.
(٧) حالى : كليات نظم حالى ١/ ٣١٦-٣١٨ (ط. لاهور ١٩٦٨م).
(٨) كليات نثر حالى ٢/ ٢٢٥.

كان حالى يؤيد أيضا جمعية "انجمن حمايت اسلام" بلاهور، واشترك في احدى جلساتها (١)، وألقى فيها قصيدة طويلة ينوّه فيها بجهود الجمعية وأعمالها في سبيل خدمة الاسلام والدفاع عن الدين (٢).

واشترك حالى مع آزاد في الدعوة الى النهوض بالشعر الأردى الحديث في تلك الأمسيات الشعرية التي كانت تعقد باشراف "انجمن بنجاب" بلاهور، وقد اشترك في أربع أمسيات منها عام ١٨٧٤م وأنشد أربع قصائد فيها. ومن هذا التاريخ يدخل حالى في مرحلة جديدة من حياته الأدبية، حيث ينصرف عن موضوعات الشعر القديم وأساليبه، ويتجه اتجاها جديدا، ويبقى عليه الى آخر حياته. وسنتحدث عن ذلك في موضعه من الباب الثاني ان شاء الله.

وقد انتقده كتّاب "اودهـ پنچ" انتقادا شديدا لدعوته الى التجديد في الشعر، وهجومه على شعر الغزل القديم، ودعوته الى اصلاح الفنون الأدبية في كتابه "مقدمهٔ شعر وشاعرى" (مقدمة في الشعر ونظمه)، وانتمائه الى حركة السيد أحمد خان، وكشفه عن واقع المجتمع الاسلامي في قصيدته "مسدس مدو جزر اسلام"، الا أن حالى لم يرد عليهم بكلمة واحدة. وهكذا كان دأبه مع المعاصرين له، فقد كان يحبهم جميعا، ويمدح خصومه وأعداءه، ولا يذكرهم الا بالخير. وكتاباته ورسائله مليئة بكلمات التقدير والاجلال والحب والمودة لكل المعاصرين. وهذه صفة قلما نجدها عند زملائه وأصحابه.

كان هذا موقفه عن تلك الحركات الاصلاحية التي نشأت في عصره بين المسلمين. ولا يمكن لنا أن ننسى الجانب الآخر، وهو موقفه من أعداء الاسلام من المسيحيين والهندوس وغيرهم. فقد قام بالرد على المبشر المسيحى عماد الدين، وألف كتابين بعنوان "ترياق مسموم" و"تاريخ محمدى پر منصفانه راى" (نظرة عادلة الى كتاب "تاريخ محمدى") وأثبت الوحى والنبوة في كتابه "شواهد الالهام"،

---

(١) مكتوبات حالى ٢/٣٥٦ (ط. باني پت ١٩٢٥م).
(٢) كليات نظم حالى ٢/٢٧٩-٢٨٧.

ودافع دفاعا مجيدا عن الحضارة الاسلامية وكشف عن حقيقة الحضارة الغربية مع أنه كان في موقف حرج (١) . وانتقد كتاب "خاتونان هند" (بنات الهند) لأحد الهندوس المنتمين الى جماعة "برهمو سماج" ، والذى أبدى فيه التعصب ضد المسلمين ،ومسخ التاريخ الاسلامي في الهند ،وألصق بالملك أورنك زيب عالمكير بعض التهم والمفتريات . وقد أوحى على تلميذه عبد الحق أن يقوم بالرد عليه والكشف عن أباطيل هذا الرجل (٢) .

هذا موجز عن موقف حالى من تلك الحركات والقضايا التي كانت تشغل بال المفكرين في عصره . و سنتناول بعض ما يتعلق بهذا العصر في الفصول القادمة باذن الله عندما نتحدث عن حياة حالى وثقافته ومؤلفاته .

---

(١) انظر: كليات نثر حالى ١/٢٧٣-٢٨٢ ،وكليات نظم حالى ٢/٣٠١-٣٠٧ .

(٢) انظر: مكتوبات حالى ١/٨٢-٨٤ ، كليات نثر حالى ٢/٢٨٧-٢٨٩ .

الفصل الثانـــي

حيـــــــــــاته

ولد ألطاف حسين "حالى" عام ١٢٥٣هـ/١٨٣٧م [١] بمدينة "پانى پت" التي تبعد عن دلهى ٥٣ ميلا في ناحية الشمال ، وهو من أسرة الأنصار الذيـــن ينتمى نسبهم الى الصحابي المعروف أبي أيوب الانصارى (ت٤٧هـ) . وأول من جـــاء من أسلافه الى الهند الشيخ خواجه ملك علي (ت ٧١٨هـ) ــ من أحفاد شيـخ الاسلام عبدالله الأنصارى الهروى (ت ٤٨١هـ) ــ ، فقد انتقل من هراة الـــى الهند في عهد الملك غياث الدين بلبن (٦٦٤-٦٨٦هـ) وتوطن في مدينـــة پانى پت عام ٦٧٥هـ/١٢٧٦م ،وتولى منصب القضاء والامامة فيها . واليه ينتمى كل من كان يسكن بحارة الانصار في هذه المدينة قبل حوادث التقسيم عام ١٩٤٧م. أما الآن فلم يبق فيها أحد من أفراد هذه الأسرة ،وهاجر معظمهم الى باكستان .

أما سلسلة نسبه فقد ذكرها بعض المترجمين له كمايلي : ألطاف حسين ، بن ايزدبخش ،بن بوعلي ،بن محمد بخش ،بن غلام محمد ، بن عبد السبحـان ، بن عبد الكريم ،بن مسلم ،بن زين الدين أحمد ، بن عبد الكافى ،بن ضياء الدين ، بن أبو راشد ،بن أبو حامد ،بن أبو تراب ،بن نصير ،بن محمود ،بن ملك على [٢] .

وقد كان أبوه ايزدبخش (ت ١٢٦٢هـ/١٨٤٥م) موظفا في احدىالدوائر الحكومية ، وكانت أمه من أسرة السادات المعروفة "بسادات شهدابور" في مدينـة پانى پت [٣] .

وحالى أصغر إخوته وأخواته [٣] ،وكان أكبرهم امداد حسين ،ثم أختـاه : أمة الحسين ،ووجيه النساء ،ورابعهم حالى .

---

(١) حالى : ترجمةُ حالى ص ٢٣٠ (ضمن "كليات نثر حالى" المجلد الأول ، ط. لاهور ١٩٦٧م) . وعنه نقل كل المترجمين له ،انظر: اسماعيل پانى پتى : تذكرةُ حالى ص ١٢ (ط. پاني پت ١٩٣٥م) ، وصالحهعابد حسين : يادگار حالى ص ٢٧ (ط. دلهي ١٩٧٥م) .

(٢) اسماعيل پانى پتي : تذكرةُ حالى ص ١٨ .

(٣) انظر سلسلة نسبه من جهة الأم في المصدر السابق ص ١٩- ٢٠ ،حيث أوصلها الى السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم.

(٤) انظر عن أولادهم وأحفادهم : حميد أحمد خان : أرمغان حالى ص٤٤-٤٥ (ط. لاهور ١٩٧١م) .

كان حالى في التاسعة من عمره اذ توفى أبوه ،وأصيبت أمه بشيء من الخلل في دماغها بعد ولادة حالى ،وأصبحت لا تعمل شيئا ولا تتكلم مع أحد . وقدتأثر حالى بهذا الوضع و تألم به ،ونشأ تحت رعاية أخيه الأكبر وأخته ،ووجد منهم كل عناية وحب وعطف .

بدأ حالى دراسته بقراءة القرآن الكريم وهو في الخامسة من عمره ،وشرع في حفظه وتسميعه على المقرىء الشيخ ممتاز حسين الانصارى (١) ،وفرغ من حفظه وتجويده في مدة قصيرة ،فقد كان سريع الحفظ ، قوى الذاكرة ،حسن الصوت ،يقرأ القرآن بلحن جيد يُعجَب به العلماء والقراء .

وبعدما انتهى من حفظ القرآن الكريم درس اللغة الفارسية على الشيخ جعفر على (٢) ،فقرأ عليه بعض الكتب الابتدائية ،وحصل له المام بالأدب الفارسى ، وما زال مكبا عليه حتى برع فيه واستطاع أن ينظم الشعر الفارسي .

ثم اتجه الى دراسة اللغة العربية ،فدرس قواعدها (النحو والصرف) على الشيخ ابراهيم حسين الأنصارى الذى كان قد ورد بانى بت بعد اكمال دراسته والحصول على الشهادة في مدينة لكهنو .

كان حالى يرغب في مواصلة الدراسة ،ولكن أقاربه أجبروه على الزواج ،وزوّجوه بنتَ خاله ميرباقر على ،وكان عمره اذ ذاك ١٧ سنة . وأشاروا عليه بأن يترك الدراسة و يبحث عن شغل ،لأن جميع المصاريف كان يتحملها أخوه الأكبر وحده ، فأرادوا أن يخفف حالى العبء عنه . وفكر حالى في مواصلة الدراسة لشدة رغبته في العلم ،وكانت زوجته من أسرة ثرية لا تحتاج الى المزيد من النفقات ،ولذا قرر في نفسه أن يترك الأهل ويسافر الى دلهي - مركز العلوم والفنون آنذاك - . وكان يعرف أن أقرباءه لا يسمحون له بالسفر ،فخرج يوما من البيت خفية ،واتجه الى دلهى بدون زاد ،وقضى معظم المسافة بالمشى على الأقدام ،وعانى في هذا السفر من المشقة ما لا نعرف تفاصيله .

---

(١) كان من سكان " باني بت " ومن أشهر القراء والمجودين ،تخرج عليه كثيرمن الحفاظ والقراء . انظر: شجاعت على سنديلوى : حالى بحيثيت شاعر ص١٥ (ط. لكهنو ١٩٦٠م) .

(٢) كان ابن أخى الشاعر ميرممنون دهلوى ،كانت له يد طولى في الأدب الفارسى والتاريخ والطب . انظر: حالى : ترجمة حالى ص ٣٣٤ .

وبعد وصوله الى دلهي التحق بمدرسة "حسين بخش" التي كان يدرّس فيها الشيخ نوازش علي[١]، وأقام فيها سنة ونصف سنة، وتتلمذ في هذه المدة على عدد من العلماء والأدباء، فدرس النحو والصرف والمنطق على الشيخ نوازش على المذكور، وأخذ الحديث عن الشيخ نذير حسين الدهلوي[٢] (ت ١٣٢٠هـ)، ودرس الأدب العربي على كل من الشيخ فيض الحسن السهارنفوري[٣] (ت١٣٠٤هـ)، والشيخ أمير أحمد السهسواني[٤] (ت١٣٠٦هـ)، وقد قرأ على الأخير بعض قصائد المتنبي، واستفاد منه في دراسة الشعر العربي بصفة عامة[٥].

ومما يلاحظ هنا - وقد أشار اليه حالي نفسه - أنه لم يتجه في هذه الفترة الى دراسة اللغة الانجليزية وآدابها، مع أن كلية دلهي (Delhi College) كانت على أوج ازدهارها في ذلك العصر، تدرس فيها تلك العلوم والآداب[٦]. الا أن البيئة التي نشأ فيها حالي وتعلّم كانت تعتبر الدراسة في هذه الكلية

---

(١) كان من أساتذة السيد أحمد خان، ومن أشهر الوعاظ والعلماء بدلهي آنذاك. لم أعثر على وفاته، انظر: تذكرة حالي ص ٤٠.

(٢) انظر: صالحه عابد حسين: يادگار حالي ص٣٠، ومالك رام: تلامذة غالب ص ٨٤ (ط. دلهي ١٩٥٨م)، واسماعيل پاني پتي: تذكره حالي ص ٤١. وكان الشيخ نذير حسين من كبار المحدثين في هذا العصر، تخرج عليه آلاف من العلماء في الهند والبلاد العربية. وقد لقب بشمس العلماء و"شيخ الكل". قام في هذا العصر باحياء السنة النبوية في شبه القارة الهندية، واليه والى تلاميذه يرجع الفضل في نشر كثير من كتب الحديث لأول مرة. له مؤلفات وفتاوى كثيرة بالأردية والفارسية والعربية. انظر ترجمته في محمد عزير: حياة المحدث شمس الحق وأعماله ص ٢٤٥ - ٢٤٨ (ط. بنارس ١٩٧٩م)، وهناك ذكر المصادر التي ترجمتْ له.

(٣) كان من كبار الأدباء واللغويين في الهند، له ديوان شعر بالعربية، وشرح على ديوان الحماسة والمعلقات السبع وغيرهما. انظر ترجمته في: عبد الحي الحسني: نزهة الخواطر ٨/ ٣٦٦-٣٦٩ (ط. حيدراباد ١٩٧٠م).

(٤) كان رأسا في معرفة العربية والاشتقاق، متمكنا من الحديث والفقه، جيد المشاركة في المنطق والحكمة. وهو من تلامذة الشيخ نذير حسين المذكور. له مؤلفات عديدة في مسائل العقيدة والفقه. انظر: الحسني: نزهة الخواطر ٨/ ٧٢ - ٧٣.

(٥) انظر: شجاعت على سنديلوى: حالي بحيثيت شاعر ص ٢٠، واسماعيل پاني پتي: تذكرة حالي ص ٤٢.

(٦) انظر عن تاريخ هذه الكلية: عبد الحق: مرحوم دهلى كالج (ط. دلهي ١٩٤٥م)، ومالك رام: قديم دلى كالج (ط. دلهي ١٩٧٥م).

تضييعا للوقت والجهد ، وتسميها "مَجْهَلة" (مكان الجهل) ،وكان العلم محصورا عندها في الدراسات العربية والفارسية . ولذا لم يفكر حالى أبدا في الدراسة بالكلية ، وحتى أنه لم يرغب في زيارتها ومقابلة الطلاب الذين كانوا يَدرسون بها ،وقد اشتهر بعضهم فيما بعد مثل الشيخ ذكاء الله ،ونذير أحمد ،و محمد حسين آزاد (١) وغيرهم .

والى جانب دراسته في دلهي قام حالى بتأليف رسالة باللغة العربية في مسألة منطقية تأييدا للعلامة صديق حسن خان القنوجى البوفالى (٢) (ت ١٣٠٧هـ) ، ولما اطلع عليها أستاذه الشيخ نوازش علي غضب عليه وخرق الرسالة و أتلفها ،لأنها ألّفت تأييدا لعالم يختلف مذهبه الفقهي عن مذهب الأستاذ ، وقد تأسف حالى على ضياعها ،لأنها كانت باكورة أعماله العلمية في حياته . ولعل هذا التأليف خير دليل على تمكن حالى من اللغة العربية والعناية بها والتأليف فيها في هذا الزمن المبكر حيث لم يجاوز الثامنة عشرة من عمره .

كانت دلهي آنذاك مركزا للشعراء والأدباء ،وكثيرا ما كانت تنظم فيها جلسات وندوات للمساجلات الشعرية ،وخاصة في القلعة الحمراء باشراف آخر حكام المسلمين "بهادر شاه ظفر" ، حيث تقام هناك أمسيات شعرية مرتين في كل شهر في الليلتين ١٥ و ٢٩ منه ،ويلقى فيها الشعراء قصائدهم الفارسية والأردية في قافية واحدة . وكان حالى قد اشترك في كثير من هذه الأمسيات ،وبدأت قريحته الشعرية تميل الى نظم القصائد الأردية ،ولعله رأى في بعض هذه الندوات الشاعر المشهور أسد الله غالب (٣) (ت ١٨٦٩م) ، فقد ثبت أن غالب اشترك في خمس مساجلات

---

(١) الثلاثة من مشاهير أدباء الأردية ،ويرد ذكرهم كثيرا فيما بعد .

(٢) من أشهر العلماء والمؤلفين في هذا العصر ،له أكثر من ٢٢٠ كتابا معظمها باللغة العربية والفارسية ،وقليل منها بالأردية . ونشر كثير من مؤلفاته في البلاد العربية . و يعتبر من الذين خدموا السنة النبوية خدمة جليلة . انظر : جميل أحمد : حركة التأليف باللغة العربية ص ٢٧٤-٢٨١ ، والحسنى : نزهة الخواطر ٨/ ١٨٧-١٩٥ ،ونوشهروى : تراجم علماء حديث هند ١/ ٢٨٠ .

(٣) من كبار شعراء الأردية والفارسية ، ويعده بعض النقاد أعظم شاعر أردى ، ويقارنونه بالمتنبي . له ديوان للشعر الأردى وآخر للشعر الفارسي . ولـه مؤلفات في النثر أيضا ،اشتهرت منها رسائله التي كتبها الى أصحابه بالأردية بأسلوب سهل لطيف ،ولذلك لها مكانة خاصة في تاريخ النثر الأردى الحديث .وقد درس حالى حياته وشعره بتفصيل في كتابه "يادگار غالب" .وهناك مؤلفات ودراسات كثيرة عنه لا يمكن احصاؤها . وسنتناول كتاب "يادگار غالب" بالدراسة فيما بعد ان شاء الله .

شعرية منها (١) ،ولكن هل تعرّف عليه حالى و تتلمذ له في هذه الفترة ؟ أنكر ذلك بعض المؤرخين (٢) ،ولكن حالى نفسه قد صرح بذلك في ترجمته الشخصية فقال : " عندما كنت في دلهي كثيرا ما كنت أذهب الى الشاعر أسد الله غالب ،وأسأله عن معانى بعض الأبيات الفارسية والأردية له في ديوانه ،وقد درستُ عليه بعض القصائد الفارسية وشرحها لي . وكان من عادته أنه يمنع أصحابه من نظم الشعر ، ولكن لما عرضتُ عليه بعض الغزليات التي نظمتُها بالأردية والفارسية للنظر فيها قال لي : " أنا لا أوجّه أحدا الى نظم الشعر ، ولكن أرى أنك لو امتنعتَ عنه ظلمتَ نفسك " ، وهكذا اتجهتُ الى الشعر ،ولكن لم أنظم في هذه الفترة الا قصيدة أو قصيدتين في الغزل "(٣) .

وهذا صريح في أنه تتلمذ على غالب واستفاد منه في هذه الفترة (ما بين ١٨٥٣- ١٨٥٥م) ، فلا معنى للشك في ذلك أو إنكاره . وقد أثبتَ هذه اللقاءات معظمُ المترجمين لحالى (٤) ، وهو الصواب .

وكان تخلُّصه الشعرى في هذه الفترة "خسته "(٥) (مُنْهَك) ،وهذا مما يدل على تواضعه ونفوره من حب الشهرة ،وظهوره بمظهر التقوى والصلاح . ولم يصل الينا شيء مما نظمه في هذه الفترة ،ولعله كان يسير على الطريقة التقليدية في نظم الغزليات والقصائد .

---

(١) انظر : آفاق حسين آفاق : نادرات غالب ص ٩٧ -١٠٠ .
(٢) من الذين ينكرون ذلك : وحيد قريشى : مقدمة "مقدمة شعر وشاعرى" ص ٣٢-٣٤ (ط. اله آباد ١٩٨١م) ،وظفر أديب : دو حالى ص ١٥-١٧ (ط. دلهي ١٩٧٤م) .
(٣) حالى : ترجمة حالي ص ٣٢٧ .
(٤) انظر: صالحه عابد حسين : يادگار حالى ص ٣٢ ،واسماعيل پاني پتي : تذكره حالى ص ٤٣ ،و محمد امين زبيرى : تذكرة حالى ص ٣ ،وعابد حسين : مجلة "جامعة" الصادرة بدلهي : عدد أكتوبر ١٩٣٥م ، خليل الرحمن داؤدى : مقدمة "يادگار غالب" ص ١٢ .
(٥) صالحه عابد حسين : يادگار حالى ص ٣٢ ،وحميد احمد خان : ارمغان حالى ص ١٢ .

لم تمض على إقامته بدلهي سنة ونصف اذ جاءه أخوه الأكبر مع بعض أقربائه عام ١٨٥٥م ،بعد ماعرفوا أن حالى يسكن هنا ،واضطر حالى الى أن يسافر معهم الى پاني پت ،حيث استقر فيها سنة ونصفا ،ولم يخرج منها الى مكان آخر. وأكبّ على دراسة الكتب ومطالعتها بنفسه ،وولد له مولود في تلك الأيام ،وكان أقرباؤه دائما يوجهونه الى كسب المعيش ،فترك الدراسة وخرج من بيته في أواخر عام ١٨٥٦م باحثا عن شغل ،وأخيرا توظف بمدينة " حصار " في مكتب حاكم المديرية براتب قليل .

كانت هذه الفترة فترة عصيبة في تاريخ الهند ، فقد بدأت الاضطرابات ضد تسلط الانجليز على البلاد ،وكاد الناس يتفجرون غيظا ،وفعلا بدأت الثورة الهندية المعروفة عام ١٨٥٧م ،وكانت منطقة " حصار " من أشد المناطق اضطرابا وفسادا في شمالي الهند ،فخرج منها حالى متوجها الى بيته بپاني پت ،ولقي في هذا السفر من المصاعب والمخاوف ما لم يكن بباله ،فقد سلب منه قُطّاع الطرق كل متاع وزاد ، حتى الفرس الذى كان راكبا عليه ، ولم يبق معه الا المصحف . ووصل الى پاني پت ماشيا على الأقدام ،وأصيب هناك بمرض الاسهال ،ولزمه هذا المرض لأكثر من سنة حتى شفى منه أخيرا ،ثم لحقته بعض الأمراض الأخرى مما أثرت على صحته . ولعلها كانت نتيجة لما عاناه في سفره من حصار الى پاني پت من متاعب وما أكله من الغذاء غير الملائم .

كانت پاني پت آنذاك بمعزل عن الفتن على عكس دلهي وغيرها من المدن ، ولكن الناس لم يكونوا في حفظ وأمان ،فكلهم كانوا يخافون على أنفسهم ،وعندما هدأت الثورة انتقم الانجليز انتقاما شديدا وخاصة في دلهي ،فقتلوا آلافا من المسلمين وصلبوهم بمجرد التهمة ،وشردوا مئات من العوائل ،وانتهبوا الأموال وانتهكوا الأعراض حتى اضطر كثير من الناس الى الفرار من دلهي ،وكان بعض الذين خرجوا منها توجهوا الى پاني پت ونزلوا بها ،وقد خدمهم حالى بكل ما في وسعه ،وآوى بعضهم في بيته .

بقي حالى في پاني پت أربع سنوات ،ولم يكن هناك أمل في الحصول على وظيفة حكومية ،فاغتنم هذه الفرصة ،واتجه الى اكمال دراسته ،ودرس التفسير والحديث والمنطق بدون انتظام على بعض علماء پاني پت ، مثل الشيخ

عبدالرحمن الباني بتي (١) (ت١٣١٤هـ/١٨٩٦م) ،والشيخ محب الله الباني بتي (٢) (ت ١٨٦٧م) ، والشيخ قلندر علي زبيري (٣) (ت١٨٧٦م) واستمر في مطالعة الكتب الاخرى - وخاصة كتب الادب - باستعانة الشروح والمعاجم ،وكان يكتب أحيانا شيئا من النثر أو الشعر بالعربية ، ولم يعرضه على أحد للنظر فيه أو اصلاحه .

وهكذا انتهت فترة دراسته وتحصيله للعلوم العربية والفارسية ،ودخل في ميدان العمل .

وفي عام ١٨٦١م خرج من باني بت الى دلهي طلبا للوظيفة وحبا للعلم والأدب ،وتعرف هناك على النواب مصطفى خان شيفته (٤) (ت١٨٦٩م) أحد أدباء دلهي وأثريائها وشاعر الأردية والفارسية ،وقد اختاره شيفته معلما لأولاده ، واستحصبه الى مدينة جهانكير آباد . بقي حالي معه حوالي ثمان سنوات الى وفاة شيفته ،واستفاد من صحبته أيما استفادة ،وبدأ ينظم الشعر الاردى والفارسي من جديد ،و يرسله الى أستاذه الشاعر "غالب" للنظر فيه واصلاحه . و قد اعترف حالي بأنه لم يستفد من آراء أستاذه كما استفاد من توجيهات شيفته ،فقد كان يكره المبالغة في الشعر ،ويقول : إن أجود الشعر ما يعبر فيه الشاعر عن الواقع ويلتزم الصدق وحُسنَ العرض . وكان يتجنب الالفاظ السوقية ،والاساليب العقيمة ،والافكار السطحية (٥) . تأثر حالي أبلغ تأثر بهذه الأفكار ،حتى تكوّن عنده ذوق خاص يختلف عما كان عليه في السابق .

---

(١) كان من كبار العلماء والمشايخ بباني بت، وهو من تلامذة الشيخ عبدالغني المجددي . له بعض الموءلفات في المسائل الخلافية . وقد كتب حالي ترجمته في رسالة مستقلة بعنوان "تذكره رحمانيه" عام ١٨٩٦م . وانظر: عبدالحي الحسني : نزهة الخواطر ٨/ ٢٤٥-٢٤٦ .

(٢) كان من مشايخ باني بت . انظر : اسماعيل باني پتي : كليات نثر حالي ١/ ٣٣٦ .

(٣) كان من الادباء والمتضلعين من العلوم العقلية والنقلية . انظر : المصدر السابق .

(٤) كان من علماء القرن الماضي وشعرائه ،له شعر فارسي و عربي ،تتلمذ أولا على الشاعر "موءمن" (ت ١٢٦٩هـ/١٨٥٢م) وبعد وفاته جعل الشاعر "غالب" أستاذا له في إصلاح الشعر. له موءلفات عديدة أشهرها : "گلشن بيخار" (كتاب فيه تراجم شعراء الاردية ومختارات من شعرهم) . انظرترجمته في نزهة الخواطر ٧/ ٤٥٢ .

(٥) حالي : ترجمة حالي ص ٣٢٨ .

وفي أثناء هذه الفترة التي قضاها مع شيفته سافر أيضا عدة مرات الى دلهي ،وأقام عند أستاذه الشاعر "غالب" حوالى سنتين (بين ١٨٦٧ و ١٨٦٩م) واستفاد من آرائه وتوجيهاته ،وعرض عليه شيئا من شعره للاصلاح والنظر فيه . وهكذا وجد حالى فرصة للاستفادة من هذين الشاعرين من كبار الشعراء في ذلك العصر ، وقد أثّر كلاهما في فكره وأسلوبه تأثيرا كبيرا . وسنتحدث عن ذلك في الباب الخاص بشعره .

وبعد وفاة شيفته عام ١٨٦٩ م انتقل الى مدينة لاهور ،وتوظف في دائرة المطبوعات الحكومية بپنجاب ،وكان عمله هناك النظر في لغة الكتب المترجمة الى الأردية عن الانجليزية،واصلاحها وتصويبها . وقد اشتغل هناك حوالى أربع سنوات، واطلع فيها على الأدب الانجليزى المترجم ،وأعجب به . وهكذا عوض عدم معرفته للغة الانجليزية بالاطلاع على الكتب المترجمة الى الأردية . وقد كان تأثير ذلك كله واضحا في جميع كتاباته فيمابعد ،وليس في أفكاره وآرائه فحسب ، بل حتى في أساليبه أيضا ، حيث يستخدم كثيرا من الكلمات الانجليزية التي لم تكن مألوفة في ذلك العصر ،ولا زالت أكثرها غريبة عن طبيعة اللغة الأردية الفصحى التي هي نتيجة التقاء الثقافتين : الاسلامية (العربية ـ الفارسية) والهندية . ومن أمثلة هذه الكلمات الانجليزية التي استخدمها حالى كثيرا في كتاباته (١) : "پوئٹری" (Poetry) ،" امیجینیشن " (Imagination) ،" کری طی سزم" (Criticism) ،و " هایر کری ٹی سزم " (Higher Criticism) و "بائیوگرافی " (Biography) و "ورس" (Verse) و "لٹریچر" (Literature) وغيرها .

لم يقتصر حالى في لاهور على اشتغاله بعمله في دائرة المطبوعات ،فقد شارك أيضا في بعض النشاطات الثقافية والأدبية ،ومن أهمها تلك الأمسيات الشعرية التي كان ينظمها محمد حسين آزاد (ت ١٩١٠م) من أجل النهوض بالشعر الأردى الى مستوى عال من حيث الموضوعات والأساليب . وقد شارك حالى في بعض هذه الأمسيات وأنشد أربع مثنويات(٢) بعنوان : "حب وطن" (حب الوطن) ،و"برکھا رُت"

(١) هذه الأمثلة من كتابه "مقدمهٔ شعروشاعری" فقط.
(٢) انظر حالى : كليات نظم حالى ١/٥١-٥٣ (المقدمة).

(موسم المطر) ،و "نشاط أميد " (بشاشة الرجاء) و " مناظرة رحم وانصاف "(حوار بين العفو والعدل) ،نجد فيها أسلوبا جديدا يختلف تماما عن أسلوبه في غزلياته القديمة . وقد لقيت هذه المثنويات رواجا وقبولا اكثر من شعر أى شاعر آخر مثل "آزاد "وغيره .

إلى جانب نظمه للشعر فقد ألّف هناك عام ١٨٧٤م كتابه "مجالس النساء" بأسلوب قصصي شيق ،يتحدث فيه عن ضرورة تعليم المرأة وتربيتها تربية دينية في البيت والمدرسة ،ودور الأم والمعلمة في تنشئتها وتثقيفها . وقد نال هذا الكتاب الذيوع والقبول ،واستحسنه مدير التعليم في منطقة فنجاب ، فقرر دراسته في مدارس تعليم البنات ، ومنح حالى جائزة قدرها أربع مائة روبية[١] ، وكان هذا مبلغا غير قليل آنذاك . و قد عمل أيضا مساعدا لرئيس التحرير لمجلة "أتاليق پنجاب" التي كانت تصدر من إدارة التعليم في منطقة فنجاب ،ولا نعلم عن جهوده في إعداد هذه المجلة .

ومع ذلك كله لم يكن يحب حالى البقاء في لاهور بعيدا عن دلهي - مركز العلوم والآداب - تاركا أهله في پاني پت ،وكان يتمنى أن يغادر لاهور بسبب ظروفه الصحية .وقد تحققت له هذه الأمنية في أواخر عام ١٨٧٤م حيث نُقِل الى المعهد العربي الانجليزى (Anglo-Arabic School) بدلهي لتدريس اللغة العربية والفارسية فيه ،واستمر هناك الى عام ١٨٨٩م ،الا فترة قليلة من يناير ١٨٨٧م الى يونيو ١٨٨٧م حيث انتقل فيها الى لاهور ،واشتغل مشرفا على سكن الطلاب بكلية ايجيسن بلاهور[٢] ،ولكنه سرعان ما عاد الى دلهي .

هذه الفترة التي قضاها حالى في دلهي زاخرة بكثير من أعماله التعليمية والأدبية التي سنتحدث عنها فيما بعد . وقد أصيب فيها أيضا ببعض الحوادث مثل وفاة أخيه الأكبر امداد حسين عام١٣٠٣هـ/١٨٨٦م[٣] ،فتأثر بهذه الحادثة الفاجعة ،ونظم قصيدة حارة في رثائه[٤] .

---

(١) انظر: ديانرائن نگم : مجلة "زمانه "عدد ديسمبر ١٩٣٥م.
(٢) انظر: غلام مصطفى خان : حالى كا ذهنى ارتقا ص١٠٥، ١٠٦ (ط. لاهور١٩٦٦م)، ووحيد قريشى : مقدمة "مقدمه شعر وشاعرى "ص ٣٥-٣٦.
(٣) اسماعيل پاني پتي :تذكره حالى ص٦٤ ،وصالحه عابد حسين: يادگارحالى ص ٤٩.
(٤) انظر: كليات نظم حالى ١/ ٣٣٥-٣٣٧.

ومن أهم الأحداث التي غيرت مجرى حياة حالى وأفكاره : مقابلته مع السيد أحمد خان (ت ١٨٩٨م) مؤسس الجامعة الاسلامية بعلى كره ،ويبدو أنه تعرف عليه قبل اقامته بدلهي للمرة الثانية ،حيث انه كتب مقالا بعنوان "سيد أحمد خان اوران كاكام" (سيد أحمد خان وأعماله) ونشره في مجلة "على كره انسٹی ٹیوٹ گزٹ" عام ١٨٧١م (١) .ويقول بعض الباحثين (٢) : انه قابل السيد أحمد خان لأول مرة في جلسة للمجمع العلمى (سائنٹیفك سوسائٹی) بواسطة النواب مصطفى خان شيفته فيما بين ١٨٦٤-١٨٦٩م . ومعنى ذلك أن حالى اتصل بالسيد أحمد خان قبل سفره الى لاهور. وقد توطدت هذه العلاقة بعدما انتقل حالى الى دلهي حيث أصبح عضوا من أعضاء حركة على كره عام ١٨٧٥م ، وبدأ يكتب المقالات في "گزٹ" و "تهذيب الأخلاق" كلتيهما (٣) . وفي هذا العام نظم أول قصيدة له عن شئون المسلمين بعنوان "مبارکباد" (تهنئة) ،وقد ألقيت هذه القصيدة في حفلة افتتاح "مدرسة العلوم" بعلى كره (التي كانت نواة للجامعة الاسلامية) في ٢٤ مايو ١٨٧٥م. ثم نظم بتوجيه من السيد أحمد خان قصيدته الشهيرة الطويلة بعنوان "مسدس مد وجزر اسلام" (المعروفة بمسدس حالى) عام ١٨٧٩م، وقصائد أخرى نشرت مرات كثيرة . ويعترف حالى بأنه مدين للسيد أحمد خان في اتجاهه الى هذا النحو من الشعر (٤) . وكان السيد أحمد خان أيضا وجد في حالى شخصية ملائمة لحركته التعليمية وأهدافه السامية ،فقدّره حق تقدير ،وعرّف به النواب آسمان جاه بهادر والى حيدرآباد ،وطلب منه أن يقرر لحالى منح راتب شهرى قدره ٧٥ روبية الى آخر حياته ،حتى يتفرغ للتأليف والبحث العلمى ،وقد بدأت هذه المنحة عام ١٣٠٥هـ/١٨٨٨م ،وزيد فيها ٢٥ روبية عام ١٣٠٩هـ/١٨٩١م واستمرت الى آخر حياته .

---

(١) ص ١١٨ فما بعدها ،وانظر : كليات نثر حالى ١/٣٤٩-٣٥٧.

(٢) سيد عبدالله : سر سيد احمد خان اوران کے نامور رفقا ص ١١٥ (ط.دلهى ، دون تاريخ). ووافقه على ذلك : وحيد قريشى : مقدمة شعر وشاعرى ص ٣٦ ، وشجاعت على سند يلوى : حالى بحيثيت شاعر ص ٣٥.

(٣) انظر: غلام مصطفى خان: حالى كا ذهنى ارتقا ص ٤٥.

(٤) حالى : ترجمة حالى ص ٣٤٠ ،ومسدس مد وجزر اسلام (ديباچه) ص ٢٣-٢٤ (ضمن "كليات نظم حالى" ج١).

وبعد فترة قصيرة من وصول النسخة الشهرية من حيدر آباد استقال حالي من وظيفة التدريس بدلهي في أغسطس ١٨٨٩م [١] ،وانتقل الى بيته ببابي بت ، وتفرغ للتأليف والكتابة و نظم الشعر. وفي أثناء اقامته ببابي بت الى آخر حياته (١٨٨٩-١٩١٤م) أنجز أهم أعماله العلمية والأدبية مع ابتلائه بانواع من المرض ومشاكل الأسرة، فجمع ديوان شعره (١٨٩٣م) الذى يحتوى على مقدمته الطويلة في الشعر ونقده "مقدمهٔ شعر وشاعرى " ،وتعد أول ما ألف بالأردية في أصول النقد. كما نشر كتابه " يادگار غالب " (١٨٩٧م) عن حياة أستاذه الشاعر "غالب" وشعره الأردى والفارسي . وهو أول من عرّف بغالب و كتب عنه ،وكل الذين جاءوا بعده اعتمدوا على هذا الكتاب اعتمادا كبيرا . وألف كذلك كتابه "حيات جاويد "(١٩٠١م) عن حياة السيد أحمد خان وأعماله. وفي أثناء تأليفه لهذا الكتاب توفيت زوجته في ٢٢ أغسطس ١٩٠٠م [٢] ،وقد تأثر حالي بهذه الحادثة الفاجعة ، فتوقف عن التأليف ،إلا أنه جمع في آخر حياته شعره الفارسي والعربي في مجموعة بعنوان "ضميمهٔ كليات نظم اردو " (١٩١٤م) ،وواصل كتابة المقالات و نقد الكتب والقاء بعض المحاضرات و نظم الشعر ،وشارك أيضا في بعض المؤتمرات والندوات في دلهي وعلى كره ،وكان وثيق الصلة بالحركة التعليمية بعلى كره في حياة السيد أحمد خان وبعد وفاته (١٨٩٨م) . ولقبته الحكومة "بشمس العلماء" عام ١٩٠٤م ،وهذا التكريم في رأى العلامة شبلى النعماني (ت ١٩١٤م) يرفع من قدر هذا اللقب ، فقد حل الآن محله الصحيح [٣] . وفي أواخر ديسمبر ١٩٠٥م وجهت اليه دعوة للحضور في المؤتمر الذى أقيم في حيدر آباد بمناسبة مرور أربعين عاما على حكومة نظام الدكن ،ووكل اليه كتابة تقرير مفصل عن هذا المؤتمر . ويبدو أنه لم ينجز هذا العمل لأسباب لا نعرفها [٤] . وقد أقام هناك عدة أشهر الى ٧ يونيو ١٩٠٦م،وألقى في إحدى الحفلات قصيدته المعروفة " چپ كي داد " [٥] (استغاثة السكوت)

---

(١) شجاعت على سنديلوى : حالى بحيثيت شاعر ص ٤٤ ،صالحه عابد حسين : يادگار حالى ص ٥١.

(٢) انظر: صالحه عابد حسين : يادگار حالى ص ٥٤.

(٣) شبلى : مكاتيب شبلى ٢/ ٤٠.

(٤) غلام مصطفى خان : حالى كا ذهنى ارتقا ص ٢١٣.

(٥) انظر: كليات نظم حالى ٢/ ٤٦-٥٣.

التي تحدث فيها عن المرأة وحقوقها وكيف أنها تُقهَر وتُظلم في المجتمع الهندى .

وفي عام ١٩٠٥م أراد حالى أن يؤسس معهدا ثانويا في ذكرى الملكة فيكتوريا ، وجمع التبرعات من أجل ذلك ،الا أنها لم تكن كافية لانشاء المعهد ،فصرفها في تأسيس مكتبة عامة باسم "وكتوريا ميملك لا ئبـــريرى " ،وجمع فيها كثيرا من نفائس الكتب ونوادرها . وكان قد أسس في عام ١٨٩٤م مدرسة للبنات أيضا بجوار بيته ، ولكنها لم تبق طويلا (١) . وبعد سنوات أسس سجاد حسين مدرسة ابتدائية باشارة من حالـــى ، وتطورت الى المعهد الثانوى الذى سمى أخيرا باسم "حالى مسلم هائى اسكول " (معهد حالى الثانوى للمسلمين) (٢) . والأسف أنه خرب في وقعة التقسيم عام ١٩٤٧م.

وأصيب حالى بعد رجوعه من حيدرآباد عام ١٩٠٦م بعرض نزول الماء فـــي العين اليمنى ،فتوقف عن القراءة والكتابة ،وأجريت له العملية الجراحية عام ١٩٠٧م في مدينة بتياله ،ولكنها لم تنجح تماما . وبعد فترة قصيرة نزل الماء في العين اليسرى أيضا ،فاضطر الى اجراء عملية جراحية أخرى في لكهنو عام ١٩١١م ،وجعل يقـــرأ ويكتب بعد ذلك باستعمال النظارة (٣) .

وسافر مرة الى كراتشى في ديسمبر ١٩٠٧م للحضور في الحفلة الحاديـــة والعشرين للمؤتمر التعليمى الاسلامي (مسلم ايجوكيشنل كانفرنس) ، وأسندت اليه رئاسة الحفل ،وألقى كلمته فيه ،وسلط الأضواء على الأوضاع السياسية والتعليميـــة في الهند آنذاك ،وأرشد المسلمين الى ما فيه صلاحهم (٤) .

وفي آخر حياته أصيب بالشلل اضافةالى أمراضه الأخرى ،وتوفى في هذه الحالة ليلة ٣١ ديسمبر ١٩١٤م عن عمر يناهز ٧٧ عاما (٥) ،ودفن في اليوم التالي بجوار قبر "بو على شاه قلندر" في پاني پت . رحمه الله رحمة واسعة ،وأسكنه فسيح جناته .

---

(١) صالحه عابد حسين : يادگار حالى ص ١١٦ .
(٢) المصدر السابق ص ٥٧ .
(٣) شجاعت على سندىلوى : حالى بحيثيت شاعر ص ٥٢ .
(٤) انظر كلمته التي القاها في : كليات نثر حالى ٢/١١٩-١٤٨ .
(٥) صالحه عابد حسين : يادگار حالى ص ٦٤ .

الفصل الثالث

ثقافته

كان حالي منذ صغره محبا للعلم والأدب وعكبا على القراءة والمطالعة ، ولم تمنعه عن ذلك تلك الظروف الصعبة التي كانت تحيط به . فقد فارق الأهل والأقرباء وسافر خفية الى دلهي - مركز العلوم والآداب آنذاك - للتزود من الثقافة والمعرفة . ودرس على علماء عصره العلوم الشرعية واللغوية والعقلية ، وجالس الأدباء والشعراء ، وبدأ ينظم الشعر باللغتين الأردية والفارسية حتى أصبح من المبرزين فيهما ، واتجه في الشعر الأردي اتجاها جديدا لم يكن مألوفا من قبل ، كما أنه قام بارساء قواعد النقد الأدبي في كتابه " مقدمة شعر شاعري " ، وانتقد في ضوئها فنون الشعر الأردي كلها ، وأبدى ملاحظات جريئة في هذا المجال . واضافة الى ذلك فقد سلك مسلكا جديدا في دراسة الأدباء والشعراء حيث ركز على أعمالهم العلمية والأدبية بدلا من أن يجمع فقط الأخبار المتعلقة بحياتهم . وهذا اتجاه لم يسبق اليه في الأدب الأردي .

والجدير بالذكر أنه قام بالتجديد في الأدب الأردي مع أنه لم يكن يعرف اللغة الانجليزية وآدابها ، ولم يدرس شيئا من العلوم العصرية ، ولم يتثقف بالثقافة الغربية ، ولم يقم بزيارة البلدان الأخرى . وقد كانت ثقافته شرقية خالصة ، فلم يدرس الا تلك العلوم الدينية واللغوية والأدبية التي كانت سائدة في عصره ، ولم يكن يعرف الا العربية والفارسية والأردية ، وقد كان على معرفة تامة بالأدبين : العربي والفارسي ، درسهما دراسة متأنية ، وعكف على قراءة التراث الأدبي والنقدي والتاريخي والديني في اللغتين ، حتى اطلع على تلك الكنوز والدفائن التي كانت محجوبة عن الآخرين . ولا نبالغ إذا قلنا انه لم يكن في زمن " حالي " أحد من شعراء الأردية يفوقه في معرفة الآداب الشرقية والاطلاع عليها ، اللهم إلا العلامة شبلي النعماني (ت ١٩١٤م) صاحب المؤلفات الشهيرة . ولكن شبلي كان معنيا بالأدب الفارسي والتاريخ الاسلامي أكثر من الأدبين : العربي والأردي ، ولم يشتهر بقصائده الأردية مثلما اشتهر حالي ،

ولم يمكف على دراسة الشعر الأردى و تاريخه كما عنى بالشعر الفارسي . وعلى عكس ذلك نقد كان حالى يهتم بالأدب الأردى و نقده وتاريخه والتجديد فيه وبيان ماكان عليه الشعر الأردى في عصره ،ودعوة الشعراء والأدباء الى منهج جديد . ولم يقتصر على الدعوة اليه نظريا فحسب ،بل طبق ذلك على شعره في الفترة الأخيرة من حياته ، حيث كتب أروع قصائده بما فيها قصيدته "مسدس مد وجزر اسلام".

تأثر حالى أيضا بتلك الظروف السياسية والاجتماعية التي عاصرها ،فقد كان يعيش في فترةعصيبة من فترات تاريخ الهند ،ويشاهد كل ما يجرى حوله بعد ثورة ١٨٥٧م التي كانت نقطة تحول لتاريخ المسلمين بالهند ، حيث أصبح المسلمون عبيدا للانجليز بعدما كانوا حكاما على البلاد ورؤساء ،وتدهورت الأحوال الاقتصادية بتأثير الحياة السياسية ،وأغلقت عليهم أبواب المدارس والمعاهد ،كما أبعدوا من الوظائف الحكومية ، وقتلوا وشردوا وعذبوا في السجون وقاسوا أنواعا من المحن والمصائب ، وانتقم الانجليز منهم وصبوا جام غضبهم عليهم ،لأنهم الذين قاموا بالثورة ضدهم ،وقادوا حركة التحرير والجهاد في مختلف مناطق الهند . ولم يكتف الانجليز بكل ما ذكرنا ،فقد قاموا بمحاولات لتنصير الشعب المسلم بواسطة المبشرين والدعاة المسيحيين ،ونشروا مئات من الكتب التي تنال من كرامة النبي صلى الله عليه وسلم ،وتعترض على سبادىء الاسلام بأساليب مختلفة .

لم يكن حالى بمعزل عن تلك الظروف السياسية والاقتصادية والدينية ، فقد قاسى هو أيضا بعض الآلام ،وتأثر بالوضع السيء الذى انتهى اليه المسلمون . وفي أول حياته قام بمعارضة حركة التنصير والتبشير ،وألف عدة كتب للدفاع عن الاسلام والرد على المسيحية ،مثل : " ترياق مسموم " و "تاريخ محمدى بر منصفانه راى " (نظرة عادلة الى كتاب "تاريخ محمدى") و "شواهد الالهام "كل ذلك ردا على مؤلفات المبشر المسيحى المعروف بالأب عماد الدين . وهذا يدل على حماسه الشديد وعاطفته القوية من أجل الدفاع عن الدين والرد على أعدائه .

أما في مجال الأدب فقد تأثر حالى في حياته ببعض الشخصيات والحركات التي كان لها دور كبير في توجيهه الى اتجاه جديد في الشعر والنثر . وأول هذه

الشخصيات شخصية "شيفته". لم يكن شيفته من كبار الشعراء والأدباء الأردبيين ، ولكن الواقع أن حالي استفاد منه أكثر من أستاذه الشاعر "غالب" ، فقد أقام عند شيفته حوالي سبع سنوات ،كان يسكن في بيته ويعلم أولاده ،وتجرى بينهما مباحثات أدبية ونقدية يتبادلون فيها الأفكار. وقد وصفه حالي بأنه : " كان يكره المبالغة في الشعر ويقول : ان أجود الشعر ما يعبر فيه الشاعر عن الواقع ويلتزم فيه الصدق وحسن العرض ،وكان يتجنب الألفاظ السوقية والأساليب المقيمة والأفكار السطحية "(١) . تأثر حالي أبلغ تأثر بهذه الأفكار ، حتى تكون عنده ذوق خاص يختلف عما كان عليه في السابق . ولذا نجد معظم قصائده المتأخرة تخلو من المبالغة والتكلف ،وتتصف بالسهولة والبساطة في التعبير ،مع الالتزام بالأساليب الفصحى والأفكار العالية ،وقربها من الواقع . وهذا النهج يختلف عن طريقة "غالب" في النظم ، حيث كان يتعمد لاقتناص المعاني الغريبة بألفاظ حوشية وأساليب معقدة في معظم قصائده ،مع الاغراق في الخيال ،والبعد عن الواقع ،والمبالغة في الوصف.

ولا يعني ذلك أنه لم يتأثر "بغالب" ،فهو الذى شرح له طبيعة الشعر الفارسي والأردى عندما كان يدرس عليه القصائد الأردية والفارسية ،وهو الذى وجهه الى مواصلة نظم الشعر مع أنه كان يمنع الآخرين منه ،وقد أعجب غالب بشعره عندما عرض عليه للنظر فيه واصلاحه ،وقال لحالي : "ان لم تنظم الشعر تظلم نفسك "(٢). وهذا كان تشجيعا كبيرا له من أعظم شاعر في تاريخ الأدب الأردى كله. ولعلنا نستطيع أن نقول : لو لم يوجهه "غالب" الى نظم الشعر ولم يفده بملاحظاته واصلاحاته على شعره ، لم يكن لحالي تلك المكانة المرموقة في الأدب الأردى ،وكان مثل الشعراء الآخرين في عصره.

ومن الفترات التي أثرت في أفكاره وغيرت كثيرا من آرائه : فترة إقامته بلاهور أربع سنين (١٨٧٠-١٨٧٤م)، حيث اشتغل فيها باصلاح لغة التراجم الأردية

---

(١) حالي :ترجمة حالي ص ٣٣٨.
(٢) حالي : ترجمة حالي ص ٣٣٧.

للكتب الانجليزية ،وقد اطلع في هذه الفترة -لأول مرة- على الأفكار الغربية عن طريق الترجمة ،وقد أعجب ببعضها ،مما نجد آثار ذلك واضحة في أسلوبه حيث انه بدأ يستخدم في كتاباته الكلمات الانجليزية غير المألوفة . وهذا ان دل على شيء فانما يدل على تأثره الشديد بهذه الافكار . ومع ذلك فلا نجد في كتبه النثرية (بما فيها كتاباته النقدية وموءلفاته في تراجم الشخصيات) ذكرا للمصادر الغربية الا قليلا . فهو دائما يستشهد بالمصادر الشرقية مع عناية خاصة بالكتب العربية من بينها ،سواء كانت في الشعر أو النثر . وهذه نقطة غفل عنها الكثير من المؤرخين والمترجمين ، ولذا نود أن نقف عندها لنبين تأثير الثقافة العربية في أسلوبه وأفكاره من خلال دراسة موءلفاته وكتاباته في النثر ،ولا نتعرض هنا لشعره وآرائه النقدية ،فسيأتي الكلام عليها فيما بعد .

كان حالي كثير الرجوع في كتاباته الى المصادر العربية القديمة منها والحديثة ،ولا يخلو مقال من مقالاته من الاحالة الى الكتب العربية ، والاقتباس منها ،والاستشهاد بها . وقد أحصيتُ المصادر العربية التي اعتمد عليها في مقالاته ، فبلغت أكثر من أربعين كتابا ،ومعظم هذه الكتب في الحديث والتفسير والفقه والاصول والكلام وغيرها من علوم الشريعة ،وبعضها في التاريخ والتراجم والادب واللغة والنحو وما إلى ذلك . وقد استفاد كثيرا من "العقد الفريد" لابن عبد ربه (ت٣٢٨هـ) حيث لخص منه فصلا طويلا وترجمه الى الاردية في بعض مقالاته (١) . كما رجع اليه أيضا في كتابه "حيات جاويد" حيث يذكر قصة أسيرٍ أفحم الحجاجَ بن يوسف بكلامه (٢) . وترجم نصا طويلا من "مقدمة" ابن خلدون (ت٨٠٨ هـ) (٣) ،واقتبس من "نفح الطيب" للمقّري (ت١٠٤١هـ) (٤) ،وذكر "الكتاب" لسيبويه (ت١٨٠هـ) ووصفه بأنه لم يوءلف في النحو مثله (٥) ،كما ذكر "الصحاح" للجوهري (ت بعد ٣٩٣هـ) و "القاموس المحيط" للفيروزابادي (ت٨١٦هـ) ،وحكى قصة طريفة عن

---

(١) انظر كليات نثر حالي ١/ ٢٨٤-٢٩٦ ،قارن = العقد الفريد ٢/ ١٠٤-١١٩ (ط. القاهرة ١٩٦٩م) .

(٢) انظر: حيات جاويد ص ٤٧٨ . قارن= العقد الفريد ٢/ ١٧٤ .

(٣) انظر: كليات نثر حالي ١/ ٢١٦-٢١٨ .قارن= المقدمة ص ١٢٧ (ط. بيروت ١٩٨٢م) .

(٤) انظر : كليات نثر حالي ١/ ١٠٦ .

(٥) المصدر نفسه ١/ ٢٠٣ .

تأليفهما (١) . واطلع أيضا على كتب الرحلات لبعض المؤلفين المعاصرين من مصر مثل : أحمد زكي (٢) ،وغيره (٣) . وخلاصة القول أنه كان دائم الرجوع الى المصادر العربية ،وثيق الصلة بها .

وكان من الطبيعي اذن أن يتأثر بها في كثير من الموضوعات ،ويهمّنا هنا آراءه في اللغة والأدب ، فقد اعتمد فيها الى حد كبير على المصادر العربية . وكان شديد الاعجاب بالمراثي العربية ،يدعو شعراء الأردية الى احتذائها (٤) . ويفضّل أن تستخدم الكلمات العربية في المصطلحات العلمية ،بدلا من السنسكريتية وغيرها ، لأن اللغة العربية أقوى من غيرها ،ولأنها سبقت الى وضع كثير من المصطلحات التي شاع استخدامها في عدد من لغات آسيا (٥) . وقد تحدث في بعض مقالاته عن الثقافتين العربية والانجليزية ،وقارن بين أصحابهما ،وفضّل الأولى على الثانية (٦) . وكان شديد الاهتمام بقضية تطوير مناهج تعليم اللغة العربية في الهند ، وله آراء صائبة في هذا الميدان ،منها دعوته الى تدريس اللغة العربية كلغة حية ، فيدرب الطالب على المحادثة والكتابة بدلا من الاقتصار على دراسة القواعد ، وتدرس نصوص مختارة من كتب الأدب بدلا من المكوف على كتاب كمقامات الحريري وغيره ،كما هو الشائع في الهند . ودعا الى ضرورة الاستعانة بالمقررات الدراسية التي طبعت في مصر (٧) . وذكر في موضع آخر تاريخ النكاهة في الأدب العربي ، وتحدث عن أهمية اللغة العربية وكثرة مفرداتها وأضدادها ومترادفاتها ،ومايتاز به الشعر العربي عن غيره (٨) .

وكان لهذه الثقافة العربية أثر كبير في أسلوبه الفني في الكتابة ، فقد كان كثير الاقتباس من الآيات والأحاديث والآثار والأمثال والشعر والتراكيب العربية ، ما عدا الكلمات الشائعة في اللغة الأردية ،والتي تبلغ على أقل تقدير حوالى ٣٣ في المائة من المفردات التي تستخدم عادة في الكتابة . ولا حاجة هنا الى ذكر

---

(١) كليات نثر حالى ٢/ ٢٠٥ .
(٢) المصدر نفسه ٢/ ١٠٦-١٠٧
(٣) المصدر نفسه ٢/ ٨٢ .
(٤) المصدر نفسه ٢/ ٣٠-٣١ .
(٥) المصدر نفسه ٢/ ١٩٨ .
(٦) المصدر نفسه ١/ ٢٠٦-٢٠٨ ، ٢/ ٢٧٨ ، ٢٢٥ .
(٧) المصدر نفسه ٢/ ٣٨-٤٦
(٨) المصدر نفسه ١/ ١٤٥-١٤٨ ، ١٥٧-١٥٨ .

الآيات والأحاديث التي اقتبسها ،بل تكتفي بذكر بعض الأمثال والتعابير التي يقل استخدامها في اللغة الأردية ،واستخدمها حالي في كتاباته . فمنها :
"دُرْ مع الدهر حيث دار"(١) ، " الغريق يتشبث بكل حشيش"(٢) ، " الصفو والكدر توأمان"(٣) ، "الانسان حريص فيما منع"(٤) ، "كالشمس في رابعة النهار"(٥) ، "مات الرأس بتر الذنب" و" الماضي لا يذكر"(٦) ، " رأي واحد قد يقلب آراء كثيرة"(٧) ، " ثبِّتِ العرشَ ثم انقُشْ"(٨) ، " أهل البيت أدرى بمافيه"(٩) . . وغيرها كثير مما يطول ذكره ،ولا يكاد يخلو منه مقال . وقد ضمّن كتاباتِه النثرية كثيرا من الشعر العربي ،يستشهد به في المكان المناسب ،ويستعين به في تعميق الفكرة وتوضيح المعنى(١٠) . وهذا مما يدل على احتذائه للأسلوب العربي وتقليده له في كتاباته الأردية ،وكثرة محفوظاته من الشعر العربي . ولا نجد من بين أدباء الأردية من انتهج هذا الأسلوب بعد حالي الا العلامة أبا الكلام آزاد (ت ١٩٥٨م) في كتابه "تذكره" وغيره من المؤلفات . ثم انقرض هذا الأسلوب في العصر الحديث ،لقلةِ الأدباء الذين يجمعون بين الثقافة العربية والثقافة الأردية ،واتجاهِهم الى الاستفادة من الآداب الأوربية وتقليدها في الشعر والنثر.

وبعد ،فقد أحببت أن أتحدث عن تأثير الثقافة العربية في حالي ،وأدرسه في ضوء كتاباته ،لأنّ معظم الباحثين والنقّاد في الأردية غفلوا عن هذا الجانب، فأرجعوا كل مظاهر التجديد والاصلاح عند حالي الى تأثره بالثقافة الغربية ،والواقع أنه لم يكن يعرف اللغة الانجليزية -كما صرح بذلك نفسه(١١)- ،ولم يطلع الا على بعض الكتب المترجمة التي كانت من المقررات الدراسية في المدارس والمعاهد التابعة للحكومة ،ولم يقرأ روائع الشعر والقصة والمسرحية في الآداب الأوربية ،ولم يدرس

---

(١) كليات نثر حالي ١/١١٣ .
(٢) المصدر نفسه ٢/٢١٢ .
(٣) المصدر نفسه ٢/١٨٢ .
(٤) المصدر نفسه ٢/٢٧٢ .
(٥) المصدر نفسه ١/٣٥٣ .
(٦) المصدر نفسه ١/٢٨٨ .
(٧) المصدر نفسه ١/٤٣٢ .
(٨) المصدر نفسه ٢/٦٢ .
(٩) المصدر نفسه ٢/٢٩٧ .
(١٠) المصدر نفسه ١/٢٠٤ ، ٢١٦ ، ٢١٩ ، ٣٠٦-٣٠٧ ، ٢/٢٦٠ . وانظر حيات سعدى ص ١٢ ، ٩٤ ، ٢٧٩-٢٨٨ ، وحيات جاويد ص ١٨ ، ٦٤ ، ٧٥ ، ٢٧٩ ، ٢٩١ ، ٢٩٤ ، ٢٩٦ ، ٣٤٣ ، ٤١٢ ، ٤٧٨ ، ٧٠٨ ، ٧٤١ ، ٧٥٩ .
(١١) كليات نثر حالي ٢/١٢١ ، ٢٣٨ ، ٢٦٨ .

كتابا يتحدث عن تاريخ الأدب الانجليزى ، ومدارس الشعر والنقد ،واتجاهات القصة والمسرحية . ولذا فلا نبعد لو قلنا ان حالى لم يطلع الا على قدر ضئيل جدا من الثقافة الغربية مما يتعلق بالحياة الاجتماعية والسياسية ،وميادين العلوم والصناعات . وبقى على ثقافته الاسلامية ينطلق منها في سائر انتاجاته الأدبية والعلمية ،مع الدعوة الى الأخذ من الثقافة الغربية ما يتلاءم مع الدين الاسلامي والثقافة الاسلامية .

وفي فترة اقامته بلاهور عام ١٨٧٤م أقيمت تلك الندوات الشعرية التي أصبحت نقطة بداية للشعر الأردى الحديث ، شارك فيها بعض الشعراء المحدثين ،وفي مقدمتهم حالى وآزاد . وقد أنشد حالى أربع قصائد في هذه الندوات ،تعد من أروع قصائده ،ونظم هذه القصائد بصيغة "المثنوى" بعد ما كان ينظم الغزليات والرباعيات فقط ،وصور الطبيعة تصويرا حيا ،واستخدم أسلوب الحوار في بعض هذه القصائد .

هذه الندوات الشعرية أفادته من عدة وجوه ،فهي :

أولا : وجهته الى اتجاه جديد في نظم الشعر يختلف عن أسلوب الغزل التقليدى ، وثانيا : علّمته كيف يخاطب الناس ويدعوهم الى الاصلاح بواسطة الشعر ،وثالثا : أصلحت كثيرا من العيوب ومواطن الضعف في شعره بواسطة النقد والتعليق .

وهكذا دخل حالى في مرحلة جديدة من حياته الأدبية ،تختلف عما كان عليه في السابق . ونحن اذا نظرنا في شعره في المرحلتين نجد فرقا واضحا بينهما من حيث الموضوع والأسلوب ،وكأننا أمام شاعر آخر بعد ١٨٧٤م . ويُعتبر هذا التاريخ حدا فاصلا بين المرحلتين في حياته .

الا أن فكره لم ينضج بعد ، ولم يشتهر في الأوساط العلمية والأدبية حتى قابل السيد أحمد خان (ت ١٨٩٨م) مؤسس الجامعة الاسلامية بعلى كره عام ١٨٧٥م ،واستفاد من توجيهاته وارشاداته ، وأصبح مصلحا اجتماعيا يستخدم شعره لاصلاح الناس ،ودعوتهم الى التعليم ،وترغيبهم في العلوم والصناعات ، وتوجيههم الى ما فيه صلاحهم . ووقف حياته من أجل هذه الأهداف السامية ،

وصار من كبار أعضاء الحركة التعليمية التي بدأها السيد أحمد خان ،وخدم كلية على كره (التي أصبحت فيما بعد جامعة) طوال حياته بشتى الطرق ، فقد كتب مقالات عديدة في التنويه بشأنها وجهود السيد أحمد خان في سبيلها (١) ،الى جانب تأليف كتاب مستقل عن السيد أحمد خان وأعماله بعنوان "حيات جاويد" (الحياة الخالدة) . كما أنه نظم بعض القصائد في مدحه (٢) ،ورثاه بقصيدة فارسية (٣) . وله قصائد عديدة في دعوة الناس الى مساعدة كلية على كره (٤) . ومما يجدر الاشارة اليه أن حالى كتب قصيدته الشهيرة "مسدس مد وجزر اسلام" بتوجيه من السيد أحمد خان ،كما صرح بذلك حالى نفسه في مقدمته ، وكان السيد أحمد خان يقول : "عندما يسألني الله تعالى يوم القيامة : بماذا جئت هنا؟ أقول : ماعدى الا مسدس حالى" (٥) .

تلك هي الشخصيات والحركات التي تأثر بها حالى أبلغ تأثر ،مع ما كان يتحلى بها من صفات تميز بها عن معاصريه وأقرانه ، فقد كان كريم الطبع ،متواضعا ،دمث الخلق . كان يحب الصغار والكبار ،ويكرمهم جميعا ،حتى انه كان يحترم مخالفيه ولا يقوم بالرد عليهم مهما حاولوا النيل من كرامته ،وكان من أشد الناس نفورا من الكبر وحب الظهور والشهرة ،يغلب عليه الحياء والرزانة والسكينة والوقار والقناعة والاستغناء والرضا باليسير . وكان كثير الانصاف مع معاصريه ،بعيدا عن الحسد والبغض والعداء ، وحتى انه كان يسهب في مدح الكتب التي ألفها معارضوه . وقد تفرغ في آخر حياته للتأليف والكتابة و نظم الشعر ،فأحب العزلة عن الناس ،ولكنه لم ينعزل تماما ،بل سافر الى عدد من المدن البعيدة للحضور في المؤتمرات والندوات مع مرضه وضعفه .

كان حالى على مذهب أهل السنة والجماعة ،درس العلوم الدينية من الحديث والتفسير والفقه والأصول على كبار علماء عصره ،وتخرج على أيديهم وأصبح عالما من العلماء . الا أن قراءته الكثيرة في الكتب ،ومطالعته المستمرة في المصادر القديمة

---

(١) انظر: كليات نثر حالى ١/٣٨٧-٣٩٣، ٣٩٤-٤٣٢، ٣٤٩-٣٥٧، ٣٥٨-٣٨٤.
(٢) انظر: كليات نظم حالى ١/٢٦٨. (٣) المصدر السابق ٢/٣٩٧.
(٤) المصدر السابق ٢/١٩٩، ٢٠٤، ٢١٨، ٢٤٦، ٢٤٨.
(٥) انظر: مجلة تهذيب الأخلاق (عام ١٨٨٠م) ص ١٠١.

والحديثة ،وشدة تأثره بأفكار السيد أحمد خان وتأييده لحركته التعليمية ودفاعه عنها . . . كل ذلك أخرجه عن التقليد والتعصب لمذهب معين من المذاهب الاسلامية ، وقد تجاوز الحد في كثير من الأحيان عندما يبرر موقف السيد أحمد خان وعقيدته وآراءه الدينية ، ولكنه لم يوافقه تماما في جميع آرائه ،فقد خالفه أيضا في كثير منها . وقد اتهم - بسبب موافقته للسيد أحمد خان - بالضلال والبعد عن الصراط المستقيم . ولكننا اذا رأينا كتاباته حول العقيدة ومسائل الشريعة لا نجد فيها ما يخالف الكتاب والسنة (١) . وانما أوقع نفسه في موقف حرج عندما جعل يدافع عن السيد أحمد خان وآرائه في كتابه " حيات جاويد " . ولا نشك أنه كان مخلصا في دعوته الى حركته التعليمية ،فقد أراد أن يرغب الناس في دراسة العلوم العصرية واللغة الانجليزية والالتحاق بكلية على كره ومساعدتها ، ولم يكن يتم له هذا الغرض الا بالدفاع عن عقيدة السيد أحمد خان ومذهبه . ومن أجل هذا فقط اضطر الى أن يكتب عن السيد أحمد خان ما كتب ، مع أنه كان يخالفه في كثير من آرائه .

ومهما يكن من أمر فلم يكن حالى مثل السيد أحمد خان في آرائه ومعتقداته ، بل يختلف عنه كثيرا في المبادئ والأسس ، وانما اتفقا في توجيه المسلمين الى دراسة العلوم العصرية حتى يتمكنوا من استعادة مجدهم التليد . ومن أجل تحقيق هذا الهدف ساعد حالى أيضا الحركة التعليمية الاصلاحية التي قادتها " ندوة العلماء " ، ونظم قصيدة بمناسبة وضع الحجر الأساسي لـ" دار العلوم " التابعة لها بلكهنو عام ١٩٠٨م (٢) . كما نظم قصيدة أخرى طويلة للتنويه بجهود جمعية " حماية الاسلام " بلاهور (٣) . وهذا يدل على أنه لم يُفرِّق جهود الحركات الاصلاحية الأخرى غير حركة السيد أحمد خان ،ولم يتعصب لحركة على كره تعصبا أعمى ، بل كان دائما يهمه الاصلاح والعمل من أجل النهوض بالمسلمين ،سواء قام بذلك السيد أحمد خان أو معارضوه .

---

(١) انظر : كليات نثر حالى ١/ ٣ ، ٤٠ ، ٧٠ ، ٩٨ ، ٣٠١ وغيرها .
(٢) انظر: كليات نظم حالى ١/ ٣١٦-٣١٨ .
(٣) المصدر السابق ٢/ ٢٧٩-٢٨٧ .

الفصل الرابع

مؤلفاته

يعد حالي من أشهر الكتاب والمؤلفين بالأردية ،وأحد الرواد الخمسة الأوائل للأدب الأردي الحديث[١] ، له عدد من المؤلفات والكتب في موضوعات مختلفة ،الى جانب كونه شاعرا بارعا . ونود جل دراستنا لشعره لنتحدث هنا عن مؤلفاته و كتاباته النثرية . كما أننا لا نتعرض هنا لآرائه النقدية المبعثرة في عدد من مؤلفاته وخاصة في كتابه "مقدمة شعر وشاعرى" ،فسيأتي الحديث عن ذلك في باب مستقل ،وانما نكتفي هنا بذكر مؤلفاته النثرية والتعريف ببعضها و بيان قيمتها العلمية والأدبية .

ويمكن لنا أن نقسم مؤلفاته وكتاباته الى قسمين :

(أ) ردود وتراجم : وهي ما ألفه أو ترجمه في الفترة الأولى من حياته (١٨٥٥-١٨٧٢م)، ويغلب عليها طابع الدفاع عن الاسلام ،واثبات الوحي والنبوة والرد على النصارى والمبتدعين. و معظم هذه الكتب لا توجد الآن في المكتبات ،وهي :

١- رسالة في تأييد النواب صديق حسن خان ،ألفها في حدود ١٨٥٥م . وقد سبق ذكرها من قبل .

٢ - "مولود شريف" (المولد النبوي)،ألفه في حدود ١٨٦٩م[٢] .

٣ - "ترياق مسموم" (ترياق للمسموم) ،ألفه عام ١٨٦٧م ردا على كتاب "تحقيق الايمان -أو- هداية المسلمين" للأب عماد الدين[٣] .

٤ - "تاريخ محمدى پر منصفانه راى" (نظرة عادلة الى كتاب "تاريخ محمدى")، ألفه عام ١٨٧٢م وهو نقد لكتاب عماد الدين المذكور.

٥ - "شواهد الالهام" ،ألفه عام ١٨٧٢م[٤] .

---

(١) والأربعة الآخرون هم : السيد أحمد خان (ت ١٨٩٨م) ،وشبلي (ت١٩١٤م)، ونذير أحمد (ت١٩١٢م) و محمد حسين آزاد (ت ١٩١٠م).

(٢) انظر : صالحه عابد حسين : يادگار حالي ص ٣٢٥ ،ونشر الكتاب لأول مرة بعد وفاة حالي ،في پاني پت عام ١٩٣٢م بعناية سجاد حسين ،ويحتوي على ٩٨ صفحة . وانظر نموذجا منه في مقالات حالي ١/٩-١٠ (ط.دلهي ١٩٨٢م).

(٣) نشر في أعداد من مجلة "خير المواعظ" الصادرة بدلهي عام ١٨٦٧م.

(٤) الكتاب يحتوي على ٢٢ صفحة . وقد نشر منه جزء في "مقالات حالي" عام ١٩٠٢م.

٦ - "مبادئ علم جيولوجي" (مبادئ علم طبقات الأرض)، وهي ترجمة أردية لكتاب عربي منقول عن الفرنسية الى العربية . أنجزها عام ١٨٧١م.

(ب) مؤلفات في اللغة والأدب والتاريخ : وهي التي عُرف بها حالى في الأوساط العلمية والأدبية ،ونالت بعضها أهمية كبيرة في الأدب الأردى الحديث ،وطبعت طبعات عديدة.وهي :

٧ - "أصول فارسى" (قواعد اللغة الفارسية) ،ألفه عام ١٨٦٨م[١] .

٨ - "حالات حكيم ناصر خسرو" (حياة الحكيم ناصر خسرو) ،ألفه عام ١٨٨٢م، بالفارسية ،وقدم به لـ" سفرنامه حكيم ناصر خسرو" (رحلة الحكيم ناصر خسرو)[٢] .

٩ - "تذكرهٔ رحمانية" (حياة الشيخ عبدالرحمن پانى پتى) ،ألفه عام ١٨٩٦م. تحدث فيه عن حياة أستاذه المذكور ومناقبه وفضائله[٣] .

١٠- "مجالس النساء".

١١- "حيات سعدى" (حياة الشاعر الفارسي سعدى الشيرازى) .

١٢- "يادگار غالب" (ذكرى شاعر الأردية "غالب") .

١٣- "حيات جاويد" (الحياة الخالدة في ترجمة السيد أحمد خان) .

١٤- "مقدمهٔ شعر وشاعرى" (مقدمة في الشعر ونظمه) .

وسنتحدث عن الكتب الخمسة لما لها من أهمية في الأدب الأردى الحديث ،ونخصص للكتاب الأخير الباب الثالث حيث ندرس آراءه النقدية ونبين التأثير العربي فيها .

والى جانب هذه الكتب التي ذكرناها له مقالات منشورة في شتى المجلات ، جمعها محمد اسماعيل پاني پتي في "كليات نثر حالى" (المجلد الأول)[٤] ،

---

(١) يحتوى على ٢٥٩ صفحة ،ولم ينشر منه الا المقدمة ،نشرها محمد اسماعيل پاني پتي في مجلة "نقوش" الصادرة بلاهور (عدد اكتوبر - نوفمبر ١٩٥٢م)، وأعيد نشرها في المجلة نفسها (عدد يوليو ١٩٦٠م) ص ٤٠-٤٤ ،وكليات نثر حالى ١/ ٤٤٠-٤٤٩.

(٢) نشر لأول مرة عام ١٨٨٢ ،ثم نشر مع ترجمته الأردية (من اعداد محمد صديق طاهر شادانى) بلاهور ١٩٧٢م.

(٣) نشر في مجلة "چودهويں صدى" الصادرة براولبندى "عام ١٨٩٦م،وأعيد نشره في مجلة "نقوش" عدد فبراير - مارس ١٩٥٢م ،وفي المجلة نفسها عدد يوليو ١٩٦٠م ص ٣٢ - ٣٩.

(٤) نشر في لاهور ١٩٦٧م . وهناك مجموعة أخرى بعنوان "مضامين حالى" ===

وعددها ٤٤ مقالة . كما أن له خطبا ومحاضرات في مناسبات مختلفة ،يزيد عددهاعن ١٢ خطبة . وانتقد حوالى ٥٢ كتابا و مجلة أدبية ودينية و تاريخية ،وكل هـــذه الانتقادات والخطب مجموعة في "كليات نثر حالى " (المجلد الثاني) [١] . وقام بجمع مكاتيبه ورسائله الى أصحابه كل من : سجاد حسين في " مكتوبات حالى " [٢] ، و محمد اسماعيل پاني پتي في " مكاتيب حالى " [٣] .

وفيما يلي دراسة عن الكتب التي أشرنا اليها قبل قليل :

مجالس النساء : ألفه عام ١٨٧٤م بأسلوب قصصي [٤] . وصف فيه نساء دلهـي على لسانهن ،واستخدم أسلوب الحوار بين عجوز وبنتها وشاه جي ،وركز على ضرورة إصلاح الوضع الراهن للنساء اللاتي ما زلن على تلك الأوهام والخرافات والتقاليـــد الفاسدة،والأساليب القديمة لمداواة المرضى ،و حذّر من عاقبة التقليد البغيض والتعصب الممقوت .

تبدأ القصة ببيان تربية الأولاد ،وواجبات الأم تجاههاوكيف تقوم بها ،والى أى مدى تكون لها الحرية ؟ وذكر أنه لا بد من استشارة المرأة ورضاها و قت الزواج ، والا سيؤدى ذلك الى نتائج سيئة ،ولا بد من تعليم البنات ليقمن بتربية أولادهن على أحسن وجه . الى غير ذلك من المسائل الاجتماعية والعائلية التي تحدث عنها حالى بأسلوب الحوار والقصة .

وكتابه " مجالس النساء " وان لم نعده رواية بمعناها الفني ،ولكنه حلقـــة من حلقات تاريخ الرواية الأردية . فنحن نجد فيه عناية خاصة بتصوير الشخصيـــات، واستعمال الكلام العادى في الحوار . والحق أن حالى لم يكن يهدف بذلك الى كتابة قصة أو رواية فنية ، بل كان يريد اصلاح المجتمع قبل كل شيء ،وقد نجح في ذلك الـى أبعد حد ، حيث استطاع أن يرد على تلك الأوهام والخرافات التي كانت شائعـــة بين النساء في ذلك العصر ،والتي لم يبق لها وجود الآن في الأوساط الهندية .

=== جمعها وحيد الدين سليم پاني پتي ،ونشرت في پاني پت ١٩٠٢م . ومجموعة ثالثة بعنوان"مقالات حالى " (في جزئين) نشرت في دلهي ١٩٣٥م . والمجموعة التي ذكرناها فوق تغني عن غيرها .

(١) نشر في لاهور ١٩٦٨م . (٢) نشر في پاني پت ١٩٢٥م .

(٣) نشر في لاهور ١٩٥٠م .

(٤) نشر بلاهور عام ١٨٧٤م . ثم صدرت بعد ذلك طبعات كثيرة آخرها في دلهي ١٩٧١م .

وكتابه هذا أصدق تصوير للمجتمع الاسلامي في الهند قبل مائة عام ،كما احتفظ بكثير من الكلمات والتعابير التي كانت تستخدمها نساء دلهي آنذاك ، ولا سبيل الى معرفتها الا الرجوع الى مثل هذا الأدب القصصي والروائي المكتوب في تلك الفترة.

وكانت لكتاب " مجالس النساء " مكانة خاصة من بين الكتب التي ألفت في هذا الموضوع ،مثل : " فسانه ظاهرة " لمرزا عباس حسين هوش ،و "انشاء النساء" لعبدالله ،و " مفيد النساء " لعبد الحامد ، و " انشاى هادى النساء " لسيد أحمد هون ،و" افسانهٔ حميد " لغلام حيدر خان ... وغيرها (١) ، فلم يكن لها ذلك الذيوع والانتشار مثل ما كان لكتاب "مجالس النساء" . وقد طبع كتاب حالى عدة مرات (٢) ،وكان من المقررات الدراسية في مدارس فنجاب وأودهـ . وقد حصل حالى على جائزة قدرها أربع مائة روبية (٣) بسبب تأليفه هذا الكتاب ، ولا زال الكتاب يطبع ويقرأ ،وان لم يكن الاهتمام به الآن مثل السابق ،فالكتاب بأسلوب قديم ،وقد ألفت روايات اجتماعية كثيرة بالأردية في العصر الحديث تتناول مشاكل المرأة بأسلوب جديد ،وحلّت محل الكتب القديمة. ومع ذلك فلا يمكن لنا أن نغفل كتاب حالى نظرا لقيمته التاريخية ،وموضوعاته التي يحتوى عليها ،والحلول التي يعرضها للمشاكل بمنظار اسلامي خالص ،على عكس الكتّاب المحدثين الذين تحدثوا عن هذه المشاكل وحلولها بمنظار غربي لا يتفق مع الاسلام.

حيات سعدى (حياة الشاعرالفارسي سعدى الشيرازى) : ألفهعام ١٨٨٦م (٤).

ويعد هذا الكتاب أول دراسة منهجية بالأردية عن حياة شخص معين وآثاره العلمية والأدبية ، فقد كانت كتب التراجم السابقة تذكر أخبار الرجل المترجم نقلا عن الكتب السابقة دون دراسة نقدية لها ومحاولة الوصول الى الحقيقة ، كما أنها كانت تقتصر على ذكر الأخبار فقط ، ولا تتعرض لدراسة آثاره ومؤلفاته ونتاجه العلمي والفكرى

---

(١) تاريخ أدبيات مسلمانان پاكستان وهند ٩/ ١٢٠.
(٢) يدل على كثرة طبعاته أنه طبع إحدى وعشرين مرة منذ تأليفه ١٨٧٤م الى ١٩١٨م انظر: يادگار حالى ص ٣٣٠.
(٣) مجلة "زمانه" (الصادرة بكانفور) عدد ديسمبر ١٩٣٥م.
(٤) طبع لأول مرة بدلهي ١٨٨٦م ،ثم صدرت له طبعات كثيرة فيمابعد ،أفضلها بلاهور ١٩٧٠م.

والأدبي ، وتقويمها وبيان أصالتها وتأثيرها فيما بعد . وقد انتهج حالي فكر هذا المنهج السائد ،وقسم الكتاب قسمين : تحدث في القسم الأول عن حياة الشاعر سعدى الشيرازي (ت ٦٩١هـ) من ولادته الى وفاته ،وفي القسم الثاني بسط القول في آثاره العلمية والأدبية ،ودرس آراءه من خلال مؤلفاته وكتاباته . ويبدو لنا جليا اذا نظرنا في الكتاب أن حالي لم يكن يهمه جمع الأخبار المتعلقة بالشخص فقط ،بل كان يركز على بيان أعماله وجهوده وآثاره ،كما أنه لم يأل جهدا

في نقد الأخبار والحكايات المنحولة ،مثل ذهاب سعدى الى الهند لمقابلة خسروه ودخوله في معبد سومنات ،ودفع أحد خدّام المعبد الى البئر.

والواقع أن حالي وجد في سعدى شخصية ملائمة لنفسه ،واعتبره من كبار المصلحين والشعراء ،لكونه معلما للأخلاق ومربيا ،كما يظهر من خلال أشهر مؤلفاته "گلستان" و" بوستان " . وقد أعجب حالي بهذا الجانب ،وجعله حيه له أحيانا في موقف الدفاع عن شخصيته وتأويل الأخبار التي تدل على حياته العاطفية ،وابتلائه بالعشق والحب . وكأنه اعتبر ذلك مضرا بالأخلاق فلم يتعرض له ،وحاول أن ينزهه عما نسب اليه في هذا المجال ،ويؤول كل ما وجد في غزلياته مما يشير اليه .

ومع هذه الملاحظة التي لا بد من التنبيه عليها فلا شك أن حالي نجح الى حد بعيد في كتابة حياة هذا الشاعر الفارسي، وبيان مميزات شعره وأدبه ،ودراسة مؤلفاته وآثاره ،والحديث عن شخصيته الفريدة وعظمته وكماله ،والمقارنة بينه وبين الشعراء الكبار ،وبين مؤلفاته والمؤلفات المماثلة لها .

ويحتوى الكتاب أيضا على مقدمة هامة يتحدث فيها عن فن كتابة الترجمة في القديم والحديث ،وفي الخاتمة يلقى نظرة إجمالية على حياة سعدى وشعره ، يلخص فيها الكتاب ويذكر أهم النتائج التي توصل اليها من خلال دراسته .

وهكذا يصبح الكتاب كلاً مترابطا ،ومرتبا ترتيبا دقيقا حسب المنهج العلمي الحديث ،ويلاحظ أنه دعا الى هذا المنهج وعمل به قبل مائة عام ،وواصل السير على هذا النهج في كتبه الأخرى في تراجم الشخصيات الكبار ،وقلّده في ذلك كل من جاء بعده من المترجمين والمؤرخين .

يادگار غالب (ذكرى الشاعر غالب) : ألفه عام ١٨٩٧م [١] . وهو أقدم كتاب يتناول حياة الشاعر الكبير "غالب" ويدرس شعره الأردى والفارسي دراسة نقدية فاحصة ،وهو الكتاب الذى عرّف الناس لأول مرة بشخصية غالب والخصائص الفنية في شعره ونثره .

يقول حالى في مقدمة كتابه : " وان كنا لا نجد في حياة غالب عملا آخر غير ما خلفه من شعر ونثر ،الا أن ذلك وحده يكفي لتخليد ذكره والتنويه بشأنه لظهوره في عاصمة الحكومة الاسلامية (دلهي) في فترة ضعفها " [٢] .

كان غالب من أساتذته ،درس عليه الشعر الأردى والفارسي ،واستفاد من توجيهاته واصلاحاته على شعره الذى كان ينظمه و يعرضه عليه للنظر فيه . ولذا كان حالى يحبه ويكرمه في حياته ،وبعد وفاته (١٨٦٩م) كتب رثاء حارا في قصيدة طويلة بالأردية [٣] ، وهي أولى قصائده التي نظمها في الرثاء . ثم فكّر في تأليف كتاب مستقل عن حياته وأدبه ،لأن شعره ونثره يمثلان في نظره قمة ما وصل اليه الأدب الأردى الى عصر غالب ،فألف هذا الكتاب وتحدث فيه عن شخصيته وشعره ،والخصائص التي يتميز به عن غيره من الشعراء .

قسّم حالى الكتاب قسمين : خصّص الأول منهما بدراسة حياة غالب من مولده الى وفاته . وفي القسم الثاني انتقد شعره و نثره المكتوب باللغتين الأردية والفارسية . والقسم الأول مختصر لا يتجاوز ربع الكتاب بينما القسم الثاني طويل ،لأنه كان يهدف الى إبراز الجمال الفني في أدبه ، والدراسة النقدية له ،ولم يكن يهمه جمع الأخبار المتعلقة بحياته فقط ،وقد سبق الى هذا المنهج في كتابه "حيات سعدى" . ومما يؤخذ عليه أنه لم يصور لنا شخصية "غالب" كما كانت في الواقع ،فقد كانت هناك جوانب الضعف في دينه وأخلاقه سكت عنها تماما ،أو على الأقل أوّلها الى ما يُرضي الناس ،ولم يتجرأ على تفصيل بعض الأحداث والوقائع التي تسيء الى سمعة غالب وتنال من كرامته ،مثل : القبض عليه و فرض الغرامة وادخاله السجن عام ١٨٤٧م ،

---

(١) طبع هذا العام في كانفور لأول مرة ،ثم صدرت له طبعات أخرى كثيرة .
(٢) حالى ؛ يادگار غالب (ط . دلهي ١٩٨١م) ص ١٥ .
(٣) كليات نظم حالى ١/٣٢٧- ٣٣٥ .

وطلبه في المحكمة[١] . فلم يذكر تفاصيل ذلك مع أنها كانت من أشهر الأحداث المتعلقة بحياة غالب ،وكان حالى من أكثر الناس معرفة بها . فأغفل ذكرها لكون غالب محترما بين الناس وأستاذا له .

و هناك بعض الأخطاء العلمية والتاريخية في الكتاب ،أشار اليها بعض النقاد والمؤرخين ممن درسوا حياة غالب وشعره[٢]، الا أنها لا تقلل من قيمة الكتاب ، ولا يمكن أن يستغنى عنه أحد من الباحثين في حياة غالب وشعره .

أما القسم الثاني من الكتاب فهو يتعلق بنقد الشعر والنثر ،و هذا هو القسم الذى كان يهمه في الحقيقة ،وقد بذل جهدا كبيرا في دراسة جميع الآثار الأدبية لغالب ،وقام بتحليلها وشرح الغامض من شعره الذى كان غير مفهوم عند عامة الناس ،حتى اتهموه بأنه يقول ما لا يفهم ، ولم يعترفوا بابداعه وبراعته في نظم الشعر. حاول حالى أن يدفع كل الاعتراضات والتهم التي كانت تلصق بغالب ،ووجّه النـاس الى النظر في الخيال البديع والأسلوب الجميل وسعة الأفق التي يتمتاز بها من بين الشعراء ،وأبرز الجوانب الانسانية والمعاني السامية في شعره . وكتاب حالى هذا هو الذى وجّه النقاد الى دراسة غالب وشعره و معرفة دقائقه ، حتى حظى هذا الشاعر بالدراسة والنقد ما لم يحظ به أى شاعر أردى قبله أو بعده ،ولا زالت تلك العناية به الى الآن .

و نحن نجد في كتاب حالى مقدرة فائقة للتحليل والشرح وابراز الجمال الفنى في النصوص ،وقد عنى حالى بنثر غالب كما عنى بشعره ،فتحدث عن تلك الرسائل النثرية التي كان يكتبها الى أصحابه ويمزج فيها بين الفكاهة والمزاح وبساطة الأسلوب وخفة الروح ،والتي تعد من روائع النثر الأردى الحديث . درس حالى -لأول مرة- هذه الرسائل أيضا ،واختار بعض النماذج وقام بتحليلها وشرحها . وقد وقع أحيانا في بعض الأخطاء التاريخية ،فمثلا يقول[٣] : ان غالب بدأ في كتابة الرسائل الاردية عام ١٨٥٠م. وهو خطأ[٤] ،فنحن نجد أنه كتب بعض هذه الرسائل قبل ذلك عام ١٨٤٦ و١٨٤٨م. ومثل هذه الأخطاء لا تقلل من قيمة الكتاب وأهميته في دراسة غالب.

---

(١) انظر تفصيل ذلك في مالك رام: ذكر غالب (ط. دلهي ١٩٧٦م) ص٨٩-٩٣ ،وشيخ محمد اكرام: "حيات غالب" (ط. لاهور ١٩٨٢م) ص١١٨-١٢٩ ،وابوالكلام آزاد: نقش آزاد (ط. لاهور ١٩٥٩م) ص٢٧٩-٢٨٢.

(٢) انظر: غلام رسول مهر: "غالب" (ط. لاهور ١٩٤٦م) ص٢٠٩ ، ٢١٠ والمصادر المذكورة فوق.

(٣) انظر: حالى: يادگار غالب (حصه اردو) ص١٩٧.

(٤) مالك رام: ذكر غالب ١٦٧.

حيات جاويد (الحياة الخالدة): استغرق تأليفه عدة سنوات ،ونشر عام ١٩٠١م[١]. وهو آخر مؤلفاته في التراجم . ويعد من أضخم كتب التراجم باللغة الأردية ،ويمكن أن نقارنه بكتاب السيد رشيد رضا في حياة محمد عبده بعنوان "تاريخ الأستاذ الامام" ،وقد قارنه بعض النقاد بكتاب بوسويل (Boswell) في حياة جونسن بعنوان (Life of Johnson)[٢]. ومهما يكن من أمر فالكتاب ليس مجرد ترجمة السيد أحمد خان ،بل هو عبارة عن تاريخ الهند الثقافي والأدبي والتعليمي والسياسي والديني في القرن التاسع عشر للميلاد .

كانت شخصية السيد أحمد خان من الشخصيات التي احتدم حولها النقاش والجدل، واختلفت آراء المسلمين في جهودها ،كما تعرضنا لذلك في الفصل الأول . ولذا فقد كان التأليف في حياته وجهوده أصعب من الكتابة عن "سعدى" و "غالب" اللذين يعتبران من كبار الشعراء والأدباء في الفارسية والأردية عند الجميع. كان حالي يشعر بهذا الموقف الحرج ،فحاول أن يصور شخصية السيد أحمد خان ويبين جهوده بكل دقة وأمانة ، وهو وإن لم ينجح تماما في ذلك ،ولكن طريقته في التفكير ،واختياره المنهج الوسط في القضايا ،ومخالفته للسيد أحمد خان في آرائه الدينية مع حبه الشديد لجهوده التعليمية . . . كل ذلك جعله معتدلا في كتابته .

تحدث حالي في هذا الكتاب عن السيد أحمد خان وحركته التعليمية وآرائه في الدين والسياسة ،وقد غلب عليه حبه ،فلم يتمكن من التصريح بكثير من الوقائع نظرا الى المصلحة ،واختصر في ذكر بعض الأخبار التي تُسيء الى السيد أحمد خان، ودافع عن موقف السيد أحمد خان في كثير من القضايا ، ولذا حكم العلامة شبلي النعماني على هذا الكتاب بأنه "كتاب في المناقب" ،و "محاولة للمدح والاحتجاج له" و "تقرير حكومي تحدث فيه عن جانب واحد" . وقد انتقده أيضا الشيخ حبيب الرحمن الشيرواني[٣] ،فكتب اليه شبلي يباركه عليه ويقول : "ولعل الدم الفاسد في "حيات جاويد" يخرج بمثل هذه المقاصد"[٤].

---

(١) طبع في كانپور في هذه السنة . ثم صدرت له الى الآن طبعات كثيرة آخرها بدلهي سنة ١٩٨٢م.

(٢) انظر: سكسينه : تاريخ أدب اردو ص ٤٧٥ .

(٣) في مجلة "انسٹی ٹیوٹ گزٹ" عدد ٢٠ فبراير ١٩٠٢م.

(٤) انظر : مجلة "نقوش" الصادرة بلاهور (مكاتيب نمبر) ١/ ١٤٤ .

ولعل من أهم نقاط الضعف في الكتاب أنه لم يتعرض لذكر المخالفين للسيد أحمد خان الا قليلا ، ولم يصور الا بعض الوقائع الصغيرة التي خالف فيها الجمهور آراء السيد أحمد خان ،وكبّرها أكثر من اللازم ، وسكت عن المعارضات الكبيرة التي واجهها السيد أحمد خان في حياته . وكذلك لم يذكر آراء المخالفين بألفاظهم ، فلم يقتبس من كتاباتهم ورسائلهم الا قليلا ، كما أنه لم يتحدث عن زملاء السيد أحمد خان وجهودهم كما يستحقون . وملأ الكتاب بمقتبسات الجرائد والمجلات وأقوال المشاهير من الهنود والانجليز في مدح السيد أحمد خان ،ولكنه التزم السكوت عن كثير من القضايا والاحداث التي يتبين فيها رجحان موقف المخالفين مثل : الخلاف فيمن يَخلُف السيد أحمد خان بعد وفاته (حينما عيَّن السيد أحمد خان ابنَه السيد محمود أحمد خليفة له) ،وموء امرات الاساتذة والموظفين الانجليز في الكلية ، ومخالفة محسن الملك ووقار الملك وغيرهما للسيد أحمد خان ... وغيرذلك من القضايا التي كان لا بد من التعرض لها ،ليكون كتابه تصويرا صادقا عن البيئة والظروف التي عاش فيها السيد أحمد خان .

ينقسم الكتاب الى قسمين ،القسم الاول يتكون من ستة أبواب ،كل باب يتناول فترة معينة من حياة السيد أحمد خان ،وهي مرتبة تاريخيا ، تحدث فيها عن كل الحوادث من ولادته عام ١٨١٧م الى وفاته عام ١٨٩٨م بتسلسل تاريخي .

أما القسم الثاني فقد تحدث فيه عن أعماله وجهوده وجوانب مختلفة من حياته ،وقسم ذلك الى عناوين فرعية ،كل عنوان منها يتناول جانبا من تلك الجوانب. وهي : وظائفه في الحكومة ،وأعماله السياسية ،وجهوده في سبيل الشعب والوطن ، وجهوده الدينية ،ومخالفة الناس له ،ونجاحه في مهمته وسبب ذلك ،وصفاته الحميدة ،وأخلاقه وعاداته ومذهبه . وفي آخر الكتاب خمسة ملاحق : نسبه ، وفهرس موء لفاته ، وبعض الرُّوء ى له ،والنص الكامل لكتابه "أسباب بغاوت هند" ، وبحث لحالي بعنوان "قرآن مجيدمين اب نئی تفسیر کی گنجایش باقی ہے یانہیں ؟" (هل يجوز تفسير القرآن تفسيرا جديدا في هذا العصر أم لا ؟) . وبهذا ينتهي الكتاب .

هذا استعراض سريع لموضوعات الكتاب وأبوابه ،وقد حدَثَ كثيرا تكرارُ واقعة بعينها ،كما أنه أطال في بعض الأبواب اطالة تُمِلّ القارئ وتنفره من مواصلة القراءة. ولوأنه حاول انتقاء الأخبار واكتفى ببعض النصوص المقتبسة بدلا من سردها كلها ، لكان الكتاب أصغر حجما مما هو عليه الآن (١) . وأسلوبه في الكتاب سهل مبسط لولا أنه استخدم بعض الكلمات الانجليزية الغريبة التي ليس لها رواج في الأردية .

ومهما يكن من أمر فالكتاب أهم وأقدم مصدر لحياة السيد أحمد خان وجهوده ولا يمكن أن يغفله من يريد دراسة شخصيته أو الفترة التي عاش فيها ،وكل الذين جاءوا بعد حالى وكتبوا عن السيد أحمد خان استمدوا من "حيات جاويد" وجعلوه المصدر الأساسي الذى يعتمدون عليه في دراساتهم وبحوثهم ،حتى انه ترجم أخيرا الى اللغة الانجليزية أيضا (٢) ، لتعم الفائدة بها .

---

(١) عدد صفحاته في الطبعة الأخيرة (بدلهي ١٩٨٢م) ٩٠٤ صفحات.

(٢) ترجم القسم الاول منه الى الانجليزية : K.H . Qaderi, and David J. Mathews.
وطبع بدلهى عام ١٩٧٩م .

الباب الثانى

شعر حالي

ويحتوى على أربعة فصول :

الفصل الأول ـ الأنواع الشعرية

الفصل الثانى ـ الموضوعات

الفصل الثالث ـ الظواهر الفنية

الفصل الرابع ـ قصيدته "مسدس مدوجزر اسلام"

الباب الثاني

شعر حالي

عُرِف حالي بمدرسته الشعرية ، كما كان من روّاد المترسلين في الكتابة . وكان شعره يمتاز بعذوبة البيان ورقة الطبع و دقة الخيال ، يطمع السامع أن يأتي بمثله لسهولته وخفته ، فاذا حاول عجز ، فشعره فيض قريحته ووحي طبيعته وصورة عقيدته ،لم يقلد فيه أحدا ولم يطلب من غير شعوره مددا ،وهو مع ذلك مكثر لا يمل قارئه . ويحتوى شعره على مختلف الأنواع الشعرية من "الغزل" و "القصيدة" ،و "المثنوى" ،و "الرثاء" ،و "الرباعى" (الدوبيت) ،و قطعه (المقطوعة) وغيرها (١) ، وقد قام بالتجديد في موضوعاتها وأساليبها وجعلها ملائمة للعصر الحديث ،وعبر فيها عن هموم الشعب ومشاكله ،وألهب بها عواطف الجمهور ،و نبههم من سباتهم الطويل ، وذكّرهم الماضي المشرق .

كان حالي في مرحلته الأولى من حياته الأدبية (١٨٥٧-١٨٧٤م) على الطريقة التقليدية في نظم الموضوعات الغزلية وما اليها ،الا أنه سرعان ما غير موقفه ،وجعل الشعر وسيلة للنهوض بالأمة الاسلامية بصفة عامة والشعب الهندى منها بصفة خاصة ،فترك في المرحلة الثانية من حياته (١٨٧٤-١٩١٤م) الموضوعات القديمة ،ونظم الشعر في الموضوعات الاجتماعية والدينية ،وصوّر انحطاط المسلمين ودعاهم الى الاصلاح ،وأرشدهم الى طريق الرقى والازدهار. وقد اتجه هذا الاتجاه بعدما تأثر بحركة السيد أحمد خان ،وأصبح لسان حالها ،فكان ينظم تلك الأهداف والأغراض التي كانت ترمى اليها الحركة ، ويوصلها الى العامة والخاصة ،ويحببها الى قلوبهم بشعره .

---

(١) سيأتي التعريف بهذه الأنواع في الفصل الأول من هذا الباب.

لقد اعترف حالي بتأثير السيد أحمد خان في شخصيته وتوجيهه الى الشعر الهادف ، في مقدمة قصيدته الشهيرة "مسدس مد وجزر اسلام" (١) ، وذكر هناك أن الناس كتبوا كثيرا في هذا الموضوع ، الا أن أحدا منهم لم يستخدم الشعر للنهوض بالأمة الاسلامية واحيائها ، مع أنه فن مرغوب فيه يؤثر في القلوب أكثر . ونظرا لما آل اليهم أمر المسلمين في الهند قام حالي بهذا الواجب ، والحق أنه نجح فيه نجاحا كبيرا قلما يكون له نظير في الشعر الأردى ، كما سنتحدث عن ذلك فيما بعد .

وهكذا ترك حالي ميدان الغزل بتوجيه من السيد أحمد خان ، واتجه الى الشعر الهادف ، ونظم الموضوعات الدينية والاجتماعية ، وأصبح شاعرا اسلاميا يوجه أبناء الهند بصفة عامة والمسلمين منهم بصفة خاصة الى الاهداف النبيلة والمطالب السامية ، ويدعوهم الى الحركة والنشاط والعمل واصلاح المجتمع والتمسك بالأخلاق الفاضلة ، وقد بقي على ذلك الى آخر حياته .

وهنا لا بد لنا أن نشير الى تأثره بالشاعر "غالب" و"شيفته" في أثناء إقامته بدلهي ، كما صرح بذلك في ترجمة حياته (٢) حيث يصرح باستفادته منهما ، ويقول عن الثاني انه كان لا يحب المبالغة ، ويدعو الى تصوير الواقع بأسلوب جميل ، وكلاهما كان يكره استعمال الكلمات المبتذلة والتعابير السطحية والأفكار المادية .

لقد سلك حالي هذا المسلك في جميع ما نظمه من شعر ، حتى ان غزلياته في المرحلة الأولى من حياته تختلف عن غزليات الآخرين (٣) ، ولا أثر فيها للمبالغة والكذب أو الاغراق في الخيال .

---

(١) حالي : مسدس مد وجزر اسلام ص ٥ - ٨ .

(٢) حالي : كليات نثر حالي ١/٣٣٨ .

(٣) انظر : ظفر اديب : دوعالي ص ١٠٠ ، ١٠٣ .

وما ساعد على استمراره على هذا المنهج أنه في أثناء اقامته بلاهور اطلع على الأدب الانجليزي المترجم ،وانتظم مع حركة الشعر الحديث التي نشأت تحت اشراف "انجمن بنجاب" (نادى بنجاب الأدبي) ، حيث كانت تعقد أمسيات شعرية ،ويُحدَّد فيها موضوع معين بدلاً من قافية ،وكان ذلك اتجاها جديدا في هذا الميدان (١) . وقد أنشد فيها حالي أربع قصائد في فن "المثنوى" يبدو فيها أنه بدأ يترك الأسلوب القديم ويختار أسلوبا جديدا في شعره ،وكانت هذه نقطة تحول في حياة حالى الأدبية، وسنعرض لهذه القصائد فيما بعد ان شاء الله .

أثّرت كل هذه العوامل في شعر حالي ،فنجده يختلف من حيث الشكل والمضمون في مراحل حياته المختلفة ،ابتداء من غزلياته وقصائده في المدح وشعر المناسبات الى شعر الطبيعة والرثاء وقصائده في الموضوعات الدينية والاجتماعية والتعليمية والخلقية ، بالاضافة الى شعر الأطفال والدفاع عن حقوق المرأة وغير ذلك . ولم يقتصر على نظم الشعر بالأردية وحدها ، فقد نظم قصائد كثيرة بالفارسية وأخرى بالعربية ،مما يدل على عنايته باللغتين وتمكنه فيهما .

ومما يدل على أهمية شعره الأردى أنه تُرجِم الى عدة لغات عالمية ومحلية ، وقصيدته " مسدس مدوجزر اسلام " وحدها ترجمت الى الانجليزية والروسية ، والبشتو ،وعدد من اللغات المحلية مثل الهندية والبنغالية والبنجابية وغيرها . وهناك قصائد أخرى ترجمت الى بعض اللغات ،كما قام بترجمة رباعياته الى الانجليزية أحد الانجليز (G.E.Ward) (٢) .

أما متن شعره فقد نشر حالي في حياته مجموعتين منه بعنوان "مجموعة نظم حالى " (١٨٩٠م)و "ديوان حالى " (١٨٩٣م)، بالاضافة الى قصيدته

---

(١) انظر : Malik Ram , Hali . pp. 20-22 .

(٢) نشرها بعنوان (The Quartrain of Hali.) في اكسفورد ١٩٠٤م.

الشهيرة "مسدس مد وجزر اسلام" (١٨٧٩م) وبعض القصائد الأخرى التي طبعت مفردة واشتهرت ،وهي : "مناجات بيوه" (رحلة أوربة ١٨٨٤م) و "حقوق أولاد" (حقوق الأولاد ١٨٨٨م) و "شكوة هند" (شكوى الهند ١٨٨٨م) . أما قصائده التي نظمها منذ عام ١٨٩٢ الى وفاته عام ١٩١٤ م فقد نشرت مستقلة ،وكان حالي قد بدأ بجمعها قبل وفاته ،ولكن لم يُنشَر في حياته الا ملحق بديوانه الأردي يحتوي على شعره الفارسي والعربي ونشره باللغتين بعنوان "ضميمة اردو كليات نظم حالي" (١٩١٤م) . وبقي شعره الأردي المنظوم في هذه الفترة غير مدون ،حتى نشره اسماعيل پاني پتي بعنوان "جواهرات حالي" (١٩٢٢م)، ثم قام بترتيب شعره حسب الموضوعات ونَشر منه مجلدين بعنوان "كليات نظم حالي" (١٩٢٩م)، الا أنه لم يستوعب جميع شعره . ثم قام افتخار أحمد صديقي بتدوين شعره في مجموعتين ،ونشرهما بعنوان "كليات نظم حالي" (١٩٦٨م ، ١٩٧٠م)، جمع فيه كل ما نظمه حالي بالأردية والعربية والفارسية ،وقسمه حسب الموضوعات . وقد اعتمدتُ عليه في دراستي ،لأنه أوثق مجموعة لشعره على ما أرى (١) .

وقد قسمتُ الكلام على شعره إلى أربعة فصول ،الأول : في الأنواع الشعرية ،والثاني : في الموضوعات ،والثالث : في الظواهر الفنية ،والرابع : في قصيدته "مسدس مد وجزر اسلام" .

---

(١) لم أذكر هنا بعض المجاميع الأخرى التي طبعت مثل : "رباعيات حالي" و "قطعات حالي" و "مثنويات حالي" و "بنج كنج حالي" ،فانها أقسام مختلفة من "الديوان" أو "الكليات" .

الفصل الأول

الأنواع الشعرية

نقصد بالأنواع الشعرية تلك الأنماط أو القوالب أو الضروب التي صيغت فيها الأشعار ،وهذه الأنماط والقوالب تتنوع في الشعر الأردى تنوعا لا نصادفه في الشعر العربي ،فالشعر العربي القديم لا نكاد نعرف من أنماطه الأصيلة غير "القصائد" و "الأراجيز" ،أما ما ينسب الى امرئ القيس من "المسمط" الذى له نظام خاص في القوافي فالراجح أنه من وضع بعض المتأخرين (١) . وهناك ضروب أخرى بدأ ظهورها في نهاية القرن الثاني الهجرى ، فظهر "المزدوج" مع أبان ابن عبد الحميد اللاحقي (ت ٢٠٠هـ) ،وظهر "الموشح" في القرن الثالث في الأندلس والمشرق مع مقدم بن معافى القبرى وابن المعتز (ت ٢٩٦هـ) ،كماظهر "المشطر" و "المربع" ،و "المخمس" فيما بعد (٢) ، الا أن "القصيدة" في صورتها القديمة لا زالت أشيع الضروب وأكثرها استعمالا في الشعر العربي حتى العصر الحاضر ، وظل الشعراء ينظمون على ذلك النظام المألوف لا يكادون يحيدون عنه ،اللهم الا في الشعر "المرسل" والشعر "الحر" والشعر "المنثور" في العصر الحديث .

أما الشعر الأردى ففنونه كثيرة ومتنوعة ،اقترن ظهور معظمها بنشأته ،وظل مصاحبا له حتى وقتنا هذا . وبعض هذه الفنون أصيل في الشعر الأردى ،والبعض الآخر انتقل اليه من الشعر الفارسي والعربي . واذا فتحنا ديوان أى شاعر وجدنا شعره موزعا بين هذه الفنون المختلفة ،ونصيب كل منها في الديوان الواحد يتوقف

---

(١) انظر : أبا العلاء المعرى : رسالة الغفران ص ٢١٠-٢١١ ، وابن رشيق : العمدة ١/١٧٨-١٧٩ ،وابراهيم انيس : موسيقى الشعر ص ٢٠٧-٢٠٨ .

(٢) انظر : ابراهيم انيس : المصدر السابق ص ٢٠٠-٢١٤ . وقد ذكر ابن وهب الكاتب (من رجال القرن الخامس) في كتابه "البرهان في وجوه البيان" (ط. بغداد ١٩٦٠م) ص ١٦٠ أن الشعر في أيامه ينقسم الى قصيد ورجز ومسمط ومزدوج ،ووصف القصيد بأنه "أحسنها وأشبهها بمذاهب الشعر".

على مدى استعداد الشاعر وحسن أدائه لفن أو آخر من هذه الفنون . ولا شك أن هذا التعدد والتنوع في فنون الشعر الأردى قد أكسبه كثيرا من الروعة والجمال ، وجعل دارس هذا الشعر وقارئه في مأمن من السأم والملل ، لأنه يجد نفسه أمام مجموعة من الفنون الشعرية يمكنه أن يختار منها ما يلائم طبعه ويوافق ذوقه ويرضى مشاعره .

واذا نظرنا في ديوان الشاعر حالى من هذه الجهة وجدنا أنه نظم شعره في عشرة فنون . وسنتحدث عنها فيما يلي ، وندرس شعره في كل فن منها ، ونبين التأثير العربي والفارسي فيه من حيث الشكل بغض النظر عن المضمون الذى خصصنا لدراسته فصلا فيمابعد .

(١) القصيدة :

" القصيدة " من الناحية الفنية : عبارة عن شعر منظوم في عدد من الأبيات ذات القافية الواحدة ، يشتمل كل بيت منها على شطرين تامين متساويين ، ويكون مطلعها مُصرَّعا أى موحَّد القافية في مصراعين ، وتكون جميع أبياتها على وزن واحد ، وتنتهي القصيدة بالبيت الأخير الذى يسمى " بيت مقطع " أى بيت المقطع . ولا تتقيد بوزن من الأوزان أو بحر من البحور يختاره الشاعر وفقا لطبيعته ومقدار ما يراه من مناسبة هذا البحر للغرض الذى يتناوله (١) .

وقد انتقل هذا الفن من الشعر العربي الى الشعر الأردى بواسطة الشعر الفارسي ، واختلف مفهومها في الأردية عن القصيدة العربية قليلا ، حيث انها اختصت بالمدح والهجاء بعدما كانت عامة في جميع الأغراض ، واستقلت حسب هذا

---

(١) انظر : شميم أحمد : أصناف سخن اورشعرى هيئتين ص ٤٢-٤٤ ، درس بلاغت ص ١٢٢-١٢٣ ، محمود الهى : اردو قصيدة لكارى كانتقيدى جائزه ص٢٧-٦٥ (ط. لكهنو ١٩٨٣م) ، جلال الدين احمد جعفرى : تاريخ قصائد اردو ص١١ ، افتخار احمد صديقي : اردو دائرة معارف اسلاميه ١٦/٢/٣١٣-٣١٦ ، عبد السلام ندوى : شعر الهند ٢/١١١-١٢٧ (ط. اعظم كره ١٩٥٤م) .

المصطلح عن "الغزل" و "الرثاء" وغيرهما ،حيث لا تطلق "القصيدة" على هذه المنظومات الشعرية ، كما أنها تختلف عن "المثنوى" و "الرباعي" وغيرهما من الفنون الشعرية . وعلى الرغم من اختصاصها بالمدح والهجاء غالبا فنحن لا نعدم في الشعر الأردى قصائد الحكمة والأخلاق والفلسفة والوصف والمناظرة بين شيئين ، الا أنها قليلة جدا اذا قسناها بقصائد المدح والهجاء.

ومعظم قصائد المدح في الأردية تشبه المدائح العربية ،حيث إنها تحتوى على التشبيب والانتقال والمدح والطلب (١) ، فهي تبدأ بجملة أبيات يكون موضوعها في الغالب التشبيب أو النسيب أو وصف الحبيب ،وذلك لتشويق السامع ، فاذا ما أحس الشاعر بأن السامع قد أصغى اليه انتقل الى موضوعه الأصلى ببعض الأبيات ، ثم يأخذ بعده في اطراء ممدوحه بمختلف النعوت والأوصاف ،فاذا ما استوفى الغرض وكانت له حاجة لدى الممدوح عرضها عليه في لطف في بيت من الأبيات الأخيرة يسمى "بيت طلب" ،ويختم القصيدة بالدعاء غالبا .

وبعد النظر في ديوان حالى يبدو لنا أنه لم يكن شاعر الهجاء ،ولم يكثر من المدح ، ولذلك نجد شعره في فن "القصيدة" قليلا جدا بمقابل الفنون الأخرى ، اذ ان عدد هذه القصائد ١٣ قصيدة فقط (٢) ،ثنتان منها في مدح النبي صلى الله عليه وسلم (٣) ،وواحدة في مدح السيد أحمد خان (٤) ،وأخرى في مدح النواب كلب على خان (٥) ، وواحدة في وصف أحوال المسلمين بصورة خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم (٦) . والباقي في مناسبات مختلفة . وتسترعي انتباهنا

---

(١) انظر: دروس بلاغت ص ١٣٤- ١٣٦ .

(٢) انظر: كليات نظم حالى ١/ ٢٥٥-٢٨٦ ، ٣٥٦ ، ٢/ ١٧٧ ، ٢٤٥ ، ٣٣٤ ، ٣٤٦ .

(٣) المصدر نفسه ١/ ٢٥٥ ، ٢٥٨ .

(٤) المصدر نفسه ١/ ٢٦٨ .

(٥) المصدر نفسه ١/ ٢٦٥ .

(٦) المصدر نفسه ٢/ ١٧٧ .

القصيدة الثانية في مدح النبي صلى الله عليه وسلم حيث يبدوء ها الشاعر بذكر الحبيب والاعتزاز بنفسه فيقول :

میں بھی ہوں حسنِ طبع پر مغرور مجھ سے اٹھیں گے ان کے ناز ضرور (١)

(الترجمة: أنا معتز بنفسي وفخور بطبعي ،وسأتحمل كل عناء في سبيل الحب اذا واجهتني الحبيبة بالتدلل) .

ثم يصف نفسه بمجموعة من الصفات ،ويذكر أنه غريب في هذه الديار ، لا يعرف أحد قدره فيها ،ولو ولد في زمن المتنبي والشعراء الآخرين لأنزلوه المنزلة اللائقة به ،أما الآن فلا يعرف أحد قيمة الشعر :

کاش اس عہد میں مجھے پاتے تھا سخن جب کہ قبلۂ جمہور

کاش وان دیکھتے مجھے کہ جہاں متنبی تھا مادحِ کافور

(الترجمة : ليتك وجدتني في ذلك العصر الذى كان الشعر فيه قبلة للجمهور يتجهون اليها في كل شأن ،ليتك رأيتنى في البلاط الذى كان يمدح فيه المتنبي كافورا) .

وهكذا يستمر في الفخر الى أن يقول :

لوں ملائك سے دادِ حسنِ کلام گر لکھوں نعتِ سرورِ جمہور

(الترجمة : أنال إعجاب الملائكة وتقديرهم لشعرى اذا نظمتُ في مدح النبي الهادى الامام) .

ثم يمدح النبي صلى الله عليه وسلم بأبيات عدة حتى يقول :

ہو سکے اس کی خوبیوں کا شمار نعمتیں حق کی ہوں اگر محصور

اے ترا نام عرش پر مسطور اے ترا یہ فہم سے برتر

(الترجمة : لا يمكن أن نعد محاسنه وفضائله حتى يمكن احصاء نعم الله علينا ، يا من تعجز الأفهام عن ادراك منزلته ،ويامن اسمه مسطور على العرش) .

وينهى القصيدة بالدعاء لنفسه بالصلاح والتقوى .

---

(١)

هذه القصيدة نموذج للطريقة التقليدية في المدائح النبوية ، الا أن حالى لم يستمر على هذه الطريقة ،فكثيرا ما يدخل في موضوع المدح بدون أن يمهد له بالغزل أو التشبيب أو الوصف ،ومن أمثلة ذلك قصيدتاه في مدح السيد أحمد خان ومدح النواب كلب على خان (١) ،حيث دخل في المدح مباشرة بدون أن يمهد له . وهكذا الشأن في شعره في المناسبات (٢) . وهناك قصيدة أخرى بدأها بوصف الشباب وذكرياته ،الا أنه لم يتمها (٣) . أما قصيدته في وصف أحوال المسلمين بصورة خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم فستتكلم عليها في الحديث عن شعره الاسلامي ،لأنه تناول فيها موضوعات مختلفة تتصل بالتاريخ والعقيدة والأخلاق وزوال المسلمين وانحطاطهم في العصر الحاضر .

وبالجملة فشعر حالى في فن "القصيدة" قليل ،لأن طبعه كان نفورا من المبالغة والكذب واصطناع المواطف في المدح والهجاء ،ومع ذلك فمدائحه للنبي صلى الله عليه وسلم وللآخرين تدل على أنه لم يرفض هذا الفن تماما ،وانما أجرى فيه بعض التعديلات التي تناسب ذوقه وطبعه .

(٢) المثنوى :

"المثنوى" شعر يشتمل كل بيت منه على مصراعين متفقين في القافية والروى ، وتتغير القافية في كل بيت من أبياته (٤) ،ويمكن أن نصور نظام القوافي فيه كمايلي :

أ أ / ب ب / ج ج / د د .....

ويذهب معظم الباحثين الى أن هذا الضرب من النظم فارسي الأصل ،يقول براون : " وهذا الضرب فارسي النشأة لم تعرفه الأشعار العربية القديمة ،وان كان بعض الشعراء الذين كانوا من أهل فارس قد استخدموه في نظم الأشعار المتأخرة التي عرفت باسم "المزدوج" منذ نهاية القرن العاشر

---

(١) المصدر نفسه ١/ ٢٦٨، ٢٦٥.

(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٧٠، ٢٧٢، ٢٧٦، ٢٨٢. (٣) المصدر نفسه ٢/ ٣٢٤.

(٤) انظر: شميم أحمد : اصناف سخن ص ٢٨-٤٣ ،عبد السلام الندوى : شعر الهند ٢/ ١٨٠-١٩٧.

الميلادى"(١) .

ويقول آخرون : ان العرب عرفوا المزدوج ،وأول من نظم فيه بشار بن برد وأبو العتاهية ، ثم تتابع عليه الشعراء ،وقد وجدوه أليق بنظم القصص الطويلة والحكم والأمثال ،وما يراد نظمه في مسائل العلوم ، ذلك لأن الناظم يستطيع أن ينظم منه آلافا من الأبيات دون أن يصيبه جهد أو عنت ، ودون أن يتعثر في التعبير عن معانيه . وهناك مزدوجات كثيرة في الشعر العربي ،منها الأرجوزة المزدوجة المسماة بذات الأمثال لأبي العتاهية ،ونَظْم "كليلة ودمنة" لأبان بن عبد الحميد اللاحقي ،ومزدوجة ابن المعتز في وصف الشراب ،ومزدوجة أبي فراس الحمداني في الصيد ،والأرجوزة المزدوجة لابن عبد ربه في غزوات عبد الناصر ، والمنظومات العلمية المختلفة : كألفية ابن مالك وغيرها (٢) . الا أنهم أهملوه اهمالا كبيرا ،ولم ينظم فيه المتأخرون الا في الموضوعات التعليمية .

وأرى أن هذه المزدوجات العربية كلها أراجيز (٣) (على وزن : مستفعلن مستفعلن مستفعلن × ٢) ،وتختلف عن الأوزان المقررة "للمثنوى" (وهي ضروب مختلفة من الرمل والخفيف والمتقارب والهزج والسريع) (٤) . ولذا فتشبيهها بالمثنوى يكون بالنظر الى نظام القافية فحسب ،بغض النظر عن الوزن .

و مهما يكن من أمر فالمثنوى أحد الفنون الشعرية الشائعة في الأدب الأردى ، وتتنوع أغراضه وموضوعاته فيه مثل الشعر الفارسي ،فهناك مثنويات تتناول أغراضا حماسية و تاريخية ،وأخرى قصصية وعاطفية ،أو تعليمية وأخلاقية ،أو تتناول أغراضا صوفية بحتة . وفي العصر الحديث نظم الشعراء في هذا الفن الشعر الاجتماعي

---

(١) براون : تاريخ الأدب في ايران ٢/ ٤٧ (ترجمة : ابراهيم أمين الشواربي ،طبعة القاهرة ١٩٥٤ (م) .

(٢) ابراهيم أنيس : موسيقى الشعر ٣٠١ ،عبد الوهاب عزام: أوزان الشعر وقوافيه (في مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول ،المجلد ١/العدد ٢/عام١٩٣٣(م) ص ١٥١ .

(٣) وقد نص ابن وهب الكاتب في "البرهان في وجوه البيان" ص ١٦٠ على أن "أكثر ما يأتي وزنه على وزن الرجز" .

(٤) انظر: شميم احمد : اصناف سخن ص ٣١-٤٠ ،وگيان چند جين : اُردُو مثنوى شمالى هند ميں ص ٦٦ .

والسياسي ،وخرج بعضهم عن أوزانه المقررة وشجّعهم النقاد على ذلك (١) .

واذا نظرنا في شعر حالي نجد أنه نظم في هذا الفن ٢١ قصيدة تختلف بعضها عن بعض في الوزن والموضوع (٢) . وقد أكثر من استخدامه في المنظومات الأخلاقية والاجتماعية ووصف الطبيعة وشعر الأطفال ،ووجده ملائما لاجراء الحوار والمناظرة بين شيئين . ومن أشهر منظوماته في هذا الفن أربع قصائد (٣) نظمها عام ١٨٧٤م ، وهي بعنوان : " برکهارت " (موسم المطر) ،و" تشاط اميد " (بشاشة الرجاء) ،و " حب وطن " (حب الوطن) ،و " مناظرهٔ رحم وانصاف " (حوار بين العفو والعدل) . وتعد هذه القصائد بداية للشعر الأردي الحديث. وهي كما نرى تختلف في الموضوع ،فالأولى في وصف المطر وتوابعه ،والثانية في الحديث عن الرجاء وأثره في النفس ،والثالثة عن حب الوطن ،والرابعة أدار فيها الحوار بين العفو والعدل . وسنتكلم عليها في الفصل الثاني من هذا الباب ،حيث نتناول فيه موضوعات الشعر .

أما قصيدته " مناجات بيوه " (٤) (دعاء أرملة) التي نظمها عام ١٨٨٤ م فهي بحق أجود منظوماته الاجتماعية في هذا الفن . وقد وصف فيها امرأة يتوفى عنها زوجها وتعاني من المشاكل في المجتمع ما لا تطيق أن تتحملها ، فتضرع الى الله سبحانه وتعالى وتناديه للخروج من المأزق . نظمها حالي على لسان المرأة ،وصور عواطفها ومشاعرها ببراعة فائقة . وهي احدى قصائده الشهيرة التي نالت قبولا ورواجا في الأوساط الهندية ،وترجمت الى عدة لغات محلية ،وكان لها تأثير كبير في اصلاح شأن المرأة واعطائها تلك الحقوق التي كانت مُنِعت منها في

---

(١) گيان چند : المصدر السابق ٦٨ ،وحيد الدين سليم : اقادات سليم ص ٢١٤ ، شمس الرحمن فاروقي : درس بلاغت ص ١١٧ .

(٢) انظر: كليات نظم حالي ١/ ٣٦٥ - ٥٠٨ ، ٥١٣ ، ٥١٦ ، ٥١٩ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٥/ ٢ ، ٢٥٥ ، ٣٣٥ .

(٣) المصدر نفسه ١/ ٣٧١ ، ٣٨٤ ، ٣٩١ ، ٤١١ .

(٤) المصدر نفسه ٢/ ٥ .

المجتمع الهندوسي ،حيث كان يفرض عليها هذا المجتمع أن تبقى طول حياتها أرملة لا تتزوج . و هذه المنظومة طويلة جدا ،ولكنها مع طولها لم تفقد التأثير ، ولعل سر نجاحها أنها نظمت في فن "المثنوى" الذى تتغير فيه القافية في كل بيت . وسنعرض بعض النماذج منها و نحللها فيما بعد .

وهناك بعض المنظومات الأخرى له في هذا الفن معظمها تعليمية وأخلاقية ، كان يقصد بها الدعوة الى مكارم الأخلاق ،وتربية الأطفال تربية صحيحة ، وارشاد المجتمع بصفة عامة والشباب بصفة خاصة الى ما فيه الخير والصلاح . ولا نجد عند حالى منظومات ملحمية و تاريخية أو قصصية وعاطفية في هذا الفن ،وانما اختار فن "المسدس" للموضوعات التاريخية ،وفن "الغزل" للموضوعات العاطفية كما نلاحظ ذلك فيما يلي .

(٣) الغـــزل :

الغزل كغرض أو موضوع : نوع من أنواع الشعر الغنائي يصور الجانب العاطفي الانساني و يتغنى بالمحبة انسانية كانت أو الهية ،و هذا معروف في الشعر العربي . وقد انتقل منه الى الأدبين الفارسي والاردى .

أما اصطلاح "الغزل" كفن فهو يعني قالبا معينا أو ضربا من ضروب النظم ابتكره شعراء الفرس ،وقلدهم شعراء الأردية ونظموا فيه أشعارا كثيرة ربما تزيد على أشعار الفنون الأخرى . وهو من حيث الشكل مثل القصيدة ذات القافية الواحدة ، الا أنه يكون منظومة قصيرة يتراوح عدد أبياتها بين سبعة أبيات وخمسة عشر بيتا ، وقد تنقص أو تزيد عن ذلك قليلا . وكما يختلف "الغزل" عن "القصيدة" في عدد الأبيات ،فكذلك يختلف عنها في أن كل بيت من أبياته يكون مستقلا قائما بذاته ،ولا يلزم أن تكون له علاقة بما قبله أو بعده (١) ، على عكس "القصيدة"

---

(١) انظر: وزير آغا : اردو شاعرى كا مزاج ص ٢٠٣ .

فان الأبيات فيها تكون مترابطة و متسلسلة . وغالبا ما يكون مطلع "الغزل" مصرّعا من القصيدة ،وينتهي عادة بأن يذكر الشاعر لقبه الشعري في البيت الأخير أو السابق عليه ، وهو ما يعرف في الأردية "بالتخلص".

هذا من حيث الشكل العام ،أما من حيث الموضوع فالغزل الأردى مثل الغزل الفارسي لا يتقيد بموضوع الحب والعشق (١) ، بل يشمل جميع الأغراض ويحتوى على مختلف الموضوعات والأفكار ، بشرط أن يحوّلها الشاعر الى تجربة داخلية ، و يعبر عنها كأنها جزء من كيانه الشخصي .

ولعل ما ذكرنا فوق يوضح لنا الفرق بين مفهوم "الغزل" في الشعر العربي والشعر الأردى ، فان "الغزل" في الشعر العربي ليس الا غرضا من الأغراض ، بينما هو في الشعر الأردى فن من الفنون لا يختص بغرض الحب والعشق ،وله قيود وحدود لا بد أن يتصف بها . وهو على هذا فن مستقل عن "القصيدة" ولا يجوز أن يخلط بينهما . وقد قيل ان مقدمات "القصائد" هي التي انفصلت عنها وتطورت حتى أصبحت فنا مستقلا يدعى "بالغزل" ،ولا غرابة في ذلك اذ انهما يتفقان في نظام القافية ،ولا يختصان ببحر دون بحر.

و مهما يكن من أمر فلا شك أن فن "الغزل" الأردى تأثر بالغزل الفارسي ، سواء من حيث الشكل أو المضمون . و يقتصر التأثير العربي فيه على تلك الموضوعات التي نظمها الشعراء متأثرين بشعر الحب والغزل عند العرب ،وتلك الأساليب والتعابير العربية التي استخدمها بعضهم أثناء غزلياتهم .

كان شاعرنا حالى في أول حياته شاعر "الغزل" ، وقد أكثر من النظم في هذا الفن ،حتى بلغت غزلياته القديمة والجديدة في ديوانه ١٢٢ غزلية (٢) ، وسنتكلم على موضوعاتها فيما بعد ،أما أسلوبها فيختلف بين غزلية وأخرى ،

---

(١) شميم أحمد : اصناف سخن ص ٦١ .

(٢) انظر : كليات نظم حالى ١/ ٥٥ - ١٧٠ .

ونلاحظ الفرق بين ما نظمها في أول حياته ، وما نظمها في آخرها ، حيث يميل في الأولى الى اختيار الكلمات الفصحة متأثرا في ذلك بطريقة الغزل الفارسي . أما الغزليات الجديدة فهي تمتاز بالرقة والعذوبة والسهولة ، ونلاحظ فيها تأثرا شديدا بالأساليب العربية . لننظر مثلا الى غزلية في قافية الضاد (وهي بدورها تشير الى عنايته باستخدام التعابير العربية) وهي قصيدة غريبة أشار اليها حالى أيضا في خاتمتها فقال :

ايسى غزليں سنى نه تهيں حالى يه نكالى كهاں تم نے بياض (١)

(الترجمة : يا حالى ، لم نسمع مثل هذه الغزليات من قبل ، من أين استخرجتَ هذا الدفتر اليوم ؟) .

نجد فيها بعض الأبيات العربية والملمّعة (من الأردية والعربية) ،مثل قوله :

- لا أبالى بأن يُعاتِبَنى كلُّ ناسٍ ،وأنتَ عنى راض
- هے فقيهوں ميں اورهم ميں نزاع هل لنا في نزاعنا مِن قاض

(الترجمة : حصل بيننا وبين الفقهاء نزاع ،فهل لنا .....)

وقوافي هذه الغزلية (اعراض / اغماض / أغراض / أمراض / قاض / راض / فياض / نباض / مقراض / مرتاض / اعراض / بياض)

كلها كلمات عربية خالصة .

وهناك قصيدة أخرى في فن "الغزل" موضوعها مدح النبي صلى الله عليه وسلم ، بدأها بقوله :

يا مَلَكيَّ الصفاتْ ، يا بشريَّ القُوى فيك دليلٌ على أنك خيرُ الوَرى (٢)

ونجد بعده بيتا ملمّعا :

تجھ سے ہوئى زنده خلق ،جيسے كه بارانسے خاك

خَلْقُك خِصْبُ الزمانْ ، بَعْثُك مَحيا الوَرى

(الترجمة : يحيا بك الخلق كما تحيا الأرض بالمطر ، .....)

---

(١) انظر : كليات نظم حالى ١/١٢٩ . (٢) المصدر نفسه ١/٨٩ .

وهكذا يمضي في المدح فيذكر أن الله تعالى أرسله الى العالم عندما ضلت قافلة البشر الطريقَ في الصحراء . وقد أشار الى قصة رضاعته في بني سعد ،وقيامه برعي الغنم فيها ، ثم جهره بالدعوة أمام قريش ،وتـأثير دعوته في جزيرة العـرب وخارجها حيث انطفأت الأنوار في الصوامع والكنائس ومعابد المجوس . يصف كـل ذلك في أبيات رائعة فيقول :

دير هوئے بے چراغ اورصلوة بيهود　　شرك هوا مضمحل اوركهانت هبـا

بجھ گئے آتش كدے بيٹھ گئے بت كدے　　هو گئى تثليث مات اورثنويت فنـا

(الترجمة : انطفأت أنوار الأديرة والصوامع ،وبطل الشرك ،وأصبحت الكهانة هباء ، وخفتت نار المجوس في معابدهم ،وانهدمت أماكن العبادة ،وانهزم التثليث،وفنيت الثنوية) .

وذكر أيضا بعضَ المتنبئين الكاذبين مثل الأسود العنسى ومسيلمة وسجاح ، وقال انهم أصبحوا مضرب المثل في الكذب ،فالنبوة قد ختمت بخاتم الرسل ،ولـم تبق هناك حاجة الى نبي جديد ،فان البئر التي كان يحفرها كل نبي قد تـم حفرها، وجرى المياه من منابعها ، ولا تنضب الى يوم القيامة . وختم القصيدة بالسلام على النبي صلى الله عليه وسلم والدعاء بأن تنزل عليه الصلاة والرحمة ليل نهار وصباح مساء عدد الرمل والحصى .

لا يخفى علينا أن كل الصور الموجودة في هذه القصيدة مأخوذة من البيئة العربية ، فهو يذكر الصحراء والقافلة والبئر و رعي الغنم ،ويشير الى الكثرة بعدد الرمل والحصى كما نجد ذلك شائعا عند الشعراء العرب ، هذا عمر بن أبي ربيعة يقول في بيت مشهور له :

ثم قالوا : تُحِبُّها ؟ قلت : بَهْرًا　　عدد النجم والحصى والتـراب (١)

---

(١) ديوانه ص ٦٠ (ط. بيروت ١٩٦٦م) .

وقد أشار حالي الى بعض الشخصيات التاريخية التي ادعت النبوة وأصبحت مضرب المثل في الكذب . كل هذه الأمور تدل على عنايته بالثقافة العربية والتاريخ الاسلامي في القرون الأولى . وتكاد تكون هذه الاشارات التاريخية موجودة في معظم غزلياته في الديوان ،ويكون احصاء هذه المواضع من باب تحصيل الحاصل . ويكفي أن نلقي نظرة سريعة فنجد أسماء يعقوب ويوسف وزليخا والخضر والمجنون والاشارة الى القصص المتعلقة بهم في مواضع عديدة (١) ،واذا وصف حاضرَ المسلمين فهو دائما يقارن بينه وبين الماضي ،ويستوحي كثيرا من الأحداث والوقائع التاريخية ،ويذكر المدن التي كانت تمتاز في العلوم والفنون والصناعات. وقد ذكر في غزلية له بلاد اليمن فقال :

وہ دن گئے کہ حکمت تھی مستند یمن کی ۔۔۔ ہے اب بجائے حکمت خاک اڑ رہی یمن میں

وہ دن گئے کہ موتی مشہور تھے عدن کے ۔۔۔ ہے کال موتیوں کا اب سر بسر عدن میں (٢)

(الترجمة : ذهبت تلك الأيام التي كانت الحكمة فيها يمانية ،أما الآن فيتطاير الغبار في اليمن بدلا من الحكمة . وذهبت تلك الأيام التي كانت عدن مشهورة فيها باستخراج اللآلئ والأحجار الكريمة ،أما الآن فلا وجود لها فيها) .

وهو هنا يشير الى الحديث المشهور " الايمان يمان والحكمة يمانية " ،ويذكر فقدان المسلمين شوكتهم وقوتهم بصورة تمثيلية تزيد في التأثير .

وهكذا نجد غزلياته في مختلف الموضوعات من مدح ووصف ورثاء وغيرها ، ولم تقتصر على موضوع الحب والعشق . وقد استطاع أن يستلهم التراث العربي والتاريخ الاسلامي ،ويستفيد منهما في ابراز الصورة وزيادة التأثير ،ونجح في ذلك نجاحا كبيرا لأنه كان مطلعا على التراث العربي ،ودرس الأدب العربي والتاريخ الاسلامي في المصادر الأصيلة . وهذا ما يميزه من بين شعراء الأردية الآخرين ، اذ أن معظمهم لم يكن لهم الاطلاع المباشر على الأدب العربي .

---

(١) كليات نظم حالي ١/ ٦٩، ٩٢ . (٢) انظر: كليات نظم حالي ١/ ١٤٥ .

(٤) الرباعـــي :

الرباعي في الاصطلاح : وحدة شعرية ذات أربعة مصاريع يراعى في الأول والثاني والرابع منها قافية واحدة ، وربما يتفق المصراع الثالث أيضا مع المصاريع الأخرى في القافية ،الا أن ذلك ليس شرطا (١) . وكل رباعي يكون عملا فنيا مستقلا على شكل قصيدة مصغرة ،ويشترط فيه الترابط بين الأشطار الأربعة وارتقاء الافكار والمعاني فيها حتى تكتمل الفكرة أو الخاطرة في الشطر الرابع والأخير .

والرباعي فن من فنون الشعر الفارسي ،ومنه انتقل الى الشعر العربي وسمي " الدوبيت " كما انتقل الى الشعر الأردى والتركى وغيرهما . وله أوزان مخصوصة تبلغ ٢٤ وزنا ،كلها مستخرجة من بحر الهزج (٢) . وهي تختلف عن الأوزان العربية المألوفة لأن الفرس استعملوا في هذا البحر من الزحاف ما لم يعرف في الشعر العربي القديم . ومعظم هذه الأوزان تستخرج من التقلبات المختلفة لـ : " مفعولُ مفاعيلُ مفاعيلن فَاعْ " (= لا حول ولا قوة الا بالله) . وأكثر الرباعيات في الشعر الفارسي والأردى على هذا النحو . ولم يخالف الشعراء أوزانه المعروفة الا نادرا (٣) . وقد فرق بعض الأدباء بين " الرباعي " و " الدوبيت " ،فاطلقوا " الرباعي " على ما كان على وزن من أوزانه الأربعة والعشرين ، وسموا ماخالفها " بالدوبيت " (٤) .

---

(١) انظر: شميم احمد : اصناف سخن ص ٦٩ ، ٧٠ ، هنرى ماسه ووقار عظيم : اردو دائرة معارف اسلامية ١٠/ ١٦١-١٦٨ ،امداد امام اثر : كاشف الحقائق ص ٢٨٦ - ٢٩٩ (ط٠لاهور ١٩٥٦م) ، عبد القادر سرورى : جديد اردو شاعرى ص ٢٣٩-٢٤١ (ط٠ لاهور ١٩٤٦م) .

(٢) انظر : شمس قيس رازى : المعجم في معايير أشعار العجم ص ٩١ (ط٠طهران ١٩٣٥م) ،وشميم أحمد : اصناف سخن ص ٧١- ٧٢ ،ودرس بلاغت ص ١٠٢ ، ودائرة المعارف الاسلامية ١٠/ ٣٠ (مقال بعنوان " رباعى ") .

(٣) انظر: جلال الدين همائي : صناعات ادبى ص ٢١٥ (طهران ١٩٦٠م) .

(٤) جلال الدين همائي : تاريخ ادبيات ايران ١/ ٧٦ (تبريز ١٣٠٨ ش) .

والرباعي من أشهر الفنون الشعرية في الأدبين الفارسي والأردى ، حتى قال شمس قيس رازى انه لم يظهر وزن في الأوزان المبتدعة ولا شعر من الأشعار المخترعة مما أُحدِث بعد الخليل أقرب الى القلب ولا أنور في الطبع من الرباعي (١) . وقد اشتهر كثير من الشعراء في هذا الفن ، نذكر منهم عمر الخيام (ت قبل ٥٢٠هـ) وبابا طاهر عريان (ت ٤٤٧هـ) .

و قد انتقل هذا الفن الى الأدب العربي أيضا ،وكان ذلك شائعا في القرن الرابع ،وكان له تأثير سيء في المجتمع لاشتماله على بعض العناصر التي تستهوى قلوب ربات الخدور ،ولذلك اعتبر الجوهرى (ت بعد ٣٩٣هـ) إقبال الناس على "الدوبيت" مفسدة ،وعد ظهوره من أشراط الساعة باعتباره هو وكلمة "العتاة" الواردة في الحديث النبوى بمعنى واحد (٢) . وقد ضاعت أوائل الرباعيات العربية ، وأقدم ما وصل الينا من النماذج في هذا الفن ترجع الى القرن الخامس الهجرى (٣) . وقد جمع أحد الباحثين المعاصرين كل ما عثر عليه من الدوبيت في الشعر العربي خلال عشرة قرون (٤) ،وذكر أن هذا الفن لا زال معروفا الى اليوم في الكويت والبحرين وعُمان ،وينظم كثير من الشعراء على وزنه أغانيهم وأشعارهم (٥) . أما ما نجد عند بعض الشعراء المعاصرين (مثل : محمد حسن فقى في السعودية) أنهم ينظمون بعض أشعارهم في أربعة أبيات ويسمونها "رباعيات" ،فهي تختلف عن مصطلح "الرباعي" الذى يحتوى على بيتين (أو أربعة أشطار) لا أربعة أبيات .

---

(١) انظر: المعجم في معايير أشعار العجم ص ٨٥ .

(٢) الجوهرى : الصحاح (ثنى) ٦/٢٢٩٢ . وانظر : مصطفى جواد : "الرباعيات في الأدب العربي" (في مجلة "الغرى" العراقية ،العدد ١٥ في ٢٧/٦/١٩٤٤ ص ٨٧٩ - ٨٨٢) ،و"الرباعيات والمثنيات" (في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٤٤/٩٨٢ ، عدد تشرين الأول ١٩٦٩م) .

(٣) ليس صحيحا ما ذكره الدكتور عبد الوهاب عزام في مقاله "أوزان الشعر وقوافيه" المنشور في مجلة كلية الآداب ،جامعة فؤاد الأول عام ١٩٣٣) ص ١٥٢ أن اقدم ما عرف من الرباعيات في العربية ما جاء في ديوان عمر بن الفارض (ت ٦٣٢هـ) . فقد وصلتنا نماذج كثيرة من القرن الخامس والسادس .

(٤) كامل الشبيبي : ديوان الدوبيت في الشعر العربي في عشرة قرون (ط . بيروت ١٩٧٢) .

(٥) المصدر السابق ص ١٣ ،وممدوح حقي : العروض الواضح ص ١١٦ (ط . دمشق ١٩٥٦م) .

وما دام أنه كان هناك تراث شعري ضخم في هذا الفن ،وهو من الفنون الشائعة في الأدب الأردي ،فلا غرابة أن ينظم شاعرنا حالي مجموعة كبيرة من "الرباعي" بلغ عددها ١٦٠ رباعيا (١) ،وهي من الناحية الفنية تعد أجود الرباعيات الأردية بعد رباعيات الشاعر أنيس (٢) . وقد ترجمت الى الانجليزية نثرا (٣) ،وطبعت طبعات كثيرة مستقلة أو ضمن الديوان . وهذا يدل على ذيوعها وانتشارها ورواجها في الهند وخارجها .

أما الأغراض التي نظم فيها حالي هذه الرباعيات فهي كثيرة ومتنوعة ،بعضها في تمجيد الله تعالى ،وأخرى في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ،وكثير منها في الحكمة والأخلاق والرثاء والنقد الاجتماعي والسياسي ووصف الحياة الدنيا ومشاكلها ، والحث على العمل ،والترغيب في العلم . ويمزجها أحيانا بشيء من المزاح . وتمتاز بالبساطة الشديدة من حيث سهولة ألفاظها ،وقرب معانيها وخلوها من التكلف والصناعة . وقد تأثر حالي في كثير من هذه الرباعيات بمعاني القرآن الكريم ، وأشار الى بعض القصص الواردة فيه مثل قصة نوح وصُنْعه السفينة للنجاة من الطوفان ،استوحاها للدلالة على أنه لا بد من العمل أولا ثم الدعاء . يقول :

کوشش مین ہے شرط ابتدا انسان سے پھر چاہیے مانگنی مدد یزدان سے
جب تک کہ نہ کام دست وبازو سے لیا پائی نہ نجات نوح نے طوفان سے (٤)

(الترجمة : المطلوب من الانسان أولا أن يعمل ،ثم يدعو الله ويستعينه . وقد عرفنا أن نوحا لم ينج من الطوفان حتى أعمل يده في صنع السفينة) .

ويعرض الفكرة نفسها ،ويعمقها بالاشارة الى قصة موسى ،فانه لم يصبح قائد

---

(١) كليات نظم حالي ١/٢١٦ - ٢٥٢ .
(٢) صالحة عابد حسين : يادگار حالي ص ٢٥٥ .
(٣) وهذه الترجمة بعنوان : G.E. Ward, The Quartrains of Hali, (Oxford 1904).
(٤) كليات نظم حالي : الرباعي رقم ٧٣ .

بني اسرائيل ورسولها حتى رعى الغنم في مدين :

محنت هی کے پھل هیں یاں هر اك دامن میں　　محنت هی کی برکتیں هیں هرخرمن میں

موسی کو ملی نه قوم کی چوپائی　　جب تک که نه چرائیں بکریاں مدین میں (١)

(الترجمة : كل ما تجده عند أحد فهو من ثمار عمله ،وكل ما نراه في موسم الحصاد فهو من بركات الاجتهاد . ولم يحصل موسى على قيادة قومه حتى رعى الغنم في مدين) .

وأشار الى قصة الخضر وكسره للسفينة من أجل المصلحة ،واستنبط منها أن المرشد أو الشيخ اذا أرشد الى عمل وهو في ظاهره مخالف للعقل فمع ذلك لا بد من التسليم له ،فقد تكون فيه مصلحة قد تخفى على الآخرين .

گر پیر مغاں کہے "مریزو کج دار"　　هے مصلحت اس میں کچھ نه کچھ اپنے هی خو

هوتا نه مساکین کا گر خیر اندیش　　خضر ان کا نه توڑتا سفینه زنهار (٢)

(الترجمة : اذا قال الخمار لك أيها الشارب ،لا تشرب واترك الكأس معكوسا ، فلا بد أن تكون فيه مصلحة ما . ولو لم يكن الخضر ناصحا للمساكين لم يكسر سفينتهم أبدا) .

وفي رباعياته الأخرى أشار الى قصة ابراهيم (٣) ،وقصة أخرى لموسى مع الله تعالى (٤) ، وقصة حب مجنون ليلى (٥) ،وزوال بغداد وقرطبة (٦) .

ونظم في عدد من رباعياته بعض الأحاديث والأقوال الشائعة ،وعنون لها بهذه الأحاديث والأقوال ، مثل : " أعمالكم عمالكم "(٧) ،و " تخلقوا بأخلاق الله "(٨) ،

---

(١) المصدر نفسه رقم ٦٨ .　　(٢) المصدر نفسه رقم ١٣٢ .

(٣) المصدر نفسه رقم ١٠٩ .　　(٤) المصدر نفسه رقم ٦١ .

(٥) المصدر نفسه رقم ٧١ .　　(٦) المصدر نفسه رقم ٥٤ .

(٧) المصدر نفسه رقم ١٢٤ ، ١٢٥ .　　(٨) المصدر نفسه رقم ١٤٤ .

و "كن يدا ولا تكن لسانا "(١) . ويطول بنا الكلام لو استعرضنا مثل هذه الرباعيات التي يبدو فيها الأثر الشديد للثقافة الاسلامية والعربية. ومن المفيد أن نختار هنا بعض رباعياته في مختلف الموضوعات ونترجمها الى العربية .

* يقول في توحيد الله سبحانه وتعالى :

طوفان میں ہے جب جہاز ٹکراتا جب قافلہ وادی میں سر ٹکراتا
اسباب کا آسرا ہے جب اٹھ جاتا وان تیرے سوا کوئی نہیں یاد آتا(٢)

(الترجمة : عندما تصطدم السفينة بالطوفان ،وتضل القافلة الطريق في الوادى ، وتنقطع الآمال من جميع الجهات ،فلا يُذْكَر الا أنت) .

* ويقول في الفرق بين العالم والجاهل :

ہیں جہل میں سب عالم وجاہل ہم سر آتا نہیں فرق اس کے سوا ان میں نظر
عالم کو ہے علم اپنی نادانی کا جاہل کو نہیں جہل کی کچھ اپنے خبر(٣)

(الترجمة : العالم والجاهل كلاهما سواء في الجهل ،ولا فرق بينهما الا أن العالم يعلم جهله بينما الجاهل لا علم له بذلك) .

* ويذكر ما يجازى به القومُ لمن قام بالاصلاح والتوجيه والارشاد :

کہہ دو کہ جنہیں اصلاح کا ہے قوم کی چاؤ طعنے جھیلو ، برا سنو ،گالیاں کھاؤ
یہ قوم کی خدمت کا صلہ ہے سر دست گر اس پہ قناعت کا ارادہ ہے تو آؤ(٤)

(الترجمة : قل لمن يرغب في اصلاح القوم وارشادهم يتحمّلِ الطعن ،ومواجه السب والشتم . هذا جزاء من قام بالاصلاح ،فاذا رضيتَ به فانهض) .

---

(١) المصدر نفسه رقم ١٢٩ .
(٢) المصدر نفسه رقم ١٠ .
(٣) المصدر نفسه رقم ٣٢ .
(٤) المصدر نفسه رقم ١٣٢ .

* ويذكر أنه ترك شعر الغزل التقليدي :

بلبل کی چمن میں هم زباني چهوڑی　　بزمِ شعرا میں　　شعر خوانی چهوڑی
جب سے دل زنده تو نے هم کو چهوڑا　　هم نے بهی تری رام کهانی چهوڑی (١)

(الترجمة : تركتُ موافقة العندليب في نغماته بالحدائق ،وتركت انشاد الشعر في مجالس الشعراء . وعندما تركتني وحيدا يا قلبي ،تركتُ أيضا الحديث عن غرامياتك) .

* ويقول عن ازدهار العلم في العصر الحديث ونتائجه :

بڑهتا جاتا هے جس قدر علمِ بشر　　کرتے جاتے هیں شك خیالات میں گهر
هوتی جاتی هے دهندلی اتنی هی فضا　　جتنی که وسیع هوتی جاتی هے نظر (٢)

(الترجمة : بقدر ما يزداد العلم عند الانسان تدخل الشكوك والأوهام في الأفكار، وبقدر ما تتسع الأنظار يزيد الضباب والظلام في الآفاق) .

* ومن النماذج الساخرة التي يتحدث فيها عن قضية التكفير :

کهنا فقها کامونون کو بے دین　　سنتے سنتے یه هو گیا هم کو یقین
مومن سے ضرور هوگا مرقد میں سوال　　تکفیر بهی کی تهی فقها نے که نهیں (٣)

(الترجمة : لقد سمعنا كثيرا تكفير بعض العلماء للمؤمنين الأبرياء ،حتى رسخ في بالنا أن المؤمن عندما يوضع في قبره يُسأَل : هل كفَّره العلماء أم لا ؟ !) .

و نكتفي بهذا القدر من رباعياته لننتقل الى الفنون الأخرى .

---

(١) المصدر نفسه رقم ٢٠ .
(٢) المصدر نفسه رقم ١٤٢ .
(٣) المصدر نفسه رقم ٧٠ .

(٥) القطعـــة :

" القطعة " ضرب من ضروب النظم الموحد القافية مثل " الغزل " ،الا أنها تختلف عنه بأنها لا تحتوى على بيت المطلع ،وتكون غالبا منظومة قصيرة لا تقل عن بيتين ،ولا تبلغ مبلغ " الغزل " و " القصيدة " من حيث عدد الأبيات. وكلما استطاع الشاعر أن يجمل غرضه في أبيات معدودة كان ذلك أفضل (١) . ويشترط أن ترتبط أبياتها بعضها ببعض (٢) على عكس " الغزل " الذى يكون فيه كل بيت مستقلا عما قبله وبعده . والقطعة مثل "الغزل " لا تتقيد بوزن من الأوزان أو غرض من الأغراض . وتسميتها بالقطعة تشير الى أنها قد تكون قطعة من قصيدة كاملة انفصلت عنها لسبب من الأسباب ،وقد تكون جزءا من قصيدة لم يقدر لها أن تكمل ، كما أنها قد تكون وحدة قائمة بذاتها أنشأها الشاعر ليصوغ فيها غرضا من الأغراض (٣) .

وهي تشبه في الشعر العربي "بالمقطوعة " التي قد تكون جزءا من قصيدة ، وقد تكون مستقلة نظمها الشاعر في غرض من الأغراض . ونجد أمثلة كثيرة من النوعين من المقطوعات في كتب الحماسة والمختارات الشعرية والمجاميع الأدبية وكتب التراجم التي يكتفى فيها أصحابها غالبا بايراد المقطوعات ،وقد كثر هذا النوع في العصر العباسي عند بعض الشعراء ،وخاصة من نظموا في الزهد أو المجون ، وأغلب ما وصل الينا من الشعر في هذين الغرضين هو شعر مقطوعات ،وقلما نجد فيهما قصائد مطولة . الا أن النقاد العرب اعتبروا المقطوعة جزءا من القصيدة ، فلم تبرز عندهم كفن مستقل تكون له خصائص تميزه عن الفنون الأخرى ،

---

(١) جلال الدين همائى : تاريخ أدبيات ايران ١/٧٧ .
(٢) شميم أحمد : أصناف سخن ص ١١٨ .
(٣) براون : تاريخ الأدب في ايران ٢/٤٧ .

وبقيت المقطوعة الى الآن تستعمل في الشعر العربي بالمعنى اللغوي ،ولا يقصد بها مصطلح فني خاص . بينما نرى أنها في الشعر الفارسي والأردى فن من الفنون الشعرية التي أكثر الشعراء من النظم فيها ،وقد اشتهر بعضهم بها حتى يمكن أن نسميهم بشعراء القطعة .

كان حالي من أولئك الشعراء الذين أكثروا من النظم في هذا الفن . ولم تكن قبله للقطعة أهمية كبيرة من الناحية الفنية في الشعر الأردى ،فلم يكن ينظم فيها الشعراء الا في المناسبات ،وقد اعتنى بها حالي ،واستخدمها في مختلف الأغراض ،وتفنن في موضوعاتها وأساليبها ،وجعل لها قيمة فنية مستقلة ،وقدمها في ديوان شعره على سائر الفنون ،وبفضل جهوده أصبحت الآن من الفنون الشائعة في الشعر الأردى . ويكفي له فخرا بأنه كان رائدا في هذا الميدان .

نجد في ديوان حالي ٩٨ قطعة ،منها ٦٧ قطعة في النقد الاجتماعي والسياسي والأدبي والفكاهات والقصص (١) ،وسبع منها قطع تاريخية تحتوي على ذكر السنين بالنظر الى القيمة العددية للحروف والكلمات على حساب الجُمّل (٢) . و ٢٤ قطعة نظمت في مختلف المناسبات من المدح والتهنئة والتوديع والرثاء وما اليها ،وهي مفرقة في الديوان حسب أغراضها المختلفة (٣) . ونجد التأثير العربي واضحا في مقطوعاته ،وقد صرح بذلك حالي في مقدمة ديوانه فقال : "نظمت بعض الأقوال والحكايات التاريخية ، واستفدت كثيرا من أفكار السابقين ، وقد أبقيتها أحيانا على حالها ،وأحيانا تصرفت فيها وأضفت اليها بعض الأمور وأبرزتها في صورة جديدة" (٤) . ونحن اذا نظرنا في هذه المقطوعات نجد

---

(١) انظر : كليات نظم حالي ١/١٧٣-٢١٥ .

(٢) المصدر نفسه ٢/٣٢٧-٣٤١ .

(٣) المصدر نفسه ١/٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٣ ، ٢٩٨ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٤ ، ٣٠٦ ، ٢١٥ ، ٢١٨ ، ٣٢١ ، ٣٣٥ ، ٣٥٧ ، ٤٤٩ ، ٥١٧ ، ٥٣٧ ، ٢/٢٤٦ ، ٢٨٥ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٥ .

(٤) المصدر نفسه ١/٤١ .

مصداق ما قال ،فهو أحيانا يترجم شعرا بعض الأبيات العربية ،ومن أمثلة ذلك ترجمته للأبيات المنسوبة الى علي بن أبي طالب في قصة الهجرة النبوية :

وقيتُ بنفسي خيرَ من وطئ الحصى ... ومن طاف بالبيت العتيق و بالحِجْر

رسولَ إلهٍ خاف أن يمكروا به ... فنجّاه في حفظه الاله و في سِتْر

أقام ثلاثا ثم ذمّتْ قلائصٌ ... قلائص يَفْرِين الحصى أين مايفرى

وبِتُّ أراعيهم وما يُثبِتونَني ... فقد وُطِّنَت نفسي على القتل والأسْر

أردتُ به نصرَ الاله تبتُّلا ... وأضرتُه حتى أُوَسَّد في قَبْر (١)

يقول حالي في مقطوعته :

رسول مطہر کہ ہے اس سے کم تر ... زمیں پر خدا کی جو ہے چلنے والا

پھرے گرد کعبے کے جو یا پھریں گے ... وہ قدر وبزرگی میں ہے سب سے بالا

ہوا خوفِ اعدا تو اس پر سے میں نے ... سپر بن کے خود شرِّ اعدا کو ٹالا

بچایا اسے مکرِ اعدا سے حق کے ... وہ جو سب پہ ہے لطف واحسان والا

خدا خود رہا غار میں اس کا ایمن ... کہ پردہ تھا اس نے سب آنکھوں پہ ڈالا

ہوئے تین دن جب تو اس حد سے باہر ... سواروں نے ناقوں کو اپنے نکالا

وہ ناقے جنھوں نے کہ پیروں سے اپنے ... گئے جس زمیں پر اسے پیس ڈالا

میں اعدا کی ایذا کا تھا منتظر واں ... نہ بیڑی ہی تھی شاق مجھ پر نہ بھالا

غرض اس سے تائید حق تھی اور اب بھی ... وہی دھن ہے تا وصلِ ایزد تعالیٰ (٢)

---

(١) انظر: ديوان علي بن أبي طالب ص٥٧ (جمع : عبد العزيز الكرم ،ط. بيروت د. ث) وفيه خلاف في الترتيب والرواية.

(٢) كليات نظم حالي ٢/٣٢٩- ٣٣٠ ،و مجلة "نقوش" (الصادرة بلاهور) عدد ٩٦ ،يناير ١٩٦٣م،ص ٢٨ - ٢٩.

اذا قارنا بين المقطوعتين وجدنا أن حالى نظم في مقطوعته الأبيات السابقة ، مع بعض الاضافات القليلة من عنده ، وشيء من التصرف في الأسلوب ، ففي ترجمة البيت الثاني أضاف أن غيا هو الذى قام بالرد على مكر الأعداء ، وأن الله تعالى أعمى أبصارهم فلم يتمكنوا من رؤية النبي صلى الله عليه وسلم عندما خرج من البيت . ومما يدل على الفرق بين المقطوعتين في الأسلوب من حيث الايجاز والتفصيل أن حالى ترجم الأبيات الثلاثة الأولى في سبعة أبيات أردية ، بينما ترجم البيتين الأخيرين في بيتين فلم يضف اليهما شيئا من عنده ، بل ترجمهما ترجمة حرفية مطابقة للأصل الا في قوله "حتى أُوسَّد في القبر" ، حيث عبر عن معناه بقوله "تاوصل ايزد تعالى" (الى أن ألقى الله تعالى) ، جرّه الى ذلك قافية اللام التي التزمها في سائر الأبيات . أما اختلاف المقطوعتين في الوزن (حيث أن الأولى في بحر الطويل ، والثانية في المتقارب) فيرجع ذلك الى أن الطويل قليل نادر في الشعر الأردى والفارسي ، بينما هو من الأوزان التي كثر استخدامها في الشعر العربي ، كما أشرنا الى ذلك في مقدمة البحث .

وهناك مقطوعات أخرى استوحى فيها معانى بعض الأبيات العربية المعروفة وان لم يترجمها ترجمة حرفية ، منها قوله :

لوگ جب عيب همارا كوئي سن پاتے هين گو كه كرتے هين تأسف كا بظاهر اظهار
پر خوشى كا هے يه عالم كه هرنج ان كو كمال گر نصيبون سے وه افواه غلط پائے قرار
اورجو هو گوش زد ان كے كوئى خوبى اپنى خوش تو پڑتى هے بناتي انهين صورت ناچار
دل مين هوتا هے مگر غم كا يه عالم ان كے كه ملال اپنا چهپا سكتے نهين وه زنهار (١)

(الترجمة : اذا سمع الناس معايبنا فهُم وان أبدوا التأسف في الظاهر الا أنهم فرحون جدا ، ولذا يغتمون عندما يجدون هذا الخبر من الشائعات الكاذبة ، أما اذا سمعوا بعض المحاسن فهم يتهللون بشرا في الظاهر ، ولكن حقيقة الأمر أنهم يغتمون على ذلك ، فلا يستطيعون إخفاء آثاره) .

---

(١) كليات نظم حالى ١٩٩/١ ، ٢٠٠ .

هذه الفكرة تكاد تكون مأخوذة من قول قعنب بن أم صاحب :

إن يسمعوا سُبَّةً طاروا بها فَرَحًا ... عنّي، وما سمعوا من صالحٍ دَفنوا

صُمٌّ اذا سمعوا خيرا ذُكِرتُ به ... وان ذُكِرتُ بسوءٍ عندهم أَذِنُوا (١)

وفي مقطوعة أخرى ينقل عن بعض العلماء أن العدوّ يفيد الانسان أكثر من الصديق ، فان الصديق لا ينبهه على أخطائه ،أما العدو فهو دائما يبحث عن معايبه ،و يبرزها أمام الناس بشتى الطرق ،وهذا ما يدعو الانسان الى اصلاح نفسه واكتساب الفضائل واجتناب الرذائل :

قول اک حکیم کا ہے کہ گرغور کیجیے ... ہے حق میں سب کے دوست سے دشمن مفید تر

اول تو سوجھتا ہی نہیں عیب دوست کو ... اور سوجھتا ہے تو نہیں لاتا زبان پر

پر ایک بار دشمن اگر دیکھ پائے عیب ... سو سو طرح سے وہ اسے کرتا ہے جلوہ گر

دشمن سے بڑھ کے کوئی نہیں آدمی کا دوست ... منظور اپنے حال کی اصلاح ہو اگر

هذه الأبيات تذكّرنا بقول أبي حيان الأندلسي المعروف :

عِداىَ لهم فضلٌ علىَّ و مِنَّةٌ ... فلا أذهبَ الرحمنُ عنّي الأعاديا

همُ بحثوا عن زَلّتي فاجتنبتُها ... وهُمْ نافسوني فاكتسبتُ المعاليا (٢)

و هناك أمثلة أخرى لاستفادته من الأدب العربي والثقافة العربية بوجه عام ،فقد نظم أربع مقطوعات نظم فيها قصة المنصور مع جعفر الصادق (٣) ،وقصة الهارون وتوليته خصيبا على مصر (٤) ،وقصة المتوكل مع نديمه ابن حمدون (٥) ،وقصة المأمون مع خادمه (٦) ، ولا يخفى أنه استفاد فيها من كتب التاريخ والأدب . ويبدو لنا من دراسة مقطوعاته أنه كان مولعا جدا بالترجمة الشعرية لما يجد في المصادر العربية

---

(١) أبو تمام : الحماسة ٢/ ١٧٠ ،وابن قتيبة : عيون الأخبار ٣/ ٨٤ ،وابن منظور : لسان العرب ،مادة (شور) ١٠٣/٦ ،والسيوطي : شرح شواهد المغنى ص٣٢٦ .

(٢) السيوطي : بغية الوعاة ١/ ٢٨٣ ،وابن العماد : شذرات الذهب ١٤٧/٦ .

(٣) كليات نظم حالى ١/ ٢١١، ٢١٢ . (٤) المصدر نفسه ١/ ٢١٣، ٢١٤ .

(٥) المصدر نفسه ١/ ٢١٢، ٢١٣ . (٦) المصدر نفسه ١/ ٢١٢ .

من أشعار وأخبار . ولم يكتف بذلك ،بل انه ربما اقتبس بعض التعابير العربية بلفظها ، مثل قوله :

«تُعرَف الأشياءُ بالأضداد" هي قولِ حكيم (١)

(الترجمة: قال بعض الحكماء : "تعرف الأشياء بأضدادها") .

نظر فيه الى بعض الأبيات المعروفة في هذا الموضوع ،منها قول المتنبي المشهور:

ونَذِيمُهم وبهم عرفنا فضلَه وبضدها تتبين الأشياء (٢)

وقول دَوْقَلة المَنْبِجي أو العَكّوك أو أبي الشيص الخزاعي من القصيدة اليتيمة:

ضدانِ لما استجمعا حَسُنا والضدُّ يُظهِر حُسْنَه الضدُّ (٣)

وقد ضمّن شطرا عربيا في آخر مقطوعة له ،فقال :

هم هين وهي ناچيز مگر كَبَّرنا موتُ الكُبَراء (٤)

(الترجمة : نحن الآن أيضا مثل ما كنا في السابق أذلة ،الا أن موت العظماء منا هو الذى رفع من شأننا حتى أصبحنا نعد من الكبار) .

و في هذه المقطوعة أشار أيضا الى الشاعرين الأخطل والأعشى ،وقصد بهما التمثيل لشعراء الأردية الكبار الذين انقرضوا ،ولم يبق الآن مثلهم أحد . كما استخدم في عدد من المقطوعات اسم "الخضر" رمزا لمن يُعمَّر طويلا (٥) ومن يُرشد الناس الى الطريق المستقيم (٦) . وفي مقطوعة أخرى يذكر أن الأولاد نعمة من

---

(١) كليات نظم حالى ١/ ١٠٨٠ .

(٢) ديوانه ١/ ١٤٩ (بشرح البرقوقي ط. بيروت ١٩٨٠م) .

(٣) انظر : القصيدة اليتيمة (في مجلة "الزهراء" ٤/ ٢٤٤-٢٤٩ عدد شعبان ١٣٤٦هـ تحقيق : عبد العزيز الميمنى) ، و "شعر علي بن جبلة العكوك" ص ١١٦ (تحقيق : حسين عطوان ،ط. القاهرة ١٩٨٢م) ،و"أشعار أبي الشيص الخزاعي" ص ٤٢ - ٥١ (تحقيق : عبدالله الجبورى ،ط. النجف ١٩٦٧م) .

(٤) كليات نظم حالي ١/ ١٧٦ .

(٥) المصدر نفسه ١/ ١٧٤، ٢٩٩ .

(٦) المصدر نفسه ١/ ١٨٧، ١٩٩ .

الله يهب من يشاء من عباده . وقد كان الولد سببا لإبصار يعقوب ،وعصًا لابراهيم في شيبه وضعفه ،وبشارةً لسارة العجوز ،ونعمةً أوجبت على داود وأيوب شُكرَ الله وثناءه (١) . وشبه في موضع آخر الضعيف ببيت العنكبوت (٢) . ولا يخفى أن كل ذلك مأخوذ من القرآن الكريم .

ومن الأمور التاريخية التي أشار اليها في بعض مقطوعاته : وأد البنات عند العرب في الجاهلية والموازنة بينه وبين ما يلحق صاحبَ البنات من المشقة في المجتمع الهندى بسبب التكاليف الباهظة والنفقات الكثيرة عند تزويجهن (٣) .

وخلاصة القول أن حالى كان في مقطوعاته كثير الاستفادة والاقتباس من الثقافة العربية والاسلامية ،والمصادر المختلفة في الأدب والتاريخ ،وقد أشار اليها أحيانا ،وأغفل ذكرها غالبا نظرا الى شهرتها وسهولة الكشف عنها .

(٦) أنواع أخرى :

الى جانب الفنون الخمسة التي تناولناها فيما سبق هناك أنواع شعرية أخرى استخدمها حالى أقل من غيرها ،إلا أن شعره فيها لا يقل شأنا ،بل ربما يفوق شعره في الفنون الأخرى من الناحية الفنية والقيمة الأدبية . ومن أمثلة ذلك قصيدته المعروفة بعنوان "مسدس مدّ وجزر اسلام" ،فهي فى فن "المسدس" ،وقد طغت شهرتها على سائر القصائد والمنظومات ،كما سيأتي الحديث عنها في فصل خاص بها .

ومن هذه الفنون الشعرية : فن "تركيب بند" وهو عبارة عن منظومة مقسمة الى أقسام أو بنود بحيث تكون جميع هذه الأقسام متفقة في الوزن ،مختلفة في القافية ،ويَرِد بين كل قسم وآخر بيت منفرد يتفق مع جميع أبيات المنظومة

---

(١) المصدر نفسه ١/ ٢٩٨ ، ٢٩٩ . (٢) المصدر نفسه ١/ ١٨٢ .

(٣) المصدر نفسه ١/ ١٨٥ .

في الوزن ،ويختلف عن القسم السابق عليه والقسم اللاحق به في القافية . ويتكون كل قسم أو بند من أبيات يتراوح عددها بين خمسة وأحد عشر بيتا تبدأ ببيت مُصَرَّع . وتكون أبيات جميع الأقسام متساوية من حيث العدد في أغلب الأحيان (١) .

ويمكن أن نصور نظام القوافي في هذا الفن بالشكل الآتي اذا افترضنا أن المنظومة تحتوى على ثلاثة أقسام وكل قسم منها يحتوى على ستة أبيات :

القسم الأول : أأ / ب أ / ج أ / د أ / هـ أ / و و

القسم الثاني : ز ز / ح ز / ط ز / ى ز / ك ز / ل ل

القسم الثالث : م م / ن م / س م / ع م / ف م / ق ق

وهناك فن آخر يسمى "ترجيع بند" ،وهو يشبه الفن السابق في الشكل والتقسيم ونظام القوافي وعدد الأبيات ،وكل ما بينهما من اختلاف يكمن في البيت الذى يرد في آخر كل قسم ،حيث أنه لا يتغير ،بل يبقى البيت نفسه ويُرَجَّع بين جميع الأقسام (٢) . ومعنى ذلك أنه لا يحدث أى تغيير في الشكل السابق الذى مثلنا به إلا أنه يبقى البيت الأخير كما هو ، فتكون القافية مثلا / و و / في آخر جميع الأقسام ،ولا تختلف في كل مرة .

وقد بدأ الاهتمام بالنظم على الشكل المذكور - من التركيب والترجيع - عند شعراء الفرس في القرن السادس الهجرى ،وانتقل منهم الى شعراء الأردية ونرى في ديوان حالى ١٨ منظومة بصورة "تركيب بند" في أغراض مختلفة (٣) ،

---

(١) شميم أحمد : اصناف سخن ص ١٠٦ ،درس بلاغت ص ١٤٥ ،وعبد الوهاب عزام: أوزان الشعر وقوافيه ص ١٦٠ .

(٢) انظر : شميم أحمد : اصناف سخن ص ١٠٩ ،درس بلاغت ص ١٤٦ .

(٣) كليات نظم حالى ٣٠٧/١ ، ٣١٢ ، ٣٢٧ ، ٣٤٩ ، ٣٦١ ، ٤٦/٢ ، ١٨٢ ، ١٩٩ ، ٢١٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣٩ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٦٢ ، ٢٧١ ، ٢٧٩ ، ٢٩٥ .

وثلاث منظومات بشكل "ترجيع بند" كلها في الشكر والتقدير لبعض الأشخاص والهيئات[١].

وقد اشتهرت بعض قصائده من الفن الأول، منها: "مرثية غالب" (رثاء الشاعر غالب) (١٨٦٩)[٢]، و"شكوة هند" (شكوى الهند) (١٨٨٨م)[٣]، و"مسلمانون كى تعليم" (قضية تعليم المسلمين) (١٨٨٩)[٤]، و"فلسفة ترقى" (فلسفة الرُّقي) (١٩٠٣م)[٥]، و"چپ كى داد" (استغاثة السكوت) (١٩٠٥م)[٦]. وسنتناول هذه القصائد بالدراسة في الفصل القادم ان شاء الله.

ومن الفنون الأخرى التي استخدمها حالى ثلاثة أنواع من "المسمط"، وهي: "المسدّس" و"المخمّس" و"المربّع". وتوجد هذه الأنواع وغيرها في الآداب الثلاثة: العربية والفارسية والأردية، ويسمى كل نوع منها باسم خاص لاحتوائه على عدد معين من الأشطار في كل مقطوعة، فالمسدس ما كان عدد الأشطار في كل مقطوعة منها ستة، وغالبا ما تتفق الأربعة الأولى في القافية، ويختلف الشطران عنها في ذلك. وهكذا "المخمس" و"المربع" وغيرهما من الأنواع تحتوى كل مقطوعة منها على عدد معين من الأشطار فسميت باسم خاص.

وأكثر ما نظم حالى من هذه الأنواع فن "المسدس"، فله في ديوانه سبع قصائد في هذا الفن[٧]، أشهرها مطوّلته الشهيرة "مسدس مدوجزر اسلام"[٨]

---

(١) المصدر نفسه ١/٢٩٢، ٢٩٣، ٣٠٢.
(٢) المصدر نفسه ١/٣٢٧.
(٣) المصدر نفسه ٢/١٨٢.
(٤) المصدر نفسه ٢/٢١٨.
(٥) المصدر نفسه ٢/٢٧١.
(٦) المصدر نفسه ٢/٤٦.
(٧) كليات نظم حالى ١/٣٢٧، ٥١٨، ٥٢٧، ٥٤٣، ٢/٥٧، ١٢٦، ٢٠٤.
(٨) المصدر نفسه ٢/٥٧ - ١٢٦.

التي قمتُ بترجمتها الى العربية ،وخصصت لدراستها فصلا فيما بعد . أما "المخمس" فلم ينظم فيه الا ثلاث قصائد [١] . ولا تجد الا قصيده واحده في "المربـــع" [٢] ، مما يدل على قلة اعتنائه بهذين الفنين .

واذ قد فرغنا من دراسة الأنماط الشعرية التي استخدمها شاعرنا حالي ، فلندرس الموضوعات التي تناولها في شعره ،ونبين مدى تأثره بالأدب العربـــي والثقافة الاسلامية .

---

(١) المصدر نفسه ١/٢٨٧، ٣١٦، ٥٢٦ .

(٢) المصدر نفسه ١/٥١٤ .

الفصـــل الثانـــي

الـمـوضـوعـــات

يحتوى شعره على موضوعات عديدة ،فقد كان في أول حياته ينظم في الغزل ، ثم اتجه فيما بعد الى موضوعات أخرى ، وغلب عليه الشعر الاجتماعي والديني والتعليمي . كما أنه تفرغ في آخر حياته لتأليف بعض الكتب النثرية ،فلم يجد فرصة لنظم الشعر الا في بعض المناسبات . ولذلك قلّ شعره بوجه عام بعدما نشر ديوانه سنة١٨٩٣م.

ويمكن أن نقسم شعره من حيث الموضوع الى سبعة أقسام : (١)الغـزل ، (٢) المدح ،(٣) الرثاء ،(٤) الوصف ،(٥) الشعر التعليمي ،(٦)الشعر الاجتماعي ،(٧) شعر الدعوة الاسلامية . وسنتكلم عن كل قسم من هـذه الأقسام، ونَعرِض لأشهر قصائده في كل موضوع ،مع العناية بابراز الجوانب التي تشير الى تأثره بالثقافة العربية الاسلامية.

(١) الغـزل : توجد في كلياته ٩٣ قصيدة غزلية بالأردية(١) ،منها ٣٠ قصيدة ترجع الى المرحلة الأولى من حياته الأدبية (١٨٦٣-١٨٧٤م) ،و ٨٦ قصيـدة نظمها فيما بين (١٨٧٤-١٨٩٣م) الى الوقت الذى نشر فيه الديوان ، و ٧ غزليات فقط فيما بعد الى وفاته (١٩١٤م) . ونلاحظ تطورا ملموسا في غزلياتـه الأخيرة ،حيث نجد فيها التسلسل والترابط بين الأبيات ووصف البيئة التي يعيش فيها وغير ذلك من الأمور ،ونرى أنها تختلف عن غزلياته القديمة في الموضوعـات والأساليب.

وقد طغت شهرة حالي بشعره الاسلامي والاجتماعي على منزلته في شعـر الغزل ،ولكن من الانصاف أن نقول ان شاعريته لم تظهر في الموضوعات الأخرى مثل ما ظهرت في الغزل ، ولو أنه لم ينظم غير غزلياته لكانت له بها مكانة مرموقة في تاريخ الشعر الأردى. وقد أطرى كثير من النقاد على غزلياته القديمة ،لأنها تحتوى على أجمل العناصر لفن الغزل ، يقول الاستاذ اعجاز حسين : " جمع حالى

---

(١) حالي : كليات نظم حالي ١/ ٧٥-١٧٠.

فيها بين النفمة الحزينة للشاعر "مير" ،والاُسلوب الفلسفي للشاعر "غالب" ، وبساطة "شيفته" وصدقه "(١) . ويقول حالى نفسه (٢) :

حالى سخن ميں شيفته سے مستفيد هے غالب كا معتقد هے ،مقلد هے ميركا

(الترجمة): ان حالي في شعره متأثر بشيفته ،ومحب لغالب ،ومتبع لمير .

استفاد حالي من أُستاذه غالب دقة التأمل واختراع المعاني ، وتعلَّم من شيفته البساطة والواقعية ،كما أنه تأثر قليلا بالاُسلوب الرقيق للشاعر "مو" من " الذى كان أُستاذَ شيفته ،ونجد هذا الأثر في كثير من غزلياته القديمة ،الا أن تأثيـــر الشاعر مير كان أقوى من جميع هؤلاء ،فقد أعجب حالي بأسلوبه الفريد الذى يتميز بنفمته الحزينة وصفائه واخلاصه ،وقلَّده في كثير من غزلياته حيث يميل الى التعبير المباشر عن العواطف والحديث عن القلب المحترق، بدلا من التركيز على قوة الاُسلوب وزخرفة اللغة .

وهناك اختلاف واضح بين غزلياته القديمة والجديدة ،فنحن نرى في الغزليات القديمة تلك الموضوعات التقليدية التي منع عنها في "المقدمة" كما سنتحدث عـــن ذلك في الباب الثالث ، فقد استخدم كلمات الورد والعندليب ،والهجر والوصل ، والخمر ولوازمها ،والكعبة والمعبد ،والحديقة والقفص ،والربيع والخريف وغير ذلك ، ومن أمثلة ذلك أبياته :

ـ اك جرعۂ شراب نے سب كچھ بهلا ديا هم هيں اور آستانۂ پيرِ مغاں هے اب (٣)

(ترجمته) لقد أَنستْني كلَّ شيء جرعةٌ من الخمر ، فلا أعرف الآن الا أنني في حانة خمار .

ـ هے وه ديرآشنا تو عيب هے كيا مرتے هيں هم انهى اداؤں پر (٤)

(ترجمته)اذا كان الحبيب صعب الانقياد فلا حرج ،فاني أحبه من أجل تدلله وامتناعه .

وربما ينظم بعض الموضوعات المستهجنة التي نستغربها عند شاعر مثل حالى (٥) ، وهناك موضوعات كثيرة قلد فيها القدماء ،مثل قوله (٦) :

كس سے پيمانِ وفا باندھ رهى هے بلبل كل نه پهچان سكے گى گلِ ترکى صورت

(ترجمته)من يأخذ العندليبُ المواثيقَ والعهود على الوفاء؟ ،سوف لا يعرف غدًا هذه الوردة الناضرة .

---

(١) اعجازحسين : نئے ادبي رجحانات (ط. حيدرآباد ١٩٤٦م)ص ٣٣ .
(٢) حالى : جواهرات حالى ص ١٢١ . (٣) حالى : كليات نظم حالي ١/ ٦٥ .
(٤) المصدر نفسه ١/ ١١٦ .
(٥) المصدر نفسه ١/ ١٥ (البيت ٣) ،٦٢ (البيت ٧) ،٦٠ (البيت ٣) .
(٦) المصدر نفسه ١/ ١٠٦ .

وأخيرا ترك حالي طريقة الغزل القديم ،وتخلى عن الموضوعات التقليدية ، واختار لنفسه أسلوبا جديدا يتميز بالبساطة والسهولة والتأثير ،ومن أمثلة ذلك قوله (١) :

دل سے خیال دوست بھلایا نہ جائے گا سینے میں داغ ہے کہ مٹایا نہ جائے گا

(ترجمته)مستحيل أن تذهب ذكريات الحبيب من القلب ،فقد تركتْ أثرا في الصدر لا يمكن أن ينمحي .

وقوله (٢) : قافلے گزرین وہاں کیونکہ سلامت واعظ ہو جہاں راہزن وراہنما ایک ہی شخص

(ترجمته) يا ناصح ،كيف تمضى القوافل سالمة من الموضع الذى يرتدى فيه قاطعُ الطريق ثوبَ المرشد والدليل ؟

واتسعت موضوعات الغزل عنده في هذه المرحلة ،فلم تقتصر على عواطف الحب والعشق ،بل شملت كل جوانب الحياة ،ولم يبق العشق على معناه اللغوى ، بل أصبح مرادفا لحب الأهداف النبيلة والتلهف الى المبادئ السامية والتحرق من أجل الوصول الى المطلوب . وهكذا أصبحت كل الموضوعات عنده مناسبة للغزل ، سواء كانت موضوعات سياسية أو اجتماعية أو دينية ،أو البكاء على ضياع الأمة الاسلامية أو الدعوة الى اصلاحها ،أو موضوعات خلقية و فلسفية مثل:فناء العالم ، والقضاء والقدر، والفقر والغنى ،والثواب والعقاب ،والخوف والرجاء ،والحرص والهوى وما الى ذلك . وقد أدخل حالي هذه الموضوعات لأول مرة في الغزل (٣) ، الا أن الأدباء لم يقدروا هذه الغزليات حق قدرها ،وقد اشتكى حالى من هذا الوضع في قوله (٤) :

مال ہے نایاب پرگاهک ہیں اکثر بے خبر شہر میں کھولی ہے حالی نے دکان سب سے الگ

(ترجمته) البضائع نادرة وذات قيمة ،ولكن المشترين غافلون ،لقد فتح حالى دكانا في المدينة بعيدا عن كل الناس .

اختط حالى لنفسه طريقة جديدة في الغزل كما قلنا ،واستخدم هذا الفن للتعبير عن مشاعره وتجاربه في الحياة ،ولم يقتصر على التنفيس عما في داخل نفسه بل أحس بكل ما يجرى في المجتمع ،وقد غلب على بعض غزلياته طابع النصح والتوجيه لشدة تأثره بما يحدث في الخارج ، ولكن معظم غزلياته تتميز بطابع الحزن والألم ، وأسلوبها يختلف عن أسلوب الناصح والواعظ . ومن أمثلة ذلك قوله (٥) :

---

(١) حالي : كليات نظم حالى ١/ ٦٢ . (٢) المصدر نفسه ١/ ١٢٦ .
(٣) انظر: كنول كرشن بالى : مطالعة حالي ص ٤٢ .
(٤) حالي : كليات نظم حالي ١/ ١٣٤ . (٥) المصدر نفسه ١/ ١٤٢ .

- دیکھیں کس طرح نہ سرسبز ہو کشتِ امید آؤ اور ندیاں آج آنسوؤں کی ملکے بہاؤ

(ترجمته)لنرى كيف لا تخضر أرض الرجاء ،تعالوا نُجرِي أنهارَ الدموع اليوم .

- پھر ترے اِدھر اُدھر ہو کس کی تلاش میں تم گم ہے تمھی میں یارو باغِ ارم تمھارا (١)

(ترجمته) عمن تبحثون هنا وهناك حائرين ؟ إن جنة "إرَم" في داخل نفوسكم.

صفائیاں ہو رہی ہیں جتنی دل اتنے ہی ہو رہے ہیں میلے (٢)
اندھیرا چھا جائے گا جہان میں اگر یہی روشنی رہے گی

(ترجمته) تتسخ القلوب الآن بقدر ما تنظف المظاهر ،ستُظلِم الدنيا لو بقيتْ هذه الأنوار.

وهناك أمثلة كثيرة للأبيات التي أبدع فيها كل الابداع ،وأتى فيها بجديد سواء من حيث الشكل أو المضمون . ومما نذكر في هذا الصدد :

اک عمر چاہیے کہ گوارا ہو نیشِ عشق رکھی ہے آج لذتِ زخمِ جگر کہاں ؟ (٣)

(ترجمته) إنّ تحمُّلَ لدغاتِ العشق يحتاج الى زمن طويل ،أين الآن تلك اللذة التي تحصل من جراحات القلوب ؟

ومن الغزليات التي تتميز بهذا الأسلوب الجديد المشتمل على الكلمات المؤثرة والمعاني الطريفة ،والنغمة الموسيقية الجميلة ،والخيال البديع ،والذى يجمع بين العقل والعاطفة ،والبساطة مع الروعة : الغزليات الجديدة رقم ٩ ، ٢١ ، ٢٦ ، ٣١ ، ٦٩ ، ٧٧ (٤) . والغزليات القديمة رقم ١١ ، ١٣ ، ١٥ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ (٥) .

ومن غزليات الفترة الأخيرة : الغزلية رقم ٤ (٦) . ولا يمكن لنا أن نعرض لها في هذا المكان ،ولذا اكتفينا بالاشارة اليها .

ومن الجدير بالذكر أن حالي قام بتجربة جديدة في الغزل ،وذلك أنه نظم بعض الغزليات التي تترابط فيها الأبيات بعضها ببعض ،بعد ما كان النـــاس يعتبرون كل بيت فيها مستقلا لا علاقة له بما قبله أو بعده . وكانت محاولة حالي هذه ناجحة في كثير من تلك الغزليات ، فلم يحدث لها ما حدث لغزليات الشعراء المحدثين حيث فقدت تأثيرها تماما . ومما نذكر لحالي أيضا عدم التزامه في غزلياته بالرّدف ،واقتصاره على القافية وحدها ،فنجد في غزلياته الجديدة ١٩ غزليـــة

---

(١) حالي : كليات نظم حالي ١ / ٩٤ . (٢) المصدر نفسه ١ / ١٦٢ .
(٣) المصدر نفسه ١ / ٦٨ . (٤) المصدر نفسه ١ / ٩٥ ، ١٠٥ ، ١٠٩ ، ١١٣ ، ١٤٨ ، ١٥٥ .
(٥) المصدر نفسه ١ / ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٧٤ .
(٦) المصدر نفسه ١ / ١٦٦ .

غير مردفة ،بينما شعراء دلهي ولكنو يعتبرون ذلك عيبا في الشعر . وقد كان ما نعمله حالي تطبيقا لما دعا اليه في "المقدمة"، وذلك أن يقتصر الشاعر على القافية ولا يلتزم بالردف ،فانه عقبة أمام الانطلاق (١) .

و مهما يكن من أمر فلا شك أن حالي كان من شعراء الغزل الممتازين ،قام بالتجديد في هذا الميدان ،وأتى فيه بكل بديع . الا أنه تحول عنه في الأخير الى الشعر الاجتماعي والديني بسبب الظروف التي عاش فيها ،وأدرك أن فن الغزل لا يلائم لطبعه ،وأن الأمة الاسلامية (والشعب الهندى منها بصفة خاصة) تحتاج الى نوع آخر من الشعر ينبّهها من غفلتها ويدفعها الى العمل والحركة . وقد أشار حالى الى ضرورة شعر جديد وترْكِ ميدان الغزل في عدد من أبياته ،منها :

هو چکے حالی غزل خوانی کے دن راگنی بے وقت کی اب گائیں کیا (٢)

(ترجمته) ذهبت تلك الأيام التي كانت تناسب الغزل ،فلا فائدة أن تتغنى بما لا يلائم العصر .

اب سنو حالی کے نو ہے عمر بھر ہو چکا ہنگامۂ مدح و غزل (٣)

(ترجمته) ومنذ الآن استمعوا إلى مراثي حالي ،فقد انقضت أيام المديح والغزل .

أما التأثير العربي في غزلياته فقد أشرنا اليه في الفصل الأول . ولننتقل الآن إلى الموضوعات الأخرى .

(٢) المدح : نجد في الديوان قصائد قليلة في المدح بمقابل قصائده في الموضوعات الأخرى ، فله ثلاث قصائد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم (٤) ، وقصيدتان لم يتمّهما ،إحداهما في مدح النواب "كلب علي خان" (٥) ،والثانية في مدح "السيد أحمد خان" (٦) ،والباقي في مناسبات مختلفة يشكر فيها بعض الشخصيات على ما قاموا بها من أعمال جليلة في خدمة القوم والوطن . وقد خالف حالي في مدائحه المنهج التقليدى ،فلا نجد فيها الغلو والمبالغة

---

(١) حالي : مقدمة شعر وشاعرى ص١٨٥-١٨٦ (٢) حالي : كليات نظم حالى ١/١٠١
(٣) المصدر نفسه ١/٣٦ . (٤) المصدر نفسه ١/٢٥٥ ، ٢٥٨ ، ٢٨٧ .
(٥) المصدر نفسه ١/٢٦٥ . (٦) المصدر نفسه ١/٢٦٨ .

في شأن أحد . وانما اكتفى بذكر الصفات الحقيقية التي يتصف بها الشخص . وقد ذكر نفسه في احدى رسائله : " أنا لا أعرف المبالغة والغلو في المدح ،بل أرى أن أذكر الحقائق ،والأخلاق التي يتحلى بها الانسان في الواقع "(١) .وينبع اتجاهه هذا عن تأثره بالمدائح الموجودة في الشعر العربي القديم وعند بعض شعراء الفرس مثل " سعدى الشيرازى " الذى درسه حالى واقتفى أثره في اتخاذ الأسلوب السهل المبسط والنفور من الكذب والمبالغة(٢) . وكما أن معظم الشعراء الجاهليين ما كانوا يذكرون الرجل الا بما فيه ،وينوّهون بجهوده في الدفاع عن القبيلة ،ويصورون شجاعته وقوته ،وجوده وكرمه وما الى ذلك ،فكذلك حالى لا يذكر الرجل الا بما فيه وبما يخدم الشعب والوطن . انظر مثلا يقول في مدح النواب والى " رامفور ":

" كانت سفينة الاسلام في ورطة ،فأنقذتَها وكنتَ ملّاحا لها . . . وكانت لآلىء الشرف ضائعة في التراب ،فالتقطتَها أنت وصقلتَها . وكان عشاق العلم وطلاب المال في عطش ،فرويّتهم بماء الحياة . . ."(٣) .

وهكذا يعدد الصفات الأخرى بأسلوب شعرى ،فيذكر أن مائدته للضيوف تذكّرنا بمائدة سيدنا ابراهيم خليل الله(٤) ،وعلمه بالموسيقى والفلسفة يشبه علم الفارابي ،وأنه جمع في بلاطه العلماء والأدباء والشعراء والمشتغلين بدراسة " المجسطى " و " الشفاء " وغيرهؤلاء(٥) .

وقلما تخلو قصيدة من قصائده في المدح من الاشارة الى الشخصيات العربية ، وبعض القصص المتعلقة بهم . فهو يذكر المتنبي وكافورا في احدى قصائده ، ويشكو من أهل عصره أنهم لا يقدرونه حق قدره فيقول :

" يا ليتك رأيتَني في بلاط الكافور حيث كان المتنبي مادحا له "(٦) .

ويشير في موضع آخر الى قصة سليمان مع النمل(٧) ، وقصص يعقوب ويوسف ،وابراهيم

---

(١) حالي : مكتوبات حالى ١/ ٥٤ (ط. باني بت ١٩٢٥م) .
(٢) انظر كليات نظم حالي ١/ ٥٠، ٥١ (المقدمة) ،وصالحه عابد حسين : يادگارحالى ص ٢٧٠ .
(٣) كليات نظم حالي ١/ ٢٦٧، ٢٦٨ .
(٤) المصدر نفسه ١/ ٢٦٧ .
(٥) المصدر نفسه ١/ ٢٦٦ .
(٦) المصدر نفسه ١/ ٢٦١ .
(٧) المصدر نفسه ١/ ٢٧٩ .

وسارة ،وداود ،وأيوب[١] . وربما استخدم بعض التعابير العربية مثل " مقدمة الجيش " و " خاتمة الباب "[٢] ،و " كلب عقور "[٣] ،و " رأس الحسنات "[٤] ، وغير ذلك . وأحيانا ينظم في الشعر بعض الأحاديث النبوية ،ومن أمثلة ذلك أنه نظم الحديث النبوى : " ان الإيمان ليأرز الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها "[٥] في قوله :

جس طرح هوتی ہے بانبی سانپ کی جائے پناہ
ہوگا ملجا اب مدینہ بھی یونہی اسلام کا[٦]

لعل ما ذكرنا فوق يكفي لبيان أن حالي تأثر بالثقافة الاسلامية والعربية الى أبعد حد ،ولا تفوته أى مناسبة من استخدام بعض الصور والتعابير والأفكار التي تزيد في التأثير والبيان .

بقي لنا أن نتحدث عن مدائحه النبوية بصفة خاصة ،فانها تتميز بقوة العاطفة وروعة البيان ،ومن بينها قصيدة تبدأ بالتشبيب على الطريقة القديمة حيث يقول :

" أنا فخور بنفسي ،وسأتحمل التدلل من الحبيب "[٧] .

وهو يبدأ القصيدة بالفخر على عكس المدائح العربية المعروفة ،حيث ان معظمها تبدأ بالنسيب . ولكنه تحول فيما بعد الى المدح ،ووصف النبي صلى الله عليه وسلم في أبيات جميلة يقول فيها :

" لقد ابتهج كل من الصديق والعدو بعذوبة بيانه . وكان فيضه يغمر الناسَ في الكعبة ويصلهم الى معابد الأصنام . ولو أمرَ النظامَ الشمسى أن يسكن لبطل تغيُّرُ السنين والشهور . ولو جرتْ صرصرُ قهرِه وغضبِه لتوقفت الصبا والدَّبور . ولو نظر الى أى مكان تجلَّتْ هناك لمعةٌ من النور مثل ما كان على جبل الطور . واذا أظَلَّ على موضع بكرمه انبثقَتْ منه أمواجُ النور . . "[٨]

ويستمر في مدحه ووصفه حتى يقول : "لا يمكن أن تُحصى محاسنه حتى تحصى نِعَمُ الله علينا " .

---

(١) كليات نظم حالي ص ١/ ٢٩٨ ، ٢٩٩ . (٢) المصدر نفسه ١/ ٢٥٦ .
(٣) المصدر نفسه ١/ ٢٦٤ . (٤) المصدر نفسه ١/ ٢٩٥ .
(٥) أخرجه البخارى في فضائل المدينة ٦ ،ومسلم في الايمان ٢٣٢ ، ٢٣٣ .
(٦) كليات نظم حالي ١/ ٢٨٠ . (٧) المصدر نفسه ١/ ٢٥٨ .
(٨) المصدر نفسه ١/ ٢٦٣ .

وفي القسم الثالث الأخير من القصيدة يذكر الشاعر حاله وما اقترفه من السيئات ،ولكنه لم ييئس من رحمة الله ،لأنه من أمة هذا النبي الشفيع ،ويدعو أن تحصل له هذه الشفاعة يوم القيامة ،وبهذا تنتهي القصيدة :

" أدعو - يا شفيعَ الأمم - أن تصل سفينةُ العمر الى بابك عندما أعبُرُ بحرَ الحياة ،وأن يكون ذكرك دائما في قلبي ،ويجرى اسمك على لساني وقتَ الممات "(١).

رأينا في هذه القصيدة - وخاصة في القسم الثاني منها - أن الشاعر استوحى كثيرا من المعاني الشائعة في المدائح النبوية ،وبعض الكلمات العربية الخالصة ، مثل " الصبا " و " الدبور " و " صرصر " وغير ذلك ،وأشار الى قصة موسى مع الله على جبل " الطور " . والقسم الثالث الأخير يُشبِهُ بعضَ أبيات قصيدة البردة للبوصيرى ،وهي تلك الأبيات التي يعدّد فيها ما اقترفه من السيئات ، فيذكر : " أني غارق في بحر الغفلة ،وأسيرٌ لنفسي الطاغية . لقد اقترفتُ كل أنواع الذنوب والآثام . . . وضيعت عمرى كله في اللهو والمجون ،لا رغبةَ لي في العبادات ولا ندمَ على المعاصى ،. . . وخلاصة القول أني مسلم بالاسم فقط ، ومع ذلك فأرجو أن تلحقني شفاعة النبي لأنني من أمته "(٢) . ويقول البوصيرى في قصيدته :

أظمت غي الصبا في الحالتين وما ... حصلتُ الا على الآثام والنـدَمِ
فيا خسارةَ نفسي في تجارتهـا ... لم تَشترِ الدينَ بالدنيا ولم تَسُمِ
ان آتِ ذنبا فما عهدى بمُنْتَقِـضٍ ... من النبي ولا حَبْلى بمنصـرم
فإنّ لي ذمّةً منه بتسميتـي ... محمدًا وهو أوفى الخلق بالذِّمَمِ
حاشاه أن يُحرَم الراجِى مكارِمَه ... أو يَرجعَ الجارُ منه غيرَ محترم (٣)

نرى أن كلا من البوصيرى وحالى يندم على ما فات ،ويرجو شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم في الآخرة ،ويدعو الله أن يوفقه للصلاح والتقى ،ويختم القصيدة بذكر النبي صلى الله عليه وسلم والصلاة عليه .

---

(١) المصدر نفسه ١/ ٢٦٥ .
(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٦٣، ٢٦٤ .
(٣) ديوان البوصيرى .

ولحالي قصيدة أخرى في مدح النبي صلى الله عليه وسلم نظمها في المرحلة الأولى من حياته عام ١٢٨١هـ/ ١٨٦٥م. وهي أول ما نظمه في المدح كما صرح بذلك حالي نفسه (١)، وأسلوبها يختلف عن أسلوب قصائده الأخرى. يقول في بعض أبياتها :

"بيته مكان نزول القرآن و مهبط جبريل، وبابه كعبة الانس والجن. النجوم تطوف حوله والأرض تسجد لعتبته" (٢).

وهكذا يمضي الى آخر القصيدة، فيذكر شوقه الى المدينة المنورة ويتمنى الوفاة فيها لأنها مدينة الحبيب :

"لو أتيح لي أن أشرب كأس الموت في يثرب فلا أبحث عن ماء الحياة للحصول على الخلود. ولو أعطيت لي قطعة من الأرض في البقيع فلا أمني النفس بروضة الجنان" (٣).

ولا يخفى أن هذه المعاني مما تشيع في المدائح النبوية وخاصة عند الصرصرى والبوصيرى وغيرهما من الشعراء المتأخرين (٤). ولذا لا يمكن لنا أن نعين واحدا منهم ونقارن بينه وبين حالي، ونتحدث عن وجوه التأثير والتأثر بينهما.

و مما يلفت الانتباه أن حالي نظم قصيدة عربية في مدح الشيخ عبد الغني الدهلوى (ت١٢٩٦هـ) (٥) وأرسلها الى المدينة المنورة حيث كان الشيخ مهاجرا اليها ومقيما بها في آخر حياته. وهي قصيدة بائية في بحر الطويل على نمط قصيدة النابغة الذبياني المعروفة :

كِلِيني لهمٍّ يا أُمَيمةَ ناصبِ وليلٍ أقاسيه بَطِيءِ الكواكبِ (٦)

والقصيدة ليست من الشعر العالي مثل شعره الأردى، إلا أنها تدل على مقدرته على نظم الشعر العربي. وقد استحسنها بعض أدباء المدينة المنورة عندما وصلت اليهم، كما ذكر ذلك الشيخ عبد الغني في رسالته الى حالي (٧).

بدأها الشاعر بالتشبيب على الطريقة العربية فقال :

هَوَى الحُورِ بَلْوَى كلِّ حَبْرٍ ونَادِبِ وفتنةُ قَسٍّ وزَلَّةُ راهِبِ (٨)

---

(١) كليات نظم حالي ١/ ٢٥٥.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٥٥، ٢٥٦.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٢٥٧.
(٤) انظر دراسة عن المدائح النبوية في : زكي مبارك : "المدائح النبوية" (ط. القاهرة)، وأستاذنا الدكتور عبد الله عباس الندوى : "عربي مين نعتيه كلام" (ط. كراتشي ١٩٧٨م).
(٥) انظر ترجمته في : عبد الحي الحسني : نزهة الخواطر ٧/ ٢٩٦.
(٦) انظر ديوانه (٧) انظر كليات نظم حالي ٢/ ٤٣٤. (٨) المصدر نفسه ٢/ ٤٣٥.

ويمضي في ذكر ابتلائه بالعشق ووصف حبيبته في أبيات عديدة ،ويشكو من غربته في ديار الهند . ثم ينتقل الى المدح بقوله :

كما أَظلمَ الدَّهْلِيْ بتغريبِ كوكبٍ مُضِيءٍ على عُرْبٍ ،عن الهندِ عازبِ

يشير فيه الى مهاجرة الشيخ من الهند الى الحجاز ، ثم يعدّد محاسنه وفضائله ويصل الى نهاية القصيدة فيقول :

مَدَحْنا بما اختصَّ الورى من مراتبٍ وفي الشيخ شأنٌ فوق تلك المراتبِ

سَيَنْفَدُ دُونَ الابتداءِ بوصفِهِ أقاويلُ وَصَّافٍ وأوصافُ كاتبِ

والقصيدة في ٤٨ بيتا ،يبدو في معظمها التكلف ،على طريقة نظم المتأخرين . ولم أنقل أبياتها لما فيها من الخروج عن الأساليب العربية المألوفة . وربما تكون قصيدته الأخرى في مدح العلامة شبلي النعماني (ت١٣٣٢هـ) وتهنئته بمناسبة منحه لقب "شمس العلماء" من قبل الحكومة ،أجود من الأولى ،ولذا نقتطف منها الأبيات التالية :

يا وحيدًا من الكرام فريدًا وعزيزا كمثل عِلْقٍ نَفِيْسِ

أنتَ أولَى بأن تُلقَّبَ شمسا بل بأن يجعلوك شمسَ الشُّموسِ

أنت شمسُ الهدى ولستَ بشمسٍ يعتريها الخُنوسُ بعد الخُنُوسِ

أنتَ طهَّرتَ ذيلَ دينٍ مبينٍ لوَّثَتْهُ اللئامُ بالتدليسِ (١)

وخلاصة القول أن حالي لم ينظم في المدح إلا قصائد معدودة ،وقد تأثر في قصائده الأردية بالثقافة العربية والاسلامية ،وخاصة في المدائح النبوية . أما قصائده العربية فلا تبلغ في مستواها الفني شعره الأردى ،ولذا لم نقف عندها كثيرا . ولكنها على كل حال تشير الى مقدرته على نظم الشعر العربي على طريقة الشعراء المتأخرين .

(٣) الرثاء : قام حالي بالتجديد في فن "الرثاء" متأثرا في ذلك بالأدب العربي ،وذلك أن الرثاء كان خاصا في الأدب الأردى بالبكاء على شهداء كربلاء والتحدث عن مناقبهم ،وتصوير الحروب والوقائع التي استشهدوا فيها .فخالف حالي هذا الاتجاه وانتقد المراثي الأردية بصفة عامة ،وقال : ان الشاعر لا ينبغي

---

(١) كليات نظم حالي ٢/ ٤٤٠.

له أن يقتصر على نظم حوادث كربلاء . بل عليه أن يرثي كل من يفقده سواء كان من أسرته أو قومه ووطنه . وقد خصص للكلام على فن "الرثاء" فصلا طويلا في كتابه "مقدمة شعر وشاعرى" (مقدمة في الشعر ونظمه) (١) وعرض نماذج كثيرة من المراثي العربية ودعا الشعراء الى احتذائها في الشعر الأردى . وسنتناول هذا الفصل بالدراسة في الباب الثالث عندما نتحدث عن آرائه النقدية .

ويهمنا هنا أن نذكر أن حالي لم يكتف بدعوة الشعراء الى نظم المراثي ، وانما نظم هو نفسه قصائد عديدة في رثاء بعض الشخصيات . ولا نجد في ديوانه قصيدة واحدة في رثاء آل البيت على طريقة الشيعة . ويرجع اليه الفضل في توسيع دائرة فن الرثاء قبل أن تبدأ حركة الشعر الأردى الحديث في لاهور (١٨٧٤م) بخمس سنوات ، عندما نظم قصيدة في رثاء أستاذه العظيم الشاعر "غالب" بعد وفاته (١٨٦٩م) (٢) . وهذه القصيدة تعد بحق من أروع ما نظمه حالي ، وأجود قصائد الرثاء في الشعر الأردى الحديث من حيث جودة الأسلوب وقوة البيان وصدق العاطفة واختيار الكلمات الدقيقة لتصوير الموقف . بكى فيها حالى على فقيد العلم والأدب ، وصور أخلاقه وصفاته وكل ما يتعلق بشخصيته . ونحن عندما نقرأ القصيدة نشعر بأننا لم نفتقد شاعرا فقط ، وانما ارتحل عنا شخص كان نموذجا للانسان الكامل فلا يجود الزمان بمثله .

والقصيدة طويلة في مائة بيت قسمها الى عشر مقطوعات ، كل مقطوعة منها تحتوى على عشرة أبيات . بدأها الشاعر بنغمة ممزوجة بالحزن والألم والتفجع فقال :

"كيف أعبر عن الآلام المكنونة في داخلي ، فالوقت قصير والقصة طويلة" . لقد تأثر الشاعر بموته أبلغ تأثر ، وتحولت الدنيا في نظره الى سراب لا حقيقة فيها ، ولا وجود للمظاهر التي تقع أبصارنا عليها . "فتاج الملك" "فغفور" من طلاسم الخيال ، وعرش السلطان "خاقان" من الأوهام والظنون ، وكأس "جمشيد" لا واقع له مثل موج السراب ، وفصاحة العرب كلمة لا معنى لها ، وحكمة اليونان لفظ باطل ، ولحن "داود" خدعة ، وحسن "يوسف" تمثيل ... وخلاصة القول أن الوجود سراب ، ولا ماء في منبع الحياة" .

---

(١) حالي : المقدمة ص ١٨٩-٢٠٢ . (٢) المصدر نفسه ١/٣٢٧-٣٣٥ .

وفي المقطوعة الثانية يستمر في وصف الدنيا ،وأنها دائما تتجاهل في الأخير من تعرفت اليه في الأول ،وأنها لا تفي أبدا بوعودها ،ولا تقدّر أحدا مهما كان عظيما . وفي البيت الأخير منها يجعل وناة "غالب" كوفاة الشاعرين العظيمين من الفرس "عُرفي" و "طالب".

ويبدأ المقطوعة الثالثة بقوله : " يا للأسف لقد مات عندليب الهند ، الذى كان في كل كلمة من كلماته سر من الأسرار". ويصفه بطهارة القلب وعفة النفس وسعة الاطلاع ونفاذ البصيرة ،وأن مدينة "دلهي" ماتت بموته ،وانطفأ ذلك السراج الذى ينير القلوب والأذهان .

ويستمر في وصفه في المقطوعات الأخرى حتى يصل الى نهاية القصيدة . وقد صوّر الخسارة الفادحة التي لحقت الشعب الهندى بفقده ،فقد ذهب بذهابه الشعر ،وخَرِب بستانُ الأدب ،وأظلمت المحافل ،وانقطع الانشاد في النوادى ، وتحوّلت المدينة الى مجالس عزاء لأنها فقدت "يُوسُفَها" ،وانتشرت الفوضى في البلاد لأنه مات "أفلاطونها" ،وغاب البدر الكامل في ليل التّمام ،وعمّ الظلام على ماء الحياة . فمن الذى يخلفه الآن في الهند ؟ ومن الذى يُطرِب اليوم في الحدائق مثل البلبل ؟ .... وهكذا يذهب في وصفه طويلا ، ويستقصى محاسنه وفضائله ويصوره لنا في صورة شعرية جميلة تَجِلُّ عن الوصف .

ويهمنا هنا ذكر تلك الصور والتعابير التي استخدمها حالى في هذه القصيدة والتي تشير الى تأثره الشديد بالثقافة العربية. فقد ذكر "الراح" و "الريحان" و "نطق أعرابي" و "اللحن الداودى" و "حسن كنعان" ، و "چشمهٔ خضر" (منبع ماء الحياة للخضر) ،و "خاتم سليمان"(١) و "قيس" (مجنون ليلى)(٢) و "يوسف كنعان"(٣) . ومن الكلمات العربية التي قلما تستخدم في الأردية "غُنْج ودَلَال"(٤) و "هيهات"(٥) و "رُمّان"(٦) وغيرها مما توجد في القصيدة هنا وهناك . ومن العجيب ان تنتهى القصيدة ببيت عربي ،وكأنه لم يجد

---

(١) كليات نظم حالي ١/٣٢٧.
(٢) المصدر نفسه ١/٣٣٢
(٣) المصدر نفسه ١/٣٣٤.
(٤) المصدر نفسه ١/٣٣٠
(٥) المصدر نفسه ١/٣٢٩.
(٦) المصدر نفسه ١/٣٣٤.

لما يعبر به عن البكاء والعويل أسلوبا أقوى من أن ينهي القصيدة بهذا البيت من نظمه :

كم انا فيه من بُكىً وعَوِيْلْ ... وعتابٍ مع الزمانِ طويلْ (١)

وهذه ظاهرة قلما نجدها في القصائد الاُردية . وهي ان دلت على شيء فانما تدل على حبه للاُساليب العربية واستخدامها في شعره الاُردى .

ونلاحظ في هذه القصيدة أن حالي جمع فيها الاُنواع الثلاثة من الرثاء ، وهي : " الندب " أو البكاء والنواح والعويل على الميت بألفاظ حزينة موٴلمة كثيرة الحزن ، تستطر الدموع من العيون . و " التأبين " وهو الثناء على الميت وذكر فضائله وتعداد محامده ووصفه بخصال الخير والمثل العليا . و " العزاء " وهو التفكر في رحلة الحياة ومصير الناس وحتمية الاُقدار ونزول البلاء وضعف الانسان أمام نوازل الدهر ومصائب الزمان ، فيلتمس في كل ذلك السلوة والصبر والرضا بما نزل به والاستسلام للقدر . كل هذه الاُنواع معروفة في الشعر العربي ، وكان حالي قد اطلع على كثير من نماذجها واستحسنها في كتابه "المقدمة" ، كما أشرنا الى ذلك فيما مضى .

وليست قصيدته في رثاء "غالب" هي القصيدة الوحيدة لحالي في هذا الفن ، فله قصائد عديدة في رثاء الآخرين ، وان لم تكن في مستواها من الناحية الفنية . ونجد في ديوانه ست قصائد ومقطوعات أخرى بالاُردية (٢) ، وسبعا بالفارسية (٣) . ومن أجودها مراثيه في السيد أحمد خان (٤) (ت١٣١٥هـ) ، والحكيم محمود خان الدهلوى (٥) (ت١٣١٠هـ) ، وشقيقه امداد حسين (٦) (ت ١٣٠٣هـ) . أما الاخير فقد تأثر بوفاته ورثاه رثاء حارا . وأما السيد أحمد خان فرثاؤه ليس رثاء لشخص واحد ، وانما هو رثاء للشعب الهندى كله . وقد عدّد حالي فيه صفات المذكور ، واعتبر وفاته خسارة عظيمة ، وقد بكى عليه بكاء طويلا ، الا أنه

---

(١) المصدر نفسه ١/ ٣٣٥ . والبكا يمد ويقصر ، فاذا مددت أردت الصوت الذى يكون مع البكاء ، واذا قصرت أردت الدموع وخروجها . قال كعب بن مالك الأنصارى (وقد جمع بين الممدود والمقصور في بيته) :

بكت عيني وحُقَّ لها بُكاها * وما يُغنِي البكاء ولا العويل

(٢) المصدر نفسه ١/ ٣٣٥، ٣٣٧، ٣٤٩، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٦١.

(٣) المصدر نفسه ٢/ ٣٩٥، ٣٩٧، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٨، ٤١٠.

(٤) المصدر نفسه ٢/ ٣٩٧-٤٠٣ (٥) المصدر نفسه ١/ ٣٣٧-٣٤٩.

(٦) المصدر نفسه ١/ ٣٣٥ - ٣٣٧.

تنبه في الأخير فأحسّ بأن البكاء في هذا الوقت لا يغني شيئا ،وخاطب أصحابه بقوله : " يا أصحابي ،لا محيد عن الموت ولا مفر من الفرقة ،فالى متى نبكي على السيد كما تبكي النساء؟ هذا وقت الثبات والصمود والشجاعة والرجولة ، فان مثل هذه الحادثة الفاجعة لا بد من مواجهتها بشجاعة . واذا تغافلتم عن واجبكم الآن تلحقكم مئات من الحوادث بعد هذه الفاجعة . . . فعليكم أن تحافظوا على ذلك المعهد العلمي الذى أنشأه السيد أحمد خان من أجلكم "(١) .

أما رثاؤه للحكيم محمود خان الدهلوى فجزء كبير منه في رثاء مدينة " دلهي "(٢) ، حيث يذكر أنها خَرِبت بعد ما كانت مركزا للعلوم والفنون ردحا من الزمن ،تُذَكِّر مدينتَي غرناطة وبغداد ،تخرج فيها كثير من المحدثين والفقهاء والأطباء والفلاسفة ،والأدباء والشعراء ،وقد حافظتْ على تلك العلوم التي انتقلت اليها من العرب ،وجمعتْ بين الفرس والروم والترك وغيرهم ،كأنها باقة من الزهور المختلفة الألوان . وأخيرا دارت عليها رحى الزمان ،وارتحل عن حديقتها موسم الربيع ،وسافر عنها العز والغنى والعلم والفن ،وتفرقت المجالس، وزالت الدولة ،وأظلمت الزوايا ،وخربت المعاهد الدينية ،وذبلت أزهارها ،ولم يُسْمَع فيها صوت العندليب مرة أخرى .

وبعدما يبكي الشاعر على زوال مدينة " دلهي " ينتقل الى وصف الحكيم محمود خان المذكور(٣) ،ويذكر فضله في إحياء العلوم والآداب في هذه المدينة من جديد ،وينوّه بجهوده في إنشاء المعاهد لتدريس الطب الاسلامي ، ويسهب في بيان أخلاقه وصفاته . ويعبر عن بالغ أسفه على وفاته ،وكأنه كان قمرا خرج من خسوفه لفترة ثم انخسف ،وأظلمت مدينة " دلهي " بعده .

وله قصيدة أخرى في رثاء " دلهي "(٤) يقول فيها :

---

(١) المصدر نفسه ٢/٤٠٣ .

(٢) المصدر نفسه ١/٣٢٧-٣٤١ (١٤ مقطوعة من أول القصيدة) .

(٣) المصدر نفسه ١/٣٤١-٣٤٩ .

(٤) المصدر نفسه ١/١١٩-١٢١ .

"ياصاحبي لا تَذكُرْ مدينة "دلهي" المرحومة ،فلا أستطيع أن أسمع قصتها المؤلمة ،ويا عندليبُ ،لا تنشد في موسم الخريف وصفَ الزهور ،ولا تُجبِرْنا على البكاء في أثناء الضحك .... وياعيني ،ان قلبي يتموج فيه بحر الدماء ،فلا تصرفي أنظارك عن السحاب .... كل بقعة من بقاع هذه المدينة مدفونة تحتها اللآلي الثمينة ،ولا توجد مثل هذه الخزانة في غيرها ... لقد مات الشعر يا اخواني ،ولا يحيا أبدا ،فلا تزيدوا في الآلام بذكره ... جاء آخِرُ الليل ،وانتشر الحفل ،ولا ترون الأمسيات الشعرية بعد هذه الليلة أبدا".

وقصيدتاه في رثاء مدينة "دلهي" من أشهر قصائده (١) . وقد نظمها على غرار قصيدة أبي البقاء الرُّنْدِي في رثاء الأندلس (٢) ،وقصيدة سعدى الشيرازى في رثاء بغداد (٣) . وكان حالي قد اطلع عليهما (٤) ،بل انه ترجم أيضا القصيدة الثانية الى الاردية . واذا قارنا بين شعر حالي وشعر الرندى وجدنا بعض التشابه في الأفكار والصور . وكأن الأبيات التالية لأبي البقاء الرندى:

لكل شيء اذا ما تمَّ نقصانُ ... فلا يُغَرَّ بطِيبِ العيش انسانُ

هي الأمور كما شاهدتَها دُوَلٌ ... من سرَّه زمن ساءته أزمان

وهذه الدار لا تَبقَى على أحد ... ولا يَدُوم على حالٍ لها شان (٥)

نظمها حالي في مقطوعته التالية:

لیکن آخر طبعِ دوران کا ہے جیسے اقتضا ... ہر ترقی کی ہے حد، ہر ابتدا کی انتہا

جبکہ دورہ اپنا تو دنیا میں پوراکر چکا ... وقت اے جانِ جہان تیرا بھی آخر آلگا

گردشِ افلاک کے ہونے لگے تجھ پر بھی وار ... تیرے گلشن سے بھی کوچ آخر لگی کرنے بہار (٦)

فكل منهما يتحدث عن شكوى الدهر وغدره ،وأن لكل شيء نهاية لا بد منها، فلا قرار في هذه الدنيا لأمر ،ولا يدوم على حاله شأن . إلا أن حالي لا يتحدث

---

(١) أشار الى قصيدته الثانية نعيم أحمد في كتابه "شهرآشوب كاتحقيقي مطالعه" ص ١٨٣ (ط. على كره ١٩٧٩م).
(٢) انظر: المَقَّري: أزهار الرياض ١/ ٤٧-٥٠ ،ونفح الطيب ٦/ ٢٣٢ فمابعدها.
(٣) وهي قصيدة عربية انظر: كليات سعدى ٢/ ٢-٤ (ط. لاهور ١٣٠٢هـ) وقد نشرت أيضا في مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد ٦/ ١٧٤-١٧٧ (عام ١٩٦٣م).
(٤) انظر كليات نثر حالي ١/ ٥٠٠ ،وحيات سعدى ص ٢٧٩-٢٨٨.
(٥) المقرى: نفح الطيب ٦/ ٢٣٢. (٦) كليات نظم حالي ١/ ٣٤٠.

في قصيدته عن غلبة النصارى على البلاد ،وما أصاب المسلمين من الذل والهوان ، بل يكتفي بوصف المدينة وخلوها من العلماء والأدباء ،وما آل اليه أمرها اقتصاديا واجتماعيا وخلقيا . أما أبو البقاء الرندي فقد تحدث عن آثار غلبة النصارى على الأندلس ،حيث أصبحت المساجد كنائس ،واستبدلت النواقيس والصلبان بالقبلة ، وبكت المحاريب وشكت المنابر . ووصف حال المسلمين وما انحدروا اليه من ذل بعد عز وعبودية بعد سلطان ،وضياع بعد منعة ، حيارى بعد استقرار يُباعون في الأسواق كما تباع الماشية ، يفرق بين الولد وأبيه وبين الرضيع وأمه ،وتنتهك الحرمات ويقتل الأبرياء ، الى غير ذلك من الرزايا التي تثير نخوة المسلم لينطلق الى الجهاد . أما حالي فلم تسمح له الظروف السياسية بأن يصور كل ذلك في شعره ويحرض الناس على الجهاد ،وانما كان همه ان يشارك الناس في آلامهم بدون التعرض للحكومة ،ويأخذ بأيديهم الى ما فيه صلاحهم.

ومهما يكن من أمر فلا شك أن حالي كان متألما جدا من وضع المسلمين في الهند بعامة و في "دلهي" بخاصة ،ولم يستطع أن يخفي مشاعره ،فنظم شعره في رثائها ،كما رثى بعض الشخصيات بقصائد عديدة . وكان يميل بطبعه الى الرثاء ،ومعظم شعره في الموضوعات الأخرى يتميز بطالع الحزن والألم والتحسر والتفجع على أحوال المسلمين في البلاد ،ولذا وُصِف بأنه شاعر الرثاء يهمه دائما رثاء القوم.

(٤) الوصف : يوجد في ديوان شعره عدد من القصائد التي وصف فيها الطبيعة ،وصور الواقع ،وأجرى الحوار بين بعض الأشياء المحسوسة أو الصفات الخلقية(١) . وقد بدأ عنده هذا الاتجاه في النظم عندما كان مقيما بلاهور، حيث عقدت أمسيات شعرية باشراف "انجمن پنجاب" (نادي پنجاب الأدبي) عام ١٨٧٤م ،كما سبق أن تحدثنا عنها في الباب الأول . شارك حالي في أربع جلسات منها ،وألقى أربع قصائد ،وهي : "برکهارت" (موسم المطر) ،و "نشاط أميد" (بشاشة الرجاء) ،و "حب وطن" (حب الوطن) ،و "مناظرۂ رحم وانصاف" (حوار بين العفو والعدل) ،وقد نجح حالي في محاولته ،

---

(١) انظر : كليات نظم حالي ١/ ٣٦٥-٥٠٩.

واستحسن الناس قصائده ،ونالت رواجا وقبولا في الأوساط الأدبية . ولعل أحدا من الشعراء غيره لم يوفق في نظم هذه الموضوعات بأسلوب شعرى جديد يجمع بين صدق العاطفة وبساطة التعبير وعذوبة البيان وخفة الوزن . واذا قارنّا بين قصائده وقصائد محمد حسين آزاد نجد أن الأخير مع امتلاكه ناصية اللغة وتحليقه في أجواء الخيال لم يصل الى مستوى فني رفيع ،ولذا انتقد بعض الأدباء انتقادا شديدا (١) ،ولم تنشر قصائده الا بعد مرور ربع قرن من نظمها (٢) .

أما حالي فقد نشرت قصائده الأربع وغيرها مرات عديدة ،وقلدها الشعراء في منظوماتهم ،وأطرى عليها النقاد واعتبروها بداية للشعر الأردى الحديث .

وصف حالي في قصيدته الأولى (٣) موسم المطر وتوابعه ،وقدم لها بمقدمة طويلة صور فيها شدة الحر وآثارها قبل نزول المطر ،فقد كانت الحيوانات تتململ على الرمضاء ،والجبال تحترق بالشمس ،والمياه تغلى في البحار ،وتشتعل النار في الصحراوات .... ويستمر في وصف كثير من الجزئيات بدقة وبراعة حتى يصل الى القسم الثاني من القصيدة ،حيث يصور السحاب

والرعد والبرق ونزول المطر ،

ويصف موسم المطر بأنه يجدد الحياة في العالم ،فتجرى الأنهار ،وتخضر الأرض ، وترقص الحيوانات والطيور فرحا ،ويلعب الأطفال سرورا ،وتتغنى البنات في الميادين الفسيحة . ويختم الشاعر القصيدة بذكر غربته ،وابتعاده عن الأهل والوطن ،فلا يملك دموعه التي تقطر من عيونه مثل حبات المطر .

جمع حالي في القصيدة بين تصوير مناظر الطبيعة وجزئيات الموقف والعواطف الداخلية ،وتحدث ببراعة عن مقدمات المطر وتوابعها . وقد استمد الصور والمشاهد من بيئته ،ولذا نفقد فيها أى نوع من التأثير الخارجي ،سواء من الشعر الفارسي أو العربي .

أما القصيدة الثانية "نشاط أميد" (٤) (بشاشة الرجاء) فقد صور فيها

---

(١) انظر نموذجا منه في : محمد صادق : محمد حسين آزاد - احوال وآثار ص ٦٠-٦٥ .

(٢) المصدر نفسه ص ٦٩ . (٣) كليات نظم حالي ١/ ٣٧١-٣٨٤ .

(٤) المصدر نفسه ١/ ٣٨٤-٣٩١ .

الرجاء أو الأمل ،وآثاره في حياة الانسان . واذا لاحظنا تلك الظروف التي نظمت فيه القصيدة حيث ساد المسلمينَ اليأسُ والقنوط بعد ثورة عام ١٨٥٧م أدركنا مدى أهمية هذا الموضوع الذى يحدد فيهم النشاط وقوة العمل ،ويؤكد لهم الأمل في اصلاح شأنهم ،ويغرس في نفوسهم الثقة والاطمئنان . وأجود أبيات القصيدة تلك التي يصور فيها الصراع بين اليأس والرجاء ،حيث يقول :

" عندما يهجم اليأس والقنوط ،وتتراقص غيوم الحسرة والألم ،وتذهب الشجاعة ،ويُفقَد الصمود ،وتقع الحرب بين الصبر والتمرد ،وتريد النفس أن تتناول السم أوتخرق الثياب فتخرج . . . اذ يقع في الآذان دبيب الأمل ، فيرتحل اليأس في حينه ،ويسافر معه القنوط ،ويذهب التحسر . يختفي فيك سرُّ الحياة ياأمل ، فلا تترك مصاحبة حالى أبدا "(١) .

استمد حالي في القصيدة بعض الصور من القرآن الكريم والتاريخ ،منها اشارته الى قصة نوح ويوسف بقوله :

"اعتمدتُ عليك - يا أمل - سفينةُ نوح ،وكنتَ الموءنسَ ليوسف في البئر"(٢) .

وورد ذكر المجنون في قوله : " أنت - يا أمل - طمأنتَ قلبَ قيس ،وأسكتَه لما اضطرب "(٣) .

كما استخدم بعض الكلمات القرآنية في وصف الجنة وما اليها ، مثل : " حور " و "شراب طهور " و " طوبى " و "كوثر " ،و " تسنيم " ،و " فردوس " وغيرها .(٤)

وايرادها مجتمعة يدل على استيحائها من القرآن .

أما القصيدة الثالثة "حب وطن"(٥) (حب الوطن) فموضوعها واضح من عنوانه ، يصور فيها حالي تلك العاطفة التي جُبِل عليها الانسان حيث يميل دائما الى مسقط رأسه ،ويحن الى وطنه الذى ولد ونشأ فيه . وقد ألف في هذا الموضوع كثيرون ، ولعل أشهرهم في الأدب العربي هو الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) ،فله " رسالة في الحنين الى الاوطان "(٦) .ولا اعتقد أن حالي قد اطلع عليها ،فانها لم تطبع في حياته .

---

(١) كليات نظم حالي ١/ ٣٩٠-٣٩١ . (٢) المصدر نفسه ١/ ٣٨٥ .
(٣) المصدر نفسه ١/ ٣٨٥ . (٤) المصدر نفسه ١/ ٣٨٧ .
(٥) المصدر نفسه ١/ ٣٩١-٤١٠ .
(٦) انظر : رسائل الجاحظ ٢/ ٢٧٩-٤١٢ (تحقيق عبد السلام هارون، ط. القاهرة ١٩٦٤م) .

بدأ حالي القصيدة بمخاطبته لمظاهر الطبيعة فيقول :

" يانجوم الفلك ،ويا حدائق الأرض ،ويا مناظر الجبال الجميلة ،ويانسائم الأنهار اللطيفة ،ويانفحات المناديل السحرية ،ويا ليلة مرصّعة بالنجوم ..... أنتِ حبيبة إليّ في كل مكان ،إلا أنكِ في الوطن أحبُّ وأجمل "(١) .

تحدث حالي عن هذه العاطفة ،وأنها تكون كامنة في الانسان الى آخر حياته ،وان اضطر الى الخروج والهجرة من وطنه ،وذكر أمثلة من التاريخ تؤكد ذلك ، منها أن هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى يثرب (المدينة) لم تُخرِج من قلبه حبَّ بطحاء مكة ،فدائما كان يذكرها ،ويَحِنُّ اليها . وكذلك النبي يوسف عليه السلام عندما كان يتذكر الأيام التي قضاها في كنعان ينسى أنه سلطان مصر(٢) . وهكذا يمدّد حالي وقائع التاريخ الأخرى ،ويُثبت بها أهمية تلك العاطفة .

ثم ينتقل الى القسم الأخير من القصيدة ،حيث يذكر أن حب الوطن ليس عاطفة شخصية ،بل يتطلب من المواطنين أن يتعاونوا فيما بينهم ، ويأخذ بعضهم بيد بعض ،ويتحدوا ،وينبهوا النائمين ،وينقذوا الغارقين ،وينشروا العلوم ، ويتجهوا الى الصنائع والمهن . و حينئذ يتحقق النجاح في هذه الحياة .

أما القصيدة الرابعة " مناظرةُ رحم وانصاف "(٣) (حوار بين العفـــو والعدل) فقد اتبع فيها أسلوب الحوار عند بعض شعراء الفرس والعرب حيـث كانوا يشخصون بعض المعاني والصفات ،ويجرون الحوار بينها . وهذا الأسلوب استخدمه الشعراء في المنظومات الأخلاقية ،وقد أدخله حالي لأول مرة في الشعر الأردى(٤) ،ونظم أربع قصائد تحتوى على الموازنة بين أمرين ،والحوار بين شيئين ،وتوجيه الناس بهذا الاسلوب الى ما فيه الخير والصلاح . أولاها ما سبقت الاشارة اليها ،والثانية بعنوان "مناظرةُ واعظ والشاعر"(٥) (حوار بين الواعظ والشاعر) ، والثالثة "بهوٹ اور ايكركا مناظرة "(٦) (حوار بين الفرقة والاتحاد) ،

---

(١) كليات نظم حالي ١/ ٣٩١ ، ٣٩٢ .
(٢) المصدر نفسه ١/ ٣٩٦ .
(٣) المصدر نفسه ١/ ٤١١-٤٢١ .
(٤) المصدر نفسه ١/ ٥٦ (المقدمة) .
(٥) المصدر نفسه ١/ ٤٤٩-٤٦٢ .
(٦) المصدر نفسه ١/ ٤٦٢-٤٧٤ .

والرابعة " دولت اور وقت كا مناظرة "[١] (حوار بين المال والوقت) . نرى أن جميع هذه القصائد تخدم الغرض الذى نظمت من أجله ،وليس أدل على ذلك من أنها نشرت مرات عديدة ،وكان لها تأثير كبير في المجتمع ،واعترف الأدباء بقيمتها الفنية.[٢]

وتتميز جميع منظوماته في الوصف بواقعيتها ووضوحها ،وخفتها ،وابتعادها من المبالغة والاغراق في الخيال و قربها من الحياة اليومية . كما أنها لم تخل من الابداع في التصوير والتمثيل ،وتحليل النفسيات الاجتماعية ببراعة ،وتوجيه الشعب عن طريقه الى العمل . ويبدو التأثير الشديد بآراء السيد أحمد خان الاصلاحية في قصيدتيه : " كلمة الحق "[٣] و " تعصب وانصاف "[٤] ، فقد تحدث في الأولى عن الصدق أو قول الحق وفوائده ،وصور في الثانية موقف المسلمين من العلوم الحديثة وتعصبهم للقديم ونفورهم من كل جديد ولو كان صالحا .

(٥) الشعر التعليمي : هو ذلك الشعر الذى نظمه للأطفال يدعوهم فيه الى الأخلاق الفاضلة . ويقول بعض الباحثين : " ان حالي كان رائدا في هذا الميدان ،فلا نجد قبله من عُنِى بنظم الشعر للأطفال "[٥] ، ولا أساس له من الصحة ، فقد نظم حالي منظوماته بين عامي ١٩٠٤-١٩٠٨م[٦] ،وسبقه عدد من الشعراء ،ولعل أشهرهم اسماعيل ميرٹهي الذى ألف سلسلة كتبه في القراءة للصفوف الابتدائية عام ١٨٩٣م وضمّنها كثيرا من شعر الأطفال[٧] . ومهما يكن من شيء فقد نجح حالي في هذا الميدان ،حيث إنه راعى في شعره نفسيات الأطفال وميولهم ،ونظم قصائد عديدة بأسلوب سهل لطيف في أوزان خفيفة ، ولا نجد فيها تلك النغمة الحزينة التي يمتازبها شعره في الأغراض الأخرى .

---

(١) المصدر نفسه ١/ ٤٧٥-٤٧٩ .
(٢) انظر ما قاله السيد أحمد خان في مجلة "تهذيب الأخلاق " عدد محرم ١٢٩٢هـ .
(٣) كليات نظم حالي ١/ ٤٣٩ .
(٤) المصدر نفسه ١/ ٤٢١ .
(٥) عبادت بريلوى : جديد شاعرى ص ١٢٦ (ط. دلهي ١٩٧٣م) .
(٦) كليات نظم حالي ١/ ٥١٣-٥٤٥ .
(٧) انظر : تاريخ أدبيات مسلمانان پاكستان وهند ٩/ ٤٩٢ ،وكليات نظم حالي ١/ ٥٧ (المقدمة) .

وتنوعت موضوعاته في هذا الشعر ،مثل حمد الله وتعديد ما أنعم به علينا ،والترغيب في إطاعة الوالدين ،وتعظيم الكبار ،وبيان قيمة الوقت ،ومحاورة الأطفال مع أمهاتهم وطموحاتهم في المستقبل . وينظم بعض القصص والحكم على ألسنة الحيوانات ،كما يصف الإسكافي وموزّع البريد والشرطي والعسكري والمُزارع والبستاني والغسّال والنجّار ،ويُبيّن كيف يُزرَع الأرز ؟ وكيف تحصل على الخبز ؟ وجميع هذه المنظومات توجه الأطفال توجيها سليما ، وتحثهم على العمل والجد والاجتهاد . ومن الأمور التي ركز عليها حالي في منظوماته أن أى مهنة في الحياة ليست محتقرة ،فالخدمة والعمل هما أساس الفلاح في الحياة .

ويبدو من دراستها أن حالي استفاد فيها من البيئة الهندية ،ولم يذكر إلا تلك المشاهد التي تكون أمام الأطفال ،ولذا فهو لم يستمد فيها من الثقافة العربية . ويُشبِه صنيعُه هذا صنيعَ شوقي في شعره للأطفال(١) حيث اعتمد فيه على البيئة المصرية ،فذكر النيل وبعض الحيوانات المألوفة ،ووصف الجدّة والأم والمدرسة ،ونظم نشيد مصر ونشيد الكشافة وغيرها . وهذا ما تتطلبه ميول الأطفال ونفسياتهم .

(٦) الشعر الاجتماعي : نظم حالي مجموعة من القصائد في الموضوعات والقضايا التي كانت تهم الشعب والوطن آنذاك ،صور فيها الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعلمية للمجتمع الاسلامي في القرن الماضي ،ودعا الى الاصلاح ،وخدم بها حركة على كره التعليمية والفكرية ، ومن أهم هذه الموضوعات التي تناولها في شعره : اصلاح شأن المرأة في المجتمع الهندى ، والدعوة الى الاهتمام بالتعليم وقضاياه ،وتوجيه الناس الى الصناعات والأعمال المهنية ، والاستفادة من العلوم الحديثة ،والترغيب في مساعدة الأيتام وانشاء المراكز التي تُعنَى بشئونهم ، والالتزام بالأخلاق الفاضلة والتخلى عن الرذائل ... الى غير ذلك من الموضوعات التي ردّدها حالى كثيرا في شعره .

وتعتبر قصيدتاه "مناجات بيوه"(٢) = دعاء أرملة (١٨٨٤م) و "چپ کی داد"(٣) = استغاثة السكوت (١٩٠٥م) من أشهر قصائده الاجتماعية

---

(١) شوقى : الشوقيات ٤/١٨٧-٢٠٠ . (٢) كليات نظم حالى ٢/ ٥-٤٥ .
(٣) المصدر نفسه ٢/ ٤٦-٥٣ .

التي تُعنى بقضايا المرأة الهندية ،وتصور أحوالها ،وتدعو الى اصلاحها . ولعل حالى كان أول من صوَّر في شعره وضعها السيء ،فلم يهتم قبله أحد من الشعراء بهذا الموضوع . وقد ذكر حالي في القصيدة الأولى على لسان أرملة ما تعاني من المشاكل الاجتماعية ، فقد توفى عنها زوجها ،وتعيش الآن في بيته ،ولا يمكن لها أن تتزوج كما تقرر ذلك الشريعة الهندوسية ، فهي في عذاب دائم الى وفاتها . لقد كانت قضيتها من أهم القضايا الاجتماعية في القرن الماضي ، ولذا نظم حالي قصيدته التي تعد من أجود قصائده وأطولها ،وتمتاز بنغمة حزينة مؤثرة في القلوب . وأسلوبها سهل مبسط للغاية ، ويمكن أن يعتبر نموذجا للسهل الممتنع ، فقد استعمل حالى فيها كلمات رقيقة شائعة على الألسنة في داخل البيوت ، وصور عواطف المرأة ومشاعرها بنجاح (١) ،واستخدم تلك التشبيهات والصور التي تناسب المقام ،وكلها مستمدة من البيئة الهندية .

ومما يدل على ذيوعها وانتشارها أنها ترجمت الى اكثر من عشر لغات، منها السنسكريتية والهندية . ويكفي أن نذكر هنا قطعة صغيرة منها بعد ترجمتها الى العربية ،وهي :

" كيف أذكر لك يا ربي أحوال القلب ؟ هل يخفى عليك شيء منها ؟ كأني سمكة تتململ على الرمال الحارة تحت الشمس ، ولا تموت فتسكن ،ولا تزول الشمس عن رأسها "(٢) .

ولا نقف عند هذه القصيدة طويلا ،فان التأثير العربي مفقود فيها ، فهي كما قلنا تصور البيئة الهندية الخالصة .

أما القصيدة الثانية " چپ كى داد " (استغاثة السكوت) فقد تحدث فيها حالي عن فضائل المرأة وخصائصها ،وذكر مظلوميتها وحرمانها من حقوقها . ومن الجدير بالذكر أن حالي لم يدع الى تحرير المرأة ومساواتها مع الرجل مثل دعاة التجديد والتغريب في العصر الحديث ،وانما دعا الى تنويرها ورفع مستواها الفكرى والعناية بتعليمها وتربيتها تربية اسلامية صحيحة ،والقضاء على الجهل والعبودية والخرافات الشائعة .

---

(١) انظر ما كتبته صالحه عابد حسين في : يادگار حالى ص ٢٤٤ .
(٢) كليات نظم حالي ٢/ ٣١ .

بدأ حالي القصيدة بمخاطبة الأمهات والأخوات والبنات ،وهذا أسلوب لم نعهده من قبل ، فقد كانت المرأة دائما تُخاطَب وكأنها عشيقة فقط . خالف حالي هذا التقليد ورفع من شأن المرأة وعدد خصائصها وفضائلها ،وذكر أنها زينة الدنيا وعمران البلاد وعز الأمم ،وأشار الى تضحياتها في تكوين المجتمع وتنشئة الأولاد وتنظيم الأسرة . وقال :

" لو لم تُخلَق لما وصلت سفينة الحياة الى شاطئ البحر ،ولو وقعتْ على الرجال أعباءُ تنشئة الأولاد ورعايتها لانطلقتْ صَرخاتُهم في يومين "(١) .

ثم ينتقل الى بيان الأوضاع المؤلمة للمرأة في مختلف المجتمعات في التاريخ ،فأحيانا قتلَها بعض الأقوام ،ووأدَها آخرون ،وأحرقها الهنود مع زوجها المتوفى . ويتحدث عن قهر الرجل لها ومنعها عن التعليم فيقول :

" العلم الذى يعتبر في حق الرجل ماء الحياة ،اعتُبِرَ في حقك سمًّا قاتلا "(٢) .

وينهي القصيدة بذكر الجهود التي بُذِلتْ أخيرا في ميدان تعليم المرأة من قبل بعض الشخصيات .

ولحالي قصائد أخرى تحدث فيها عن قضايا التعليم والاقتصاد ،والفكر والثقافة ،ويغلب على بعضها طابعُ النصح والتوجيه والخطابة ،لأنها أُلقيتْ في بعض الحفلات الكبيرة أمام الجمهور ،ومع ذلك فلا تخلو من العاطفة الصادقة والاخلاص ، وهي وان لم تصل الى مرتبة القصيدتين اللتين تحدثنا عنهما من الناحية الفنية إلا أن لها قيمة تاريخية كبيرة .

ومن أشهر القصائد التي تناول فيها قضايا التعليم ودعا الى تأييد حركة على كره التعليمية : قصيدته بعنوان " مدرسة العلوم مسلمانان واقع على گڑھ "(٣) (١٨٨٠م) ، و " مسلمانون کی تعلیم "(٤) = تعليم المسلمين (١٨٨٩م) ، وكلتاهما في شكل " تركيب بند " ،وقد ألقاهما في جلسات المؤتمر التعليمي الاسلامي . وقد تحدث فيهما عن أهمية التعليم في كل ميادين الحياة ،وذكر فوائده ، ورد على آراء المحافظين في عزوفهم عن العلوم الحديثة ، وأشار الى جهود السيد أحمد خان في تأسيس كلية على كره ،واعتبرها مركز العلم ومنبع الحياة .

---

(١) كليات نظم حالي ٢/ ٤٩ . (٢) المصدر نفسه ٢/ ٥١ .
(٣) المصدر نفسه ٢/ ١٩٩-٢٠٤ . (٤) المصدر نفسه ٢/ ٢١٨-٢٢٩ .

ومن منظوماته في الموضوعات الاجتماعية والاقتصادية : "ننگِ خدمت"(١) = عار المهنة (١٨٨٧م) ، و"فلسفهٔ ترقی"(٢) = فلسفة الرقـــيّ والنهوض (١٩٠٣م) . صوّر في أولاهما حياة المجتمع البشري في الطبقات السحيق حيث يعيش الجميع في وئام ، ثم غلب الجور والظلم واغتصاب حقوق الآخرين ، وعم الانحطاط في جميع ميادين الحياة . التقط حالي هنا كثيرا من الصور وعرضها في قالب شعري ، ثم دعا في الأخير الى الجد والاجتهاد وكسب الأرزاق بكد اليمين ورغّب في العلوم والفنون والصناعات والمهن ، وطلب من الناس أن يصلحوا أفكارهم و يتخلوا عن الآثار السيئة للنظم الفاسدة .

و في القصيدة الثانية يذكر حالي أولا فضل الانسان على سائر المخلوقات وأنه يتميز بالفكر والعقل ، ثم يبين أن كل عصرٍ له طريقة خاصة في التفكير ، وتستجدُّ فيه الظروف والأحوال ، فلا بد من التجاوب معها ووضع الأسس التي يمكن عن طريقها التوفيق بين القديم والحديث . و هذا العصر يتميز بنشر العلوم والتحقيقات الجديدة ، فلا يجوز الإغفال عنها والزهد فيها بحجة المحافظة على القديم . ويقول حالي إنه لا بد للنهضة من صفات أساسية أهمها : الوحدة ، وحب الوطن ، والإخاء ، وخدمة الشعب .

و قصائده الأخرى في الموضوع تحتوى أيضا على مثل هذه الأفكار التي لخّصناها فيما سبق ، ولذا فلا نطيل عندها الوقوف ، وننتقل الى شعـــر الدعوة الاسلامية ، الذى يعتبر قمة ما وصل اليه شعر حالي من حيث الموضوع والأسلوب .

(٧)- شعر الدعوة الاسلامية : أقصد به ذلك الشعر الذى يحتوى على امتداح الاسلام ، والتغني بفضائله والغيرة على المسلمين ، و دعوتهم الى الاتحاد و جمع الشمل والتعاون ، وتحذيرهم من نزعات التفرقة التي تعود عليهم بالشر . ويحفل هذا الشعر بذكر مشاهير المسلمين قديما وحديثا ، و بتمجيد التراث الاسلامي والحضارة الاسلامية ومنجزات الاسلام الكبرى ، وبدعوة المسلمين الى النهوض من

---

(١) كليات نظم حالي ٢/٢٠٤-٢١٨ . (٢) المصدر نفسه ٢/٢٧١-٢٧٩ .

رقدتهم ،والخروج من الانحطاط الذى يتقلّبون فيه . وقد نشأ هذا الاتجاه في وجه التوسع الأوربي والتفرق الذى جعل الأوربيين يسيطرون عسكريا واقتصاديا وعلميا وحضاريا. وغايته أن يكشف الوسائل والإمكانات التي من شأنها أن تجعل المسلمين أقوياء قادرين على حماية أنفسهم من الخطر الأجنبي وعلى تحرير بلادهم من استعمار الغرب ونفوذه .

وقد بدأ هذا الاتجاه عند كثير من الشعراء في أقطار العالم الاسلامي في أواخر التاسع عشر الميلادى . ومن أبرزهم : شوقي وحافظ والرصافي في البلاد العربية ،وحالى وأكبر واقبال في الهند ، وعبد الحق حامد وتوفيق فكرت ومحمد عاكف في تركيا ،ومحمد تقي بهار في ايران ،وغيرهم كثير (١) .

ولعل شاعرنا حالى كان أسبقهم الى هذا الميدان ،فقد نظم أشهر قصائده " مسدس مد وجزر اسلام " (قصيدة في تصوير مدّ الاسلام وجَزْره) عام ١٨٧٩م ،صوّر فيها ماضي المسلمين وحاضرهم ،ودعاهم الى النهوض من رقدتهم. وسنتناول هذه القصيدة بالدراسة فيما بعد ان شاء الله .

وقد نظم حالي ملحقا لهذه القصيدة بعنوان "ضميمةُ مسدس" عام ١٨٨٦م ، يحتوى على ١٦٢ مقطوعة (٢) . ولعله أراد أن يخفف من مرارة قصيدته الأولى قليلا ،حيث إنه كان قد ختمها بأبيات تقطع الرجاء والأمل في اصلاح شأن المسلمين . ولذا بدأ منظومته الجديدة بمخاطبة الرجاء ،ويطلب منه أن يطلع علينا بوجهه ،ويشجّعنا على المضيّ والسير الى الأمام ،فكم من أناس أحياهم الأمل بعد الموت ،وكم من المَزارع اخضرّتْ بعد يبسها . ويستمر الشاعر في الحديث عن الرجاء والأمل في عدد من المقطوعات (١-١٠) ،ثم يذكر أن المسلمين لا زال فيهم كثير من الصفات الحميدة ،منها الاستقامة ،والغيرة والحمية ، والاعتزاز بالنفس ،وحب العلم ،والرغبة في النهوض ،والاحساس بالضياع ،وحب الدين ،

---

(١) انظر: أحمد عبد اللطيف الجدع وحسنى أدهم جرار : شعراء الدعوة الاسلامية في العصر الحديث ١-٩ (ط. بيروت ١٩٨٣-١٩٨٥م)،ود. أحمد الحوفى : الاسلام في شعر شوقي (ط. القاهرة ١٩٧٢م)، ود. عبد السلام فهمي : شاعر الاسلام محمد عاكف (ط. مكة المكرمة ١٩٨٥م)،وأبو الحسن على الندوى : روائع اقبال (ط. بيروت ١٩٦٨م) ،وهارون الرشيد : اردو ادب اور اسلام (حصةُ نظم) (ط. لاهور ١٩٦٨م) .

(٢) انظر: كليات نظم حالي ٢/١٣٦-١٧٦ .

والافتخار بأسلافهم ،والحفاظ على التراث ،والجد والاجتهاد ،وتوفر الكفاءات في مختلف الميادين (١١-١٠٤) . ثم يتحدث عن العلم وفضله (١٠٥-١١٧)، والتعليم وآثاره (١٢٠-١٣٥)، والجهل وضاره (١٣٦-١٤٤)، ويرغبهم في نشر العلوم (١٤٥-١٤٦) ، ويشجّع العلماءَ وأصحاب المهن على مواصلتهم في ميادينهم ويقدّر جهودَهم في سبيل خدمة الشعب (١٤٧-١٥١) ،ويدعوهم الى توحيد الصفوف ،ونبذ الفرقة والخلاف ،وإفناء الذات في الجماعة (١٥٢-١٥٨) . ويختم القصيدة بالدعاء أن يوفقهم الله لتدارك الامر قبل أن يجيء الغد ويُنزَعَ الحجابُ عن أبصارهم ،ويرشدهم اليوم الى ما يحدث في المستقبل ، حتى يتمكنوا من بناء السقف قبل حلول موسم المطر ،ومن صُنْعِ السفينة قبل مجيء الطوفان (١٥٩-١٦٢) .

هذه خلاصة ما تحتوى عليه المنظومة . ونجد أن حالى تأثر في مواضع منها بالقرآن الكريم والتاريخ الاسلامي ،فقد أشار في مقطوعة له (١) (رقم ٢) الى سفينة نوح ،وقصة يعقوب ويوسف وزليخا ،وتحدث في مقطوعة أخرى (٢) رقم (٦٩) عن خراب "صُوْر" و "صَيْدا" و "دمشق" و "بغداد" ،وذكر عددا من الشخصيات الاسلامية مثل الفارابي وابن سينا ،ومَن لُقِّب بالقَصَّار ، والعطّار والنجّار ، والسرّاج ،والحلّاج وغيرهم (٣) . وأشار الى بعض المراكز العلمية والثقافية في العالم الاسلامي، وهي : المدرسة النظامية (في بغداد)، والنورية (في الموصل) ،والمستنصرية (في بغداد) ،والسّتّية (في دمشق)، والصاحبية (في القاهرة) ، والرواحية (في دمشق) ،والناصرية (في قبرص)، والنفيسية (في بيت المقدس) ،والعزيزية (في الموصل) ، والزينية (في بغداد) ،والعزّية (في دمشق) ، والقاهرية (في الاسكندرية) (٤) .

وتحدث عن الرحلات في طلب العلم (٥) ،وشَبَّهَ الغافلين الذين يضيّعون أوقاتهم بالارنب الذى تخلف عن السلحفاة (٦) ،وهي من القصص المعروفة . وأشار الى قصة نوح وصنع السفينة قبل الطوفان (٧) ،وسجود الملائكة لآدم (٨) .

---

(١) حالى : كليات نظم حالي ٢/١٣٦ .
(٢) المصدر نفسه ٢/١٥٣ .
(٣) المصدر نفسه ٢/١٥٩، ١٦٠ .
(٤) المصدر نفسه ٢/١٦٦ .
(٥) المصدر نفسه ٢/١٦٥-١٦٦
(٦) المصدر نفسه ٢/١٤٨ .
(٧) المصدر نفسه ٢/١٧٦ .
(٨) المصدر نفسه ٢/١٥٩ .

وغير ذلك من المعاني والصور التي استوحاها من القرآن الكريم.

وفي ديوان شعره قصيدة أخرى بعنوان "عرض حال" (١) (١٨٨٨م) تحدث فيه الى الرسول صلى الله عليه وسلم (٢)، ووصف له أمته ومجتمعه، وقارن بين ماضي الاسلام وحاضره، كل ذلك بأسلوب قوى وعاطفة صادقة واخلاص نادر. وقد انتهج في هذه القصيدة منهجا عجيبا، حيث صوّر في الشطر الأول من كثير من أبياتها ماضي الاسلام ومظاهر شوكته، وفي الشطر الثاني منه حاضر المسلمين ومظاهر انحطاطهم. ومن أمثلة ذلك قوله (٣):

" الدين الذى نوّر مجالسَ العلم، لم يبق في محافله اليوم قنديلٌ ولا شمعة .... والقصر الذى كانت تُناطح منارةُ مجدِه أعنانَ السماء، تَرتجُّ فيه الآن أصواتُ الدمار والخراب ... والأمة التي كانت رافعة رأسها على سائر أرجاء المعمورة، ترجع القهقرى إلى ذكر الآباء والأجداد ".

وهكذا يستمر في وصف الأمة والمقارنة بين ماضيها وحاضرها في أبيات عديدة، ومن أجملها تلك الأبيات التي يصور فيها الملابس والمراكب والزاد والرحيل لهذه الأمة المنكوبة التي لا تستطيع أن تقاوم الخطر وتسير إلى الأمام، لأن عُدّتها لا تناسب الموقف ولا تلائم العصر. يقول:

" الهواء شديد قارس مثل الثلج، وهم يَلبَسُون القطن. والحرب تتطلب الدروع والأسلحة، وعلى عواتقهم ذلك الرداء البالي القديم. ويَجُول البحر المحفوف بالمخاطر في الطريق، وهم يريدون أن يعبروه على متون الفرس. والموضع الذى لا وجود فيه لقطرة ماء تقصده القافلة بدون زاد. وتغيَّرت العُملاتُ النقدية في المدن منذ زمن، وهم يخرجون الى السوق ومعهم دراهم قديمة "(٤).

---

(١) كليات نظم حالي ٢/١٧٧-١٨٢.

(٢) ليس هذا الحديث من الاستعانة في شيء، وانما هو أسلوب من أساليب الشعراء استخدمه شعراء العرب وايران والهند قديما وحديثا. انظر: أبا الحسن علي الندوى: روائع اقبال ص ١٧٣.

(٣) كليات نظم حالي ٢/١٧٧، ١٧٩.

(٤) المصدر نفسه ٢/١٨٠.

وبعدما انتهى من الوصف انتقل الى مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم وقد مدحه في عدد من الأبيات ،ثم طلب منه أن يدعو الله للافراج عن هذه الأمة المنكوبة التي وقعت سفينتها في دوامة البحر ،فانها مهما كانت أحوالها سيئة الا أن انتسابها الى النبي يُشرّفها ،ولذا فهي تستحق العطف والعناية، وهكذا يختم القصيدة مخاطبا للنبي صلى الله عليه وسلم طالبا شفاعته ،ضارعا إليه أن يَلُمّ شعثَ الأمة الاسلامية ،مناديا بوحدة المسلمين ودعوتهم الى ينابيع الشريعة ،داعيا من الله أن يُعلي كلمته ويُعِزّ دينه .

ونهاية هذه القصيدة تشبه خاتمة قصيدة شوقي "نهج البردة" حيث يقول :

يا ربِّ هبّتْ شعوبٌ من منيتها ... واستيقظت أمم من رقدة الأمم

فالطُفْ لأجل رسول العالمين بنا ... ولا تزد قومَه خسفًا ولا تسُم

يا رب أحسنتَ بدءَ المسلمين به ... فتمِّم الفضل وامنح حسن مُختَتَم (١)

ومن المعاني التي تأثر فيها بكتب السيرة والتاريخ إشارته الى وقعة أحد وانكسار بعض أسنان النبي صلى الله عليه وسلم فيها ،وقصة تقديم الطعام المسموم الى النبي (٢) . وذكر أيضا أن الذين هجوه بالشعر مدحوه أخيرا بعدما رأوا أخلاقه (٣) ،وهو يلمح هنا الى كعب بن زهير وقصته . وقد استخدم في القصيدة بعض الألفاظ والتعابير العربية مثل : " غريب الغرباء " ، " بأبي أنت وأمي " و " القفا " و " الكَتّان " مما يقل استعمالها في الأردية . وأخذ معنى آية "وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم" (٤) في بعض أبياته (٥) ، كما نظم بعض الأحاديث النبوية (٦) . كل هذه تبين لنا مدى استفادته من الثقافة العربية والإسلامية .

ومن قصائده الشهيرة التي تتجه هذا الاتجاه قصيدته " شكوة هند (٧)

---

(١) شوقي : الشوقيات ١/٢٠٨ .
(٢) كليات نظم حالي ٢/١٨٠ .
(٣) المصدر نفسه ٢/١٨١ .
(٤) سورة الشورى : ٣٠ .
(٥) كليات نظم حالي ٢/١٨٠ .
(٦) المصدر نفسه ٢/١٨٢ .
(٧) المصدر نفسه ٢/١٨٢-١٩٦ .

(شكوى الهند ١٨٨٨م) ،وهي قصيدة طويلة تحتوى على ١٢ مقطوعة ،وكل مقطوعة منها في ١١ بيتا (١٢ × ١١ = ١٤٣ بيتا) . بدأها حالى بقوله :

"وداعًا أيتُها الهندُ ،أيتها الحديقةُ بلا خريف ،فقد أقمنا ضيوفا عندك مدة طويلة . ويا أرضَ الهند ،نحن اليوم وان كانت الشكاوى على ألسنتنا إلا أننا لم ننسَ ما أسديتِ الينا ، فهو منقوش على قلوبنا".

ثم يصف الهند وجمالها الطبيعي وفضْلَها على المسلمين فيقول (١) :

"انّ حدائقكِ البهيجة أنْسَتْنا شِعْبَ "بَوّانَ" و"سمرقند" و"دمشق" و "أصفهان" ، وغابت عن ذاكرتنا "جَيْحُون" و"دجلة" و"الفرات" بعدما شربنا ماء نهر "الكنج" ، وأبْعَدَتْنا مدينتُكِ الجميلة "كاشى" عن "يثرب" و"البطحاء" و"صنعاء" و"زبيد" و"نهروان" ، ومحا قَصَبُ السكّر من قلوبنا لذةَ رُمّان "الطائف" وتمور "البصرة" ...".

نرى أن حالى يقارن هنا بين أشياء عديدة ترجع الى الطبيعة ، ويؤكد بها موقف الاعتراف بالجميل ،وذلك قبل ان ينتقل الى القسم الثاني (وهو القسم الأكبر من القصيدة) ليصوّر لنا الجانب الآخر . وقد ذكر حالى هنا تلك المدن والأنهار والحدائق والثمار التي يختص بها كل من الهند والبلاد العربية . وهذا يوضح لنا معرفته عن كثب ،حتى تمكّن من إجراء الموازنة بينها .

و يستمر في ذكر فضل الهند على المسلمين أنه لم يكن هناك رابطة ثقافية ولغوية ،إلا أن الهند مع ذلك أعطتْ لهم العز والمال والدولة والحكم ، ولكن قدّر الله أن لا تدوم هذه عندهم ، فاستردّت الهند أخيرا كل ما أعطتْ، بل إنها سلبت أيضا ما اصطحبوه وقت دخولها .

ويذكر في المقطوعة الثالثة صفات المسلمين قبل أن يدخلوا الهند ، مثل: حمية العرب ،وآداب بني هاشم ،ومناقب بني العباس ،ونُطْق الأعراب ، وفصاحة عدنان ،وضربة علي ،وشجاعة خالد ،وسطوة حمزة ،وجلالة الفاروق ،وإكرام الضيف عند أهل يثرب، والأخوة الإسلامية ،وأخلاق النبي .... وبالجملة فقد كانوا متصفين بجميع الفضائل حتى انهم تدرجوا من سَوْقِ الإبل الى قِيادَةِ العالم ، وقد فُقِدتْ كلها عندما دخلوا الهند ،فأبادَتْهم كما أبادت أمما أخرى .

---

(١) كليات نظم حالي ٢/١٨٣ .

وفي المقطوعات التالية يستمر في وصف ماضي المسلمين وحاضرهم ،وينعي على الهند أنها غيرت أخلاقنا ،ومسخت وجوهنا ،وأغرقت مجدنا ،وأفقدت عزنا ، وحولت الأسد غنما ،وجعلت الصائد صيدا . ويسأل حائرا أين تلك الغيرة الحجازية والحمية المكية ؟ أين تلك الأمة التي لقبت خير الأمم ؟ أين تلك النعمة التي أتمّها الله علينا وأكرمنا بها ؟ أين تلك العزيمة والشجاعة ؟ أين تلك الحكمة التي جعلت كل بيت في العالم مثل اليونان ؟ ويقول مخاطبا للهند (١) :

- " لقد جَعَلْتِ أحوالَنا عبرةً للمعتبرين ،كنا نارا فحوّلتِنا ترابا ".

- " هدمْتِ أركانَ الاسلام ،فلا وفاء للعهود والمواثيق عندنا ".

- " عرّيْتِنا من كل الفضائل ،كيف أثّرتَ يا جوّ الهند فينا ؟ " .

وهكذا يصل إلى المقطوعة الأخيرة ويبرر موقفه من الحديث عن الماضي ، فهو لا يستطيع أن يخرجه من ذاكرته ،وأن ينسى في الصباح ما حدث في الليل ، فلا زال الدخان يرتفع من القنديل الذابل ،وتشير آثار الأقدام إلى أن قافلة ذات شأن مرّت بهذا الطريق . وان كنا نعرف أن صروف الدهر تمحو من قلوبنا ذكرى الأيام السالفة عن قريب ،وسننْسَى - نحن الثّمارَ - من أى الأغصانِ كُنّا ؟ ومن أين اقتُطِفْنا وأين دُفِعْنَا للبيع ؟ إلا أن معاملتكِ معنا - يا هند - ستبقى عبرةً للمعتبرين إلى يوم القيامة . وسنرتحل ونترك وراءنا آثارنا ،ويتعظ بها آخرون بعد ذهابنا (٢) .

رأينا فيما سبق أن حالي في شعره الإسلامي دائما يستلهم الماضي والتراث ،ويستمد الأفكار من القرآن والحديث والتاريخ . وهو مولع بذكر الماضي ووصف الحاضر والموازنة بينهما ، لا يملّ من الحديث عن هذه الموضوعات ،ويحب الإسهاب والتطويل في ذكر النماذج والأمثلة والصور . وقد كان يهدف منها إلى بعث الهمم في النفوس ،واستثارة العواطف للعمل ،والدعوة الى النهوض والخروج من الانحطاط . ونفسه في هذه القصائد تختلف حسب الموضوع ، فهي

---

(١) كليات نظم حالى ٢/ ١٩٠ ، ١٩٤ ، ١٩٥ .

(٢) المصدر نفسه ٢/ ١٩٥ ، ١٩٦ .

إما حزينة تدعو الى الحسرة والألم، وتمتزج أحيانا بشيء من السخرية ،أو حلوة خفيفة تغرس في النفوس الثقة والاعتماد ،وتدفعها إلى ميدان العمل . وبالجملة تعدّ قصائده من أجود شعر الدعوة الإسلامية في العصر الحديث ،ولا نعرف قصيدة إسلامية نالت رواجا وقبولا في الشرق مثل ما نالت قصيدة "مسدس مدّ وجزر اسلام" ، ولا صدرت لها طبعات أكثر من طبعاتها . ويكفي لها فضلا أن تكون رائدة في ميدانها .

الفصل الثالث

الظواهر الفنية

تخصص هذا الفصل للحديث عن الظواهر الفنية التي تتجلى في شعر حالى ، وسنتناولها بالدراسة في ثلاث نقاط ،وهي : الألفاظ ،والمعاني والصور ،والأوزان . ويبدو أنه كان للثقافة العربية أثر كبير في شعره ،حيث استخدم دائما الألفاظ والتعابير العربية ،واستمد كثيرا من صوره من القرآن الكريم والحديث الشريف والتاريخ الاسلامي ،والتزم بأوزان الشعر العربي/الفارسي ، فلم يحاول الخروج عليها مثل غيره من الشعراء المحدثين ،ولم ينظم في الأوزان الهندية الخالصة اللهم الا قصيدة واحدة فقط في البحر الذى ينسب الى الشاعر "مير" لكثرة استخدامه لهذا البحر في شعره وسيأتي الحديث عنه عندما ندرس الأوزان .

(أ) الألفاظ :

ظهر لي بعد دراسة شعره أنه ينقسم الى ثلاثة أقسام من حيث اختيار الألفاظ للأغراض التي كان ينظم فيها . فقسم منه استخدم فيه الألفاظ الفارسية بكثرة ، وقلّد فيه طريقة الشعر الفارسي ،وهو معظم غزلياته التي نظمها في الفترة الأولى من حياته ، فقد اتبع فيها منهج شعراء الغزل . وقد سبق أن "الغزل" بمعناه الفني خاص بالشعر الفارسي ،ومنه انتقل الى الشعر الأردى ، وسار جميع الشعراء على منواله . فلاغرابة إذن أن ينهج حالى هذا النهج ويحافظ على تلك التقاليد الشعرية التي تختص به .

والقسم الثاني استخدم فيه الألفاظ الهندية التي تجرى على ألسنة العامة ، والتي لها علاقة بالبيئة الهندية ،ولا تتناسب الألفاظ من اللغات الأخرى في مكانها . تدخل في هذا القسم قصيدتاه في تصوير المرأة الهندية : "مناجات بيوه" (دعاء أرملة) و "چپ كى داد" (استغاثة السكوت) ،ومنظوماته التعليمية

للأطفال ،وبعض قصائده الأخرى مثل "بركهارت" (موسم المطر) ، و "حقوق أولاد" (حقوق الأولاد) . ولا يخفى أن هذه الموضوعات ألصق بالبيئة الهندية ،ولذا أكثر حالي فيها من استخدام الكلمات الهندية . وتعتبر قصيدته " مناجات بيوه " من القصائد التي تقترب جدا من شعر اللغة الهندية في الألفاظ والأساليب ،ويتلاشى فيها الفرق بين الأردية والهندية . ومن أجل ذلك كان لها رواج وقبول بين الهندوس أيضا ، واعتبروها من النماذج السهلة التي يمكن عن طريقها تعلُّم اللغة الأردية وتذوُّق الشعر الأردى (١)

أما القسم الثالث (وهو القسم الأكبر من شعره في الموضوعات الدينية والاجتماعية ،وفنون المدح والرثاء والوصف ،ورباعياته ومقطوعاته) فقد استخدم فيه الألفاظ العربية بكثرة ،واتبع الأساليب العربية المعروفة ، وربما استعار بعض التراكيب والأمثال بكاملها ، أو نظم بعض الأبيات الملمَّعة (المركبة من الأردية والعربية) . ويهمّنا هنا هذا القسم لنبين مدى تأثر حالي بألفاظ اللغة العربية وأساليبها .

لقد أحب حالي اللغة العربية ،ودرس تراثها ،ونظم مقطوعات وقصائد عديدة بالعربية (٢) حاول فيها أن يقلد الشعر العربي ،مع اعتراقه بالقصور في هذا الميدان ،وتأسفه على عدم عناية أهل الهند باللغة العربية وآدابها في عصره (٣) ، فلم يكن لشعره العربي رواج مثل شعره الأردى ،حتى اضطر إلى أن ينصرف عنه تماما في آخر حياته . بيد أنه كان لثقافته العربية أثر كبير في شعره الأردى والفارسي ،ظهر ذلك في ألفاظه وتراكيبه ،وأساليبه ومعانيه . وليس غرضي أن أحصى هنا تلك الكلمات العربية التي استخدمها حالي في شعره ،فهي كثيرة جدا ،ولا فائدة من حصرها بعد أن سبق في مقدمة

---

(١) انظر : صالحه عابد حسين : يادگار حالي ص ٢٤٥ .

(٢) انظر : حالي : كليات نظم حالي ٢/ ٤٣٠ - ٤٤٢ .

(٣) المصدر نفسه ٢/ ٣٥٢ ، ٣٥٣ .

هذا البحث أن ٣٣٪ من الألفاظ في الأردية - على أقل تقدير - مأخوذة من اللغة العربية . ونظرا الى ذلك فسأكتفي بذكر تلك الألفاظ التي استخدمها حالي بطريقة خاصة أضفى بها نوعا من الجمال والبهاء على شعره ، ولا يمكن أن يعرف قيمتها إلا من درس أساليب الشعر الأردى وتعمق فيها ،وقام بالموازنة بين أسلوب وآخر ،وتذوّق تلك الكلمات العربية التي تأتي ملائمة للعاطفة وموائمة للفكرة ومناسبة للمكان .

لقد كثرت في شعره كلمات مستقاة من الدين أو موصولة به ،وألفاظ تدل على وقائع التاريخ وأحداثها ،وتراكيب مقتبسة أو مترجمة من القرآن والحديث والأمثال العربية والأقوال المأثورة . ومن أمثلة الكلمات العربية التي استخدمها :

كلمة " خردل " إشارة الى قلة الشيء وحقارته ،حيث يقول :

" الذين يُشْبِهون الجبالَ في العلم والفضل ،نجدهم أرذلَ من حبة خردل "(١) .

ويقول في موضع آخر :

" الذى ظننتَه جبلا ،كان أحقر من حبّة خردل في الميزان "(٢) .

ولا يخفى أنه استمدها من القرآن الكريم ، فقد وردت فيه كلمة " خردل " في موضعين(٣) للدلالة على حقارة الشيء وصغره .

وعلى عكس ذلك استخدم للدلالة على الكثرة قوله " قدر الرمال والحصى "(٤) ، وهذا تعبير عربي صميم . كما لجأ أحيانا إلى أسلوب الإغراء أو التحذير ،واختار بعض الكلمات العربية المناسبة ،مثل قوله في وصف الحر الشديد قبل نزول المطر :

---

(١) كليات نظم حالي ٢/ ٢٣١ .

(٢) المصدر نفسه ١/ ٤٣٥ .

(٣) سورة الأنبياء ٤٧ ، سورة لقمان : ١٦ .

(٤) كليات نظم حالي ١/ ٩١ .

"كان على ألسنتهم صباحَ مساءَ : "العطش العطش"[١].

ويقول في موضع آخر :

"الحذر الحذر" من الفقر مائة مرة ،فانه يُحوِّل الأسد ثعلبا"[٢].

ووصف الدنيا في مواضع عديدة بأنها "دار المحن"[٣] ،والآخرة "دار القرار"[٤] ،وعبر عن يوم القيامة بقوله "الى يوم القرار"[٥].

وهناك بعض الأدوات والحروف العربية استخدمها للدلالة على معانيها الأصلية ،مثل : "لَمْ ولا"[٦] ، و"نعم ولا"[٧] ، و"ليت ولعل"[٨] ، و"هيهات"[٩] . ومن الأمثلة الطريفة لذلك استعماله كلمة "لا" (بمعنى النفي) بمقابل كلمة "Law" (بمعنى القانون) في بيت له يقول فيه :

"ان القانون في حق الضعفاء هو "Law" -بمعنى الكلمة - يجب تطبيقه ، أما في حق الطبقة الارستقراطية فهو يعادل "لا" العربية ،وكأنه لا شيء بالنسبة لهم"[١٠].

ويصف فُقدانَ الأمانة في هذا العصر فيقول : انها "عنقاء بين أبناء الزمان"[١١] ،ويعبر عن الرجعية بالرجوع الى (القفا)[١٢] . ويذكر الجنة والنار وما يتعلق بهما بأسمائها العربية ، مثل : "طوبى"[١٣] ، و"فردوس" و"حور" و"شراب طهور" و"كوثر" و"تسنيم" و"سلسبيل"[١٤] و"حميم" و"زقُّوم"[١٥] وغيرها.

---

(١) المصدر نفسه ١/٣٧٥.
(٢) المصدر نفسه ٢/٢٣١
(٣) المصدر نفسه ١/٣٤٨ ، ٢/٥٠
(٤) المصدر نفسه ١/٣٥٤.
(٥) المصدر نفسه ٢/٢٦٦.
(٦) المصدر نفسه ١/٤٥٠ .
(٧) المصدر نفسه ١/٤٥٤
(٨) المصدر نفسه ١/٣٨٨.
(٩) المصدر نفسه ١/٣٢٩.
(١٠) المصدر نفسه ١/١٨٢.
(١١) المصدر نفسه ١/٣٤٦.
(١٢) المصدر نفسه ٢/١٧٩.
(١٣) المصدر نفسه ١/٣٨٧ ، ٤٣٠ ، ٢/٢٢٦.
(١٤) المصدر نفسه ١/٣٨٧ ، ٤٣٠.
(١٥) المصدر نفسه ٢/١٠٥ ، ٢٣٥.

ومن التراكيب العربية التي استخدمها في شعره : " مقدمة الجيش " و " خاتمة الباب "(١) ،و " رأس الحسنات "(٢) ،و "كلب عقور "(٣) ، و " نفس أمّارة "(٤) ، و "عقده لا ينحل "(٥) ،و "تحت الثرى "(٦) ،و "فوق السماء "(٧) ،و "حِصَار حصين "(٨) ، و "شر الورى "(٩) ،و "غريب الغربا "(١٠) ..... وغيرها كثير. وربما جمع بين الموصوف والصفة على الطريقة الأردية، حيث يحذف الألف واللام من الموصوف ، مثل قوله : " باقيات الصالحات "(١١) و "حبل المتين "(١٢) .

أما الآيات والأحاديث والأقوال المأثورة والتعابير العربية التي اقتبسها بحروفها وضمّنها في شعره فهي كثيرة ،وهي من الظواهر البارزة في شعره الأردى والفارسي . ولا نجد أحدا من شعراء الأردية بعد حالي سلك هذا المسلك في الشعر ونجح فيه إلا الشاعر المعروف محمد اقبال ، فقد برع في هذا الميدان كما يشهد بذلك ديوان شعره . ويهمنا هنا أن نذكر بعض الأمثلة من الاقتباس عند حالي ،ونضرب صفحا عن غيرها ،فانها كثيرة شائعة في شعره .

فما اقتبسه من القرآن وضمّنه في شعره قوله تعالى : " لا تقنطوا " و "هل من مزيد " ،جمع بينهما في بيت له يقول فيه :

" اذا كانت النار واسعة ،فرحمةُ الله أوسعُ منها . فقد ورد قوله "لا تقنطوا" بمقابل "هل من مزيد "(١٣) .

---

(١) المصدر نفسه ١/ ٢٥٦.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٩٥.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٢٦٤.
(٤) المصدر نفسه ٢/ ٢٣٣.
(٥) المصدر نفسه ٢/ ٢٥١.
(٦) المصدر نفسه ٢/ ٤٥٤، ٢٦٨.
(٧) المصدر نفسه ١/ ٤٥٣.
(٨) المصدر نفسه ١/ ٤٦٣.
(٩) المصدر نفسه ١/ ٤٥٣.
(١٠) المصدر نفسه ٢/ ١٧٧.
(١١) المصدر نفسه ٢/ ٢٠٣.
(١٢) المصدر نفسه ١/ ٤٦٣، ٢/ ٢٦٢.
(١٣) المصدر نفسه ١/ ٥٨ . أشار فيه الى آية سورة الزمر : ٥٣ ،وآية سورة ق : ٣٠.

وفي موضع آخر اقتبس قوله "كل يوم هو في شأن "(١) ،كما أشار في قوله "صهباء اَلَسْتُ "(٢) الى قوله تعالى : "وأشهدَهم على أنفسهم ألستُ بربكم قالوا بلى ..."(٣) . وورد في بيت له "ما رَمَيْتَ "(٤) وهو قوله تعالى: "وما رميتَ إذ رميتَ ولكنّ الله رمى" (٥) .

ومن الأحاديث والأقوال المأثورة التي اقتبسها : "اهْدِ قومي إنّهم لا يعلمون "(٦) ،و" الحق مُرٌّ "(٧) ،و "لا تسبُّوا الدهر "(٨) و" الطالح لي "(٩) ،و "دع ما كدر ، خذ ما صفا "(١٠) ،و "بالعلم يُزْرِي "(١١) (أصله: "الشعر يُزْرِي بالعلم) ، "يا رب لنا ولا علينا "(١٢) (وأصله عند اشتداد المطر : "اللهم حوالينا ولا علينا ") .... الى غير ذلك .

و يبدو من هذا الاستعراض السريع أن حالي كان مولعا بتضمين الآيات والأحاديث والأقوال في شعره الأردى والفارسي ،الى جانب استخدامه للكلمات والتراكيب العربية . وهذا يدل على شدة تأثره بالثقافة العربية ،وكثرة محفوظاته وحسن استخدامه لها في المكان المناسب من شعره .

ومما يلفت الانتباه أنه نظم بعض الأبيات العربية الملمّعة (المركبة من شطر بالعربية وشطر بالأردية) في داخل قصائده الأردية ،وكان لها موقع حسن ،وتأثير كبير في ابراز المعنى المقصود وتعميقه . وقد أشرنا الى بعض الأمثلة على ذلك من شعره في الفصلين السابقين ،ومنها قوله :

---

(١) المصدر نفسه ١/ ٤٢٥ وهو من سورة الرحمن ﴿ ٢٩ .
(٢) المصدر نفسه ٢/ ٢٠٥ . (٣) سورة الأعراف ١٧٢ .
(٤) كليات نظم حالي ٢/ ٣٧٤ . (٥) سورة الأنفال : ١٧ .
(٦) كليات نظم حالي ٢/ ٢٠٤ وترجمه ونظمه في بيت له ،انظر المصدر السابق ٢/ ٢٧٥
(٧) المصدر نفسه ١/ ٤٣٩ . (٨) المصدر نفسه ٢/ ٢١٨ .
(٩) المصدر نفسه ٢/ ١٨٢ . (١٠) المصدر نفسه ١/ ٤٦٢ .
(١١) المصدر نفسه ١/ ٤٥٣ . قال الامام الشافعي رحمه الله :
ولولا الشعرُ بالعلماء يُزْرِي * لكنتُ اليوم أشعرَ من لبيد
(١٢) المصدر نفسه ١/ ٣٧٧ .

لا أبالي بأن يعاتبني كلُّ ناسٍ وأنتَ عني راضْ (١)

وقوله في خاتمة رثائه لأستاذه غالب :

كم لنا فيك من بُكىً وعويلْ وعتابٍ مع الزمان طويلْ (٢)

وقوله في مدح النبي صلى الله عليه وسلم :

يامَلَكِيَّ الصفاتْ يا بَشَرِيَّ القُوَى فيك دليلٌ على أنك خيرالورى (٣)

ومن الأبيات الملمعة قوله :

هم هين هى ناچيز مگر كَبَّرَنا مَوْتُ الكُبَراء (٤)

وهناك أمثلة أخرى من هذا النوع سبق ذكرها من قبل .

ومن العجيب أن نجد عنده هذا الاهتمام بالألفاظ والأساليب العربية مع أنه كان في معظم شعره منصرفًا الى المعنى لا يبالي بتجويد اللفظ وصياغة التراكيب الرصينة . ومن أجل ذلك كان يطيل قصائده ،ولا يَمَلُّ من الإسهاب في تناوله للموضوعات الدينية والاجتماعية . إلا أن شعره مع ذلك لا يخلو من التأثير ،ولا يتصف بالضعف ، فنحن لا نجد في تعبيره حيدة عن صواب اللغة أو مخالفة لماتوجبه الفصاحة . وقد لجأ أحيانا الى الترصيع في داخل البيت ، ولكنه قليل جدا في شعره (٥) ، وهذا يدل على أنه لم يتعمد ذلك ولم يتكلفه .

وخلاصة القول أن حالي استخدم الألفاظ العربية ببراعة ،واقتبس كثيرا من القرآن والحديث والأقوال المأثورة ،واختار الأسلوب الملائم لكل غرض من الأغراض في شعره ،الى جانب استفادته من التقاليد الفارسية في غزلياته وعنايته بالكلمات الهندية في منظوماته التعليمية وقصائده التي وصف فيها المجتمع الهندى .

---

(١) المصدر نفسه ١/ ١٢٨ .
(٢) المصدر نفسه ١/ ٣٣٥ .
(٣) المصدر نفسه ١/ ٨٩ .
(٤) المصدر نفسه ١/ ١٧٦ .
(٥) ومن أمثلة ذلك بعض الأبيات في قصيدته "چپ كى داد" .
انظر : كليات نظم حالي ٢/ ٤٦ ، ٤٧ .

(ب) المعاني والصور :

استمد حالي كثيرا من المعاني والصور من القرآن والحديث والتاريخ كما كان للخيال دوره كذلك في تركيب الصور الجديدة أو توليدها من صور تقليدية . وأكثر ما نلاحظ في شعره استخدامه للقصص القرآنية والشخصيات التاريخية والتشبيهات العربية ،والاعتماد عليها في توضيح الفكرة وتصوير الموقف الذى يتحدث عنه .

ومن القصص التي أشار اليها في مواضع من شعره قصة آدم وحواء واستخدامهما ورق الجنة للسَّتْر (١) ، وقد ربط بينها وبين عكوف المسلمين على التقليد ،وعدم الرغبة في التجديد والاستفادة من العلوم الحديثة والصناعات وكأنهم لا زالوا يستخدمون الورق كلباسٍ يستر عوراتهم ،مثل آدم وحواء .

أما نوح فقد ورد ذكره في مناسبات مختلفة ،منها ذكره لعمر نوح كناية عن العمر الطويل (٢) ،والاشارة الى سفينته والطوفان بقوله :

" اذا كانت مشاكل الأمة مثل طوفان نوح ،فقد كنتَ - يا سيد أحمد خان - سابحا فيها مثل سفينة نوح "(٣) .

فهو يشبّه مشاكل الأمة في كثرتها وعمومها وخطرها الواسع بالطوفان ، ويجعل السيد أحمد خان سابحا فيها مثل السفينة . وهذه صورة جميلة مأخوذة من القرآن كما ترى .

وقد تكرر ذكر السفينة كثيرا في شعره (٤) ،وشبه بها أحيانا الحفلة الشعبية ،وجعلها في مقابل السفن الورقية أو الحفلات الملوكية التي كانت تُعقَد لمدح الملوك (٥) . كما شبَّه المسلمين الهنود في ضعفهم وقلة عددهم بقوم نوح (٦) .

---

(١) المصدر نفسه ١/٤٢٤ ، ٢/٢٥٤ . (٢) المصدر نفسه ١/٣٥٠ .
(٣) ٢/٣٩٨ . (٤) المصدر نفسه ١/٢٣٢ ، ٣٨٥ ، ٤٢٤ ، ٢/١٣٦ ، ٢٥٤ ، ٢٩١ .
(٥) المصدر نفسه ٢/٢٤٢ . (٦) المصدر نفسه ٢/٢٦٨ .

وأشار إلى لحن داود وخاتم سليمان [١] . وقال في بيت له يصف وضع المسلمين اليوم والحاجة إلى من يهتم بشئونهم :

" أين "رستم" الشجاع ؟ فقد غلب "سهرابُ" العصر ،وأين خاتَمُ سليمان ؟ فقد تحرَّر الشيطان "[٢] .

وذكر في موضع آخر قصة سليمان مع النمل [٣] ،وشبَّه بها قصته مع النواب آصف جاه بحيدر آباد الدكن ، فقد شَمِلَه عطفُه وكرمه عندما دخل اليه .

وذكر أيضا الخضر في شعره ،وجعله رمزا للهادى ،وشبه به السيد أحمد خان [٤] ،وأشار الى كسره لسفينة المساكين [٥] ، والى ماء الحياة المنسوب اليه [٦] .

ومن القصص التي ورد ذكرها كثيرا في شعره قصة يعقوب و يوسف وزليخا ، استمد منها في مناسبات مختلفة ،وقد جعل الأخيرين رمزا للعاشق والمعشوق ، كما في بيته الذى يذكر فيه صعوبة مراحل العشق حتى يصل العاشق الى المطلوب ،يقول :

" ان وصول يوسف الى زليخا يتطلب زمنا طويلا ،فهناك مرحلة لا بد من قضائها في السجن بعد الخروج من بئر كنعان "[٧] .

و في رثائه لغالب شبَّه فقده بفقد يوسف من كنعان ،حتى تحولت المدينة الى بيت الحزن [٨] . وذكر مكر إخوان يوسف به ، وشبَّه به فعلَ الظالم

---

(١) المصدر نفسه ٢/١٨٥ ، ٢٥١ .
(٢) المصدر نفسه ٢/٤٠١ .
(٣) المصدر نفسه ١/٢٧٩ .
(٤) المصدر نفسه ١/٢٤٤ ، ٢٤٥ .
(٥) المصدر نفسه ١/٢٤٦ .
(٦) المصدر نفسه ١/٦٩ ، ٣٢٧ .
(٧) المصدر نفسه ١/٦٩ .
(٨) المصدر نفسه ١/٣٣٤ .

مع المظلوم [١] . كما أشار الى دخوله السجن [٢] وخروجه منه [٣] ،وسجود إخوانه له [٤] ، الى غير ذلك من جزئيات الأحداث والوقائع المتعلقة بشخصية يوسف ويعقوب [٥] .

أما موسى فقد أشار الى رعيه الغنم وقصته مع شعيب [٦] وخروجه الى مدين [٧] . وهناك أنبياء آخرون تردد ذكرهم في شعره ، مثل ابراهيم خليل الله [٨] ،وأيوب [٩] ،وزكريا [١٠] ،وعيسى المسيح [١١] . كما ورد ذكر بعض الشخصيات الأخرى التي اشتهرت حتى أصبحت مضرب المثل ،مثل قارون في كثرة ماله وخزائنه [١٢] ،ونمرود وفرعون في العصيان [١٣] ،ولقمان في الحكمة [١٤] ،وأبي لهب وأبي جهل في الجهل والتعصب [١٥] ،وسَحْبَان في الفصاحة [١٦] ،والمجنون (قيس) وليلى في الحب والعشق [١٧] . ويطول بنا القول لو تحدثنا عن هذه الشخصيات وأوردنا ترجمة شعر حالي فيها . ولذا نتجاوز عنها وعن القصص المتعلقة بها ،وننتقل الى دراسة بعض المعاني والصور التي استمدها من القرآن والحديث والتاريخ والبيئة العربية .

ومن أمثلتها تشبيهه البيت الضعيف بنسج العنكبوت ، في قوله :

" الذى يعتبره الناس قصرا مشيدا ليس إلا كنسج العنكبوت اذا لم تكن أنت - يا سيد أحمد خان - عمادَه "[١٨] .

---

(١) المصدر نفسه ١/٤١٩ . (٢) المصدر نفسه ٢/١٣٦ .
(٣) المصدر نفسه ١/٤١٣ . (٤) المصدر نفسه ٢/١٠١ .
(٥) المصدر نفسه ١/٩٢، ٢٩٨، ٣٨٥، ٣٩٦، ٣٩٧ .
(٦) المصدر نفسه ١/٢٣١، ٢/٢١٧ . (٧) المصدر نفسه ١/٢٤١، ٢٩٨ .
(٨) المصدر نفسه ١/٤١٣، ٢٩٩ . (٩) المصدر نفسه ١/٤١٩ .
(١٠) المصدر نفسه ١/٤١٨، ٤٤٠ . (١١) المصدر نفسه ٢/٢٣٣، ٣٩٩ .
(١٢) المصدر نفسه ١/٤١١، ٤١٣، ٢/١١١ (١٣) المصدر نفسه ٢/٣٩٩ .
(١٤) المصدر نفسه ٢/١١١، ١٠/٤٣٣، ٤٤١ . (١٥) المصدر نفسه ٢/٣٩٩ .
(١٦) المصدر نفسه ١/٤٢٢، ٤٥١، ٩٢، ٣٨٥، ٢٣٢، ٣٣٢، ٢/١٢٨ .
(١٧) المصدر نفسه ٢/٢٢١ وانظر ١/١٨٠ . (١٨) المصدر نفسه ٢/٢٦٤ .

ويصف الشعب المسلم الهندى بالغفلة فيشبهه بموميا مصر :

" الشعب الهندى غارق في نوم الغفلة ،عيونه مفتوحة إلا أنه نائم ، وكأنه موميا مصر التي لا حياة فيها مع أنها تبدو حية "(١) .

ويصور الموقف نفسه في أبيا ت جميلة يقول فيها :

"كأن عيونهم على القفا ،فلا ينظرون الى الأمام ،واذا رأوا خلفهم السراب ظنوه الماء الجارى ، واذا رأوا أمامهم نبع الماء اعتبروه سرابا . و يبتعد عنهم النورُ مثلما يبتعد ضوء الشمس عن الخفّاش "(٢) .

و نجد في شعر حالي صورا كثيرة لانحطاط المسلمين في الحاضر وازدهارهم في الماضي ،ومن أروع الصور لازدهار الاسلام والمسلمين في الماضي قوله :

"ارتفعت سحابة من جبال" البطحاء " حدثت لها ضجة في جميع أنحاء العالم ، ووصل رعدها وبرقها إلى بعيد ، فاذا أرعدت عند نهر الأندلس أمطرت في نهر الكنج بالهند . لم يُحْرَم من آثارها البر والبحر ،واخضرّت أرض الله كلها "(٣) .

لقد أوجز حالي في هذه الأبيات القليلة تاريخ انتشار الاسلام وأثره في شعوب العالم ،وصوره في صورة السحاب التي يكون لها رعد و برق ،وهي سريعة السير ،تمطر في الغرب والشرق على السواء ،و تفيد منها الأرض جميعا ، وتكون لها آثار طيبة فيمابعد .

وهناك صور أخرى مأخوذة من البيئة العربية ،فقد شبه كلية على كره بعدما ازدهرت بشجر النخيل الذى أثمر ،وشبّه تأسيسها بغرس البذرة(٤) .

---

(١) المصدر نفسه ٢/ ٢٦٤ .

(٢) المصدر نفسه ١/ ٤٢٥ .

(٣) المصدر نفسه ٢/ ٧٧ .

(٤) المصدر نفسه ٢/ ٢٦٦ .

وذكر الجمل واليَرَاعَة ، وشبَّه بهما الانسان الذى يُفضِّل نفسه على الآخرين ،فقال : " اذا اعتبر الجمل نفسه أكبر من كل شىء ،فعليه أن لا ينظر الى الجبل ، واذا فكَّرتِ اليراعة بأنه لا شىء ألمع منها ،فعليها أن لا تخرج أبدا في النهار ، والا ستندم في نفسها "(١) .

ويعرض الصورة نفسها في موضع آخر فيقول :

" كان الجمل يَعتبرُ نفسَه أكبرَ من كل شىء قبل أن يخرج في الوديان ، وعندما رأى قِمَمَ الجبال لم يرفع رأسه مرة أخرى "(٢) .

ومن الصور التي أشار فيها الى بعض المدن العربية قوله في شرح معنى الإنسانية :

"ما هي الإنسانية ؟ إنها التألم بآلام الآخرين ،إنها الذبول بحرارة سموم "نجد" في حدائق " عدن " ... إنها الاحتراق على سرير "مصر" بأثر نار المجاعة التي تأكل الحدائق والمزارع في "كمان "(٣) .

وهناك مدن عربية كثيرة ذكرها حالي ووصفها بالأمور التي تعرف بها ، كما أشار الى ما يتعلق بها من الجبال والأنهار والثمار ، مثل بغداد ، ومصر(وأهرامها) ،وصُوْر ،وصَيْدا ، ودمشق ،ويثرب ،ومكة (وفيها البطحاء والصفا وحراء) وصنعاء ،وعدن ، وزبيد ، والطائف (ورمانها) ،والبصرة (وتمورها) ،والكوفة ،وغرناطة (وفيها الحمراء) ،وبلنسية ،واشبيلية ، وقرطبة ،وشِعْب بَوَّان ، ونهر جيحون ،ودجلة ،والفرات ، وجبل أبي قبيس ، وقاسيون ... وغيرها . وتحدث عن الجامعات والمعاهد العلمية المنتشرة في الأقطار الاسلامية . ونرى أنه لا يَمَلُّ عند الحديث عنها وعن ازدهار العلوم

---

(١) المصدر نفسه ١/٥٠٩ . (٢) المصدر نفسه ١/٤٣٦ .
(٣) المصدر نفسه ٢/٣٩٩ ، ٤٠٠ . (٤) المصدر نفسه

والفنون بها . وقد كان محبا للعرب ، فهو دائما يشير الى جهودهم في نشر العلوم ،وينوّه بفضلهم على العالم . يقول :

" لقد أشعل العرب قنديلا متوهجا لم يزل يضيء الطريقَ لكل قافلة "(١) .

ويقول في موضع آخر :

" موسم الربيع الذى نجده الآن في العالم ، نتيجة لغرسهم الأشجار في أوانه "(٢) .

و يقـول :

" واذا كان قد صَوَّحتْ بساتينُ العرب فلم يزل يَدِينُ العالمُ لجهودهم ، لقد همى غيثُهم على كل منتجع ،فالمنةُ لهم على كل أسود وأبيض . وهـؤلاء القوم ـ سادة العالم في عصرنا ـ يَدِينون لأولئك العرب "(٣) .

وقد تألم كثيرا بانحطاطهم ،وتحسر على أنهم انقرضوا مثل الحدائق التي تذبل بعد الربيع ، والسحاب الذى ينحسر بعد أن يُظِلَّ العالمَ كله.(٤) ثم نظر الى الهند عسى أن يجد فيها ما يسرُّه ، ولكن يا للأسف لقد غرق في ملتقى نهر " الكنج " ذلك الركب الحجازى المغامر الذى عمَّت شهرتُه الآفاق ، ولم يَثْنِ همتَه الخطرُ ، فلم يَرْمُ في بحر "عمان " ولم يتوقفْ في البحر الأحمر ، وقطعَ سبعة أبحر ، حتى وصل الى الهند ولفظَ أنفاسَه فيها.(٥)

انها صورة حقيقيـة للاسلام في هذه البلاد ، لقد ضيَّع الشعب الهندى كل المآثر والفضائل ،وفقد العزوالسلطان ، وساده الذل والهوان ،والأمم الأخرى في رقي وازدهار . قارن حالى بينهما في بيت جميل يقول فيه :

---

(١) المصدر نفسه ٢/ ٨٤ .
(٢) المصدر نفسه ٢/ ٧٩ .
(٣) المصدر نفسه ٢/ ٨٧ .
(٤) المصدر نفسه ٢/ ٨٨ .
(٥) المصدر نفسه ٢/ ٨٩ ، ٩٠ .

"الشاهين والبازى وكل الصقور تحلّق في أوج السماء ،ونحن كبُغاث الطير التي قُصَّتْ أجنحتُها ونُتِفَ ريشُها "(١).

وقد استمد حالي أحيانا بعض الصور من الأمثال الهندية والانجليزية ، ألا أنها قليلة جدا ،ومن أمثلتها نظمه للمثل : " مشَى الغرابُ مِشْيةَ الحَجَل فنَسِيَ مشيتَه " في بعض أبياته (٢) ، وشبه به من يقلّد الآخرين فلا هو يبلغ مرتبتهم ،ولا يبقى على ما كان عليه ،وهذا شأن عامة الناس في الشرق اليوم. ومن الأمثال الانجليزية التي نظمها المثل المشهور :

(Rome was not built in a day) (لم تُبْنَ روما في يوم واحد) ، يضرب به المثل لبيان أهمية الشيء وصعوبته وأنه يحتاج في إنجازه الى مدة . يقول حالي في خاتمة قصيدة له نظمها عام ١٨٩١م وأنشدها أمام الجمهور في إحدى الحفلات :

" هذه حفلة الشعب ،وليس احتفال الزواج . ولا تبنى روما في يوم واحد "(٣).

واذا تجاوزنا عن هذا البيت وبعض المنظومات الأخرى (٤) التي نظم فيها الأفكار الإنجليزية بعدما اطلع على ترجمتها الأردية ،فلا نجد لها أثرا يذكر في شعره . وقد صرح حالي نفسه بذلك نفسه فقال : " لم أكن أعرف أصول الشعر الأوربي آنذاك ،ولا أعرفها الآن . ثم إن تقليد هذا الشعر لا يمكن أن يتم باللغة الأردية التي لا تبلغ مستواه . والواقع أن طبيعتي كانت تنفر من المبالغة والاغراق في الخيال ،ووافق هواى حركة الشعر الحديث ،فاستحكمت تلك الأفكار في ذهني . وليس هناك شيء في شعرى - غير ما ذكرتُ - مما يدل على تقليدى للشعر الإنجليزى وخروجي على المنهج القديم "(٥).

---

(١) المصدر نفسه ٢/٩١. (٢) المصدر نفسه ٢/٢١٥، ٢٦٩.
(٣) المصدر نفسه ٢/٢٣٩. (٤) المصدر نفسه ١/٣٦٥، ٢/٢٩٥، ٣٢٧، ٣٢٨.
(٥) المصدر نفسه ١/٥٣ (المقدمة).

هذا نص مهم ،وفي ضوئه نستطيع أن نقول انه لم يتأثر بالشعر الانجليزي ، وان كان يفضّله ويودّ لو أتيح له الاطلاع عليه بواسطة الترجمة. أما العربية والفارسية فقد كان متضلعا فيهما ومطلعا على تراثهما العلمي والأدبي ،وقد أفادته ثقافته العربية كثيرا ،ويتجلى أثرها في شعره ، حيث يترجم الشعر العربي والأمثال والأقوال المأثورة والآيات القرآنية والأحاديث النبوية ،وينظمها في شعره ،والأمثلة على ذلك كثيرة نشير الى بعضها فيمايلي :

ترجم حالي الأبيات المنسوبة الى علي بن أبي طالب ،ونظمها شعرا ، وقد سبق الحديث عنها في الفصل الثاني فلا نعيده ،كما لا نذكر هنا تلك الآيات والأحاديث التي ترجمها ونظمها في قصيدته "مسدس مد وجزر اسلام" فسيأتي الكلام عليها في الفصل الرابع ان شاء الله. ولندرس هنا باقي شعره.

لقد أكثر حالي من ترجمة معاني القرآن الكريم في شعره ،ومن أمثلة ذلك قوله :

" انظروا في كتاب الله ماذا يقول : لا فائدة من الإقرار بالايمان حتى يقترن ذلك بالامتحان من الله "(١).

يشير فيه الى قوله تعالى : " أحسِبَ الناسُ أن يُتْرَكوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يُفْتَنُون "(٢).

ويقول نقلا عمن يذم الشعر :

" لو كان الشعر محمودا ،لما جعله الله مخالفا لشأن خاتم المرسلين "(٣).

أشار فيه الى قوله تعالى "وما علّمْناه الشعرَ وما ينبغي له "(٤).

---

(١) المصدر نفسه ٢/ ٢٧٤.

(٢) سورة العنكبوت : ٢.

(٣) كليات نظم حالي ١/ ٤٥٢.

(٤) سورة يس : ٦٩.

ومن الأحاديث التي ترجمها ونظمها : حديث "الدين النصيحة"[١] ، و "سيد القوم خادمهم"[٢] ، و " حب العرب من الايمان "[٣] ،و "العلماء ورثة الأنبياء "[٤] ، و "بدأ الاسلام غريبا ..."[٥] ، و " انّ الايمان لَيَأْرِزُ الى المدينة كما تأرِزُ الحَيَّةُ الى جِحرها "[٦] .

ومن الأقوال المأثورة : "تخلَّقوا بأخلاق الله "[٧] ،و " أعمالكم عُمَّالكم"[٨] و "الحق مُرٌّ"[٩] ، و "كن يدًا ولا تكن لسانًا "[١٠] ،و "البركةُ مع الحركة "[١١] ، و "الشعراء تلاميذ الرحمن "[١٢] .... وغيرها .

أما التاريخ فقد أشار حالي كثيرا الى أحداثه وبعض الشخصيات والأخبار المتعلقة بها . منها قصة بدر وأحد[١٣] ،وانكسار بعض أسنان النبي صلى الله عليه وسلم في أحد[١٤] ، وقصة الهجرة الى المدينة[١٥] ، وفتح مكة[١٦] ، وقصة تقديم الطعام المسموم الى النبي صلى الله عليه وسلم[١٧] ،وقصة اسلام عمر في بيت الأرقم[١٨] ، وقصة إسلام كعب بن زهير ومدحه للنبي صلى الله عليه وسلم بعد أن هجاه[١٩] . وذكرَ عليًّا زينَ العابدين وأبا حنيفة والشافعي ومالكا وأحمد بن حنبل ومحمد بن الحسن ومحنتَهم بسبب جهرهم بالحق[٢٠] . ونظم في أربع مقطوعات بعض قصص المنصور والمأمون والمتوكل وهارون[٢١] .هذا ما عدا الأخبار التي أشار اليها في قصيدته "مسدس حالي ".

---

(١) كليات نظم حالي ٢/٢٧٤.
(٢) المصدر نفسه ٢/٢٧٦ ، ٣٩٩.
(٣) المصدر نفسه ٢/٢٧٦.
(٤) المصدر نفسه ١/٤٥٢.
(٥) المصدر نفسه ٢/٢٧٩.
(٦) المصدر نفسه ١/٢٨٠.
(٧) المصدر نفسه ١/٢٤٩.
(٨) المصدر نفسه ١/٢٤٤.
(٩) المصدر نفسه ١/٤٣٩.
(١٠) المصدر نفسه ١/٢٤٥.
(١١) المصدر نفسه ٢/١٥٣
(١٢) المصدر نفسه ١/٤٥٠.
(١٣) المصدر نفسه ١/٤٤٠.
(١٤) المصدر نفسه ٢/١٨٠.
(١٥) المصدر نفسه ١/٣٩٦.
(١٦) المصدر نفسه ١/٤٤١.
(١٧) المصدر نفسه ٢/١٨٠.
(١٨) المصدر نفسه ١/٤٤٣.
(١٩) المصدر نفسه ٢/١٨١.
(٢٠) المصدر نفسه ١/٤٤٦.
(٢١) المصدر نفسه ١/٢١١-٢١٤.

وخلاصة القول أن حالي استمد كثيرا من المعاني والصور من التراث العربي ، ونظم في شعره الآيات والأحاديث والأمثال والقصص والشعر والأخبار ، الى جانب تضمينه لكثير من الألفاظ والتعابير العربية واقتباسه من مصادر التراث العربي المتنوعة ،كما تحدثنا عن ذلك فيما مضى .

(ج) الأوزان :

استخدم حالي في شعره الأوزان العربية / الفارسية ،ولم يخرج عنها إلا في قصيدة واحدة حيث نظمها في بحر هندى يسمى بحر "مِيْر"(١) نسبة الى الشاعر مِيْر لكثرة استخدامه له . ويبدو أن هذا البحر مركب من أركان بَحْرَى المتقارب والمتدارك حيث يأتي فيه :

فَعْلُن و فَعِلُن وفعولن وفَعولُ وفَعْلُ و فَعَلْ و فَعْ ،

ويتكون باجتماع ستة عشر ركنا (٨ × ٢) من هذه الأركان بدون أن يكون لترتيبها نظام خاص ، فللشاعر الحرية الكاملة في التصرف ،يجمع منها ما يتلاءم مع النغمة الموسيقية . ولذلك تنوعت الأشكال التي استخدمت في هذا البحر تنوعا كبيرا . والشكل الذى استخدمه حالي في قصيدته :

(فَعْلُ فعولن / فَعْلُ فعولن / فَعْلُ فعولن / فَعْلُ فَعَلْ × ٢)

حيث تبدأ بقوله :

جب سے سنی ہے / تیری حقیقت / چین نہیں اک / آن ہمیں
اب نہ سنیں گے / ذکر کسی کا / آگے کو ہوئے / کان ہمیں(٢)

وهذه القصيدة الغزلية هي الوحيدة في ديوانه في هذا البحر الهندى . أما

---

(١) انظر : شمس الرحمن فاروقي : درس بلاغت ص ١٠٩ ،وگيان چند : اردو كي هندى بحر (في مجموعة : "نذر ذاكر" ،ط. دلهي ، ١٩٦٩م) ص ٥٢٣ - ٥٥٨ .

(٢) كليات نظم حالي ١/١٣٩ .

سائر شعره الأردى فقد اتبع فيه الأوزان العربية / الفارسية المعروفة . وقد قمتُ بإحصائها فوجدتُها ٢٤ وزنا من بحور مختلفة ،وفيما يلي جدول لهذه الأوزان وبيان عدد المنظومات في كل نوع من الأنواع الشعرية ،ما عدا "الرباعي" الذى سبق الكلام عليه فيما مضى ،وقد ذكرتُ هناك أن له أربعة وعشرين وزنا مستخرجة من بحر الهزج .

جدول للأوزان التي استخدمها حالي في شعره الأردي بأنواعه

الرقم	الأوزان	البحور	الغزل	القصيدة	المثنوى	القطعة	أنواع أخرى	المجموع
١	فاعلا تن فاعلا تن فاعلن	رمل	١٩		٤	٤		٢٧
٢	فاعلا تن فعِلا تن فعِلن	=				٢	٤	٦
٣	فاعلا تن فاعلا تن فاعلا تن فاعلن	=	١١	٣		٢٩	١١	٥٤
٤	فعِلا تن فعِلا تن فعِلاتن فعِلن	=	٢٠	٢	١	٩	٢	٣٤
٥	مفاعيلن مفاعيلن فعولن	هزج	٥		١	٢		٨
٦	مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن مفاعلين	=	٢	١		١	٣	٧
٧	مفعولُ مفاعيلُ مفاعيلُ فعولن	=	١٤	٢		١٤	٢	٣٢
٨	مفعولُ مفاعيلن مفعولُ مفاعيلن	=	٢					٢
٩	مفعولُ مفاعلن فعولن	=			٢	١		٣
١٠	فعولن فعولن فعولن فعولن	متقارب	٧		١	٣	٢	١٣
١١	فعولن فعولن فعولن فَعَلْ	=	٣		١	١		٥
١٢	فَعْلن فعولن فَعْلن فعولن	=				١		١
١٣	فَعُولُ نَعْلُن نعولُ فَعْلُن	=					٢	٢
١٤	= = = = ٢ ×	=	٣					٣
١٥	فَعْلُ فعولن فَعْلن فَعْ	=				١	٢	٣
١٦	مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن	رجز					٢	٢
١٧	مفتعلن مفاعلن مفتعلن مفاعلن	=				١		١
١٨	مفعول فاعِ لاتُ مفاعيلُ فاعِلن	مضارع	١٠			١٧		٢٧
١٩	مفعولُ فاعلاتن مفعولُ فاعِلاتن	=	١٠	١		٥	٢	١٨
٢٠	مفاعلن فعِلاتن مفاعلن فعِلن	مجتث	٤	٢		٦		١٢
٢١	فاعلاتن مفاعلن فَعِلُن	خفيف	١٥	١	٤	٢	١	٢٣
٢٢	مفتعلن مفتعلن فاعلن	سريع			١			١
٢٣	مفتعلن فاعلن مفتعلن فاعلن	منسرح	١			١		٢
٢٤	فعلن فعلن فعلن فعلن	متدارك			١		٢	٣
٢٥	فَعْلُ فعولن فَعْلُ فعولن فَعْلُ فعولن							
	فَعْلُ فَعَلْ	بحر مير	١					١
	المجموع		١٢٧	١٢	١٧	٩٩	٣٥	٢١٠

يبدو من هذا الجدول أن حالي لم يستخدم بحور الطويل والبسيط والوافر والكامل ،وهي أكثر شيوعا في الشعر العربي ،إلا أنها نادرا ما تأتي في الشعر الأردى ، كما سبقت الاشارة اليه في التمهيد . والجدير بالذكر أنه لم يستخدم أيضا بعض البحور التي تذكر في العروض الفارسي زيادة على ما في العروض العربي ،وهي : القريب والجديد والمشاكل ،كما لم ينظم في البحور الهندية إلا في بحر واحد منها . وهذا يدل على اهتمامه بالأوزان العربية المعروفة ، ومحافظته عليها بعد إجراء بعض التعديلات فيها بالزحافات والعلل لتوافق النغمة الموسيقية التي يألفها الشعب الهندى .

ومن الأوزان التي أكثر من استخدامها واتبع فيها أوزانَ الشعر العربي بدون تعديل : (فاعلاتن فاعلاتن فاعلن) من الرمل ،و (فعولن فعولن فعولن فعولن) و (فعولن فعولن فعولن فَعَلْ) كلاهما من المتقارب ، و (مفاعيلن مفاعيلن فعولن) من الهزج — وهو في العروض العربي من الوافر ،والهزج فيه دائما يجيء مجزوءا ، أى "مفاعيلن مفاعيلن" مرتين — و (مفتعلن مفتعلن فاعلن) من السريع ، و (فعلن فعلن فعلن فعلن) من المتدارك ،و (فاعلاتن مفاعلن فعِلن) من الخفيف ،وغيرها . وبالنظر الى الجدول يبدو لنا أنه نظم كثيرا في هذه الأوزان . ويكفي أن تكون قصيدته " مسدس مد وجزر اسلام " (وهي أشهر قصائده وأطولها على الاطلاق) في بحر المتقارب .

ومن أمثلة الأوزان التي نظم فيها وهي لا تأتي في الشعر العربي : مثمن الرجز (مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن × ٢) ،ومثمن الهزج (مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن × ٢) ، ومثمن الرمل (فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلن × ٢) . فالثلاثة لم أجد من أشار اليها في كتب العروض العربي ،وهي من الأوزان الشائعة في الشعر الأردى والفارسي . وهناك أوزان

أخرى في الجدول توجد فيها بعض الزحافات والعلل التي لا تُعْرَف في العروض العربي ،وهي تختص بالشعر الأردى والفارسي . ولا حاجة بنا أن نخوض في الحديث عنها .

وخلاصة القول أن حالي تأثر في شعره بأوزان الشعر العربي الى حد كبير ، ولم ينظم في الأوزان الفارسية الخالصة ولا الأوزان الهندية الخالصة إلا قصيدة واحدة . كما أنه لم يخرج في شعره على نظام العروض العربي / الفارسي مثل غيره من الشعراء المحدثين ،مع أن كلا منه في كتابه "مقدمة شعر وشاعرى " يشير الى أنه لم يكن يعطي للوزن والقافية أهمية كبيرة في الشعر (١)، وسنتحدث عن آرائه في هذا الموضوع في الباب الثالث . ومهما يكن من أمر فهو لم يطبق ما قاله بهذا الصدد على شعره ، سواء في المرحلة الأولى من حياته أو في المرحلة الأخيرة منها ،فنحن نرى أنه نظم جميع شعره على الأوزان المعروفة ، ولم يُجدِّد فيها كما كنا نتوقع منه ،وانما اقتصر على التجديد في الموضوعات والأساليب ، وقد تحدثنا عن ذلك في الفصول السابقة .

---

(١) المقدمة ص ٤٣ - ٤٦ .

الفصل الرابـــع

قصيدته "مسـدس مدّوجزر اســـلام"

من أشهر القصائد التي نظمها حالى قصيدته الطويلة بعنوان "مسدس مدوجـزر اسلام" (مَدّ الاسلام وجَزْره) ،وهي في فن "المسدس" الذى يعد من أنـــواع "المسمط" .وقد استخدم كثيرا في الشعر الاُردى ،وخاصة في الرثاء . وكل مقطوعة من شعر المسدس تتركب من ستة أشطار ،بحيث تتفق أربعة منها في القافية ،والشطران الاُخيران لهما قافية أخرى . وذلك على النحو التالي :

أ أ أ أ ب ب / ج ج ج ج د د / هـ هـ هـ هـ و و/ ....

وهناك أشكال أخرى للقافية في شعر المسدس[١] ، الا أن ما ذكرناه فوق يكثـــر وروده في الشعر الاُردى ،بل انه يختص به ،ولا يكاد يوجد في الشعر العربـــي أو الفارسي . ولذا عده بعض العلماء نوعا مستقلا عن "المسمط" وأفردوه بالذكر، وقالوا : ان شعراء الاُردية سلكوا مسلكا جديدا في هذا الفن وطوّروه حتى أصبح لا يوازيه الفنون الشعرية الاُخرى في كثرة الموضوعات وتنوعها ورواجها وقبولها[٢] .

و من مميزات نوع "المسدس" أن مقطوعاته ترتبط بعضها ببعض في المعنى ، وان اختلفت في المبنى و نظام القافية . وهذا النوع وان لم أكن أجد له مثيلا فـــي الشعر العربي ،الا أنني أستطيع أن أشبهه بعض التشبيه بالموشحات الاُندلسية (في بعض صورها) ، حيث إنها تتفق معه في وحدة الموضوع و اختلاف القافية ، وترابط الاُفكار واستمرار الوزن .

و قصيدة حالى هذه في بحر المتقارب (أى "فعولن" ثماني مرات) ،تبدأ بقوله : کس نے یہ بقراط سے جاکے پوچھا مرض تیرے نزدیک مہلک ہیں کیا کیا

تقطيعه : فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولـن

---

(١) انظر عنها : شميم أحمد : اصناف سخن اور شعرى هيئتيں ص ١٤٩-١٥٠ .
(٢) حامد الله أفسر : نقد الأدب ص ١٦٠-١٦١ (ط. لكهنو ١٩٣٣م) .

وهكذا تستمر القصيدة الى نهايتها . و نرى أن حالي استخدم هذا البحر تاما سالما من الزحافات والعلل في الشطرين ،وهو أول أنواع المتقارب التي تستخدم في الشعر العربي والأردى والفارسي ،وان كان استعماله يلى في الكثرة النوعَ الثاني منه ،وهو المتقارب المحذوف (فعولن فعولن فعولن فَعَلْ × ٢) (١) .

هذا من ناحية الإطار العام أو الشكل للقصيدة .أما من حيث الموضوع فانها استوعبت التاريخ الإسلامي كله تقريبا ،وأفكارها مترابطة و متسلسلة من أولها الى آخرها . عرض فيها حالى صورا رائعة من مختلف العصور ،وذكر لنا ملامح من الحضارة الاسلامية في الماضي ،وما آل اليه أمر المسلمين في هذا العصر (٢) . وقد بدأها حالى بوصف العصر الجاهلي ، ثم تحدث عن بعثة النبي صلى الله عليه وسلم رحمةً للعالمين ،وذكر نماذج من تعاليمه واصلاحاته ،ومدى تأثيرها في النفوس ،حتى أصبح الناس مؤمنين صادقين بعدما كانوا غارقين في ظلام الجهل وفساد الأخلاق ، ثم صوَّر عصر الخلفاء الراشدين ،وازدهار الاسلام في العصرين الأموى والعباسي ، واسهام المسلمين في نشر العلوم والفنون حينما كان الغرب في ظلام دامس . وتطرق بعد ذلك الى الحديث عن مراكز العلم والثقافة في الأندلس و بغداد وغيرهما ،ثم ذكر انحطاط المسلمين بزوال ملكهم في هذه المدن ،وصوَّر الأمة الاسلامية بصفة عامة ،ومسلمي الهند بصفة خاصة ،وقارن بين وضعهم السيء و بين النهضة العلمية في أوربا وما وصلت اليه من الرقي والازدهار. وقد صور حالة الاسلام والمسلمين في العصر الحديث أدقّ تصوير ،ولم يترك أى مجال من مجالات الحياة الا ذكر عنه ما يُبْكِي الدموع ويُذْرِف العيون ،مثل : فقدان العلماء الصالحين ،وما وقع فيه علماء العصر وعامة الناس من التقليد الأعمى ، والشرك والبدع والخرافات ،والتحزب والتفرق ،

---

(١) انظر : عبدالله الطيب : المرشد ١/ ٣٠٩-٣١١ ، شمس الرحمن فاروقي : درس بلاغت ص ١٠٨-١٠٩،و

Elwel Sutton, The Persian Meters. p.90(London1976).

(٢) انظر عرضا لهذه القصيدة بالانجليزية في :

Aziz Ahmad , Islamic Modernism in India & Pakistan, pp. 97 - 100 (London 1967).

وما اتصفوا به من الغيبة والكبر وخبث النفس والذل والهوان والكذب والتملق والأنانية وغيرها ، وذكر أحوال العلماء والأدباء والشعراء والحكام ،وكيف أن الشعر أصبح الآن أداة للتسلية عن النفوس و غرضا لنشر الأفكار الخبيثة . كما تحدث عن انصرافهم عن العلوم العصرية ،و عدم الاستفادة من المناهج الجديدة والتحقيقات الحديثة في مختلف العلوم والفنون ، والاقتصار على القديم في كل ميدان ،وقال لو أنهم استمروا على هذا الوضع فلا تمضى أيام قلائل إلا وهم يبيدون كما باد مَن قبلهم من الأمم . فهذه سنة الله ,ولن تجد لسنة الله تبديلا .

ولم يقتصر صاحبنا على بيان الواقع فقط ، بل إنه وصف الدواء أيضا ،وأسدَى نصائح إلى عموم المسلمين ليصلحوا أمورهم ،ويقوموا بما يجب عليهم نحو دينهم ووطنهم لابقاء الشخصية الاسلامية في المحيط الهندى المتلوث آنذاك بما جاء به الاستعمار الانجليزى ،وما شاع في مجتمعات المسلمين من بدع وخرافات وأوهام وأباطيل ما أنزل الله بها من سلطان . أو في صاحبنا غرضه وحقَّق ما أراد بكل ما أوتى من قريحة وقادة ،وفكر مبدع ،وروعة البيان ،وفخامة الأسلوب ،والإخلاص الذى لا يتم أمر بدونه .

سبب نظم هذه القصيدة :

طبعت هذه القصيدة لأول مرة عام ١٢٩٦هـ/١٨٧٩م ،أى بعد الثورة الهندية الكبرى عام ١٢٧٣هـ/١٨٥٧م بثلاث وعشرين سنة . وقد ذكر حالى في مقدمتها تلك الظروف التي دفعته الى نظمها ، فصور ما آل اليه أمر المسلمين بعد عام ١٨٥٧م ،وقال :ان العلماء والمفكرين بذلوا جهودهم ولا زالوا يعملون بشتى الطرق والوسائل للنهوض بالأمة الاسلامية ،الا أن أحدا منهم لم يفكر في تصوير الواقع بواسطة الشعر الذى له تأثير شديد في النفوس ، ولم يستخدمه لاحياء المسلمين من سباتهم و غفلتهم ،مع أن الشعر مما توارثه المسلمون من أسلافهم العرب . وقد أشار حالى هنا الى تلك الشخصية التي كان لها أكبر الأثر في تحوُّله من ميدان الغزل الى الشعر الاجتماعي والاسلامي ،وهي شخصية السيد أحمد

خان الذى وجهه الى الاهتمام بواقع المسلمين بدلا من التحليق في عالم الخيال ، واستخدام الشعر لهذا الغرض . تحمّل حالى هذه المهمة الشاقة ،واندفع الى نظم القصيدة بعد أن وضع لها إطارا عاما ،واختار فن "المسدس" الذى يصلح لمثل هذه الأغراض . وقد وفق للانتهاء من نظمها في ٢٩٤ مقطوعة ، مع بعض العوائق والأمراض التي كانت تحول دون إتمامها ،الا أنه بفضل الله و منّه تغلّب عليها ،فاستطاع أن ينشر قصيدة فريدة من نوعها في الشعر الأردى . ولم يكن غرضه من نشرها -كما يقول- (١) الاستمتاع بألفاظها وإطراء الثناء على مُنشِدها ،وانما كان يهدف بها إلى بعث الغيرة والحياء في قلوب الناس . فلو نظروا فيها وقرأوها واعتبروا بما جاء فيها فهذه غاية الكرم منهم ،والا فلا حاجة الى الشكوى .

وقد استهل حالى مقدمته على هذه القصيدة بقوله :

بلبل کوچمن میں هم زبانی چهوڑی بزم شعرا میں شعر خوانی چهوڑی
جب سے دلِ زنده تونے هم کو چهورا هم نے بهی تری رام کهانی چهوڑی

(الترجمة) تركت مشاركة العندليب في تغريده ،

وتركت إنشاد الشعر في مجالس الشعراء ،

وحينما تركتني وحيدا يا قلبى ،

تركت الحديث عن غرامياتك .

هذا الرباعي يوضح لنا أن حالي قد غير موقفه تماما من الشعر والأدب ،وترك الطريقة التقليدية في النظم ،وانصرف كليا عن الغزل ،وأقبل على الشعر الاجتماعي والديني . وقد شدّد النكير على شعراء عصره ،ووصف ما ينظمونه وصفا لم يبعد فيه عن الواقع ، وذلك في بعض مقطوعات هذه القصيدة (٢) ،منها قوله :

و هذه دواوين الشعر المحشوة بالقصائد الماجنة ،

التي تفوق المراحيض في عفونتها ،

---

(١) حالى : مقدمة مسدس حالى (في : كليات نظم حالى ١/٢٧) .
(٢) انظر : الملحق ،المقطوعة رقم ٢٤٩-٢٥٥ .

وتتزلزل منها الأرض والجبال ،

وتستحي منها الملائكة في السماء ،

وفسدت بها الأخلاق والعقائد - :

توصف من بين علومنا بعلم الأدب !!

وقد أشار في بعض غزلياته الأخيرة أيضا إلى أن دور الغزل قد انتهى ،ولم يبق مناسبا للعصر والبيئة التي يعيش فيها ،وذلك مثل قوله :

هو چکے حالی غزل خوانی کے دن راگنی بے وقت کی اب گا ئیں کیا ؟ (١)

(الترجمة) : انتهت أيام التغزل ، فلماذا التغني الآن بما لا يلائم العصر ؟ .

ويقارن في موضع آخر بينه وبين الشعراء المعاصرين له ،ويقول إن شعره لا يتصف بالكذب والمبالغة وغيرهما من الصفات التي " يتحلّى "بها كلام الآخرين :

شاعری جس کو سمجھتے ہیں کمال ابنائے دهر

جو لیاقت اس میں ہے درکار وہ ہم میں نہیں

اور تو کچھ خوبیاں شاید ملیں ان میں مگر

جھوٹ جو اشعار کا زیور ہے وہ ان میں نہیں (٢)

وخلاصة القول أن حالي اتجه اتجاها جديدا في قصيدته "المسدس" للأسباب التي ذكرنا فوق ،وترك ميدان الغزل الذى أمضى فيه أربعين عاما من حياته ،ولم يكن ذلك إلا لأنه كان يشعر بضرورة استخدام الشعر للاصلاح الاجتماعي والنهوض بالمسلمين من واقعهم المؤلم ،وتوجيههم الى ما فيه الخير والصلاح ،عن طريق تصوير الماضي والحاضر والمقارنة بينهما ،والكشف عن أسباب الضعف والتخلف . كل ذلك بأسلوب قوى وعاطفة صادقة واخلاص لا مثيل له في الأدب الأردى قبل حالي .

---

(١) كليات نظم حالي ١/١٠١ .

(٢) المصدر نفسه ١/٣٠٠، ٣٠١ .

تأثيرها في المجتمع الهندى :

لم يكن يتوقع حالى أن هذه القصيدة سيكون لها الرواج والقبول بين المسلمين في الهند ، لأنها كانت تختلف عما عهدوه من الشعر ،ولكنها منذ أن طُبِعت أحدثَتْ ضجة في الأوساط الأدبية ،وجرت على ألسنة الكبار والصغار ،وطارصيتُها في سائر أنحاء الهند . واختلف الناس في أمرها ،فاشتدت معارضتها من بعض الجهات لعدة أسباب : منها أن حالى كان من أعضاء حركة السيد أحمد خان ، الذين كانوا يُنْبَزون "بالنيچريين" و "الدهريين" لدعوتهم الى الاستفادة من العلوم الحديثة ودراسة اللغة الانجليزية ،والجمع بين القديم والحديث ،والتوفيق بين الدين والعقل ،شأنهم في ذلك شأن الإمام محمد عبده وأصحابه في مصر. فكان العلماء المحافظون يعارضونهم بشدة ويخالفون كل ما يدعو اليه في كتاباتهم وشعرهم .

ومنها أنه كشف في هذه القصيدة عن أحوال علماء السوء والصوفية والمشايخ الكاذبين ،وصور الأمراء والحكام المترفين والمنغمسين في ملذات الدنيا ،وهجا الشعراء المتملقين هجاء شديدا ،وأغضب عامةَ المسلمين بهجومه على مظاهر الشرك والبدع الشائعة فيهم . وبالجملة فلم يترك حالي أى طائفة إلا وقد نبَّه على مساويها ومخازيها ، فكان من الطبيعي أن يعارضه العلماء بكتاباتهم والشعراء بقصائدهم ،وينتقدوا قصيدة المسدس انتقادا شديدا في الأفكار والأساليب ، ويشيروا إلى ضعف التركيب والصياغة في كثير من مقطوعاتها .

وقد ظهرت معارضات شعرية عديدة ،عثرتُ منها على : "عوالى بجواب مسدس حالى"(١) (للشيخ محمد فاروق الچرياكوٹي) ،و "مسدس خيالى بجواب مسدس حالى"(٢) (للشيخ فخر الدين خيالى) ،و "مسدس به رد مولوى حالى" (لميرزا حيرت دهلوى)(٣) ، و "مسدس خالى"(٤) . كما نظم كل من :

---

(١) طبعت في مطبعة "أصح المطابع بلكهنو" عام ١٣١٩هـ،وتحتوى على ٢٠ صفحة.
(٢) طبعت في مطبعة "قومى پريس لكهنو" دون تاريخ وتحتوى على ٤٠ صفحة.
(٣) انظر: تاريخ أدبيات مسلمانان پاكستان وهند ٩/ ١١٣ .
(٤) نشرت في جريدة "اودھ پنچ" بلكهنو،المجلد ٢٥/ العدد ٣٩ في ٣ اكتوبر١٩٠١م.

غالب ،وموالى ،وڈفالى ،وقالى وغيرهم (١) ،إلا أن معارضاتهم طبعت طبعة واحدة ، ثم اختفت وماتت ،ولا زالت قصيدة حالى حية باقية الى اليوم ،وطبعت منها مئات الآلاف من النسخ (٢) ،وترجمت الى عدة لغات عالمية ومحلية ،مثل : الانجليزية (٣) والروسية (٤) ،والهندية (٥) ،والبنغالية (٦) ،والفنجابية (٧) ،والبشتو (٨) وغيرها . وقد قمتُ بترجمتها الى العربية وألحقتُها بآخر هذه الرسالة ،نظرا لقيمتها الأدبية ، والخصائص التي انفردت بها من بين القصائد التي نُظِمت في اللغات الهندية ، واحتوائها على المعاني الإسلامية ،وتأثرِها الشديد بالثقافة العربية في مختلف جوانبها ، وسيأتي الحديث عن كل ذلك فيما بعد ان شاء الله .

لم يبق للمعارضين للقصيدة أثر يُذكر ،فقد تلقاها الناس بالقبول ،وتغنى بها الجمهور ،وحفظوها عن ظهر قلب ،واستشهدوا بها في المحافل الدينية والمجالس الأدبية ،وقُرِّرت دراستها في المدارس والمعاهد ،واستخدمها الدعاة والوعاظ في مواعظهم ،وغنَّتها المغنيات والقيان في النوادى ،وجرت أبياتها على ألسنة الشيوخ والشباب والأطفال ،والعلماء وأصحاب المهن وعامة الناس ،والزهاد والفساق على حد سواء . فبكوا وأبكوا عند إنشادها وترديدها ،وتأثروا بها أبلغ تأثر ،واعتبروها الدواء الناجع لأمراضهم الاجتماعية المزمنة ،وأصلحوا من أحوالهم ما استطاعوا ،وتداركوا الأمر قبل أن يُقضَى عليهم . وكان هذا كله نتيجة لإخلاص الشاعر ،وقدرته

---

(١) انظر: مقدمة كليات نظم حالى ١/ ٦٤ ،ومجلة "فروغ اردو" (عدد خاص عن حالى) عدد فبراير ويونيو ١٩٥٩م.

(٢) وهذه ميزة تنفرد بها القصيدة من بين القصائد الأدبية.

(٣) قام بهذه الترجمة السيد على رضا بكراتشي ،كما أخبرتني بذلك صالحه عابد حسين في دلهي .

(٤) ذكرتْ هذه الترجمة صالحه عابد حسين في كتابها "يادگار حالى" ص ٢١٩ .

(٥) طبعت عام ١٩٣٥م في باني بت أثناء الاحتفال الذى عقد بمناسبة مرور مائة عام على ميلاد حالي .

(٦) قام بهذه الترجمة الشاعر البنغالي المعروف غلام مصطفى ،وهي في ديوانه ١/ ٥٦-٥٨٠ (ط. دكا ١٩٧١م) .

(٧) أعدها شهاب الدين بعنوان "حالى دى مسدس" طبعت طبعات كثيرة أولاها عام ١٩٣١م

(٨) قام بهذه الترجمة الشيخ غلام محمد خان .انظر: صالحه عابد حسين: يادگار حالى ص ٢١٤ .

الخارقة على تصوير ماضي المسلمين وحاضرهم بأسلوب فني رفيع ،وعاطفته الصادقة، واحساسه الدقيق المرهف ،وشعوره العميق بآلام المسلمين ومشاكلهم.

وكان لهذه القصيدة أثر ملموس في ظهور المنظومات الطويلة التي تصور بطولات المسلمين وأمجادهم وماضيهم المشرق ، فقد نظم الشاعر حفيظ جالندهرى ملحمته الاسلامية المعروفة بعنوان "شاهنامهٔ اسلام" في خمسة أجزاء ، كما نظم منظور حسين منظور ملحمته "جنگ نامهٔ اسلام" . الا أنهما اقتصرا على وصف الحروب الاسلامية في القرون الاولى ،ولم يتطرقا الى ذكر الجوانب الاخرى من الحضارة الإسلامية ومقارنة ماضي المسلمين بحاضرهم كما فعل حالى . ثم ان المنظومتين أشبه بالمنظومات التاريخية التي تهتم بسرد رواية حوادث مسلسلة ووصف الحروب واحدةً بعد أخرى ، على عكس قصيدة حالي التي نرى فيها التاريخ يتحول الى شعر وفن ، فهو لا يعتنى بالتفاصيل ،وانما يكتفى منها بما يفيد غرضه ،وربما يقتصر على الاشارة الى بعض الحوادث والحروب والوقائع في شطر واحد .

ومن الذين قلّدوا حالى في نظم "السدس" السيد ضمير جعفرى ،له "مسدس بےحالى"(١) ، صور فيها واقع المسلمين على طريقة حالى ،وذكر جوانب من الحياة السياسية والاجتماعية والدينية في باكستان . وهو يعترف بفضل حالى في هذا الميدان . وهناك شاعر آخر اسمه محشر رسول نگرى قلد حالي في اختياره فن السدس لمنظومته الطويلة في السيرة النبوية بعنوان "فخركونين" التي طبعت في جزءين ،استلهم فيها تلك الأفكار التي لخصها حالى في بعض المقطوعات من قصيدته(٢) .

ولم يقتصر تأثيرها على الشعراء المسلمين ،بل تعداهم الى عدد من الشعراء الهندوس أيضا ،فقد نظم "بابوگورکھ پرشاد عبرت" منظومته "مسدس نشوونماے هند" و"پنڈت برجموهن دتاتريه كيفى" منظومته "بهارت درپن"(٣) ،تغنى كل منهما

---

(١) طبعت هذه القصيدة في كراتشى ١٩٧٩م،وتحتوى على ١٤ صفحة.

(٢) انظر: الملحق المقطوعة رقم ٢١-٣١.

(٣) تاريخ ادبيات مسلمانانِ پاكستان وهند ١١٣/٩.

في قصيدته بأمجاد الهند وعظمتها ،إلا أن قصيدة حالى "المسدس" فاقت كل القصائد الأخرى التي نظمت في فن "المسدس" في اشتهارها وذيوعها ،حيث إن كلمة "المسدس" اذا أطلقت فلا يفهم منها الا قصيدة حالى ،شأنها في ذلك شأن "المثنوى" الذى ينصرف عند الاطلاق الى "مثنوى جلال الدين الرومى" ، و"الرباعيات" التي اشتهر بها عمر الخيام على كثرة ما نظمه الشعراء في هذه الفنون .

وينبغي أن نشير هنا الى أن حالى نظم بعض المقطوعات على غرار "المسدس" عام ١٣٠٣هـ/١٨٨٦م أى بعد صدور "المسدس" بسبع سنوات ،وألحقها بالمسدس بعنوان "ضميمه مسدس مد وجزر اسلام" . وكان سبب نظم هذه المقطوعات الجديدة أنه كان ختم القصيدة الأولى بأبيات تقطع الأمل في الاصلاح ،وتؤكد على المسلمين اليأس والقنوط ، ويُفهَم منها أن كل الجهود التي تُبذل للنهوض بالأمة تذهب سُدًى (١) . أحس حالى بهذه النهاية المؤلمة وأراد أن يستدرك عليها ، ويتدارك ما فات ، فذكر بعض الجوانب المشرقة من حياة المسلمين ،والحلول والمقترحات التي يمكن العمل بها . إلا أن مقطوعات هذا الملحق لا تساوى في القوة المقطوعات الأولى . وربما يرجع ذلك الى اختلاف الظروف والملابسات ،فقد كان حالى عند ما نظم "المسدس" تصوَّر الماضي والحاضر في ذهنه ،وكان مندفعا الى التعبير عن مشاعره بكل قوة ،ووجَد فيه تنفيسا عما يجيش في صدره من الأفكار ،وتسليةً عما يشعر به من الهموم والآلام عندما يرى بني جلدته متخلفين في جميع ميادين الحياة ،لم يتخلصوا بعدُ من الآثار السيئة للثورة الهندية الكبرى عام ١٨٥٧م . وقد اختلفت تلك الأوضاع والظروف كثيرا بعد سبع سنوات ،ولم يكن هناك باعث قوى للانطلاق . ويبدو أنه حاول أن يخفف قليلا من مرارة قصيدته "المسدس" بنظم الملحق ،ويبشر الناس بمستقبل زاهر بعد أن قطع أملهم عنه في "المسدس" . كما يظهر جليا أنه تكلف في مواضع من الملحق . بينما هو في المسدس على سجية واحدة ،لم يتكلف في موضع منها .

---

(١) انظر ما كتبه حالى في ديباجة "المسدس" (كليات نظم حالى ١/ ٣٢) .

قيمتها الأدبية :

تعتبر هذه القصيدة أول ما نظم من نوعها في الأدب الأردى ،وهي من القصائد المعدودة الخالدة التي ربما لا تتجاوز عدد الأنامل في الشعر الأردى . وتبدو أهميتها مما كتبه السيد أحمد خان في رسالة له الى حالي بعد ما اطلع عليها ، يقول : "عندما وصلتْ اليَّ القصيدة لم أتركها حتى انتهيتُ من قراءتها ،وتأسفتُ على أنها لماذا لم تستمر ؟ أرى أنه يكون من الصواب أن تعتبر هذه القصيدة بداية للشعر الأردى الحديث ونقطة تحول في تاريخ الأدب الأردى . ولا أستطيع التعبير عن جودتها وروعتها مع صفاء الأسلوب وسلامة البيان . وأنا أتعجب على نجاحك في نظم هذا الموضوع ببراعة ودقة مع الابتعاد عن الكذب والمبالغة والتشبيهات الفارغة التي يفتخر بها الشعراء ويزينون بها كلامهم . وقد وجدتُ فيها بعضَ المقطوعات التي لا يمكن قراءتها إلا بالعيون الدامعة ،وصدق من قال : ان ما يخرج من القلب يؤثر في القلب . . . . . لقد كنتُ أنا السبب في توجيهك الى هذا الموضوع - كما أشرت الى ذلك في المقدمة - ولذا أعدُّ هذه القصيدة من حسنات أعمالي . واذا سألني الله يوم القيامة عما عندى أقول له : ليس عندى الا قصيدة "المسدس" التي أشرتُ على حالى بنظمها"(١) .

وقد بالغ بعضهم في تقويمها حيث اعتبرها إلهاما ووحيا Revelation (٢) ولا شك أن لها مكانة أدبية رفيعة في الشعر الأردى ،وبها تبدأ مرحلة جديدة في تاريخ الأدب الهندى بصفة عامة ،وهي على رأس تلك القصائد التاريخية والدينية والاجتماعية والوطنية التي ظهرت خلال المائة سنة الماضية في الهند ، ومعظمها تأثرت بها في الأفكار والأساليب ،وحَذَتْ حذوها في الشكل ،ولكن قلما وصلت الى ذلك المستوى الفني الذى بلغته قصيدة حالي ،كما أشرت الى ذلك فيما مضى .

---

(١) انظر: مجلة "تهذيب الأخلاق" الصادرة بعلى كرهه ،مجلد عام ١٨٨٠م ص١٠١. وقد نشرت صورة هذه الرسالة في مقدمة "مسدس حالي" (صدر ايڈيشن) طبعة عام ١٩٣٥م بين صفحتي ١٦ - ١٧ .

(٢) انظر: R.B. Saksena, A History of Urdu Literature p.217

تحليل القصيدة وتلخيص الأفكار العامة فيها :

تحتوى القصيدة كما ذكرنا على ٢٩٤ مقطوعة ،وتتناول موضوعات عديدة يمكن أن نجملها فيمايلي :

١ - تمهيد في تصوير حاضر المسلمين (المقطوعات ١ - ٧) .

٢ - تصوير العرب في العصر الجاهلي (٨ - ٢٠)

٣ - ذكر بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وتعاليمه (٢١ - ٥٤) .

٤ - وصف الصحابة في عهد الخلافة الراشدة (٥٥ - ٦١) .

٥ - وصف أوربا وبقية العالم في القرون الوسطى (٦٢ - ٦٨) .

٦ - انتشار الاسلام وازدهار الحضارة الاسلامية وتأثيرها في الشعوب الأخرى (٦٩ - ١٠٥) . وفيه تصوير الأندلس وآثار المسلمين فيها (٨٢- ٨٤) وتصوير بغداد وما وصلت اليه في العلوم (٨٥ - ١٠٥) .

٧ - بيان انحطاط المسلمين بصفة عامة (١٠٦-١١٢) .

٨ - تصوير انحطاط المسلمين في الهند بعد شوكتهم (١١٣ - ٢٨١) . صوَّر فيه كل طائفة وجماعة فيهم ، مثل : الأمراء والحكام وحاشيتهم (١٥٤-١٥٥) ،والأغنياء والأثرياء (١٥٦-١٦٩ ، ١٧٦-١٧٩)، والعلماء (١٨٤- ١٩٥) ،والفلاسفة (٢٣٢ - ٢٤٥) ،والأطباء (٢٤٦-٢٤٨) ،والشعراء (٢٤٩- ٢٥٦) ،وأبناء الأشراف (٢٥٧- ٢٧٧) ،وعامة الناس (١٩٦- ٢٣١) . تحدث عن جميع هؤلاء الطوائف من المسلمين ،وقام بالمقارنة بينهم وبين الهندوس (١٣٤- ١٣٧) من جهة وبين الأوربيين (١٢١- ١٣٢ ، ١٧١-١٧٥) من جهة أخرى .

٩ - وصف الحكومة الانجليزية (٢٨٢-٢٨٩) .

١٠ - خاتمة في بيان سنة الله في الكون (٢٩٠- ٢٩٤) .

هذه هي الموضوعات الرئيسية التي تحدث عنها حالي في القصيدة ،وسأحاول أن الخص ما قاله حالي في كل موضوع ،مع شيء من النقد اذا كانت الحاجة ماسة الى ذلك . أما الترجمة العربية الكاملة للقصيدة فهي ملحقة بآخر الرسالة ،وهي تغني عن الإسهاب والتطويل هنا ،ولذا سأقتصر على الأفكار العامة دون أن أتناول الجزئيات .

قدّم حالي القصيدة برباعي له يصور فيه انحطاط المسلمين إلى أبعد حد ،يهدف بذلك الى تشجيعهم و بعث هممهم وتطمين خاطرهم ،وكأنه يريد أن يقول لأحدهم : لا تيأس من رحمة الله أيها المسلم الهندى ،فانه بعد المد جزر ،و بعد الجزر مد ، لا في تاريخ الاسلام فقط ،بل في تاريخ العالم كله ،كم من وضيع شرف ،و كم من شريف وضع ،وظلام وضوء ،وليل و نهار يتعاقبان ،وما هما إلا آيتان من آيات الله .

بعد هذا الرباعي استهل شعره بأسلوب تمثيلي يقول فيه : سأل أناس طبيبا نطاسيا مثل بقراط الذى كان رمزا في زمنه للمهارة الطبية في اليونان ، سألوه : ما هو المرض الخطير الذى يعجز عنه الطب ولا يرجى له الشفاء ؟ فقال : ما من داء الا أنزل الله له دواء ،الا المرض الذى يستهين بشأنه المريض ويستخفه ،ويحسبه هينا وهو عظيم . فالمريض الذى لا يؤمن بالطبيب ولا يقتنع بعلاجه و يحترز من تناول الدواء وأخذ الحمية ،فالمعلوم أن طبيبا في الدنيا لا يقدر على علاجه .

أيها المسلم الهندى حالك لا تختلف عن حال هذا المريض ، ان سفينة حياتك في بحر عميق تلعب به الأمواج ،وتحيط به العواصف العاتية ،ويكاد يغرقها الطوفان ،والرُّبّان يَغِطُّ في نومه ،وأنت لا تزال في نومك لا يحرك ساكِنَك شيء .

ترى غيوم الذل والهوان تُظِلُّ رؤوس المسلمين ،والنكبة تبدى آثارها والنحس يحيط بهم من كل جانب ،ومع هذا فهم غافلون . لقد شوّهوا الدين الحق بوجودهم ، وينطبق عليهم قول الله عز وجل : " أولئك كالأنعام بل هم أضل ".

انتقل حالى بعد وصف حاضر المسلمين الى وصف العرب في العصر الجاهلي ، وكيف أنهم بدخولهم في دين الاسلام غيروا مجرى التاريخ ،وقادوا العالم عدة قرون ، مع انهم قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم لم تكن لهم قوة تذكر .

بدأ حالي هذه المقطوعات بوصف الجزيرة العربية ،وأنها كانت منقطعة عن سائر العالم ، لم تُطِلَّ عليها الحضارةُ والمدنية في الجاهلية ،ولم يكن جو هـا لطيفاً يؤثر في تكوين العباقرة ،لا خضرة فيها ولا ماء الا ما أمطرت السماء ،أرضها جبلية ،وهواؤها سَمُوم تلفح الوجوه ،وتجرى الرياح الشديدة . كل ما هنالك جبال وتلال ،وسراب وصحراء ،وأشجار النخيل وأشواك العضاه ،لا زراعة ولا حبوب . هذا ما كانت عليه الجزيرة وأهلها قبل الاسلام .

وهكذا يستمر حالي فيصف أهلها ،ومن كان يعبد منهم النار أو الكواكب ، أو يعتقد في التثليث أو يسجدون للأصنام ،ويذكر أن الكعبة تحولت الى مزارٍ للمشركين . كل قبيلة لها صنم خاص ،وكل بيت فيه اله جديد ،فهناك "هُبَل" ، و"صفا" و"العزى" و"الناعلة" . لقد اختفت شمس التوحيد وراء السحاب وأظلمت جبال "فاران".

ويتحدث عن حياتهم الاجتماعية فيقول : كانوا يعيشون مثل الحيوانات والوحوش ، يعيثون في الأرض فسادا ، ويفنون أعمارهم في الحروب ،لا يردعُهم عنها أى قانون . واذا تنازع شخصان نهضت لهما مئات القبائل ،واذا ارتفعت شرارة من نار التهبت بها سائر البلاد . ومن أشهر هذه الحروب حرب " بكر و تغلب " التي استمرت حوالى نصف قرن . وذهب ضحيتها كثير من القبائل ،ولم تبدأ هذه الحرب من أجل الملك أو المال ،وانما كانت بسبب جهالتهم وعصبيتهم .

تبدأ حروبهم بأتفه الأسباب ،هنا حرب بسبب رعي الغنم ،وهناك من أجل سباق الخيل ،هكذا يقع الجدال بينهم كل يوم ،وتُسَلُّ بينهم السيوف دائما .

ومن العادات القبيحة لهم وأد البنات ،فاذا ولدت امرأة أحدهم بنتا ظن أنها ولدت أفعى ، ويدفنها مخافة شماتة الأعداء.

أما الخمر والميسر فكانوا يشتغلون بهما ليل نهار ،بسبب الغفلة والجنون . و بالجملة فقد كانت أحوالهم سيئة للغاية ،ومضت عليهم قرون وهم غارقون في الجهل والظلام حتى جاء الاسلام .

هذه خلاصة ما ذكره حالى في وصف العرب وأحوالهم ،كل ذلك بأسلوب شعرى جميل يفقد كثيرا من روعته وبيانه في الترجمة العربية . ومع ذلك فالصورة التي استخلصناها من شعره تكاد تكون مطابقة للواقع ،يؤيدها الشعر الجاهلي وتاريخ العرب قبل الاسلام على ما نجده في كتاب " الأغاني " ومجاميع الشعر والنثر الأخرى .

ينتقل حالى بعد ذلك الى القسم الثالث من القصيدة ،فيذكر بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ،ويمدحه في أبيات جميلة يقول فيها:إن العرب كانوا على ما ذكرنا ، اذ تحركت الفيرة الإلهية ،وأقبلت سحاب الرحمة الى جبل "أبي قبيس" ،وجاء مولد النبي صلى الله عليه وسلم مصداقا لدعاء إبراهيم وبشارة عيسى عليهما السلام . لقد انقشعت آثار الظلام عن العالم بعدما طلع القمر الجديد ، ذلك النبي الذى لقب " رحمة للعالمين " نزل من غار " حراء " ،وجاء الى قومه ومعه آيات من الذكر الحكيم ، حوّل بها النحاسَ ذهباً و ميّز بين الفَتّ والسمين والزائف والأصيل .وهكذا فقد تغير مجرى الهواء من جانب لآخر ،ولم يبق للأسطول البحرى أى خطر من أمواج البحر .

ثم تحدث عن بداية دعوته صلى الله عليه وسلم ،وأشار الى قصة جَمْعِه لسائر أهل مكة وصعوده الى جبل " الصفا " ،ودعوته لهم الى التوحيد والإيمان بالآخرة . ويقول : ان هذه كانت بمنزلة الرعد الشديد والصوت المدوّي الذى زلزل أرض العرب جميعا ،وألقى في قلوبهم الرعب ،ونبّههم من غفلتهم . وكان من آثار هذه الدعوة أن ضجّت الصحارى والجبال بهتافات أسماء الله .

ثم لخص تعاليمه ،وترجم بعض الأحاديث النبوية شعرا ،وذكر آثارها في تكوين الجيل المثالي الجديد جيل الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين . وهكذا تمّت نعمة الله على الناس ،وأدى الرسول واجبه ،ثم التحق بالرفيق الأعلى ،وترك وراءه قوما لم يوجد لهم نظير في التاريخ .

وفي الفقرة التالية (٥٥ - ٦١) يصف هؤلاء الصحابة بأنهم كانوا قد نذروا حياتهم لله والرسول ،واتبعوا أوامر الدين ،وسكروا بصهباء الحق ،ورفضوا تقاليد الجاهلية ،وهدموا أساس الكهانة ،وصمدوا أمام كل فتنة وبلاء . كانوا أبعد

الناس عن التكلف في الطعام واللباس ،لا فرق بين الغني والفقير ،والقائد والجيش فكلهم على هيئة واحدة. كأنهم مثل تلك الحديقة التي تستوى فيها جميع النباتات ، وليس بعضها أصغر من بعض. لقد كان الخلفاء فيهم مراقبين لأحوال الأمة كما أن الراعي يكون مراقبا لمواشيه . يتمتع في زمنهم بالحقوق الانسانية كلٌّ من الذمي والمسلم والحر والعبد ،وكانت الحرة والأمة تتعامل مع بعض مثل الأختين الشقيقتين ، كانت جهود الصحابة كلها في سبيل اعلاء كلمة الحق ،وكانت علاقاتهم مع الناس مقصورة على الحق ،ولم تكن تشتعل نار الحرب بينهم ،فقد كان عنانهم بيد الشريعة الاسلامية . فاذا طُلِب منهم اللين لانوا ،واذا طُلِب منهم الشدة اشتدوا . هكذا كانت أحوالهم في القرن الأول .

أما القسم الخامس (٦٢-٦٨) فيصف فيه أوربا والبلدان الأخرى في القرون الوسطى ،حيث كان الظلام شائعا في العالم ،وأظلَّ التخلفُ جميعَ الأمم ،فلم يكن هناك ازدهار للعبرانيين ،ولا كانت نجوم النصارى ساطعة ، في حين كانت علوم اليونان مشتتة ،وكان شمل الساسانيين مفرقا ،وكانت سفينة الروم متمايلة ،وكان سراج الفرس آفلا . أما الهند فقد كان الظلام شائعا في جميع أنحائها ،والعجم كانوا غارقين في الجهل . وبالجملة فقد كانت الريح العاصفة في كل مكان ،وكان سحاب الظلم ممطرا على الأرض ،فكانت سفينة بني آدم في خطر.

وهؤلاء الذين يَدَّعون أنهم رعاتنا اليوم كانوا كالذئاب الضارية الآكلة للحوم البشر ،وكالبهائم في تصرفاتهم . والبلاد التي نفقت فيها الآن سوق الفنون والصناعات وانتشرت فيها العلوم والتقنيات الحديثة لم يكن فيها شيء من الحضارة ولم تصل اليها أمواج البحر التي تدفعها الى الحركة.

وبعد هذا الوصف الموجز ينتقل الى القسم السادس (٦٩ - ١٠٥) حيث يذكر انتشار الاسلام وازدهار الحضارة الاسلامية وتأثيرها في الشعوب الأخرى . وقد بدأ ذلك بقوله : ارتفعت سحابة من جبال "بطحاء" أحدثت ضجة في جميع أنحاء العالم ،ووصل رعدها وبرقها الى بعيد ،وأمطرت السماء من الأندلس الى الهند ،فاخضرت أرض الله كلها ،وانطفأت النار في معابدها ،وبدأ التراب يغطي

جميع المعاهد ،وعُمِّرت الكعبة بعدما خربت كل أماكن العبادة ،وأصبحت كلمة الله هي العليا ،وتغنّت البلدان بـ" لا اله الا الله ".

وكان المسلمون في ذلك العصر ملأوا كئوسهم من كل حانات الخمر ،وشربوا من كل مورد ،وتساقطوا على كل نور مثل الفراش ،مصداقا لقول النبي صلى الله عليه وسلم :" الحكمة ضالّة المؤمن ،أينما وجدها فهو أحق بها " . وقد درسوا كل العلوم والفنون وسبقوا العالم فيها ،وبعثوا علوم أرسطو ،وأحيوا أفلاطون من جديد ،وأذاقوا الناس لذة العلم ونزعوا الحجاب عن أعينهم .

لقد عمروا كل بلد خراب ،وحولوا الجبال والصحارى حدائقَ وبساتين ،وموسم الربيع الذى نجده الآن في العالم ليس الا نتيجة لغرسهم الأشجار في أوانه .

كانوا دائما في حل وترحال ،وتجولوا في كل قارة ،ووصلوا الى كل بحر وبر ، واذا كانت خيامهم في "سيلان" فبيوتهم في "البربر" . توجد آثار أقدامهم في "ماليزيا" ، وتبكى عليهم "مالابار" ،وتحفظ جبالُ "هملايا" وقائعَهم ، وتوجد نقوشهم في " جبل طارق ".

أما الفنون التشكيلية والمعمارية فتشهد لها جميع البلاد من "القلعة البيضاء" في الأندلس الى جبل "آدم" في سيلان . هذه القصور الشامخة التي ينمو على أطلالها الطحلب الآن ،والمساجد التي تتجلى فيها الأنوار الإلهية ،والأضرحة التي كانت قِبابُها من ذهب ،لا يخلو منها مكان في الدنيا وان فقدت الآن كثيرا من نضارتها وبهجتها .

لقد تنورت بهم الأندلس وتفتّحت أزهارها ،ولا زالت آثارهم باقية فيها ، وكأن "القلعة الحمراء" تقول بلسانها : أنا أثر من آثار العرب في هذه الأرض ، فالذين بنوها كانوا من آل عدنان .

تشهد بشوكتهم وعظمتهم "غرناطة" و"بَلَنْسِيَة" و"بَطَلْيَوْس" و"إشبيلية" وغيرها من المدن ،وتبكي عليهم قرطبة ليلَ نهار . هذه أطلال بيوت أمراء العرب فيها ،وتلك مساجدها ومحاربها ،يلمع بريق جلالهم فيها كما يتلألأ التبر الخالص في الطين .

انتقل الشاعر بعد وصف الأندلس الى وصف بغداد وازدهار الحضارة الاسلامية فيها (المقطوعات ٨٥ - ١٠٥) ،وهذه المقطوعات من أجمل مقطوعات القصيدة وأقواها في التعبير ،وقد تحدث فيها الشاعر بتفصيل عن مختلف العلوم والفنون والصناعات ،وما وصل اليه المسلمون فيها ،والتجديد الذى قاموا به في كل ميدان . ومزج كلامه بنفمة حزينة تعبر عن أسفه البالغ على ضياع تلك المدينة الشامخة التي كانت مفخرة مدن العالم .

ذكر الشاعر عنايتهم بالعلوم في بغداد وشبَّههم بالجريح الذى يبحث عن الدواء ،لا شيء يُروِى نَهَمَهم ،ولم يكن المطر يطفيء ليهبَهم . تلمع نجومهم في الشرق ،ويستضيء بأنوارها الغرب . وهذه مؤلفاتهم تزخر بها مكتبات باريس وروما ولندن . أين أولئك العباقرة الذين يدين لهم العالم اليوم ؟ وأين أولئك الفلكيون والمهندسون الذين كانت مراصدهم منتصبة في مدينة "مراغة" وجبل "قاسيون" ؟

لقد أوقد العرب مصباحا مضيئا ينير الطريق لكل قافلة ،فالمؤرخون منهم وضعوا مناهج البحث العلمي ،والمحدّثون أسسوا قواعد الجرح والتعديل ،والأطباء أنشأوا معاهد ،والأدباء علّموا طرق الكتابة وانشاد القريض ،فتعلّم الناس منهم الفصاحة والبيان ،وأطلقت اللغةُ العربيةُ ألسنتَهم بعدما كانوا بُكْماً ،وانتشر الطب في العالم بواسطتهم ،وكان معهد الطب الذى أنشأوه في مدينة "سلرنو" بايطاليا يشبه المطار الذى يُهدِى مِسْكَ العرب الى الغرب . ولا تخفى مكانة الرازى وابن سينا وابن بيطار وفضلهم على النهضة الحديثة في ميدان الطب .

وباختصار فقد سبق العرب في جميع العلوم والفنون من الفيزياء والكيمياء والطب والهندسة والفلك والرياضيات والفلسفة والسياسة والزراعة والعمارة وغيرها ،وأمطر سحابهم على معظم البقاع ،ولهم مِنَّة على كل أبيض وأسود . واذا ذبلت الآن بساتينهم فإن آثارها لا تزال موجودة في كل مكان . وتلك الأقوام التي تسود العالم اليوم تكون دائما مَدِيناً للعرب .

بعدما انتهى الشاعر من ذكر شوكة المسلمين وازدهارهم ،تحول الى بيان انحطاطهم وزوالهم بصفة عامة في القسم السابع من القصيدة (١٠٦-١١٢) ،فيقول : وعندما كدر المنهل الصافي وانحسر عن الرأس ظل الاسلام وضعفت رابطة الدين ساءت أحوال المسلمين وخربت ديارهم وتفرقت مجتمعاتهم في سائر الأوطان ، وانقرضوا مثل الحدائق التي تذبل بعد الربيع ،وفقدوا العز والغنى ،وانصرفت عنهم الحكومة ،وذهب عنهم كل علم وفن ،وضاعت كل المحاسن واحدة بعد أخرى ، ولم يبق من الاسلام الا اسمه ،وأصبحوا مثل تلك الحديقة التي خربت ،وتساقطت أغصانها الخضراء بعدما يبست لا أثر فيها للحياة ،ولا تصلح بعد ذلك لتثمر ، وصارت أشجارها حطبا للنار .

ينتقل الشاعر بعد ذلك الى القسم الثامن (١١٣-٢٨١) ،وهو الجزء الأكبر من القصيدة يذكر فيه انحطاط المسلمين في الهند بعد شوكتهم ،ويصور كل طائفة وجماعة منهم . وقد بدأها بصورة تناسب المقام ، وهي أن الأسطول العربي المغامر الذى وصل إلى جميع أنحاء العالم ولم يزاحمه أى خطر ،فلم يتوقف في بحر "عمان" ولا في بحر "القلزم" (البحر الأحمر) ،لما قطع مسافة سبعة أبحر ووصل الى الهند غرق في نهر "الكنج".

هذا تمثيل لانحطاط المسلمين في الهند حيث فقدوا القوة والحكم ،وعشّش الذل والهوان في عُقْر دارهم . ترى أن الصقور والبازى كلها تطير في أوج السماء ، ولكن الهنود مقطوعو الريش والجناح . تلك الأمة التي كانت أقدامها ثابتة ورياياتها مرفرفة لم يبق من آثارها شيء في الهند ،فلا ينتسبون إليها إلا بالاسم فقط ،واذا وُجِد فيها شيء من الفضائل فهو محض صدفة . لقد انكسفت بهم أسماء الآباء والأجداد ،وأغرقوا شرف أسلافهم العرب ،وأصبحوا عارا على أبناء الوطن . لا عزة لهم بين الأمم ،ولا ميزة لهم في ميادين العلم ،ولا تفوّق في الفنون والصناعات. ذهبت هيبتهم من قلوب العالم ،يعيشون في الدنيا على أمل وحيد وهو الدخول في الجنة في الآخرة !! وهم في داخل بيوتهم كالأسماك في داخل الحياض تظن أنها كل العالم . لا يقدّرون ثمن "الوقت" الذى هو رأس المال وكنز السعادة

وأصل البضاعة ،فلا يبخلون في تضييعه وصرفه بدون فائدة ، بل هم أسخياء جدا في بذله .!!

هم لا يبالون بواجباتهم ،وأحسن منهم ذلك الكلب المطيع للراعي ، الذى يراقب الغنم في كل وقت ،واذا سمع أى صوت وسط الغنم حتى ولو كان ذلك لسقوط الأوراق يخرج ويجرى غضبان مثل الأسد .

ثم قام الشاعر بالمقارنة بينهم وبين الانجليز من جهة (١٣١-١٣٢، ١٧١- ١٧٥) وبين الهندوس من جهة أخرى (١٣٤- ١٣٧) وفضّلهم على مسلمى الهند من حيث العمل والحركة والعناية بالعلم والثقافة والتفوق في ميدان التجارة والزراعة والوظائف الحكومية . وعقّب ذلك بقوله : ترى آثار الخريف في الحديقة ولا يحس بها صاحبها ، وقد تغيرت ألحان العندليب ونغمات الليل فيها ،ولعل النهاية تكون قريبة . و نرى أحلام الدمار والضياع والتشتت ،وسيطلع الفجر علينا بالكوارث والنكبات .

استعرض الشاعر بعد ذلك جميع الأخلاق السيئة التي يتصف بها مسلمو الهند ،ثم انتقل الى وصف كل طائفة وجماعة منهم ، ووضع أمامهم مرآة صادقة تعكس شخصياتهم بدقة وبراعة فائقة . لقد صوّر الشاعر مخازيهم ومساويهم ،وعرض نماذج كثيرة من تصرفاتهم ،والتقط مشاهد مختلفة من الحياة اليومية تُسيل العيون و تبكى الدموع .

بدأ الشاعر بتصوير الأمراء والحكام وحاشيتهم (١٥٤-١٥٥) وعقب ذلك بتصوير الأغنياء والأثرياء (١٥٦- ١٦٩ ، ١٧٦ - ١٧٩) ،والعلماء والزهاد (١٨٠-١٩٥) ،والفلاسفة (٢٣٢-٢٤٥) والأطباء (٢٤٦-٢٤٨) والشعراء (٢٤٩- ٢٥٦) وأبناء الأشراف (٢٥٧- ٢٧٧) وعامة الناس (١٩٦-٢٣١) . وبعد هذه الجولة الواسعة يصل الى النهاية ،ويختم كلامه بذكر تمثيل مناسب للمسلمين في الهند ، وكأنهم داخل سفينة وقعت في لجج البحر لا مخرج منها ولا نجاة ،وقد أحدق بها الخطر من كل جانب ،وأحاطت بها الأمواج العاصفة ، إلا أن الركاب لم يشعروا بشيء من ذلك ،فبعضهم نائمون ،وآخرون مستيقظون يضحكون

على إخوانهم ،وقد حان وقت غروب السفينة ، فلا يبقى النوّام ولا يَسلَم المستيقظون، ويُقضَى عليهم جميعا عن قريب.

ويقول بعد ذلك: إلى متى نمدّد فضائحنا وعيوبنا ؟ فأحوالنا جميعا تثير العجب والدهشة . ويوجّه الكلام إلى أبناء الوطن فيقول: أخاف يا أبناء قومي أن تكونوا وصمة عار على جبين البشرية ،فانهضوا وتداركوا الأمر اذا كان عندكم شيء من الحماس للاسلام ،وغيّروا من أخلاقكم ،واتركوا مِشيةَ الغنم ،وأخمِدوا نار التعصب ، والا فسيقضى عليكم ،ويَصدُق قول القائل : إنّ عدمَهم أحسن من وجودهم، وفناءهم أفضل من بقائهم.

وهكذا يصل الى القسم التاسع من القصيدة (٢٨٢-٢٨٩) حيث يصف الحكومة الإنجليزية على البلاد آنذاك ،ويبالغ في الثناء عليها وعلى عدلها وفضلها على الهنود بصفة خاصة ،وهذا ما يؤخذ على حالى (١) . ويبرر موقفَه هذا من الحكومة الإنجليزية أنه عاش في ظروف سياسية حرِجة ، لم تنشأ فيها بَعْدُ تلك الحركات التي أسهمت في تحرير البلاد ونادت باستقلالها ونَفْيِ سيطرة الإنجليز عليها . فاذا لم ينتقد حالى الحكومةَ فقد كان ذلك للمصلحة التي أحسّ بها هو وأمثاله في القرن الماضي ، وهي دعوة المسلمين الى التزوّد من العلوم والثقافات واصلاح الحياة الاجتماعية والخروج من الواقع المؤلم حتى يتمكنوا بعد ذلك من مواجهة العدو . وهذا ما حدث -تقريبًا- في سائر البلاد الإسلامية . فليس غريبا موقفُ حالى من بيئته التي كان يعيش فيها ،والمجتمع الذى يعاشره.

وسهما يكن من أمر ،فلم يسهب حالي في هذا القسم ، وكل ما قاله فيه يهدف بذلك الى بعث همم المسلمين وتوجيههم الى التعليم والصناعة والتجارة وما اليها ،وهو يعتبر تلك الفترة من الحكم الإنجليزى فرصة للتحصيل والتثقيف والتزود من العلوم والصناعات ،ويشير على أبناء وطنه أن تفوتهم هذه الفرصة

---

(١) انظر ما قاله العلامة أبو الحسن علي الندوي في زياداته على "نزهة الخواطر" ٨ / ٦٧.

فلا يفيدهم الندم بعد ذلك . وكأن حالي استغل هذا الاطراء والثناء على الإنجليز أيضا لإصلاح المسلمين وانهاضهم وتنبيههم من غفلتهم.

وهكذا يصل حالي إلى القسم الأخير من القصيدة (٢٩٠-٢٩٤) وهي الخاتمة التي يبين فيها سنة الله في الكون ،فيقول : هكذا نهاية كل نهضة ،ومصير كل قوم وملة ،وهي حقيقة من حقائق هذا العالم السحري فقد ثبت كثير من الأنهار بعد جريانها ،وقُطِعَتْ كثير من الحدائق بعد ما أُزهرت وأثمرت.

أين الذين بنوا أهرام مصر ؟ وأين أسرة رستم البطل الشجاع ؟ وأين ملوك فارس ؟ أين آثار الكلدانيين (أهل بابل) ؟ ،وأين الملوك الساسانيون ؟ لقد أفناهم الدهر وقضى عليهم الزمان.

هو الوحيد الذي له البقاء الدائم ،وهو الذي يرث الأرض ومن عليها ،ومصيرنا جميعا الفناء ،لم يبق أحد في الماضي ،ولن يبقى في المستقبل ، كلنا مسافرون : الغني والفقير ، والحر والعبد ... وسنذهب جميعا الى ما أراد الله.

وبهذه الكلمات الجامعة تنتهي القصيدة وتنتهي موضوعاتها ،وقد رأينا كيف انتقل حالي من غرض الى آخر ،وربط مقطوعاتها بعضها ببعض ،وأحسن في اختيار الصور والتشبيهات التي تثبت المعنى في النفوس وتؤثر في القلوب ،وبرع في المزاوجة بين الألفاظ والتراكيب .

خصائصها الفنية :

ولننظر الآن إلى تلك الخصائص الفنية التي تتميز بها القصيدة ،والتي جعلتها فريدة في بابها . وأول ما نلاحظ منها أنها - مع احتوائها على صور مختلفة من تاريخ الاسلام الطويل - ليست قصيدة في التاريخ تسرد الأحداث والوقائع وترويها كما هي ،مثل تلك القصائد والأراجيز التاريخية التي لا روح فيها ولا حياة ولا محاولة لفهم التاريخ وتحليل الحوادث : كأرجوزة ابن المعتز في أحداث عصر المعتضد بالله الخليفة العباسي (١) ،وأرجوزة ابن عبد ربه في مغازي الخليفة عبدالرحمن بن محمد (٢) ، والقصيدة الحِمْيَرية في ملوك اليمن لنشوان الحميري (٣) ،وأرجوزة لسان الدين ابن الخطيب في تاريخ الممالك الاسلامية بعنوان "رقم الحلل في نظم الدول" (٤) ،ومنظومة ابن دانيال في التاريخ (٥) ، فنحن عندما نقرؤها نجد أننا أمام أثباتٍ للتاريخ مرقومة . أما قصيدة حالي فنجد فيها براعة الشاعر في تحويل التاريخ الى شعر رائع ،فهو يلتقط بعض المشاهد ،ويشير الى الأحداث اشارة عابرة ، ويهدف الى تصوير الحياة الاجتماعية والثقافية ،ويكشف لنا عن خصائص كل عصر من حيث الازدهار والانحطاط . وكل مقطوعة فيها لوحة فنية تحتوى على جانب من جوانب حياة الأمة الاسلامية في تاريخها الطويل .

ومن مميزاتها أنها مع طولها - حيث تحتوى على ٢٩٤ مقطوعة ،وفي كل مقطوعة منها ثلاثة أبيات (٢٩٤ × ٣ = ٨٨٢ بيتا)- مترابطة ومتسلسلة من أولها الى

---

(١) الصولي : شعر ابن المعتز ١/٥١٩ - ٥٩١ (ط. بغداد ١٩٧٨م) .

(٢) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٤/٥٠١ - ٥٢٧ .

(٣) طبعت في الجزائر ١٩١٤م وغيرها ، وعليها شرح بعنوان "خلاصة السيرة الجامعة".

(٤) انظر: حاجي خليفة : كشف الظنون ١/٩١١ ،ونشر جزء منه في تونس ١٣١٦هـ.

(٥) المصدر نفسه ٢/١٨٦٥ .

آخرها ، وليس فيها مقطوعة يستغنى عنها أو يُغيَّر ترتيبها بالتقديم أوالتأخير. وعلى الرغم من تشعّب الموضوعات التي تتناولها القصيدة فاننا نجد فيها وحدة عضوية تربط بعض أجزائها ببعض ،وتؤدي كل مقطوعة الى ما بعدها وكأنها نتيجة منطقية لسابقتها ،وهذه ميزة قلما تتوفر في القصائد الطويلة اللهم الا في الروائع الجياد منها .

أما أسلوبها فسهل يكاد يفهمه ويتذوقه كل قارئ حسب ما أوتي له من عقل . وليس معنى ذلك أنه يفقد الجودة والتأثير ،بل إنه بالعكس يزيد في التأثير ويجعل القصيدة في متناول كل فرد من أفراد المجتمع الهندى ، وهذا هو السِّرُّ في ذيوعها وانتشارها في مختلف الطبقات وعلى ألسنة الصغار والكبار. واذا كان الموضوع له أثر كبير في رواجها واشتهارها ،فليس أسلوبها أقل شأنا منه . وقد اختار حالي لها أسلوبا خطابيا وكأنه أمام الجمهور يخاطبهم ويذكرلهم ماضيهم المشرق ،ويصور الحاضر المؤلم ،ويزجرهم مرة وينصحهم أخرى ، يعلو صوته أحيانا وينخفض أخرى ،يَبْكِي ويُبكِي معه الجمهور ، ويثير فيهم الحماس والغيرة والاعتزاز بالنفس ،وينبّههم من غفلتهم ويحرّك عواطفهم ومشاعرهم ،ويغرس فيهم اليقين والحب والإخلاص للعمل .

وقد اعترض بعض النقاد (١) على حالي لاختياره هذا الأسلوب الخطابي في القصيدة ،فان ذلك في رأيه يناسب النثر ولا يناسب الشعر. وفاتَه أن ينظر الى تلك البيئة التي نظم فيها حالي القصيدة ،والجمهور الذين وجّه اليهم الكلام ، والظروف السياسية والاجتماعية التي أدّت الى نظمها . فلم يكن يقصد حالي إلا إثارة العواطف والمشاعر وبَعْث الهمم للخروج من الواقع المؤلم ،ولا يناسب لذلك إلا الأسلوب الخطابي . ودعوى اختصاص هذا الأسلوب بالنثر دعوى مردودة ،فكم من روائع القصائد في العصر الجاهلي وما بعده نجد فيها هذا الأسلوب ،وخاصة

---

(١) كليم الدين أحمد : اردو شاعرى پرايك نظر ٢/ ٤٠ (ط. پتنه ١٩٦٦م) .

اذا كانت في الفخر. وقد كان الأصل في الشعر الجاهلي أن ينشد أمام الجمهور ويُتغنّى به ،كما هو معروف . واذا كان هذا حال الشعر الجاهلي ،وهو القِمّة في الآداب الشرقية، فمن الطبيعي أن تتأثر به آداب الشعوب الاسلامية وتجد الشعر فيها يحذو حذوه في الأسلوب ،كما قلّده في الوزن والقافية.

والألفاظ التي استخدمها حالي في القصيدة فصيحة سهلة ،وواضحة مألوفة ، ولم يستعمل الكلمات الغريبة إلا نادرا حيث يشرحها في الهامش . وكان بارعا في انتقاء الألفاظ ملائمة للعاطفة ،موائمة للفكرة ،قوية الدلالة على معانيها ،توحي بجو أوسع من حروفها . وقد كثرت فيها مفردات مستقاة من الدين أو موصولة به ، وكان للكلمات العربية النصيب الأكبر منها . ويكفي لنا أن نثبت مقطوعة واحدة من القصيدة فيما يلي لنبين بذلك شيوع الكلمات العربية فيها ،يقول حالي عند مايذكر بعثة النبي صلى الله عليه وسلم (١) :

يكايك هوئی غيرتِ حق کو حرکت بڑھا جانبِ بوقبیس ابرِ رحمت
اَداخاكِ بطحانے کی وہ ودیعت چلے آتے تھے جس کی دیتے شہادت
هوئی پہلوئے آمنه سے هویدا
دعاءِ خلیل اور نویدِ مسیحا

الكلمات العربية تحتها خط ،وهي ١٣ كلمة في هذه المقطوعة ،وهكذا في سائر المقطوعات تقريبا . ويبدو من دراستها أن حالي اعتمد اعتمادا كبيرا على مفردات اللغة العربية ، واكتفى في كثير من الأحيان باستخدام علامات الربط فقط من اللغة الهندية ،وسائر الأسماء ومعظم المصادر والصفات تكون عربية ،وعند ما تشترك بعض الكلمات في المعاني ،فهو دائما يفضّل العربية على غيرها من الهندية والفارسية ، وذلك لسهولتها وزيادة تأثيرها وارتباطها برنّتها الموسيقية التي تناسب المقام.

---

(١) المقطوعة رقم ٢١ . انظر ترجمتها العربية في الملحق .

أما من حيث التركيب فقد كان حالى مجيدا في المزاوجة بين الألفاظ التي تكون لها حلاوة جرس ورنين ،بعيدا عن التعقيد اللفظي ،صحيح الإعراب ، جيدَ الفصل والوصل بين الجمل والعبارات . وتلاحظ في القصيدة توازن الفقرات، وازدواج العبارات ،والميل أحيانا الى السجع والطباق لتوضيح الفكرة وجلاء العاطفة، دون أن يكون ذلك متكلفا أو مرذولا .

و تتغير القوافي في كل مقطوعة من القصيدة كما ذكرنا ذلك في أول الفصل ، وهكذا خلت من التكرار المُمِلّ والحشو والتكلف ،وانما جاءت متمّة للمعنى ،تترك في النفس صدًى و رنينا .

ولم يهتم حالى بالشكل وحده ،وانما اعتنى بالمعاني والألفاظ معا ، فكل القوالب اللفظية والصور البيانية عنده أوعية للمعاني وأردية للأفكار ،فالمعنى والمبنى معًا يكونان أسلوبه . ومن خصائص أسلوبه في هذه القصيدة أنه يميل الى التفصيل والإطناب والتوضيح والمقارنة ليتضح مراده تماما ،ولا يقتصر على الاختصار والإيجاز، لأن طبيعة الموضوع تقتضي التفصيل ،فهو يصوّر الماضي والحاضر بدقة ، ويذكر كثيرا من التفاصيل التي تساعدنا على فهمهما . وشأن هذه القصيدة في ذلك شأن القصائد الطويل والملحمات التاريخية الأخرى . ويجب أن نشير إلى أن التفاصيل التي يذكرها حالى ليست حشوا في القصيدة ،وانما تحتوى على صور فنية رائعة تعرض لنا أحداثَ الماضى والحاضر حية كأنها تحدث أمامنا . كل ذلك بكلمات سهلة مؤثرة. انظر مثلا صورة العرب في العصر الجاهلي (١) ،حيث صوّر فيها بتفصيلٍ جوانب مختلفة من حياتهم وأخلاقهم وحروبهم وما إلى ذلك ، ومع ذلك فنحن لا نجد فيها ما يمكن أن يُعدَّ حشوا .وهكذا عندما يصور الشباب المسلم في الهند في العصر الحاضر (٢) ،فهو لا يترك جانبا من جوانب حياتهم إلا ويتناوله بالبيان ،بأسلوب يمزج فيه شيئا من السخرية والمرارة مما يزيد في التأثير والبيان .

---

(١) انظر : الملحق ،المقطوعة رقم ٨ - ٢٠ .

(٢) انظر : الملحق ،المقطوعة رقم ٢٥٧-٢٧٠ .

ومن الظواهر البارزة في هذه القصيدة أن الشاعر اقتبس فيها كثيرا من معاني القرآن الكريم والحديث الشريف ،وضمّنها بعض الأبيات والمقطوعات ،الأمر الذى يدل على شدة تأثره بالقرآن والحديث . ونجد اختياره للآيات والأحاديث مناسبا للسياق وملائما للمقام. فمثلا عندما بدأ بتصوير انحطاط المسلمين وذكر الأسباب التي أدت الى ذلك عقّب عليه بقوله (١) :

..... توپورا هوا عهد جوتها خواكا

كه هم نے بگاڑا نهين كوئى اب تك

وه بگڑا نهيں آپ دنيامين جب تك

يشير فيه الى قوله تعالى : " إنّ الله لا يُغيّر ما بقومٍ حتّى يُغيّروا ما بأنفسهم "(٢) .

وفي قوله على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم يخاطب أصحابه (٣) :

نهين بنده هونے مين كچھ مجھ سے كم تم

كه بيچا رگى مين برابرهين هم تم

مجھے دى هے حق نے بس اتنى بزرگى

كه بنده بهى هوں اسى كا اور ايلچى بهى

ينظر فيه إلى قوله تعالى " قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ ...."(٤) . وقد استوحى فى كثير من الأبيات معانى الآيات القرآنية بدون أن يقوم باقتباسها وترجمتها . ومنها الإشارة إلى قصة يوسف وسجود إخوانه له (٥) ، وطلب النبيّ سليمان المُلْكَ (٦) ، ووصف نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بـ " رحمة للعالمين "(٧) ،ووصف الأمة الإسلامية

---

(١) انظر ترجمته في الملحق ،المقطوعة رقم ١٠٦ .

(٢) سورة الرعد : ١١ .

(٣) انظر ترجمته في الملحق ،المقطوعة رقم ٣٨ .

(٤) سورة الكهف : ١١٠ .

(٥) انظر المقطوعة رقم ١٥٨. وقارن بما ورد في سورة يوسف : ١٠٠ .

(٦) انظر المقطوعة السابقة . وقارن بما ورد في سورة ص : ٣٥ .

(٧) انظر المقطوعة رقم ٢٣ . وقارن بما ورد في سورة الأنبياء : ١٠٧ .

بـ " خير الأمم "(١) ، والعهد الذي أخذه الله تعالى من الإنسان في الأزل (٢) ، ووجود " الحميم والزقوم " في جهنم (٣) ، وغير ذلك من الموضوعات ، وكلهـــا تدل دلالة واضحة على أن حالي كان متأثرا إلى أبعد حد بمعاني القـــرآن الكريم وأساليبه .

وهكذا الشأن في اقتباسه من الحديث الشريف ،وربما كانت عنايته به أكثر ، فقد كان كثير الاقتباس والترجمة منه . ومن أمثلة ذلك أنه أشار الى الحديث النبوي : " اللهم ،لا تَجْعَلْ قبري وثنًا يُعْبَد "(٤) في قوله (٥) :

بنانانه تربت كو ميري صنم تم نه كرنامري قبر پرسركو خم تم

ويترجم الحديثين المشهورين : " لا يَرحمُ اللهُ من لا يَرحمُ الناسَ "(٦) و " ارحموا مَنْ في الأرض يَرْحَمْكم مَن في السماء "(٧) في مقطوعة رائعة يقول فيها :(٨)

خدا رحم كرتا نهيں اس بشر پر نه هو درد كى چوٹ جسكے جگر پر
كرو مهربانى تم أهل زميں پر سـر خدا مهربان هوگا عرش برين پـــر

وترجم قوله صلى الله عليه وسلم : " الحكمة ضالة المؤمن ،حيث وجدها فهو أحق بها "(٩) إلى الأردية في بيت فقال (١٠) .

كه حكمت كواك گم شده لال سمجهو جهان پاؤ اپنا اسے مال سمجهو

---

(١) انظر المقطوعة رقم ١١٩ . وقارن بما ورد في سورة آل عمران : ١١٠ .
(٢) انظر المقطوعة رقم ٣٢ . وقارن بما ورد في سورة الأعراف : ١٧٢ .
(٣) انظر المقطوعة رقم ١٧٢ . وقارن بما ورد في سورة الواقعة ٥٢-٥٤،والصافات ٦٢-٦٧ .
(٤) أخرجه احمد في مسنده ٢/٢٤٦ .
(٥) انظر المقطوعة رقم ٣٨ .
(٦) حديث متفق عليه أخرجه البخاري في التوحيد ٢ ،ومسلم في الفضائل ٦٦ .
(٧) أخرجه الترمذي في البر ١٦ .
(٨) انظر المقطوعة رقم ٤٥ .
(٩) رواه الترمذي في العلم ١٩ وابن ماجه في الزهد ١٥ .
(١٠) انظر المقطوعة رقم ٧٤ .

وقد اكتفى بالإشارة إلى بعض الأحاديث دون اقتباسها ،مثل إشارته الى أن النبي صلى الله عليه وسلم دعوة إبراهيم وبشارة عيسى (١) ،ووَصْفه عصرَ صدر الإسلام بخير القرون (٢) ،وأن السفر قطعة من النار (٣) ، وغير ذلك . وهناك مقطوعات كثيرة في القصيدة (٤) ترجم فيها حالي الأحاديث النبوية لا نرى حاجة الى الوقوف عندها أكثر.

لننتقل الآن إلى بيان وجوه أخرى من التأثير العربي في القصيدة . ومن أهمها (٥) تلك الصورة التي نجدها للعرب قبل الإسلام في مقطوعات عديدة من القصيدة. ومن المؤكد أن حالي أخذ هذه الصورة من المصادر العربية التي اطلع عليها مباشرة ،فقد كانت ثقافته العربية واسعة ،ومعرفته بالأدب العربي الجاهلي والاسلامي جيدة ،استطاع بواسطتها أن يرسم صورة دقيقة للعرب. ويدل على اعتماده على المصادر العربية مباشرة أنه نقل عن الأصمعي بعض الأخبار المتعلقة بالحروب (٦) . ثم إنّ وصفه الدقيق للجزيرة العربية وتفصيله للحياة الدينية والاجتماعية والخلقية يدل دلالة واضحة على تأثره بالمصادر العربية.

وبالاضافة إلى وصف العرب في الجاهلية نجد في القصيدة وصفا رائعا لعصر صدر الإسلام (٧) ،وتاريخ انتشار الإسلام وازدهار الحضارة العربية (٨) ،وآداب العرب وطومهم (٩) ،والشعر والخطابة عندهم (١٠) ،وما وصل اليه كل من بغداد

---

(١) انظر المقطوعة رقم ٢١ . وقارن بما ورد في مسند أحمد ١٢٧/٤ ، ١٢٨ .

(٢) انظر المقطوعة رقم ٢٢٦ . وقارن بما ورد عند البخارى في الشهادات ٩ وفضائل أصحاب النبي ١ ،والرقاق ٧ ، والأيمان ٢٧ .

(٣) انظر المقطوعة رقم ٢٨٣ . وقارن بما ورد عند البخارى في العمرة ١٩ ، والجهاد ١٣٦ ،والاطعمة ٣٠ .

(٤) انظر مثلا : المقطوعات رقم ٣٧ ، ٤١ - ٥٠ ، ١٧٠ ، ١٧٣ ، ١٧٧ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ٢١٢ .

(٥) انظر المقطوعات رقم ٨-٢٠ ، ٣٢-٣٣ .

(٦) انظر كليات نظم حالى ٦٢/٢ .

(٧) انظر المقطوعة رقم ٢١-٦١ .

(٨) انظر المقطوعة رقم ٦٩-٨١ .

(٩) انظر المقطوعة رقم ٩٨-١٠٥ .

(١٠) انظر المقطوعة رقم ٢٥٢-٢٥٣ .

والاُندلس من الرقيّ والازدهار في مختلف الميادين (١) ،وهو عندما يتحدث عن كل ذلك يذكر دائما أن ما وصلت إليه الآن أوربا في العلوم والصناعات يرجع الفضل في ذلك إلى تلك البحوث والدراسات التي قام بها العرب في العصور الوسطى، واعتمد عليها الأوربيون اعتمادا كبيرا . وقد كرّر هذا المعنى في عدد من الأبيات ، فيقول :

- بهار اب جو دنيا مين آئى هوئى هے*يه سب بود انهين كى لگائى هوئى هے (٢)

(الترجمة) : موسم الربيع الذى نجده الآن في العالم نتيجة لغرسهم (العرب) الأشجار في أوانه .

- وه قومين جوهين آج سرتاج سب كى
كنوندى رهين گى هميشه عرب كى (٣)

(الترجمة) وتلك الاُقوام التي تسود العالمَ الآن تكون دائما مَدِيْنَةً للعرب .

- نواسنجيان انسيكهين يه سب نے زبان كهول دى سب كى نطقِ عرب نے (٤)

(الترجمة) جاء العرب فتعلم الناس منهم الفصاحة والبيان ،وأَطلَقَتِ اللغةُ العربية ألسنتَهم .

- ليرٹى ين جو آج فائق هين سب سے بتائين كه ليرل نے هين وه كب سے (٥)

(الترجمة) هذه الحرية التي يتميز بها الغرب ، قُلْ لى بالله متى اتصفوا بها وظهروا بها على العالم ؟

- انهين كے هين سب نے يه چربے اتارے اسى قافلے كے نشان هين يه سارے (٦)

(الترجمة) كل هذه الأشياء قلّدهم الناس فيها ،وهذه كلها من آثار تلك القافلة (العربية) .

---

(١) انظر المقطوعة رقم ٨٢-١٠٣ .
(٢) انظر المقطوعة رقم ٧٦ .
(٣) انظر المقطوعة رقم ١٠٤ .
(٤) انظر المقطوعة رقم ١٠٠ .
(٥) انظر المقطوعة رقم ٩٧ .
(٦) انظر المقطوعة رقم ٧٧ .

لقد أحب حالي العرب وأشاد بفضلهم على العالم [١] ،وتأسف على ما آل اليه أمرهم بعد زوال بغداد والأندلس ،حيث فقدوا العز والغنى ،والمجد والشرف ،وذهبت دولتهم وشوكتهم، ولم يبق لديهم الدين ،ولم يبق من الاسلام إلا اسمه ،وأصبحوا مثل تلك الحدائق التي تذبل بعد الربيع ،أو السحاب الذى انحسر عن الفضاء بعدما أظلّ العالمَ كله [٢] .

وفي حديثه عن انحطاط المسلمين اقتصر على وصف المجتمع الهندى ،نظرا لانه كان يعاشرهم ويعرفهم عن كثب ،ولم يشاهد أحوال العرب حتى يصفها . ثم إن الغرض الأساسي من إنشاء قصيدة "المسدس" هذه كان تنبيه المجتمع الهندى ودعوته إلى العمل والحركة ،ولذا لم تكن هناك حاجة إلى الحديث عن العرب وغيرهم. ويحتوى حديثه عن حاضر المسلمين بالهند على الجزء الأكبر من القصيدة (من المقطوعة رقم ١١٣ الى ٢٨١) يصور فيه جميع الطوائف من الحكام والأثرياء والزهاد والعلماء والفلاسفة والأطباء والشعراء وأبناء الأشراف وعامة الناس ،وذكر عن كل منهم ما يُبكِي الدموع ويُسِيل العيون .

ولا أريد أن أشرح هذه الأبيات أو ألخصها ، فقد ألحقتُ الترجمةَ العربية الكاملة للقصيدة بآخر هذا البحث . وإنما أتحدث هنا عن العاطفة والخيال وبعض الصور التي استعان بها حالي في توضيح الفكرة ،ومدى ابتكاره أو تقليده فيها ، ومدى توفيقه بالنسبة إلى من شاركوه في طَرْقِ الموضوع نفسه أو شبيهه في الشعر العربي .

ان أول ما يتميز به الشعر القوميّ الصادق أنه تعبير عن العواطف التي تجيش في نفس الشاعر ،والشعر الذى لا ينبع من العواطف شعر زائف يُعوِزه الصدق الشعورى وتعوزه الحرارة ،وقد يروق بهرجه وطلاؤه ولكنه لا يسبهر النفس ولا يستثير المشاعر. فلننظر هل كانت القصيدة التي قرأها حالي نابعة من عاطفته ؟

---

(١) انظر المقطوعة رقم ١٠٤ .

(٢) انظر المقطوعة رقم ١٠٧ .

والإجابة على ذلك أنْ نعم ،لقد كانت القصيدة صدًى لعاطفة صادقة ،لأن حالي كما يتبين من حياته رجل متدين معتزٌّ بالإسلام ،فخورٌ بمجد المسلمين ،أسِيفٌ على فقدانهم ما كان لهم من عز وسلطان ،تَوَّاقٌ إلى استرجاع ماضيهم العظيم . وهذه العاطفة نبيلة سامية لأنها دينية مرتبطة بالشريعة وبمجد الإسلام والمسلمين ، والفخر بحضارتهم في الماضي، والأسى لضعفهم بعد القوة في الحاضر . وهي عاطفة تتصف بالقوة والحرارة ،ومن مظاهر قوتها أنها تهيج في نفوس القراء أصداء لها ، وأنها ثابتة في القصيدة كلها . وإذا كانت درجة حدتها تختلف من مقطوعة إلى أخرى أو من بيت إلى بيت فان هذا الاختلاف لا يشعر القارىء بأن العاطفة تتوارى أو تفيض.

وبالجملة فقد كانت عاطفة حالي في القصيدة تعكس نفسيته ،ولم يكن في بيئته أو حياته ما يضطره إلى الاصطناع والتكلف.

أما الصور البيانية في القصيدة فقد استخدمها حالي للتأثير في نفوس القراء ، ونقل الفكرة التي انفعل بها ،والتعبير عن مشاعره وعواطفه . وكان الخيال هو ينبوع هذه الصور الشعرية . ولا يهمنا ان نستقصي جميع الصور التي وردت في القصيدة ،بل نختار منها بعض الصور التي أشاعت الجمال في المعاني وَبَثَّتْها على نحو خاص.

ومن أجمل هذه الصور تلك الصورة التي استهلّ بها حالي القصيدة ،يصوّر بها حال المسلمين في الوقت الحاضر ،فيذكر أن هناك سفينة في بحر عميق تلعب بها الأمواج وتحيط بها العواصف الهائجة ،ويكاد يُغرِقها الطوفان ،وربّانها يَغطُّ في نومه وركّابها غافلون لا يحرّك ساكنَهم شيء[1] .

لقد أكد حالي بهذه الصورة بيان غفلة المسلمين وعدم اعتنائهم بما يجري حولهم في العالم ،وأشار الى الخطر الداهم . وهذه الصورة تزيد في التأثير ، وتثبّت المعنى في ذهن القارىء وتثير في نفسه عدم الارتياح لهذا الوضع ، والإسراع إلى تدارك الأمر قبل فوات الأوان .

---

(١) انظر المقطوعة رقم ٣ .

وتتكرر عند حالي صورة السفينة في مختلف المناسبات في القصيدة [١]، ولعله كان متأثرا فيها بالقرآن الكريم ،حيث وردت فيه صورة شبيهة بما تقدم [٢]، إلا أن حالي جعل هذه السفينة لا يَقرُّ لها قرار وركّابها لا يُحِسّون بالخطر. بينما الصورة التي وردت في القرآن تختلف ، فنحن نجد فيه أن الركاب لما "ظَنُّوا أنهم أحيط بهم دَعَوُا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتَنا من هذه لنكونَنَّ من الشاكرين ". وعلى هذا فيكون في الصورة التي تخيَّلها حالي تنكيت شديد للمسلمين ،حيث لم يفكروا في النجاة ولو لمدة قصيرة ،كما فكر المشركون ،بل استمروا في غفلتهم ونومهم. وهذا سيؤدي بهم إلى الهلاك قطعا .

ومن الصور التي يقارن بها بين المسلمين والشعوب الأخرى في الوقت الحاضر تلك الصورة التي يتخيل فيها أن أحدا يصعد إلى قمة جبل حيث يشاهد منها العالم كله ،وينظر إلى عجائب القدرة ،فيرى آلافا من الحدائق الجميلة والبساتين الخضراء ،وأخرى أقل منها في البهاء والجمال ،وبعضها لا حياة فيها ولا نضارة، الا أنها وان لم تكن مُورِقة بعدُ ولكن يبدو فيها أثر النمو والخضرة . ثم يرى حديقة خربتْ ،وأرضها تثير الغبار ،لا يوجد فيها أثر للحياة ،وقد تساقطت أغصانها بعدما يبست ،ولا تصلح بعد ذلك لتثمر أو تنبت أوراقها ،وأصبحت أشجارها حطبا للنار ،لا يؤثر فيها المطر ، وتبكي السحاب عندما تُطِلُّ عليه ، ولا يروقها الربيع والخريف . يسمع المشاهد صوتا يجيء من هناك يقول : "هذه جنة الإسلام التي خربت "[٣] .

هذه صورة الإسلام والمسلمين بعد انحطاطهم ،وهي عكس الصورة التي ذكرت في القرآن للكلمة الطيبة " كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء . تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها "[٤] . وقد شبّه حالي الحضارات المختلفة في

---

(١) انظر المقطوعات رقم ٢٥ ،٦٣ ،٦٥ ،٧٠ ،١١٣ ،١٣٩ ،٢٠٢ ،٢٧٣-٢٧٤ وفي الموضع الأخير صورة تشبه الصورة المذكورة آنفا .
(٢) سورة يونس : ٢٢
(٣) انظر المقطوعة من رقم ١٠٩ - ١١٢ .
(٤) سورة ابراهيم ٢٤-٢٥ .

ازدهارها وتدهورها بالحدائق في نضرتها واصفرارها . وهي صورة تُجسِّد لنا انحطاط المسلمين ،وتؤكد معنى الحسرة والتألم في النفوس ،وتزيد المقارنة بين الحدائق في التأثير حيث جعل أشجار الإسلام ذابلة لا تثمر ولا يؤثر فيها المطر ،وهي الآن حطب للنار و بمقابل تلك الأشجار والبساتين الخضراء والحدائق الجميلة التي توجد في المناطق غير الإسلامية .

لقد أكثر حالي من استخدام الصور واعتمد في بعضها على بيئة الهند وثقافته العربية والفارسية . وتجد عنده صورا جديدة وأخرى تقليدية قلّد فيها الشعراء الآخرين من العرب والفرس .

وقد اتبع أحيانا أسلوب الشعراء العرب في حديثهم عن الماضين ،ومن أمثلة ذلك إشارته في نهاية القصيدة إلى هلاك كل الأمم السابقة وانهيار الحضارات القديمة واحدةً تلو أخرى ، حيث يقول سائلا (١) :

"أين الذين بَنَوا أهرام مصر ؟ وأين أسرةُ رستم الشجاع ؟ وأين ملوك فارس وسلاطينها البيشداديون والكيانيون ؟ أفناهم الدهر ،وقضى عليهم الزمان . ابحثوا عن آثار الكلدانيين ،وقولوا لنا أين الساسانيون ؟ "

ويقول (٢) : " هذه نهاية كل نهضة ،ومصير كل أمة ،وعادةُ كل العصور السابقة ، وحقيقة من حقائق هذا العالم السحرى . لقد نَضِبتْ كثير من الأنهار بعد جريانها ، وقُطِعَتْ كثير من الحدائق بعدما أُزهرت وأثمرت ".

هذا الأسلوب معروف عند الشعراء العرب ،ولا يبعد أن يكون حالي قد اطلع على شعرهم وتأثر به ،فنحن نجد تشابها كبيرا بين مقطوعته وبين أبيات عديّ ابن زيد العِبَادى المشهورة :

---

(١) المقطوعة رقم ٢٩٣ .

(٢) المقطوعة رقم ٢٩٢ .

أين كسرى كسرى الملوكِ أبو سا ... سانَ أم أين قبله سَابُـورُ
وبنو الأصفرِ الكرامُ ملـوكُ الـ ... ـروم لم يبقَ منهم مَذْكُـور
ثم بعد الفلاح والملـك والامّـ (م) ـةِ وَارَتْهُـمُ هناك القبـور
ثم أضحوا كأنهم وَرَقٌ جَـفّ (م) فألوتْ به الصّبا والدَّبُـورُ (١)

كما نجد هذا الأسلوب نفسه في نونية أبي البقاء الرندي في رثاء الأندلس ، حيث يقول :

أين الملوكُ ذوى التّيجانِ من يمن ... وأين منهم أكاليلٌ وتيجـانُ
وأين ما شَادَهُ شدّادُ فـي إرَمٍ ... وأين ماسَاسَهُ في الفرس ساسانُ
وأين ما حَازه قارونُ من ذهـبٍ ... وأين عاد وشدّادُ وقحطـانُ
أتى على الكلِّ أمر لا مَرَدَّ لـه ... حتى قضوا فكأنَّ القوم ماكانوا (٢)

وكان حالي قد اطلع على قصيدة الرندى ، وأشار على بعض أصحابه بمعارضتها (٣) ، ولذا فليس غريبا أن يسلك هذا النهج في شعره .

الموازنة بينها وبين القصائد العربية :

بقي لنا أن نشير إلى بعض القصائد العربية التي تُشْبِه قصيدةَ حالي في الموضوعات والأفكار العامة ، ونقوم بالموازنة بين هذه وتلك . وهي كلها للشعراء المحدثين من مصر والسعودية ، وهم : شوقي ، وأحمد محرم ، ومحمد إبراهيم جدع ، وأحمد قنديل ، ويلاحظ أنهم جميعا نظموا قصائدهم بعد حالي .

أما شوقي فله أرجوزة طويلة بعنوان " دول العرب وعظماء الاسلام " تحتوى على ١٧٢٦ بيت ، نظمها وهو منفى بالأندلس (٤) ، عرض فيها لتاريخ المسلمين

---

(١) ديوانه ص ٨٨-٩٠ ، والبحترى : الحماسة ص ٨٦-٨٧ ، وابن قتيبة : عيون الأخبار ٣/ ١١٥ ، وابن قتيبة : الشعر والشعراء ص ١١١-١١٢ (ط. ليدن ١٩٠٢ م) .

(٢) المقرى : نفح الطيب ٦/ ٢٣٣ . (٣) انظر : كليات نثر حالي ١/ ٥٠٠ .

(٤) وطبعت بعد وفاته بالقاهرة ١٩٣٣ م . وعين يدي الآن طبعة القاهرة ١٩٧٠ م .

منذ بزوغ الإسلام الى سقوط الدولة الفاطمية بمصر ، فتحدث عن اللغة العربية والبيت الحرام والسيرة النبوية والخلفاء الراشدين وبني أمية وبني العباس والفاطميين . وهذه الأرجوزة تختلف عن قصيدة حالي في أمور ، فهي منظومة تعليمية لسرد الأحداث والوقائع سردا ، ولا عمل فيها للخيال إلا نادرا . ثم إنها تقتصر على ذكر الماضي ،ووصف الدول المختلفة وتتوقف عند ذكر الدولة الفاطمية ،ولا تستمر الى العصر الحديث ،كما أنها لا تتعرض لأحوال العرب في الجاهلية قبل الإسلام .

أما حالي فلم يهتم في قصيدته بتسجيل الأحداث والوقائع ،وانما أشار إليها اشارة عابرة ،واستوحى بعض الصور التي تناسب الغرض ،واستخدم الخيال في كثير من الأبيات . ولم يقف طويلا عند وصف كل دولة ،بل اقتصر على تصوير عهد النبوة والخلافة الراشدة ،والحضارة الاسلامية في الأندلس وبغداد ،وتأثيرها في الشعوب الأخرى . وقد ركز حالي على بيان انحطاط المسلمين بصفة عامة وانحطاطهم في الهند بصفة خاصة ،وقارن حاضرهم بماضيهم ،ودعاهم الى الاصلاح .

وعلى الرغم من الاختلاف بين المنظومتين فانهما تتفقان في وصف ماضي المسلمين وقوتهم وشوكتهم ،والحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وفضله على العالم ،ووصف الصحابة في عهد الخلافة الراشدة . ولا نرى حاجة الى ذكر الأمثلة ،فقد تناول كل من حالي وشوقي هذه الموضوعات بأسلوبه .

أما أحمد محرم فله "ديوان مجد الإسلام" (أو الإلياذة الإسلامية) [1] . نظم فيه السيرة النبوية ،وتحدث عن الغزوات والسرايا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم . وقد بدأ الديوان بذكر مولده ،وختمه بوفاته وذكر سرية أسامة بن زيد بن حارثة . ويلاحظ أن الشاعر نظم قصائد عديدة مختلفة في الأوزان والقوافي وجمعها في ديوان ،فهي ليست قصيدة واحدة كما توهم تسميتها بالإلياذة الإسلامية ، بل قصائد مختلفة يجمعها موضوع السيرة النبوية . وقد أراد الشاعر أن يسجل أمجاد العروبة ومفاخر الاسلام في لوحات فنية رائعة تكون نماذج ومُثُلا للشباب ، يعرف

---

(١) طبع بالقاهرة عام ١٩٦٣م .

عن طريقها مجدَ آبائه وبطولاتِ أمجاده . ونجد في هذا الديوان عرضا فنيا شائقا للروح الإسلامية العالية التي فتحت الأقطار ونشرت العدل ،واستوعبت الثقافة ،ودعمت الحضارة .

وتختلف قصيدة حالي عن الإلياذة الاسلامية بأن الأولى لم تقتصر على ذكر الغزوات والحروب ،ولم تدخل في تفاصيلها . بينما نظمت الإلياذة الإسلامية لوصفها والحديث عنها . وهي تشبه إذَنْ ملحمة الشاعر حفيظ جالندهرى بالأردية بعنوان "شاهنامه اسلام"، فهما تتفقان في الغرض . وقد ذكرنا أن "الإلياذة الاسلامية" مجموعة قصائد تختلف في الوزن ،أما قصيدة حالي فهي في فن "المسدس" ومن بحر واحد (وهو المتقارب) .

وهناك قصيدة أخرى بعنوان "الإلياذة الإسلامية" لمحمد إبراهيم جدع ،وهي أيضا سجلّ للأحداث الإسلامية في السيرة النبوية ،اقتفى فيها الشاعر خطوات أحمد محرم ،إلا أنه اقتصر على الأحداث الهامة ذات الطابع البطولي الملحمي ،ورتبها تاريخيا ،وقسمها إلى سبعة عشر فصلا من المولد إلى الوفاة . ويقول بعض النقاد : إنّ " قيمة هذه الإلياذة الفنية تتضاءل أمام بعض الشروخ الحادة فيها ،وأوضحها: برودة العاطفة ،وضعف الخيال ،وضعف التركيز ، وخفوت الروح القصصية ،الى ما يشينها من صياغتها التي لا توصف بجودة أسلوبها "(١) .

وقد تحدثنا فيما سبق أن قصيدة حالي تختلف عن القصائد الملحمية ،فليس فيها تسجيل للأحداث والوقائع ،وانما تكتفي منها ببعض الصور ، وتستغني بها عن التفاصيل ،وتعتمد على الخيال أكثر من التاريخ . وكانت صدى لعاطفة صادقة قوية ،كما أشرنا إلى ذلك في حديثنا عن الخصائص الفنية .

أما "الملحمة الإسلامية ـ الزهراء" للشاعر أحمد قنديل (٢) فهي تقع في قرابة ألف بيت من بحر واحد (الخفيف) وقافية واحدة . وقد قسمها الى سبعة

---

(١) انظر : عبدالله حامد : " الشعر الملحمي في الأدب السعودي " (مقال نشر في "المجلة العربية" ،العدد ٩٧ ، نوفمبر ١٩٨٥م) ص ٥٠.

(٢) نشرت في : بحوث المؤتمر الأول للأدباء السعوديين (١/ ٢١٨ - ٢٤٥) ،جدة ١٩٧٤م).

فصول : الأول تمهيد عن العرب قبل الاسلام ،والثاني عن الرسالة المحمدية والأمة الاسلامية ،والثالث عرض فيه الشاعر تاريخ دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، والرابع خصصه للتضامن الإسلامي الذى دعا اليه الملك فيصل . ثم عاد في الفصلين الخامس والسادس يستعرض سيرة النبي صلى الله عليه وسلم . والقسم السابع خواطر منتشرة أو كشكول عن الرسالة والجزيرة والشعر والفكر والجامعات .

ويلاحظ في هذه الملحمة أن الشاعر لم يُرتِّب الأغراض ترتيبا مألوفا ،فقد تحدث عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم في ثلاثة فصول مختلفة ،وأخَّرَ الفصلين الخامس والسادس عن مكانهما الطبيعي بعد الفصل الثاني .

وتُشبِه قصيدةُ حالي هذه الملحمةَ في بعض الموضوعات ،منها وصف العصر الجاهلي والحديث عن الحروب التي كانت الجزيرة العربية تشتعل بها قبل الإسلام. يقول أحمد قنديل :

واحترابًا على المدى تَافِهَ الغَا ... يةِ ضلَّت مدارها ومداهـــا
من كُليبٍ لداحسٍ لكثيـــــرٍ ... من مآسٍ قليلها أغناهـــــا
في عقالٍ في ناقةٍ أو لشـــأرٍ ... أُرْخِصتْ بالدماء فيه دِمَاهـا
في ظلامٍ عمَّ الجزيرةَ حـــارتْ ... في دُجَاه وأظلمتْ مُقْلَتَاهَـــا (١)

وهي مثل تلك الصورة التي رسمها حالي (٢) . وكذلك الحديث عن وأد البنات عند كل واحد منهما واحد (٣) . والجدير بالذكر أن أحمد قنديل لم يقتصر في ملحمته على ذكر الماضي المجيد ،بل صور الحاضر أيضا في الفصل الأخير ، وبذلك تختلف قصيدته عن الملاحم الأخرى ،وتشبه قصيدة حالي التي نرى فيها تصوير الحاضر ومقارنته بالماضي ، إلا أن هناك فرقا لا بد من ملاحظته ،وذلك أن حالي صوَّر انحطاط المسلمين في العصر الحاضر ، بينما صور أحمد قنديل ازدهارهم في

---

(١) المصدر نفسه ١/ ٩٤ .
(٢) انظر الملحق ،المقطوعتان رقم ١٧-١٨ .
(٣) أحمد قنديل : المصدر السابق ١/ ٩٠ . قارن = بالمقطوعة رقم ١٩ في الملحق .

الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز والملك فيصل رحمهما الله ولم يتحدث عن مظاهر الانحطاط ،لأنها تخالف الغرض الملحمي الذى نظم فيه قصيدته .

وخلاصة القول أن قصيدة حالي تختلف عن القصائد العربية المماثلة لها في الأسلوب ،وتتفق معها في بعض الموضوعات والأفكار العامة . ولم أجد شاعرا عربيا في العصر الحديث نظم قصيدة تستوعب التاريخ الاسلامي كله منذ العصر الجاهلي إلى الآن . وتكون تصويرا صادقا للأمة الإسلامية في أوجها وازدهارها وفي ضعفها وانحطاطها . وكل ما نظم من الملاحم الإسلامية لا يفي بهذا الغرض. كما أن أرجوزة أمير الشعراء أحمد شوقي ليست إلا تاريخا يسرد الأحداث والوقائع، ولم يُبدِع إلّا فيما نظمه في سيرة الإمام التي يستهلها بقوله :

أما الإمام فالأغرُّ الهادى حامى عَرِيْنِ الحق والجهاد (١)

وما نظمه في خبر عبدالله بن الزبير حيث يقول :

وضاق عبدُالله عن عبد الملكْ ورأيه الوضّاء في الخَطْب الحَلِكْ (٢)

فقد بَذَّ بهما جميع أصحاب المزدوجات ،كما يقول الدكتور عبدالله الطيب (٣) .

إلا أن هذه الأرجوزة مع ذلك لا ترقى إلى مستوى الشعر العالي .

---

(١) شوقى : دول العرب وعظماء الاسلام ص ٣٥ .

(٢) المصدر نفسه ص ٨٩ .

(٣) المرشد ١/٢٤٣ .

الباب الثالث

النقد عند حالي

ويحتوى على ثلاثة فصول :

الفصل الأول ـ آراؤه فى النقد ـ عرض وتحليل

الفصل الثانى ـ تأثره بالنقد العربي القديم

الفصل الثالث ـ تأثره بالنقد الأوربي الحديث

الفصـــل الأول

آراؤه في النقـد - عرض وتحليـــل

كان حالى أول من أرسى قواعد النقد في الأدب الأردى ،وأبدى آراء جديدة تماما وملاحظات جريئة حول الشعر الأردى ،وقدم مقترحات عديدة للنهوض بفنـون الشعر إلى مستوى فني رفيع ،وألّف كتابه "مقدمهٔ شعر وشاعرى" (مقدمة في الشعر ونظمه) للحديث عن عدد من موضوعات الأدب والنقد ،على حين لم يكن في الأدب الأردى قبله إلا آراء متفرقة يتعلق معظمها بأمور اللغة وفنون البلاغة ،وتتخذ من الذوق والوجدان أساسا للحكم على النص بالجودة أو الرداءة . يقول الدكتـــور عبد الحق : "كان النقد في السابق يعتمد على النظر في شكل الشعر وظاهره ، من ناحية خلوه من الأخطاء اللغوية ،وبنائه على فصاحة الكلمة ،وسلامة الوزن والقافية، وابتعاده عن التعقيد اللفظي ... إلى غير ذلك"(١) .

وخلاصة القول أن النقد الأردى لم يكن قبل حالى مدوّنًا في كتاب ،وانمـــا نجد آثاره هنا وهناك في كتب تراجم الشعراء بخاصة ،والكتب الأدبية الأخرى بعامة.(٢) وكان حالي هو الذى أبرزه لأول مرة وعمل على إرسائه كعلم ،حتى خصص لذلك مقدمة ديوانه التي تعرف بـ "مقدمهٔ شعر وشاعرى" ،الى جانب مؤلفاته الأخرى التي درس فيها كبار الشعراء والمصلحين وانتقد أعمالهم ،وهي : "يادگار غالب" و "حيـات سعدى" و "حيات جاويد" ،كما أن له كثيرا من المقالات والبحوث التي انتقد فيها الكتب والمطبوعات ،وهي منشورة ومبعثرة في شتى المجلات والرسائل الأدبية ،وجُمِعتْ أخيرا في مجموعتي "مقالات حالي" و"كليات نثر حالي" كما أشرنا إلى ذلك في الباب الأول .

---

(١) عبد الحق : "يادِ حالى" (في مجلة "اردو" عدد يوليو ١٩٤٥م)ص ٢٠٧ .

(٢) انظر عن تاريخ النقد الأردى قبل حالى : مسيح الزمان : "اردو تنقيد كى تاريخ" (ط. لكهنو ١٩٨٣م) ،عبادت بريلوى : "اردو تنقيد كا ارتقا" ص ٧٤ - ١٣٦ (ط. دلهى ١٩٤٩م) ،كليم الدين أحمد : "اردو تنقيد پر ايك نظر" ص ١٦-٨٦ (ط. لكهنو ١٩٨١م) ،عبد الشكور:"همارا قديم سرمايهٔ تنقيد" (مقال في مجموعة "اردو تنقيد نگارى" ط. دلهي دون تاريخ) ص ٢٤٣-٢٧٢ ، شارب ردولوى : "جديد اردو تنقيد" ص ١٤٩-١٦٢ (ط. لكهنو ١٩٨١م) .

أما مقدمته في الشعر فقد ذكر عبد الحق أنها تعتبر أول كتاب بالأردية في أصول النقد (١) ،واعتبرها النقاد فاتحة عصر جديد للنقد الأردى (٢) ،ونقطة تحول خطير لهذا الفن (٣) . وشهدوا بأن ما ذكره حالى جديد على الأوردية (٤) ، ولم يؤلف أحد كتابا أحسن منها مع أنه قد مضى على صدورها أكثر من نصف قرن (٥) . وربما بالغ بعضهم في تقديرها فقالوا : لا يوجد مثل هذا المنهج في نقد الشعر حتى بالعربية والفارسية فضلا عن الأردية (٦) ،وقلما يوجد مثل هذا الدستور في اللغات الأوربية (٧) . وقارنوا أحيانا هذه المقدمة بمقدمة وردزوث - (Wordsworth) على شعره وجعلوا لها تلك المكانة التي تحظى بها مقدمته في الأدب الإنجليزى (٨) .

ومهما يكن من أمر فلا شك أن لهذه المقدمة أهمية كبيرة من الناحية التاريخية ، وقد نشرها حالي لأول مرة عام ١٨٩٣م في دلهي ،ثم صدرت لها طبعات كثيرة جدا بلغت الى عام ١٩٥٣م سبعين طبعة (٩) . وهذا يدل على أهميتها وعمق تأثيرها في الأوساط العلمية والأدبية .

---

(١) عبدالحق : مقدمته على "گلشن هند" ص ٢٣ (ط. لاهور ١٩٠٦م) .
(٢) عزيز احمد : "ترقى پسند أدب" ص ٦٣ (ط. حيدرآباد ١٩٤٥م) .
(٣) عبدالقادر سرورى : "جديد اردو شاعرى" ص ٩٧ (ط. لاهور ١٩٤٥م) .
(٤) ابو الليث صديقي : "تذكرهٔ حالى" ص ٢٤ (ط. على كره ١٩٦٥م) ، اسماعيل پاني پتي : "تذكرهٔ حالي" ص ١١٣ (ط. پاني پت ١٩٣٥م) .
(٥) مهدى حسن : "افادات مهدى" ص ٤٤ (ط. دلهي ١٩٤٩م) ، حميد أحمد خان : مقال له في مجموعة "مقالات يوم حالى" ص ٥٤ (ط. لاهور ١٩٥١م) ، كليم الدين أحمد : "اردو تنقيد پرايك نظر" ص ١١١ .
(٦) محمد يعقوب خان كلام: "مولانا اور اردو نثر" (مقال نشر في مجلة "زمانه" - حالى نمبر - عدد ديسمبر ١٩٣٥م) ص ٣٩٠ .
(٧) محمد اكرام : "موج كوثر" ص ١٢٢ (ط. لاهور ١٩٨٢م) .
(٨) انظر : Tahir Jamil , Hali's Poetry, p. 19 (Bombay 1938).
(٩) وحيد قريشى : مقدمته على "مقدمهٔ شعر وشاعرى" ص ١٥ (ط. اله آباد ١٩٨١م) .

موضوعات الكتاب :

قسم حالى هذه المقدمة الى قسمين ،تحدث في القسم الأول عن حقيقة الشعر وماهيته وتأثيره ،وعلاقته بالحياة والمجتمع ،وشروط الشعر الجيد ،والمحاسن التي لا بد من توافرها فيه حتى يكون شعرا مقبولا . ويورد في هذه المباحث كثيرا من النقول من كتب النقد العربي القديم ،ويؤرخ للشعر العربي ويوازن بينه وبين الشعرين الفارسي والأردى ، ويعرض نماذج كثيرة من الشعر الجاهلي والاسلامي والأموى والعباسى مما يدل على أنه كان على معرفة واسعة به . ويورد في الكتاب أحيانا بعض آراء النقد الأوربي ،ولكنه في الحقيقة لم يستفد منه كثيرا .
وسنتناول موضوع تأثره بالنقد العربي والأوربي بتفصيل فيما بعد ان شاء الله .

أما القسم الثاني من مقدمته فانه يشتمل على دراسة أشهر أنواع الشعر الأردى ،وهي : "الغزل " ،و "القصيدة " ،و "الرثاء " ،والمثنوى " ،و مهّد لذلك ببيان مظاهر الانحطاط في الشعر الأردى والأسباب التي أدت الى ذلك ، ثم بيان كيف يمكن النهوض به الى مستوى رفيع . وقد أبدى في هذا القسم آراءه في إصلاح "الغزل " ،وأنه لا بد أن يتجنب الفحش والكذب والمبالغة و تقليد السابقين وغير ذلك من العيوب . ودعا الى طريقة جديدة في نظم الشعر تخالف الطريقة التقليدية ،حتى تكون ملائمة للعصر الحديث .

وقد بدأ حالى هجومه على الشعر التقليدى في عدد من قصائده التي نظمها بعد عام ١٨٧٤م وبخاصة في "مسدس مد وجزرا سلام "[١] ،الا أنه توسع في "المقدمة " فوضع قواعد الشعر ،وبحث عن بعض القضايا الأساسية في النقد ، ونبّه على مواطن الضعف والنقص في الشعر الأردى ،وقدم مقترحات هامة لمعالجتها .

هذا عرض موجز لمباحث القسمين من الكتاب ،والآن نتناول بعض آرائه بشيء من التفصيل والتحليل ،ونبين قيمتها وأهميتها في النقد الأردى الحديث .

---

(١) حالى : "مسدس "ص ٩٥-٩٦ (ط. كانفور ١٩٠٩م) وانظر ترجمته العربية في الملحق ، المقطوعة رقم ٢٤٩-٢٥٦ .

أهمية الشعر وتأثيره :

كان حالي يعترف بأهمية الشعر بخاصة وفنون الأدب بعامة ،بل وسائر الفنون الجميلة ،فهو بعد أن ذكر بعض الأقوال في ذمّ الشعر والشعراء وأن أفلاطون طردهم من جمهوريته المثالية - عقّب على ذلك بأن الشعر لا يخلو من أهمية في حياة الانسان ،وأن له تأثيرا كبيرا في المجتمع . ولذا ينبغي أن لا نمنع الشعراء الموهوبين من نظم الشعر ، بل نستغل هذا الفن لما فيه صلاح المجتمع (١) .

ومعنى ذلك أن حالي يريد أن يستخدم الشعر لهدف نبيل ومقصد أسمى ، فهو يوافق نظرية الشعر الهادف ويخالف نظرية الفن للفن ،ويعتبر ذلك أساسا للحكم على الشعر بالجودة والرداءة . وقد تحدث بتفصيل عن تأثير الشعر في المجتمع ،وكيف أنه يثير المواطف ويولّد القوة والنشاط والحماس والحركة أو ما يناقضها من الصفات في نفس الإنسان ،وذكر أمثلة كثيرة من تاريخ الشعراء العرب والفرس والأوربيين (٢) ،واختار تلك الوقائع التي تؤيد وجهة نظره ،وانتهى الى نتيجة أن من طبيعة الشعر التأثير في القلوب وإثارة المواطف إذا لم يجاوز الواقع ولم يكن مبنيا على المبالغة (٣) .

الشعر والمجتمع :

وقد ذكر حالي أن الشعر يؤثر في المجتمع ، والمجتمع أيضا يؤثر في الشعر، فالشاعر يغير موضوعاته وأساليبه تبعا لصلاح المجتمع وفساده (٤) . وهذا ما يفسر لنا شيوع ظاهرة المجون والهزليات ،والمبالغة في المدح والهجاء ،واستخدام الصنائع اللفظية ،وتقليد القدماء ،وعدم الابتكار والتجديد ، في العصور المتأخرة . نجد هذه المرحلة في تاريخ كل الآداب والشعوب (٥) ، تفسد فيها اللغة ،وتنقلب

---

(١) حالي : المقدمة ص ١٤ ، ١٥ .
(٢) حالي : المقدمة ص ١٥-٢٥ .
(٣) المصدر السابق ص ٢٥ .
(٤) المصدر السابق ص ٢٩ .
(٥) تحدث حالي هنا عن العرب والفرس بصفة خاصة ،انظر : المقدمة ص ٣٠-٣٨ .

معايير الجودة والرداءة والحسن والقبح في الفنون والأخلاق وميادين الحياة الأخرى . وعندئذ تكون الحاجة ماسة إلى اصلاح هذا الوضع ،فتبدأ نهضة جديدة تقوم بالتجديد في شتى نواحي المعرفة والثقافة ،ويتقدم الأدباء والشعراء فيخالفون النهج القديم ، ويردُّ عليهم المحافظون ،ويُعرِّضون إليهم بأن ما ينظمونه على خلاف المنهج السائد لا يسمى شعرا ،وانما هو موضوعات أخلاقية ونصائح عامة يرجون بها الثواب عند الله (١) ! ولكن تستمر حركة التجديد والإصلاح حتى تعم الشعب كله ، ثم لا يكون للمحافظين سبيل إلا الاعتراف بالمنهج الجديد والعدول عن الطريقة التقليدية .

كانت هذه الفكرة واضحة في ذهن حالى عندما أراد أن يؤلف كتابا في نقد الشعر الأردى ،فكان مستعدا لمواجهة كل الاعتراضات التي وجهت إليه بعدما نشر كتابه عام ١٨٩٣م ،حيث اتُّهم بأنه لا ينظر الى الشعر من الناحية الفنية ،وأنه يُعطِي للأخلاق أهمية أكثر من اللازم ،ويقول إنه لا حاجة الى الشعر إذا لم يكن فيه فائدة للمجتمع . وهذه الانتقادات وجّهها اليه معظم النقاد الأردبين (٢) .

وأرى أن ما قرره حالى وارتآه كان نتيجة لتلك الظروف السياسية والاجتماعية التي عاش فيها ،وردّ فعل ذلك النتاج الشعرى والنثرى الذى قد بلغ من الانحطاط منتهاه في عصره ،وكان من المؤكد أن يتأثر حالى بهذا الوضع المؤلم ،ويجتهد لاصلاح ذلك قدر طاقته ،ولذلك نراه يندِّد بالغزل ويقول :إنه ليس فيه فائدة للمجتمع مالم يتجاوب مع حاجات العصر ومتطلبات الزمن ،ويدعو الى شعر الطبيعة ،

---

(١) حالى : المقدمة ص ٤١ .

(٢) كليم الدين أحمد : " اردو تنقيد پرايك نظر " ص ٩٧ -٩٢ ،عبد السلام ندوى : " مقالات عبد السلام " ص ٤٠٥ ، ٤٠٧ (ط. اعظم كره ١٩٦٨م)،وحيد قريشى : مقدمته على " مقدمهٔ شعر وشاعرى " ص ٧٣ - ٧٦ ، صالحه عابد حسين : يادگار حالى ص ٣٢٠ ، عبادت بريلوى : اردو تنقيد كاارتقاص ١٥٤ ،مسعود حسن رضوى : همارى شاعرى ص ١٠ ، ١٥ .

وينظم الشعر الديني ،ويركز على الجانب الخلقي للشعر ،ويجعل الشعر قرينا للأخلاق في الإصلاح والتربية(١) . كل ذلك كان من أجل النهوض بالشعب وتوجيهه الى ما فيه صلاحه ،وايجاد نوع من الحركة والنشاط في المجتمع الهندى حتى يتأهب للعمل في ميادين الحياة بعدما ساد عليه الضعف والفتور واليأس والقنوط والفرار من مواجهة الحقائق بسبب أحداث عام ١٨٥٧م.

هذه هي الأسباب التي أثرت في آراء حالي النقدية ،حيث دعا الى الشعر الهادف ،ورفض نظرية الفن للفن ،ورجّح الجانب الخلقي على الجمال الفني ، وهاجم الشعر التقليدى القديم والأنواع الشعرية المتوارثة التي لا تخدم المجتمع ولا تساير العصر الحديث ،وقدّم مقترحات عديدة لإصلاح هذه الأنواع ،وأبدى آراءه عن حقيقة الشعر وماهيته ،والمحاسن التي لا بد من توافرها في الشعر الجيد ،وصفات الشاعر المبدع ،وبعض القضايا النقدية الأخرى . وان كنا لا نوافق حالى في جميع آرائه ،إلا أنه لا بد من الاعتراف بأنه شرح لأول مرة نظرية الشعر الهادف في الأدب الأردى ،وبيّن علاقة الأدب بالحياة ،وتأثيره في المجتمع ، بعد أن كان الأدباء والشعراء لا ينظرون الى الأدب إلا أنه متعة نفسية ،وليس وراءه أى هدف اجتماعي أو ديني . وقد تأثر بحالى كثير من النقاد الأردبين ، وتناولوا هذا الموضوع بتفصيل أكثر ،واعترفوا بأن حالى سبقهم الى ذلك ، مما يدل على أهميته ومكانته في النقد الأدبي الحديث(٢) .

---

(١) حالى : المقدمة ص ٢٨.

(٢) انظر : ابو الليث صديقي : " آج كا اردو ادب " ص ٢٥٣ ، ٢٥٦ ،وعبد القيوم: " تاريخ أدبيات مسلمانان باكستان وهند ٩/ ١٣٥ ،و

Malik Ram, Hali .pp. 51 , 55 (Delhi 1982).

ماهية الشعر :

تحدث حالي عن ماهية الشعر و حقيقته ،واعتمد في كلامه على آراء بعض النقاد الأوربيين وعلماء العرب ،فنقل أولا قول "مكالى" (Macaulay) في شرح نظرية أرسطو أن الشعر نوع من المحاكاة ،مثل التصوير والنحت والتمثيل ، والمقارنة بينه و بين هذه الفنون (١) . ولكنه لم يوافقه تماما في آرائه ، بل قال : "إن ما قاله مكالى عن حقيقة الشعر لا يُعتَبر تعريفا حقيقيا للشعر ،وان كان يقرّبنا إلى ذلك" (٢) . ثم ذكر تعريفا آخر ، وهو أن الشعر ذلك الخيال الذى يعرضه الأديب في قالب بديع من الكلمات بحيث يتأثر به السامع ،سواء كان ذلك في صورة النظم أو النثر . ثم ذكر أمثلة عديدة من الشعر العربي والفارسي ،و يبين مافيه من الجمال ،وكيف أنه يتميز بالخيال البديع والفكرة النادرة (٣) . وجعل هذا الأمر وحده الفارق بين الشعر والنظم.

الوزن والقافية في الشعر :

ويتقدم حالى خطوة أخرى فيرى أنه لا يلزم للشعر الوزن والقافية والرديف ، وأنها خارجة عن ماهية الشعر و حقيقته . ولكنه يعترف بتأثير الوزن في الشعر وأهميته من حيث كونه أوقع في القلب (٤) . ويَدَّعي أن قدماء العرب أيضا كانوا يفهمون من الشعر هذا المفهوم ،حيث يعتبرون كل من ألقى كلاما مؤثرا في القلوب شاعرا إذا تميز ذلك عن الكلام العادى . ويستدل لذلك بأنه لما نزل القرآن الكريم بأسلوبه المعجز ووقع في آذانهم حكموا عليه بأنه شعر وأن محمدا شاعر ، مع أن القرآن لم يلتزم بأوزان الشعر المعروفة عندهم ،وليس فيه إلا نظام الفواصل ، ولا يشبه الوزن والسجع المعروف عندهم . وهذا يدل على أن العرب كانوا يفهمون الشعر على أنه الكلام الموزون وغير الموزون اذا كان مؤثرا في النفوس (٥) .

---

(١) حالى : المقدمة ص ٤٦
(٢) المصدر السابق ص ٤٦ .
(٣) المصدر السابق ص ٤٧-٥٠
(٤) المصدر السابق ص ٤٢- ٤٤
(٥) المصدر السابق ص ٤٤ .

وأرى أن ما فهمه حالى ونسبه الى العرب ليس صحيحا ،وذلك أنهم ما كانوا يسمون الخطيب شاعرا ،وانما اشتبه عليهم القرآن لأنه كان مخالفا لطريقتهم في الشعر والخطب ،وعجزوا عن الإتيان بمثله بعد أن تحداهم القرآن ، فلم يجدوا سبيلا للإنكار ،ولذا ألصقوا بالقرآن العظيم والرسول صلى الله عليه وسلم عددا من التهم تبريرا لموقفهم ، فقالوا مرة: إنه سحر ،وأخرى إنه كهانة ،وثالثة إنه شعر ،ووصفوا النبي صلى الله عليه وسلم بأنه مجنون . وقد ردّ الله كل هذه التهم والاعتراضات في عدة مواضع من القرآن الكريم ،منها قوله في الرد على اتهامهم بأن القرآن شعر : "وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون "(١) ،وقوله : "وما علمناه الشعر وما ينبغي له ،ان هو الا ذكر وقرآن مبين "(٢) . ومعنى ذلك أن العرب لم يفهموا أن القرآن شعرٌ حقيقةً ،وانما قالوا هذا الكلام عنادا واستكبارا . وأكبر دليل على ذلك قصة الوليد بن المغيرة في جماعة من المشركين عندما وصفوا النبي بأنه شاعر ،فقال : " ما هو بشاعر ،لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه ،فما هو بالشعر "(٣) . وهذا اعتراف منه بأن القرآن ليس بشعر ،ولا يشبه الكلام المنظوم ،لأنه خارج عن الأوزان المعروفة عندهم ،الا أن المشركين أرادوا الاتهام فقط مع أنهم كانوا يعرفون الحقيقة . وعلى هذا فقول حالى مخالف للواقع .

أما القافية فيراها حالى كذلك خارجة عن حقيقة الشعر وماهيته (٤) ،ويعتبرها شيئا لا لزوم له في الشعر ،لأنها تصرف الشاعر عن أداء مهمته ،وكما أن الصنعة اللفظية تحول بين الشاعر وبين الانطلاق فكذلك القافية تمنعه من إيضاح الفكرة .

---

(١) سورة الحاقة : ٤١ . (٢) سورة يس: ٦٩ .
(٣) ابن هشام : السيرة النبوية ١/ ٢٧٠ (تحقيق مصطفى السقا وآخرين) .
(٤) حالى : المقدمة ص ٤٤ - ٤٥ .

وبدلا من أن يجيء الخيال في الذهن أولا ويختار لأفكاره الكلمات المناسبة ،يحدّد أولا القوافي ويجعل الخيال في المرتبة الثانية تابعا لها وموافقا لما توحي اليه القافية . ومعنى ذلك أن الشاعر لا يعبّر عن كل الأفكار والأحاسيس التي يشعر بها بكل حرية ، بل يتقيد بالقافية ،فلا يمكن له أن يعرض أي فكرة اذا لم تسمح بها القافية وتتسع لها .

والواقع أن كلام حالي ليس على إطلاقه ،فالفرق بين الشاعر المجيد المبتكر والشاعر المقلد هو القافية والتمكن منها ،وهي مظهر من مظاهر العبقرية في فن الشعر عند العرب والفرس والهنود . وقد قام بالرد على آراء حالي عدد من النقاد الهنود ،نخص بالذكر من بينهم : عبد السلام الندوي (١) ،وبرجموهن دتاتريه كيفي، (٢) ومولوي عبد الرحمن (٣) . وقد كان حالي أول من أثار هذه القضية في النقد الأردي ، ودعا الى التخفيف من قيود الوزن والقافية وعدم الالتزام بالرديف ،واقترح أن يكون للشاعر الحرية في التجديد في الأوزان والتغيير في الشكل والمضمون في القصيدة . وان لم يخرج حالي نفسه في شعره عن الأوزان المألوفة ،ونظم قصائده ملتزما بالقافية ،الا أنه كان لآرائه تأثير كبير في الشعراء الآخرين ،مثل عبد الحليم شرر، واسماعيل ميرٹهي وغيرهما ،حيث بدأت حركة قوية للشعر المرسل والشعر الحر، وأصبحت الآن سائدة في الشعر الأردي الحديث (٤) .

---

(١) في : " مقالات عبد السلام " ص ٤١٠-٤١٤ (ط. اعظم كره ١٩٦٨م).
(٢) في : " كيفيه " ص ٣٠١-٣١٠ (ط. لاهور ١٩٥٠م).
(٣) في : " مرآة الشعر " ص ٦ - ٥٥ (ط. لكنو ١٩٧٨م).
(٤) انظر دراسة قيمة عن تاريخها و نشأتها : حنيف كيفي : " اردو مين نظم معرا اور آزاد نظم " (ط. دلهي ١٩٨٢م) . وراجع: شميم حنفي : "نئي شعري روايت " (ط. دلهي ١٩٧٨م) ، وخليل الرحمن أعظمي : "نئي نظم كاسفر " (ط. دلهي ١٩٧٢م) ،وعنوان چشتي : " اردو شاعري مين هيئت كے تجربے " (ط. دلهي ١٩٧٥م)، وزير آغا : "نظم جديد كي كروٹين " (ط. لاهور بدون تاريخ) .

وانما أخرج حالى الوزن والقافية عن ماهية الشعر نظرا لما كان عليه الشعر الأردى في زمانه من التزام الوزن والقافية فقط وعدم الاهتمام بالخصائص الأخرى للشعر ، فهو يريد أن يكون الوزن والقافية تابعين للخيال والفكر ،لا أن يكون الخيال في المرتبة الثانية .ويقول حالى في هذا الصدد : " الوزن والقافية عليهما اعتماد الشعر الأردى المعاصر ،وليس فيه خصائص فنية أخرى يستحق بها أن يطلق عليه الشعر ،وهما خارجان عن ماهية الشعر"(١) . ويرى أن معرفة العروض ومراعاته فقط لا تجعل الإنسان شاعرا . والفرق بينه وبين الناظم أن الأخير يلاحظ الوزن والقافية فقط ،بينما الشاعر يركز على الخيال ويعرضه بأسلوب جميل مؤثر ، ولا يهمه أن يأتي على الوزن أم لا . ومن هنا يرى أن الوزن شرط للنظم وحده ، وليس من لوازم الشعر ،ويجعل "الشعر" مرادفا للكلمة الإنجليزية (Poetry) بمقابل "النظم" الذى تساويه كلمة (Verse)(٢) . والفرق الذى ذكره حالى ربما يكون له جانب من الصحة في الأدب الإنجليزى(٣) ،ولكنه لا ينطبق تمام الانطباق على الآداب الشرقية ،فالنظم والشعر ربما استعملا فيها لمعنى واحد ، وقد يضاف أحدهما إلى الآخر فيقال : " نظم الشعر ". وهناك مؤلفات كثيرة تتحدث عن قواعد الشعر ،ولا تفرق بين "الشعر" و "النظم" ،وتجعل كليهما في مقابل النثر . ولا نلاحظ هذا الفرق الذى ذكره حالى .

صفات الشاعر الحقيقي :

بعدما انتهى حالى من تعريف الشعر وبيان ماهيته وقيمة الوزن والقافية ، تحدث عن صفات الشاعر ،فاشترط فيه ثلاثة أمور : التخيل ،والتعمق في مشاهدة الكون ،والاختيار الدقيق للكلمات .

---

(١) حالى : المقدمة ص ٤٥ . (٢) المصدر السابق ص ٤٢ .

(٣) انظر شرح الكلمتين في : مجدى وهبة : معجم مصطلحات الأدب ص ٤٢٢-٤٢٤ و ٥٩٧ (ط. بيروت ١٩٧٤م) .

أما "التخيل" فيعتبره موهبةً لا تحصل بالاكتساب . وهذا شرط أساسي يجب توافره في الشاعر. والتخيل - في نظره - "قوة تُرتِّب المعلومات المخزونة في الذهن بعد المشاهدات والتجارب ،وتنظّمها وتعطيها صورة جديدة ،وتصوغها في كلمات مناسبة بأسلوب جميل يتميز عن الأساليب العادية ويختلف عنها قليلا أو كثيرا "(١) . ثم شرح ذلك بعدة أمثلة من الشعر الفارسي والأردى (٢) .

أما مشاهدة الكون ودراسته فالمقصود بها عنده دراسة الطبيعة والحياة الإنسانية. ولا بد منها للشاعر ،فبدونها لا يمكن أن تؤدى القوة المخيلة عملها .

والشرط الأخير هو استعمال الكلمات الدقيقة لإبراز المعاني واختيارها اختيارا جيدا . وهنا يتعرض حالى لقضية اللفظ والمعنى ،فينقل أولا كلام ابن خلدون في تفضيل اللفظ على المعنى ،وهو قوله : "اعلم أن صناعة الكلام نظما ونثرا إنما هي في الألفاظ لا في المعاني ،وإنما المعاني تَبَعٌ لها وهي أصل ، فالصانع الذى يحاول ملكة الكلام في النظم والنثر إنما يحاولها في الألفاظ بحفظ أمثالها من كلام العرب ... "إلى آخر ما قال (٣) . يعقّب حالى على كلام ابن خلدون بأنّا نُسلّم أن مدار الشعر على الألفاظ أكثر منه على المعاني ،ولكن لا يمكن صرف النظر عن المعاني بحجة أنها معروفة لدى الجميع ،ولا تحتاج الى الاكتساب ، فالشاعر لو اقتصر على تلك الأفكار والمعاني التي نظم فيها القدماء ، أو كانت معرفته بالأشياء مثل معرفة العامة ،ولم يوسع أفقه ،ولم يعوّد نفسه على دراسة الكون فهو وإن كان من أقدر الناس على اختيار الكلمات والتصرف في الألفاظ، ولكنه لا يخرج عن إحدى الحالتين : إما أن يكون مقلدا للقدماء ينظم في شعره تلك الأفكار التي فرغوا منها ،أو يختار أساليب جديدة لها قلما تروج وتشتهر (٤) .

---

(١) حالى : المقدمة ص ٥٢ . (٢) المصدر السابق ص ٥٢-٥٤ .

(٣) ابن خلدون : المقدمة ص ٥٧٧ (ط. بيروت ١٩٨٢م) .

(٤) حالى : المقدمة ص ٦٣ .

وبذلك يفقد أهميته ومكانته من بين الشعراء . وليس ذلك الا لاقتصاره على معاني القدماء ،وعدم التجديد والابتكار.

وهكذا نرى أن حالي وان كان يرجح جانب اللفظ ،ولكنه لا يغفل جانب المعنى تماما ،بل يدعو الشاعر المبدع الى مراعاتهما .

وفي أثناء بحثه عن الألفاظ تحدث أيضا عن قضية الطبع والصنعة ،فقال : يرى اكثر العلماء ان الشعر المطبوع أفضل وألطف من الشعر الذى نُظِم بعد فكر وتدبر . ثم خالف هذا الرأى ،وقال ان الشعر الذى نظم بعد روية وتدبر يكون هو الأفضل والأشد تأثيرا وعمقا والأكثر شيوعا ورواجا من الشعر المطبوع،اللهم الا في حالات نادرة حينما يكون الشعر المطبوع مُهَيَّأً له كل المعاني والألفاظ من أول . وقلما يكون مثل هذه المصادفات . وهذا الشعر المطبوع أيضا لا نستطيع أن نقول انه صدر من غير قصد وتعمل ،لأن أفكاره والكلمات المناسبة لها كانت تختمر من مدة في ذهن الشاعر ،حتى كان لها ذلك القالب أخيرا (١) . ثم ذكر حالى طريقة بعض الشعراء الكبار في نظم الشعر ،وكيف أنهم كانوا يكررون النظر فيه ويقومون بالاصلاح والتنقيح . وانتهى بذلك الى نتيجة أنه لا توجد هناك قصيدة طويلة أو قصيرة أثرت في الجمهور ، وهي نظمت على عجل وبدون تأمل . بل ان أى قصيدة نجد فيها البساطة والعفوية والتأثير فلنعلم أنها نظمت بعد فكر وروية ،وصدرت بعد اصلاح وتهذيب .

ثقافة الشاعر :

أما عن ثقافة الشاعر فهو يرى أنه لا يلزم للشاعر أن يحفظ قدرا صالحا من شعر القدماء ،ويبنى شعره على منواله ،خلافا لما قاله النقاد العرب . ويقول ان هذا الشرط يمكن أن يكون مناسبا للأدب العربي ،فان فيه تراثا شعريا هائلا

---

(١) حالى : المقدمة ص ٥٩-٦٠ . (٢) المصدر السابق ٦١

لا كثر من ألف عام ،و نجد فيه عددا ضخما من الشعراء الكبار ،واللغة العربية أيضا من أغنى لغات العالم من حيث المفردات والا ساليب ،فيمكن فيها الاقتصار على أساليب القدماء لتأدية أى معنى من المعاني ،بدون اللجوء الى أسلوب جديد . أما اللغة الا ردية التي لا زال الشعر فيها في مرحلة الطفولة ،ولا يتجاوز تاريخ أدبها أكثر من ستين عاما ،و ليس فيها الى الآن معجم ولا كتاب قواعد مفيد ،ويعد الا دباء والشعراء الفحول فيها على الا نامل ، فلو اقتصرنا فيها على أساليب القدماء و تقليدهم في نظم الشعر بقي الشعر الا ردى في مهد الطفولة لمدة طويلة ،مثل عُشّ الطيور الذى لا زال على نمط واحد منذ بدء الخليقة (١) .

و لذلك فهو يرى أن الا فضل دراسة الشعر القديم وحفظه والتعمق فيه ، ثم محوه عن الخاطر بحيث لا يكون الشاعر أسيرا لتلك الكلمات والتعابير والا ساليب، ويستطيع أن يسلك طريقة جديدة في شعره (٢) .

تحدث حالى عن الشروط الثلاثة للشاعر ،وتعرض في أثنائها لبعض القضايا الا خرى التي ألمحنا اليها فيما سبق . وقد أسهب حالى في شرح هذه الا مور وأوضحها بنماذج كثيرة من الشعر الفارسي والعربي والا ردى . وان كان النقد الا ردى قد تطور بعد حالي تطورا ملموسا ، ولكن لا زال نقاد الا وردية يكررون ما قاله حالي قبل تسعين عاما ،ولم يضيفوا الى ذلك شيئا يستحق الذكر (٣) .

المحاسن التي لا بد من توافرها في الشعر :

أما المحاسن التي لا بد من توافرها في الشعر في نظر حالى فهي ثلاثة أيضا ،و هي على حد تعبير "ملتون" (Milton) : البساطة ،والواقعية ، والعاطفة الصادقة (٤) . وهو يريد بالبساطة وضوح الا فكار وسلاسة الا لفاظ

---

(١) حالى : المقدمة ص ٦٤-٦٥ . (٢) المصدر السابق ص ٦٦ .
(٣) انظر : عبادت بريلوى : اردو تنقيد كا ارتقا ص ١٥٩ .
(٤) حالى : المقدمة ص ٦٨ .

فلا يكون هناك تعقيد لفظي أو معنوى . وهذا يذكّرنا بما قرره علماء البلاغة في كتبهم من أنه لا بد لبلاغة الكلام أن يخلو من ضعف التأليف والتعقيد . وهذه الفكرة يشير اليها حالي بقوله " البساطة في التعبير " . أما الواقعية فهو يريد بها أن يحتوى الشعر على الحقيقة و يصوّر الواقع بعيدا عن الوهم . والمراد بالعاطفة الصادقة أن يصدر الشعر من نفس الشاعر بدون أى تكلف ، وكأن الخيال هو الذى أجبر الشاعر على أن يصوغه في قالب شعرى .

وكل هذه المحاسن التي عدها حالي من لوازم الشعر كانت على نقيض ماكان يستحسنه الشعراء آنذاك ، اذ كانوا يأخذون بالمبالغة والبعد عن الواقع ، والخروج عن المألوف والاغراق في الخيال ، والتكلف والصنعة في نظم الشعر . خالف حالي هذا الاتجاه بقوة ، ووضع الأصول على عكس ما كان عليه الشعراء في عصره ، لأنه رأى أن الشعر الأردى أصبح بلا روح ومتكلفا وبعيدا عن الواقع . وقد طبق حالى هذه الأصول تماما عندما نظم هو نفسه في المرحلة الأخيرة من حياته شعراكثيرا يمتاز بالحيوية والقوة والصدق .

لم يذكر حالي آراءه النقدية الأخرى بتفصيل وعمق ، وانما اكتفى بالاشارة اليها في ثنايا كلامه عن الشعر ومرّ بها سريعا . وقد تناولها من جاء بعده بالبحث والتحليل . و ربما نلتمس لحالي بعض العذر في ترك التفصيل والاكتفاء بالاشارة الى تلك القضايا في بعض الفقرات والجمل ، وذلك أنه كان يكتب مقدمة لديوانه ولم يكن يريد تأليف كتاب مستقل في النقد ، فلم يكن المجال واسعا أمامه لتفصيل القول . ثم إن المصادر والمراجع لم تكن متوفرة آنذاك ، فلم تطبع معظم الكتب النقدية والبلاغية العربية ، حتى يطلع عليها . كما لم يطلع على آراء كبار النقاد الغربيين مثل : ورد زورث ، وكولرج ، والمدام دى ستال ، وسانت بيف ، وتين ، وآرنولد وغيرهم ، لعدم معرفته بالانجليزية أو اللغات الأوربية الأخرى . وكل ذلك لا ينقص من قيمة آراء حالي اذا نظرنا الى التراث النقدى الأردى الذى لا يزال يفتقر الى الدراسات النقدية الأصيلة .

النقد التطبيقـي :

لم يقتصر حالي على ذكر تلك الآراء النقدية نظريا ،بل وجّه عنايته أيضا الى النقد التطبيقي ،ونجد ذلك في ثلاثة مواضع :

أولا : في القسم الثاني من "المقدمة" نفسها ،حيث ينتقد أشهر الأنواع الشعرية : الغزل ،والقصيدة ،والمثنوى ،والرثاء ،ويفصل الكلام حولها ،ويقترح بعض الشروط لاصلاحها والنهوض بها الى مستوى فني رفيع ،ويستعرض تاريخ هذه الفنون وتطورها في الأدب الأردى . ومدى تأثير الشعر العربي والفارسي في موضوعات الشعر الأردى وأساليبه .

وثانيا : في دراساته عن الشعراء والأدباء في مؤلفاته : "حياة سعدى" و "يادگار غالب" و "حيات جاويد" ،حيث خصص قسما كبيرا من هذه الكتب للحديث عن شعرهم وأدبهم ومقارنتهم بالآخرين وتأثيرهم فيمن جاءوا بعدهم .

وثالثا : في نقده للكتب والمطبوعات ،المنشور في عدد من المجلات الأدبية ، وأخيرا جُمِع في الجزء الثاني من "مقالات حالي" و "كليات نثر حالي".

وسنتحدث عن كل قسم من هذه الأقسام بشيء من التفصيل ،ونبين منهجه في النقد التطبيقي ،كما نتناول بعض آرائه النقدية بالبحث والتحليل لنعرف بذلك أهميتها وكيف أنها أثرت فيما بعد على النقاد الأردبين .

(١) الغزل :

يرى حالي أنه لا بد من إصلاح "الغزل" الأردى ،لأنه أهم الفنون الشعرية على الاطلاق ،يعرفه العالم والجاهل والصغير والكبير ،ثم انه يَصلُح لتأدية المعاني المختلفة ،فكل بيت من أبياته يستقل بفكرة أو معنى (١) . وقد انتقل "الغزل" بهذه الصورة الى الأدب الأردى عن الأدب الفارسي ، وان كان أصله في الأدب العربي ،وقلّد شعراءُ الأردية شعراءَ الفرس في الموضوعات

---

(١) حالي : المقدمة ص ١٢٦ ، ١٢٧ .

والأساليب في غزلياتهم . فنظموا في موضوعات العشق والحب كثيرا وموضوعات التصوف والأخلاق والزهد أحيانا . ولم يبق الغزل على طبيعته وفطرته ، فقد غلبت عليه الصنعة والركاكة والمعاني السخيفة . ومن أجل ذلك لا بد من تدارك الأمر والإقدام على إصلاحه . ويعترف حالي بخطورة هذا الاصلاح وصعوبته ، وخاصة بعد أن ألِفَ الناس هذا اللونَ من الشعر ،ولكنه مع ذلك يحس بضرورة هذا الاصلاح ،ويقول : ان العصر الحديث يقتضي هذا التعديل وإلّا سيُهْدَم هذا البناء من أساسه (١) .

لم يجانب حالي الصواب في آرائه ونظرياته تلك ، فلم يَمْضِ على نشر كتابه ثلاثون عاما اذ جاء بعض النقاد الذين تشربوا بروح الغرب وطومه مثل عظمت الله خان (ت ١٩٢٧م) وكليم الدين أحمد (ت ١٩٨٣م) وغيرهما ،ودعوا الى هدم "الغزل "من أساسه ورفض هذا الفن في نظم الشعر (٢) . وهذا يبين لنا مدى إصابة حالي فيما قصد اليه ،وأنه لو لم يكن قد قام بابداء ملاحظاته حول اصلاح "الغزل " وتأثّرَ الناس بها - لما كان للغزل تلك المكانة التي وصل اليها في العصر الحديث .

يُقدِّم حالي لاصلاح الغزل المقترحات التالية :

(١)- تعوّد الناس على أن ينظموا في الغزل موضوعات العشق والحب ، وهذا أمر لا يمكن أن يتخلى عنه الشعراء ،ولكن نقترح أن يكون الحب بمعناه

---

(١) حالي : المقدمة ص ١٢٨ .

(٢) انظر: عظمت الله خان : "شاعري " (مقال له نشر في مجلة "أردو "عام عام ١٩٢٤م) ،وكليم الدين أحمد : مقال له نشر في مجلة "نگار " عدد يناير - فبراير ١٩٤٢م، ثم نشر في كتابه " اردو شاعري پرايك نظر ") ،وانظر أيضا : مسعود حسين : اردو زبان اور ادب ص ١٥٩-١٦٩ (ط. الـه آباد ١٩٨٣م) .

الواسع بحيث يشمل جميع أنواعه ولا يقتصر على معنى الهوى والفجور ،ويجتنب الشعراء عن الكلمات الصريحة والمكشوفة ،وعن استخدام تلك الصفات التي تختص بالمُرْدان أو النساء بحيث تدل على أن المطلوب ذواتهم أو ذواتهن (١) .

(٢)- يجب ترك الأساليب القديمة من : ذكر الخمر ولوازمها والطعن في الدين والعلماء والزهاد ،والافتخار بالمجون واللهو وما الى ذلك . فهذه الأساليب تخالف العقل والشرع ،وانما استخدم الشعراء القدامى بعض هذه الأساليب في صورة المجازر الاستعارة ،ولم يريدوا بها الحقيقة . واذا كان هناك من شرب الخمر وصوّرها في شعره ،أو كان بينه وبين الفقهاء والزهاد خلاف فذكر ذلك وهجاهم في بعض الأحيان - فليس معنى ذلك أن يجيء المتأخرون فيقلدوه في كل هذه الأساليب ،ويجعلوا الطعن في الدين والنيل من كرامة العلماء والزهاد دَيْدَنَهم وشعارهم. وانما يُسْمَح لهم فقط بأن يشيروا الى واقع ما يشاهدونه في المجتمع ،ويصوروا ما يجدونه في بيئتهم ،دون اللجوء الى الطعن في أمور العقيدة ومسائل الشريعة (٢) .

(٣) - أما ما عدا تلك الموضوعات والأساليب القديمة فينظم الشاعر مشاعره وعواطفه في الغزل مهما كانت الأغراض والأحاسيس ،ولا يقتصر على موضوع العشق والحب وحده . وعليه أن يأتي بموضوعات وأفكار جديدة ، ويوسع دائرتها في الغزل ،ولا يقلّد الشعراءَ السابقين في طريقة النظم ، ولا يحصر نفسه في الموضوعات والأساليب التقليدية ،بل يقوم بالتجديد فيها ،ويصور ما يشعر بنفسه ويحسه ،لا ما أحسه السابقون (٣) . ولا يعني ذلك أن لا يستفيد الشعراء المحدثون من التراث الشعري القديم ،ولا ينظموا في الموضوعات القديمة اطلاقا ، بل نريد منهم

---

(١) حالي : المقدمة ص ١٣٠، ١٣١. (٢) المصدر السابق ص ١٣٣، ١٣٤، ١٣٧

(٣) المصدر السابق ص ١٣٩.

أن يستفيدوا من هذا التراث ويتصرفوا فيه ويستخدموه في شعرهم ويضيفوا اليه صورا جديدة ، وكما نحس بضرورة الاطلاع على التراث الشعرى في الأردية ، فكذلك نشعر بأهمية ترجمة روائع الأدب العربي والفارسي والانجليزى والسنسكريتي الى الأردية ،ودراستها والاستفادة منها ،حتى نخرج من الإطار الضيق للأدب الأردى القديم إلى ميدان فسيح من الآداب العالمية ،ولا نقتصر على تلك الموضوعات التي تناولها السابقون (١) .

(٤) - ينبغي الاعتناء بوضوح الأسلوب وخفته وبساطته في الغزل بمقابل الفنون الأخرى (٢) . فلا يلجأ الشاعر الى أسلوب غريب لم يألفه الناس ،ولا يستخدم الكلمات القديمة المهجورة ،أو الألفاظ الغريبة غير الشائعة من العربية والفارسية (٣) ،ولكن لا يقتصر أيضا على استعمال الكلمات بمعناها الحقيقي ، بل يستفيد من أساليب المجاز والكناية والاستعارة والتشبيه (٤) ، ليضفي بها مزيدا من البهاء والجمال على غزلياته ،ولكن يلاحظ أن لا تكون الاستعارة وغيرها بعيدة عن الفهم والا يصبح شعره نوعا من الألغاز (٥) . وعليه أيضا أن يهتم باستخدام تلك التعابير الخاصة والمأثورات الشعبية التي يزين بها أهل اللغة كلامهم (٦) . أما الصنائع اللفظية والمحسنات فيحترز من ايرادها والتزامها ،فانها تجعل الشعر نوعا من الزخرفة والتلاعب بالكلمات ،ويفقد الشعر بها التأثير في النفوس . نعم اذا جاءت بعض هذه الصنائع بدون قصد وتعمد لها فلا بأس، لأنها في هذه الحالة تكون زينة للكلام (٧) . وكما يحترز من الصنائع اللفظية فكذلك يجتنب

---

(١) حالى : المقدمة ص ١٤٥ ، ١٥١ ، ١٥٥ .

(٢) المصدر السابق ص ١٥٧ (٣) المصدر السابق ص ١٥٩

(٤) المصدر السابق ص ١٦١- ١٦٢ (٥) المصدر السابق ص ١٧٢

(٦) المصدر السابق ص ١٧٣ ، ١٨٠

(٧) المصدر السابق ص ١٨٠ ، ١٨٣ .

لزوم ما لا يلزم في القافية والرديف ،فان ذلك يضيّق عليه واسعا وينعه من التعبير بكل حرية عما يشعر في قلبه من الأحاسيس والمشاعر . ولذا يستحسن له أن يختار الرديف المناسب والقافية الملائمة ، بل لو اكتفى بالقافية فقط ويصرف النظر عن الرديف لكان أولى (١) .

هذا ملخص الأفكار التي عرضها حالي لإصلاح الغزل ، وقد كان لها تأثير كبير في تطور الغزل الأردى في العصر الحديث ، حيث إن كثيرا من الشعراء قبلوا هذه المقترحات كلها أو بعضها ،وأصبحوا ينظمون غزلياتهم في ضوئها ، ويكفي أن نذكر من بينهم الشاعر محمد اقبال والشعراء الآخرين المنتمين الى حركة "ترقى پسند" (حركة الأدباء التقدميين) (٢) . ومن ناحية أخرى فقد كان هناك رد فعل شديد أيضا من قبل بعض الشعراء والنقاد ،فقد نهض أربعة شعراء في العصر الحديث (وهم : حسرت ،وفانى ،وأصغر ،وجگر) (٣) للمحافظة على الطراز القديم للغزل مع التجديد في الموضوعات والأساليب ،وبذلك استطاعوا أن يردوا للغزل مكانته السابقة بعدما فقدها بتأثير حالي وبعض النقاد المتطرفين مثل عظمت الله خان وكليم الدين أحمد وغيرهم . كما قام بعض النقاد للدفاع عن الغزل والرد على مقترحات حالي للاصلاح فيه ،منهم مسعود حسن رضوى (٤) ، ويوسف حسين خان (٥) وغيرهما ،فقالوا ان كل ما قاله حالي في

---

(١) حالي : المقدمة ص ١٨٥ ، ١٨٦ .

(٢) انظر عن هذه الحركة : خليل الرحمن اعظمي : ترقى پسند تحريك (ط. اله آباد ١٩٨٤م) ،وعزيز احمد : ترقى پسند ادب (ط. حيدرآباد ١٩٤٥م) ،وسردار جعفرى : ترقى پسند ادب (ط. دلهي ١٩٥١م) .

(٣) انظر: وقار أحمد رضوى : "جديد غزل كے عناصر اربعه" (مقال نشر في مجلة "أردو" الصادرة بكراتشى مج ٣/٥٧ : ص ٨٩-١١٨ ،و٤ : ص ٣٥-٥٧ عام ١٩٨١م).

(٤) ألف كتابا بعنوان "هماري شاعرى" (طبع لأول مرة عام ١٩٢٧م) للدفاع عن الشعر القديم والرد على حالي وبعض النقاد الجدد ، كما صرح بذلك في مقدمته انظر ص ١٠ ، ١٥ (ط. لكهنو ١٩٢٩م) .

(٥) له كتاب "اردو غزل" (ط. دلهي ١٩٥٢م) يرد فيه على حالي ،انظر ص ٧ ، ٨ .

هذا الصدد كان نتيجة لتغليبه الأخلاق على مقتضيات الفن ، فهو لا يريد الا الشعر الذى يتناسب مع الأخلاق و يفيد في إصلاح المجتمع ،ويرى أن الغـــزل القديم لا فائدة منه لأنه كان مقصورا على موضوعات الحب والعشق ... الى غير ذلك من آرائه التي لا يمكن أن نقبلها بأى حال من الأحوال ،والا نخسر معظم التراث الشعرى الأردى الذى يحتوى على الغزليات . ويجب أن ننظر الى الغزل نظرة أخرى من حيث الجمال الفني ولا نُحكّم الأخلاق في نقده و تمييز الجيـــد من رديئه كما فعل حالى .

كانت معظم الردود تشتمل على مثل هذه الأقوال ،و نحن لا ننكر أن ما وجه الى حالي مطابق للواقع في أكثر الأحيان ، ولكنا مع ذلك نعترف لحالـــى الفضل في إثارة هذه القضايا لأول مرة ،فهو الذى لفت أنظار الأدباء والشعراء إلى ضرورة التجديد في الغزل ، ووضع لذلك قواعد يسير عليها الشعـــــراء المحدثون .

(٢) القصيـــدة :

هذا ما يتعلق بالغزل . أما "القصيدة" كفن من فنون الشعر الأردى ، (وهو ما يختص بموضوع المدح أو الهجاء ،وقلما ينظم فيه موضوعات الأخـــلاق والحكمة والوعظ وغيرها) فقد تحدث عنها حالي في كتابه ،وقال : ان قصائد المدح والهجاء قليلة جدا في الأدب الأردى اذا قسنا بالأدبين العربـــــي والفارسي . وليس من بين الشعراء من يصلح أن يكون القدوة في هذا الفـــن إلا "سَوْدا" و "ذَوْق" ،ولكنهما سارا على منهج الشعراء الفرس واقتفيا آثارهم ، ولذا لا نجد عندهما ذلك النموذج الرفيع الذى يتطلبه العصر الحديـــث . ويمكن أن نعثر على نماذج كثيرة من هذا النوع في الأدب العربي ، و قليلة في الأدب الفارسي (١) ،ولذا فلا مناص من البحث عنها ، والاستفادة منها في نظم

---

(١) حالي : المقدمة ص ٢٠١ ، ٢٠٢ .

القصيدة الأردية . كما أنه لا ينبغي أن نغفل الشعر الأوربي أيضا ،فانه يحتوى على نماذج رائعة من هذا الفن الشعرى . ومن المستحسن أن نأخذ روحها ونقيم عليها قصائد المدح والهجاء في المستقبل . ونتخلى عن الطريقة التقليدية القديمة التي تعتمد على المبالغة والكذب ، وينبغي أن لا يكون المدح بأسلوب يؤدى الى التملق ، والذم بطريقة تؤدى الى الطعن في الشخصية وتجريح الذات (١) .

(٣) الرثـــاء :

ويعد حالى" الرثاء" أيضا فرعا من فن " القصيدة " الأردية ،حيث ان الشاعر يذكر فيه مناقب الميت ومحاسنه ،ويتحدث عن أخلاقه وصفاته الحميدة مع اظهار الحزن والأسف على وفاته . وهناك قصائد كثيرة في الرثاء تعد من روائع الأدب العربي ،وقد كان الشعراء العرب يلتزمون فيها بالتعبير الصادق عن مشاعرهم نحو الشخص المتوفى ، ويتجنبون الكذب والمبالغة ومخالفة الواقع . ولا ينسبون اليه إلا تلك الصفات التي كان يتحلى بها حقيقة (٢) .

لم يكن الرثاء في الأدب العربي يختص بشخص دون آخر فالشعراء كانوا يَرْثون كل من يتوفى من العامة والخاصة ،أما الرثاء في الأدب الأردى فقد كان مقصورا على رثاء شهداء كربلاء وخاصة الحسين بن علي سيد الشهداء . ونجد أغلب المراثى الأردية عند الشعراء المتأخرين طويلة جدا تجمع بين عناصر مختلفة من المدح والرد على الأعداء وتصوير مناظر الطبيعة ،والفخر والمباهاة ،وجزئيات الحرب وغيرها ، وتحتوى على بيان الأخلاق المحمودة من الإيثار والتضحية والصدق والصبر والتحمل (٣) . وهكذا لم يقتصر الرثاء على البكاء على الميت والحزن عليه بل احتوت على عناصر كثيرة من موضوعات أخرى .

---

(١) حالى :المقدمة ص ١٨٩ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٨٩ ، ١٩٠ .

(٣) استعرض حالى موضوعات المراثي بتفصيل في المقدمة ص ١٩٣-١٩٨ .

يرى حالى أن هذه المراثي الأردية مع اشتمالها على الأساليب الرفيعة والموضوعات الخلقية لا تؤثر في النفوس كما ينبغي ،وذلك لسببين ،الأول : الظن الشائع أن الهدف من استماع هذه المراثي هو البكاء وإسالة الدموع وإظهار الحزن والتفجع . وهذا يصرف السامعين عن النظر في الأمور الأخرى . والثاني : أن تلك الصفات الحميدة من الصبر والشجاعة والوفاء والغيرة التي كان يتصف بها أصحاب الحسين بن على ، يعتقد الناس أنها من خوارق العادات وفوق الطاقات البشرية . وهذا الاعتقاد يمنعهم من اقتفائها واختيارها (١) .

ويعترف حالى بأهمية مراثي أكبر شعراء الرثاء في الأردية "مِيْرأنيس"،ويمدح أسلوبه وطرازه الجديد في هذا الفن ،ولكنه يمنع الشعراء المحدثين من تقليده ، وذلك أولا أنه ليس من المتوقع أن يبرع أحد في هذا الميدان مثل ما برع أنيس . وثانيا أن المقدمات الطويلة في قصائد الرثاء ، والتحدث عن الموضوعات التي لا علاقة لها بالرثاء مثل تفصيل وقائع الحرب ،ووصف الخيول والسيوف ،والتكلف في اختراع التشبيهات والمعاني الغريبة ،كل ذلك مما لا يستحسن لمن يقول الشعر في الرثاء ،والا سيكون مثله كمثل الرجل الذى توفى أبوه أو أخوه ،ويريد أن يعبر عن حزنه وأسفه على فقده ، فيعمد الى الألفاظ ويتأنق في اختيارها واستخدامها في فقرات مسجوعة ،ويظن أن ذلك من لوازم الفصاحة والبلاغة . ولذا فالشعراء المحدثون عليهم أن ينظموا قصائد الرثاء بدون أن يتكلفوا في ذلك ،ولا يخرجوا عن موضوع الرثاء الى موضوعات أخرى مما لا علاقة لها بذلك . وليس معنى ذلك أن لا يُعمِلوا فكرهم في ترتيب الأفكار ونظم القصيدة ،وانما المقصود أن يكون التركيز على صفاء الأسلوب وبساطة التعبير وقوة التأثير .

ويركز حالى على نقطة ثالثة ، وهي أن تخصيص فن الرثاء في الأدب الأردى بالبكاء على شهداء كربلاء والتحدث عن مناقبهم ومحامدهم فقط يمكن أن يكون

---

(١) حالى : المقدمة ص ١٩٨ .

سليما من الناحية الدينية عند بعض الناس ، الا أن الشاعر لا ينبغي له أن يقتصر على ذلك ، بل عليه أن يوسع هذا المجال الضيق . وما دام الرثاء في كل الآداب الإسلامية يعم الناس جميعا ، فعلى الشاعر الأردى أن يرثي كل من يفقده سواء كان من أسرته أو من قومه أو وطنه ، ويتحدث عن مآثره ومناقبه ، ويحث الناس على اقتفاء آثاره ، ويظهر الحزن والتفجع لوفاته بحيث يؤثر في القلوب . وهذه من وظائف الشاعر المرهف الذى يتأثر بكل ما يجرى حوله من أحداث ، وبوسعه أن يحدث تأثيرا كبيرا في النفوس ، ويخلد ذكرى الموتى ويحببهم الى نفوس العامة والخاصة . وليس هناك وسيلة لذلك أحسن من الرثاء (١) .

هذا موجز ما قاله حالى في فن الرثاء الأردى . ويبدو منه أنه لا يحب المبالغة والتحدث عن الصفات غير البشرية ، بل يطلب من الشاعر أن يقول عن الميت كل ما بدا له ولكن لا يرفعه من مستواه . ثم انه لا يريد أن يكون الهدف من الرثاء البكاء والتفجع على الميت فقط ، بل يرى أن يصور الشاعر صفات الفقيد ويركز على تلك الدروس والعبر التي يستفاد منها . كما أنه يمنع الشاعر من أن يُدخِل في الرثاء موضوعات أخرى لا علاقة لها بالرثاء .

ومما يلفت الانتباه أن حالي كان أول من دعا الى توسيع دائرة فن الرثاء في الأدب الأردى متأثرا في ذلك بفن الرثاء في الأدب العربي ، فهو لا يريد أن يردد الشاعر دائما قصة استشهاد الحسين بن علي وأصحابه كما يفعله الشيعة ، ويقترح على الشاعر أن يتحدث عن مآثر كل من يفقده من أسرته أو قومه ووطنه ، كما كان الأمر في المراثي العربية . ويشير حالى إلى عدد من هذه المراثي التي تحتوى على الصفات الحقيقية للميت ، وتتحدث عن كثير من جوانب حياته وأعماله حتى أصبحت صورة صادقة عنه . مثل القصائد التي قيلت في رثاء عبد المطلب (٢) ،

---

(١) حالى : المقدمة ص ١٩٩-٢٠٠ .

(٢) انظرها في ابن هشام : السيرة النبوية ١/ ١٩٠-١٧٨ . فيه قصائد عديدة في رثاء عبد المطلب قالتها بناته : صفية ، وبرة ، وعاتكة ، وأم حكيم ، وأميمة ، وأروى . ونظم بعضها حذيفة بن غانم ، ومخرود بن كعب الخزاعي .

وقصيدة مروان بن أبي حفصة في رثاء معن بن زائدة (١) ،وقصيدة الفضل الرقاشي في رثاء آل برمك (٢) ،وقصيدة الشريف المرتضى في رثاء أبي إسحاق الصابى (٣) ، الى غيرها من القصائد التي قيلت في رثاء العلماء وأصحاب الفضل والشجاعة والكرم ، والملوك والوزراء والأمراء وغيرهم (٤) . أراد حالى أن يوجّه شعراء الرثاء الأردى الى العناية بتلك المعاني الإنسانية والاهتمام بتلك الخصائص التي توجد في المراثى العربية ،وأن لا يقتصروا على ترديد القول في رثاء الحسين بن على وأصحابه . وعملا بهذا القول نظم حالي نفسه عددا من القصائد في رثاء بعض الشخصيات ،مثل أستاذه غالب (٥) ،والحكيم محمود خان دهلوى (٦) ،وأخيه امداد حسين (٧) ، والسيد أحمد خان (٨) ،ومحسن الملك (٩) ،وچراغ على (١٠) وغيرهم . ولا نجد في ديوانه قصيدة واحدة في رثاء آل البيت. وهذا يدل على مخالفته للطريقة السائدة في الرثاء . وكانت جميع قصائده في الرثاء مبنية على إظهار التفجع والحزن على الفقيد ،وبيان حقيقة الحياة الدنيوية ،والأسف على فقدان الصفات القبلية ، وذكر المناقب والمحامد للفقيد ،وجهوده في سبيل النهوض بالأمة والوطن ،مع الإشارة الى علاقته به . وكانت هذه المراثي من القصائد التي أثرت أعمق تأثير في نفوس الشعب ،وكان لها أكبر الأثر أيضا في تطور فن الرثاء فيمابعد ،حتى خرج هذا الفن من دائرته التقليدية الضيقة ،وقبل الشعراء آراء حالى في هذا الصدد ،فنظموا في الرثاء قصائد رائعة ،مثل قصائد اقبال في رثاء أستاذه داغ الدهلوى ،وراس مسعود ، وعزيز اللكهنوى في رثاء النواب وقار الملك ،والسيد سليمان الندوى في رثاء أستاذه شبلى النعمانى ،وقصائد أخرى كثيرة لإسماعيل ميرٹهي ،وأحسن مارهروى ،وسيد هاشمي فريد آبادى ،وحفيظ جالندهرى وغيرهم، (١١) ولا زال الرثاء مستمرا على هذا الوضع الى وقتنا هذا .

---

(١) انظر : الأغاني ١٠/٨٧ ، ٨٨ (ط. دارالكتب) . (٢) المصدر السابق ١٦/٢٤٥ ، ٢٤٩ .
(٣) الشريف المرتضى : ديوانه ٢/٣٤٩ -٤٥٢ (ط. القاهرة ١٩٥٨م) .
(٤) حالى : المقدمة ص ١٨٩ ، ٢٠١ . (٥) حالى : كليات نظم حالى ١/٣٢٧ .
(٦) المصدر السابق ١/٣٣٧ . (٧) المصدر السابق ١/٣٣٥ .
(٨) المصدر السابق ٢/٣٩٧ . (٩) المصدر السابق ١/٣٦١ .
(١٠) المصدر السابق ٢/٤١٠ .
(١١) عبدالقيوم : تاريخ ادبيات مسلمانان پاكستان وهند ٩/١٣٤ .

(٤) المثنوى :

تكلم حالى في آخر الكتاب على فن "المثنوى" ،فقال : إنه أكثر الفنون الشعرية فائدة ،ويصلح للتعبير عن الأفكار بحيث لا يُخِلّ الترابط بين الأبيات والتسلسل المعنوى بينها ،وهذا أمر لا يتوافر في الفنون الأخرى مثل "الغزل"، وفن "القصيدة"، و"المسدس" وغيرها . ولم يكن هذا الفن في الأدب العربي ، وإنما نشأ في الأدب الفارسي وازدهر فيه ، ونظمت فيه قصائد كثيرة بل مؤلفات مستقلة تحتوى على موضوعات التاريخ والأخلاق والتصوف وقصة الحب ،أشهرها "مثنوى معنوى" (لجلال الدين الرومى) الذى يعد من روائع الأدب الفارسي ، شأنه في ذلك شأن "شاهنامه" للفردوسى الطوسى ،حتى قيل عنه : "هست قرآن در زبان پهلوى" (انه قرآن اللغة الفهلوية) (١) .

وقد سبق الحديث عن فن "المثنوى" في الباب الثاني ،أوضحنا هناك أن بعض المحققين ينكرون أن يكون ذلك فنًّا فارسيا أصيلا . ومهما يكن من شئ فقد نشأ المثنوى في الأدب الأردى تحت تأثير المثنوى الفارسي ،وكان حالى أول من تحدث عن أهمية هذا الفن (٢) ،وتناول بعض المثنويات الأردية بالنقد والتحليل ،وذكر الأمور التي تلزم ملاحظتها في هذا الفن . وهي في نظره الأمور التالية الى جانب تلك الشروط التي نبَّه عليها في الكلام على "الغزل" و فن "القصيدة" فيما سبق :

(١) - لا بد أن يتوافر في "المثنوى" الترابط بين الكلام والتسلسل في موضوعات الأبيات ،وترتيبها ترتيبا دقيقا بحيث يؤدى كل مصراع أو بيت فيه الى ما بعده ،ولا تكون بين الأبيات فجوات أو ثغرات بحيث لا يفهم الكلام الا بعد تقدير المحذوفات . وذلك على العكس من "الغزل" و "القصيدة" ، فكل بيت فيهما يستقل بمعنى لا علاقة له بما قبله أو بعده ، اللهم الا بعض

---

(١) حالى : المقدمة ص ٢٠٢-٢٠٣ .

(٢) عبدالسلام ندوى : مقالات عبد السلام ص ٤٣٨ (ط. اعظم كره ١٩٦٨م) .

الغزليات والقصائد التي نجد فيها نوعا من الترابط والتسلسل ،وهذا قليل . ولعل هذا هو السر أن لا يحسن شاعر "الغزل" و "القصيدة" نظم "المثنوى" ، حيث لا يستطيع أن يحافظ على ترابط الأبيات بعضها ببعض وترتيبها ترتيبا دقيقا كما هو المطلوب. لنظر مثلا الى مثنوى " گلزار نسيم " (وهو من أشهر المثنويات الأردية للشاعر دياشنكر نسيم اللكهنوى) فقد أخفق فيه الشاعر في عدد من المواضع (١) . واذا كان هذا حاله فما بالك بالآخرين ؟

(٢)- أن لا يكون بناء المثنوى على المحال والأمور التي تخالف الفطرة ،وان كنا نجد في الشعر القديم في كل الآداب ما يخالف الفطرة ويدخل في دائرة المحال ،الا أن ذلك كان قبل أن يطلع الانسان على أسرار الكون والطبيعة ،فكان يتأثر بكل ما يقوله الشاعر ويتوهم أشياء لا وجود لها في الواقع . أما الآن فقد كشفت العلوم عن كثير من هذه الأسرار وأصبح الناس يضحكون على سذاجة الشعراء وبساطة أقوالهم ،ولا يصدقون بشيء مما يقولون اذا كان من المحال . ومن أمثلة ذلك كثير من قصص "الشاهنامه" للفردوسي التي يفترض فيها الشاعر المحال (٢) ،ويعتمد على ذلك في إبقاء عنصر التشويق . وهذا الأمر أصبح الآن مرفوضا تماما في ذكر القصة ونظم المثنوى .

(٣) - أما المبالغة التي عدها علماء البلاغة من محسنات الكلام فقد كانت لها آثار سيئة للغاية ،حيث أذهبت قوة الشعر وتأثيره ورونقه وبهاءه ،فينبغي أن يحترز عنها . واذا اضطر الشاعر الى شيء من ذلك فيكون غرضه زيادة التأثير في القلوب ، لا أن يكون ذلك سببا لفقدان الأثر.

(٤) - أن يكون الكلام مطابقا لمقتضى الحال ،وهذا هو سر البلاغة ،والبحث في ذلك يطول . وقد اقتصر حالى هنا على ذكر مقتطفات من بعض المثنويات الأردية التي تفقد هذا الشرط ،وحللها بتفصيل ،وتحدث عما فيها من النقائص (٣) .

---

(١) حالى : المقدمة ص ٢٠٥ . قارن ذلك بمثنوى "گلزارنسيم" ص١٦-١٧ (ط٠دلهي ١٩٨١م) .
(٢) حالى : المقدمة ص ٢٠٦-٢٠٧ . (٣) المصدر السابق ص ٢٠٩-٢١٦ .

(٥) - أن يصور الشاعر أى شخص أو شئ أوموضع أو غير ذلك تصويرا حقيقيا يكون ملائما للطبيعة والفطرة لفظا ومعنى . وهذا شرط أخلت به كثير من المثنويات الأردية (١) .

(٦) - أن لا يناقض بعضه بعضا ، فلا يورد الشاعر كلاما يخالف ما تقدم في الأبيات السابقة ،وبذلك يهدم كل ما بناه ،ويحدث الخلل في بيان القصة في المثنوى . والأسف أن المثنويات الأردية لم تلاحظ هذا الأمر ،وبذلك فقدت قيمتها من الناحية الفنية (٢) .

(٧) - أن لا يكون في القصة ما يخالف التجربة والمشاهدة ،فان ذلك يدل على ضيق أفق الشاعر وقلة معرفته بالكون والحياة .

(٨) - أن يفصل تلك الأمور التي بنيت عليها القصة ، ويلجأ الى الرمز والكناية فيما يفحش التصريح به . والأسف أن المثنويات الأردية ينقصها كِلَا الأمرين ،فهي قد تتجاوز عن بعض الأمور الأساسية التي يعتمد عليها بناء القصة ،وتُسهِب في بيان الفحش وما يتعلق به . وهذا خلاف ما يقتضيه فن المثنوى (٣) .

بعدما تحدث حالي عن هذه الشروط استعرض المثنويات الأردية ،وقال ان هناك ثلاثة شعراء فقط هم الذين لاحظوا هذه الشروط ،وهم : ميرتقى مير، ومير حسن الدهلوى ،وميرزا شوق اللكهنوى ثم انتقد مثنوياتهم وذكر خصائصها وموضوعاتها بالتفصيل (٤) . ومن الجدير بالذكر أنه أطرى على مثنويات مرزا شوق اللكهنوى من الناحية الفنية ،مع أنها تحتوى على الفحش والمجون ،حتى منعت الحكومة من نشرها وتوزيعها . إلا أنه ينعى عليه أخيرا في التحدث عن أمور الجنس ،ويتمنى أن يكون قد نظم مثنوياته في موضوعات أخرى ،واتخذ منهجا سليما في التعبير عن عواطف الحب والعشق .

---

(١) حالى : المقدمة ص ٢١٦-٢٢٢ .
(٢) المصدر السابق ص ٢٢٣-٢٢٤ .
(٣) المصدر السابق ص ٢٢٥-٢٢٦ .
(٤) المصدر السابق ص ٢٢٧-٢٣٣ .

الى هنا تنتهي موضوعات "المقدمة" التي أثارت جدلا طويلا في الأوساط الأدبية في الهند ، ولم تَخِفَّ حِدَّتُه الى الآن . ومما لا شك فيه أنه كان لآراء حالى تأثير كبير في اقتناع الناس بضرورة التجديد والاصلاح في الشعر الأردى ، وأن هذه المقدمة كانت أول محاولة لتأسيس قواعد النقد في الأدب الأردى .

آراؤه النقدية في الكتب الأخرى :

واذا انتقلنا من "المقدمة" الى كتبه ومقالاته الأخرى نجد فيها آراء مبعثرة هنا وهناك تتعلق بالنقد والأدب ،وسنحاول أن ندرس بعض هذه الآراء فيما يلي ، ونبين أهميتها في النقد الأردى الحديث .

ان أول ما يقع عليه بصرنا كتابه "يادگار غالب" (ذكرى غالب) وهو وان كان موضوعه حياة أستاذه غالب وأدبه وشعره ،إلا أنه خصص جزءا كبيرا منه في نقد شعره الأردى والفارسي ،وأبدى ملاحظات نقدية قيمة في هذا الصدد .وكانت أصوله في النقد هي التي ذكرها في كتابه "المقدمة" من قبل ،وكأن هذا الكتاب مثال للنقد التطبيقي بمقابل النقد النظرى الذى نجده في "المقدمة" . ويغلب عليه طابع التحليل والشرح للأبيات وإبراز المحاسن التي توجد فيها ، وقد أشار نفسه الى منهجه في ذلك فقال : "يحتوى القسم الثاني من الكتاب على أربعة أقسام : الشعر الأردى ،والنثر الأردى ،والشعر الفارسي ،والنثر الفارسي ، اخترت في كل قسم منها شيئا من كلامه ،وكتبتُ حوله بعض الملاحظات ،وشرحت بعض الأبيات والفقرات التي تَحْتاج الى الشرح ،وأشرتُ الى المحاسن التي توجد فيها . وفي القسم الأخير قارنت بين الشعر الفارسي للشاعر غالب وبين شعر كبار شعراء إيران ، حتى أبيّن بذلك مكانة غالب في الأدب الفارسي وتفوقه في هذا الميدان "(١) .

---

(١) حالى : يادگار غالب (القسم الأردى) ص ١٨ .

تحدث حالى في هذا الكتاب عن خصائص شعر غالب ،منها التجديد في الموضوعات والابتداع في الأفكار ،والاحتراز عن التشبيهات المعروفة والشائعة ، واستخدام الاستعارة والكناية والتمثيل بطريقة جديدة ، والميل الى المزاح والظرف مع الاجتناب عن الهزل والفحش ، واحتواء شعره على عدة معان . . . الى غير ذلك من الخصائص التي شرحها بتفصيل وذكر لها أمثلة من شعره (١) .

وفي موضع آخر منه يذكر أن الشاعر لا يُحكَم عليه بالجودة بالنظر الى قلة شعره أو كثرته ،بل يُنظَر فيما أجاد فيه من شعره ،ويُفضَّل على آخر بعد الموازنة بينهما في مختلف الموضوعات والأساليب . أما قلة الإنتاج الشعرى وكثرته فلا أثر لهما في التفضيل . ثم إنّ لكل فن شعرى مقاييس للجودة تختلف عن المقاييس التي تكون للفنون الأخرى ،والا لا يعتبر كل من الشاعرين الفردوسي والنظامي بارعا في فن " المثنوى " ،وكل من الأنورى والخاقاني عَلَمًا في فن " القصيدة " في الأدب الفارسي ،فنحن نرى أن قصائد الأنورى ومثنويات الفردوسي لا تساوى قصائد الخاقاني ومثنويات النظامي في الوضوح والبساطة والصفاء (٢) .

ويتحدث حالى عن حالة الأدب في العصر الحديث ،ويحس بأن مقاييس الجودة تغيرت الآن ، وأُهْمِلَتْ أساليب الشعر القديم ،وبدأ الاهتمام بتصوير الواقع والحقيقة بدلا من الصنائع اللفظية والاغراق في الخيال ،وصارت محاسن الشعر في السابق عيوبا له . ولكن مهما تغيرت الظروف وازدهر العالم فلا يمكن الآن الاستغناء عن النماذج القديمة وروائع التراث الشعرى السابق ،ولا يحتاج النهوض بالأدب الهندى الى الآداب الأوربية بقدر ما يحتاج الى الآداب الشرقية . ونحن نرى أن بعض كبار الشعراء الأوربيين يستفيدون من الآداب الشرقية ،ويستمدون منها كثيرا من الصور والأساليب ،فكيف يمكن أن نستغنى عنها ؟ ونحن نعترف بأن الأدب الانجليزى

---

(١) حالى : يادگار غالب (القسم الأردى) ص ١٣٤-١٥٤ .

(٢) المصدر السابق ص ١٣٢ .

ازدهر في العصر الحديث ،واعتمد عليه أدبنا في النهضة الأدبية الحديثة ،ولكن اذا لم نعرف ماذا نستفيد من الأدب الإنجليزى وفي أى شئ نرجع الى الآداب الشرقية ،لا يمكن النهوض بأدبنا ،ونُحْرَم من الوصول الى غايتنا المنشودة (١) .

هذه آراء تدل على أهمية العناية بالآداب الشرقية (وأهمها الأدبان العربي والفارسي بالنسبة للأدب الأردى) ،وعدم الاقتصار على الآداب الأوربية من أجل النهوض بآدابنا . وقد دعا حالى الى هذه الأفكار في كتاباته الأخرى ،فهو لا يطمئن الى الثقافة الانجليزية البحتة ولا ينتظر من أصحابها أنهم يخدمون أدبهم ولغتهم اذا لم يجمعوا بينهما و بين الثقافة الشرقية (٢) ،ويذكر أن اللغة الأردية تحتاج لوضع المصطلحات العلمية الى اللغة العربية بدلا من السنسكريتية واللغات الأوربية (٣) .

ويؤكد حالي أن ملكة الشعر لا تختص بزمن معين أو بلد خاص ،فلا يصح القول بأن القوة الشعرية التي كانت عند القدماء لا يمكن أن توجد عند المتأخرين ،أو التي توجد عند شعراء إيران لا يمكن أن توجد عند شعراء الهند . فمثل الشعر كمثل التصوير والموسيقى والغناء ، وكما أنها لا تقتصر على زمن دون زمن أو بلد دون بلد ، فكذلك ملكة الشعر القوية لا تكون كذلك . وانما الأمر الذى يتحكم في قوة الشعر وضعفه هو المجتمع والبيئة ،فالشاعر يتأثر بالمجتمع وينظم الشعر تحت تأثير الظروف السياسية والاجتماعية والدينية التي يعيش فيها (٤) . ويفترض حالى بناءً على ما يراه أن شاعر الرثاء الأردى "أنيس" لو كان ولد في ايران في القرن الرابع الهجرى ،وعاش في تلك البيئة التي عاش فيها الشاعر الفارسي "الفردوسي" ،لنال في الشعر الملحمي تلك المنزلة التي حظي بها الفردوسي . وعلى عكس ذلك لو عاش الفردوسي في الهند في تلك الفترة التي عاش فيها أنيس وعاشر ذلك المجتمع لاختار نفس الفن الشعرى (الرثاء) الذى اشتهر به "أنيس" .

---

(١) حالى : يادگار غالب (القسم الفارسي) ص ٤٥٣-٤٥٤ .
(٢) حالى : كليات نثر حالى ٢/١٧٨-١٧٩ ، ٢٢٥ ، ١/٢٠٦-٢٠٨ .
(٣) المصدر السابق ٢/١٩٨ .
(٤) حالى : يادگار غالب (القسم الفارسي) ص ٤٥٥-٤٥٦ .

و ربما يعترض على حالي في نظريته هذه ،فانه لا يلزم من وجود شاعر في عصر معين أن يبرع في أحد الفنون الشائعة في ذلك العصر ،وصحيح أن البيئة تؤثر في الشاعر ،ولكن ليس بمعنى أنها توجه جميع الشعراء الى اتجاه واحد ، والا لماذا برع الفردوسي في الملحمة الشعرية من بين الشعراء الذين كانوا يعيشون في نفس البيئة التي عاش فيها الفردوسي ومع ذلك لم يصلوا الى مكانته ؟ ولماذا لم يكن مثل الشاعر "أنيس" أحد في زمنه برع في فن الرثاء الأردى ،مع أن البيئة التي عاش فيها كانت تشمل شعراء كثيرين ينظمون في الرثاء وغيره . فليس الأمر كما تصور حالى أن البيئة هي التي تتحكم في اتجاه الشعراء الى فن من الفنون وبراعتهم في ميدان دون آخر ،فالشاعر الحقيقي قد لا يبالى بما يريده المجتمع وينظم في موضوعات لا تهمه ،ومع ذلك يكون مبرزا في فنه .

وأخيرا يطرح حالي سوء الين (١) :

(١) هل يمكن لأحد أن ينظم الشعر في غير لغته الأم ويساوى شعراء تلك اللغة ؟

(٢) هل يمكن أن يلحق المتأخرون بالقدماء في الشعر ؟

ويجيب على الثاني بنعم ،ويمثل لذلك بكثير من الشعراء المتأخرين فاقوا القدماء في كثير من الميادين . أما السؤال الأول فيجيب عنه ويقول : ان نظم الشعر يحتاج الى أمرين (٢) : استخدام الخيال ،والقدرة على اختيار الكلمات المناسبة للتعبير عن الشاعر. ومن المعروف أن الأمر الأول يشترك فيه كل الناس، سواء كانوا أهل اللغة أو تعلموها ،وسواء كانوا علماء أو جهلاء ،ومن المدن أم من القرى ؟ و ربما يَفضُلُ الجاهل والبدوى والمتعلم على غيرهم في هذا الميدان . أما الأمر الثاني فهو أيضا ممكن بالنسبة للغة الفارسية ،وخاصة في حدود تلك الكلمات التي تستخدم منها في شعرها عادة . ومن أجل ذلك نرى أن كثيرا

---

(١) حالى : يادگار غالب (القسم الفارسي) ص ٤٥ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٥٩ .

من الشعراء الهنود برعوا في الشعر الفارسي وربما فاقوا كثيرا من شعراء إيران أو بلغوا مرتبتهم على الاقل .

ويعقّب حالي على رأى "مكالي" (Macaulay) أنه لا يمكن لأحد أن يبرع في نظم الشعر في غير لغته الأم - بقوله : ربما يصح ذلك بالنظر الى الشعر الأوربي ، لأنه يعتمد على تصوير الطبيعة ، ولذا لا يمكن أن يعبر عنها أحد كما ينبغي في غير لغته الأم. أما الشعر في بلاد الشرق - وخاصة الشعر الفارسي عند المتأخرين - (الذى يكون فيه الاهتمام بالتفنن في الأساليب واستخدام الصنائع اللفظية في نظم الأفكار التي فرغ منها القدماء ، ويعتبر ذلك نوعا من الفضيلة والكمال) فأمره يختلف عن السابق . ولا يحتاج من يريد نظم الشعر بتلك اللغة الا الى معرفة تلك الكلمات التي تستخدم عادة في شعرها ، ويمكن أن يتعلمها أحد بسهولة و ينظم فيها بشرط أن تكون عنده القريحة الشعرية ، ومن الجائز جدا أن يفوق أحيانا شعراء تلك اللغة[١] .

أسس الشعر :

واذا انتقلنا إلى كتابه الآخر عن الشاعر الفارسي سعدى الشيرازى بعنوان "حيات سعدى" ، نجد فيه ملاحظات نقدية قيمة ، وبعض القضايا التي تتعلق بالنقد والأدب . فهو يتحدث عن الأمور الأساسية التي يقوم عليها الشعر في رأيه ، وهي أربعة[٢] :

١ - أن تكون أفكار الشاعر مبنية على الواقع والحقيقة ، لا أن تكون مجرد التخييل واختراع العقل ، والا يفقد الشعر أثره .

٢ - أن يكون في هذه الأفكار نوع من الطرافة والجدة والندرة ، ولا تكون أفكارا شائعة وصورا مألوفة ، والا لما كان هناك فرق بين الشعر والمحادثة .

---

(١) حالي : يادگار غالب (القسم الفارسي) ص ٤٦٠ .

(٢) حالي : حيات سعدى ص ٢٩٨ .

٣ - أن تبرز هذه الأفكار في صور جميلة ،فان الخيال مهما كان طريفا وجديدا ، اذا لم يعبر عنه بالكلمات المناسبة لا يُمدّ من الشعر .

٤ - أن تكون عند الشاعر العاطفة الصادقة والرغبة في الموضوع الذى يريد أن ينظم فيه الشعر ،والا كان الشعر ضعيفا .

هذه الأمور التي ذكرها حالى هنا مجتمعة باختصار تحدث عنها طويلا في "المقدمة "كما أشرنا اليها فيما سبق . وفي ضوء هذه الأسس نظر حالى في شعر الشاعر سعدى الشيرازى ،وفضله على سائر شعراء إيران .

وفي موضع آخر منه تحدث عن أسبقية الشعر على النثر في جميع الآداب (١)، ثم استعرض تاريخ النثر الفني في الأدب الفارسي منذ نشأته الى زمن "سعدى"، وانتقد بعض الكتب التي ألفت في النثر الفارسي ،فيعجبه "سفرنامه" (رحلة) لناصر خسرو لبساطة أسلوبه ،وكتاب "قابوس نامه" (لقابوس بن اسكندر الملقب بعنصر المعالي المتوفي سنة ٤٦٢هـ) لاحتوائه على بيان الأخلاق الفاضلة وآداب العشرة والصحبة . أما "مقامات حميدى" الذى قلد فيه المؤلف أسلوب "مقامات الحريرى" ويبدو فيه التكلف والتصنع ومراعاة الصنائع اللفظية والسجع ، فلا يعجبه ، وكذلك كتاب "تاريخ وصّاف" لفضل الله الشيرازى الذى كان همّه التعقيد والإغراب ، ويواجه القارئ صعوبة بالغة في فهمه . ويتوهم أن المؤلف عالم كبير وأديب بارع . أما كتاب "گلستان" لسعدى فهو على عكس ذلك مكتوب بأسلوب لطيف ،مع بساطة الأفكار التي يعرضها .

ويقوم حالي بالموازنة بين "گلستان" سعدى ،وبين ثلاثة كتب أخرى مماثلة له في الموضوع ،وهي : (١) "بهارستان" لعبد الرحمن جامى ، (٢) و "خارستان" لمجد الدين خوافى ، (٣) و "پريشان" لحبيب قاآنى شيرازى . وطريقته في الموازنة أن يقتبس من كل كتاب بعض القصص المتشابهة ،ثم يقارن بينها وبين

---

(١) حالى : حيات سعدى ص ١٠٣ .

ما ورد في "گلستان" في الأسلوب والمعنى ،وينتهي بذلك الى نتيجة ويدعمها بالدليل ، فلا يبقى كلامه مجرد الادعاء والحكم على النص بدون ذكر السبب (١) .

وهكذا طريقته في الموازنة بين "بوستان" و"سكندرنامه" (للنظامي) ،وبينه وبين "خرابات" (للشيخ على حزين) ،فكلها منظومات في فن المثنوى ،ويشبه بعضها ببعض في كثير من الموضوعات ، فكان ذلك مجال الموازنة بينها ،وابراز الخصائص التي يتميز بها كل من هذه المثنويات (٢) . و يفيض حالى في بيان بعض الخصائص لكتابيْ "گلستان" و"بوستان" وسبب ذيوعهما وانتشارهما في الأوساط العلمية والأدبية ، ولم تكن أهميتهما في نظره بسبب تلك الموضوعات الخلقية التي يحتوى عليها الكتابان ،فكثير من الكتب الفارسية تشاركهما في هذا الميدان ، وانما توجد فيهما خصائص فنية عديدة بعضها تتعلق بالشكل وأخرى بالمضمون ، وهي في رأيه (٣) :

١ - احترازهما عن الأمور التي تنافي الأخلاق والواقع ،واجتنابهما عن المبالغة والإغراق في الخيال ،اللهم إلا في بعض المواضع التي لا تخلو من مثلها الآداب الشرقية .

٢- أسلوبهما الفريد الذى لا يشاركهما في ذلك كتاب آخر ،والذى لا يمكن أن يأتي عن طريق دراسة البلاغة وحفظ قواعدها واتباعها في الكتابة ،وانما يكون ذلك موهبة ويدل على سبق الاستعداد .

٣ - بساطتهما وسهولتهما على الرغم من استخدام كثير من الصنائع اللفظية حتى أن حوالي النصف من فقرات "گلستان" مسجوعة ،ومع ذلك فالكتاب يعد من النثر السهل ، وذلك لأن سعدى استخدم هذه الصنائع بحيث لا يشعر القارئ بالتكلف في أى مكان ،وهذه ميزة قلما تتوافر عند الآخرين .

---

(١) حالى : حيات سعدى ص ١٠٧-١٢٨ .

(٢) انظر المصدر السابق ١٤٠-١٥٥ .

(٣) انظر المصدر السابق ص ١٥٦-٢٠٢ .

٤ - استخدم سعدى أسلوب الفكاهة والمزاح أيضا ،وحكى بعض النوادر والملح والنكت والطرائف مما يزيد في التشويق والتأثير .

٥ - يستنبط من الأشياء العادية بعض النتائج ذات الأهمية البالغة .

٦ - حسن التعليل والبراعة في الاحتجاج والاستدلال .

٧ - تصوير مناظر الطبيعة تصويرا حقيقيا .

٨ - الاستدلال على حسن الأشياء وقبحها وكثير من أمور الأخلاق بقوانين الفطرة والطبيعة .

٩ - الاحتراز عن أسلوب الوعاظ والفقهاء في النصح والإرشاد .

١٠- اذا انتقد أى طائفة ينتقدها بأسلوب لطيف لا يثير الغضب.

هذه الخصائص وغيرها هي التي جعلت الكتابين في نظره من أشهر الكتب الفارسية في الشعروالنثر ،ونالا من أجلها رواجا وقبولا منقطع النظير . ومن هنا نستطيع أن نعرف أن حالى كان من المعجبين بأسلوب "سعدى" في الشعر والنثر، واستطاع أن ينهج نفس المنهج في كتاباته ومنظوماته ، ودعا إليه في "المقدمة" وغيرها من مؤلفاته .

و في موضع آخر من هذا الكتاب (١) يقارن حالى بين الآداب الفارسية والهندية والعربية في موضوعات الغزل ووصف المحبوب ،فيقول : إن الشاعر الفارسي يفترض حبيبته مُذكَّرا ، فيخاطبه ويتحدث اليه ولو لم يكن له وجود إلا في عالم الخيال . والشاعر الهندى يُجرِى كلامَه على لسان امرأة تُخاطِب عاشقَها ،فالخطاب يكون من المرأة الى الرجل ولو كان الشاعر رجلا . أما الشاعر العربي فيكون الحبيب عنده المرأة ، يخاطبها ويوجه كلامه إليها . وهذا فرق غفل عنه كثير من النقاد ،فحطوا الكلام على الحقيقة ،ولم ينتبهوا إلى أن هذا تقليد شعرى يلجأ إليه الشعراء للتعبير عن عواطفهم ومشاعرهم الداخلية ،فيفترضون الحبيب من الذكور أو الاناث ،ويوجهون اليه الكلام

---

(١) حالى : حيات سعدى ص ٢٠١-٢٠٢ .

جريا على عادة الشعراء ، بغض النظر عن الواقع . والدليل على ذلك أن بعض الشعراء الذين نظموا الشعر بعدة لغات اتبعوا هذا التقليد الشعرى في كل لغة نظموا فيها . فمثلا الأمير خسرو الدهلوى الذى كان ينظم الشعر بالفارسية والعربية والهندية ، تختلف أساليبه في غزلياته بهذه اللغات ،فهو يتبع في كل لغة تقاليدها الشعرية ،وهذا إنْ دلّ على شيء فانما يدل على أن هذا الاختلاف أمر تقتضيه طبيعة كل لغة ،ولا تشير أبدا إلى الواقع والحقيقة ، فكم من الشعراء كانوا من الزهاد والعباد ونظموا الشعر في اللهو والمجون ،ووصفوا الخمر ولم يذوقوها في حياتهم . وكان من بينهم سعدى الشيرازى الذى لجأ الى بعض اللهو والمجون والغزل بالمذكر ، ولكنه لم يقصد الحقيقة أبدا ، بل إن كلامه يوحى بأنه يستخدم هذا الأسلوب للتعبير عن العشق الحقيقي ،وحياته تدل على أنها كانت عفيفة .

وهنا ينشأ سؤال ،وهو أنه لماذا شاع الغزل بالمذكر في الأدب الفارسي مع أن ذلك تأباه الفطرة ؟ والإجابة على ذلك من وجهين :

الأول : أنه لا فرق في الفارسية بين التذكير والتأنيث في الضمائر والأفعال والصفات والصيغ المختلفة ،فتستعمل كلها للمذكر والمؤنث على حد سواء . ولذا يمكن أن الشعراء الفرس كانوا ينظمون الشعر أولا على الطريقة الهندية بحيث تخاطب المرأة عاشقها ،وهذا ما لا يتنافى مع الفطرة. ثم أصبح هذا الشعر بمرور الزمن يوهم أنه على لسان رجل يخاطب رجلا آخر ،واتجه الشعراء بعد ذلك الى الغزل بالمذكر.

الثاني : أن المسلمين كانوا يحترمون النساء ،ويَغَارُون عليهن ،ولا يرضون بأن يصف أزواجَهم أحد ،وربما يعاقبون من يعمد الى ذلك ، فلجأ الشعراء الى الغزل بالمذكر والتغنى بجماله ،وتركوا وصف النساء خوفا على أنفسهم من الملوك والخلفاء . وهناك بعض الوقائع التي تؤيد هذا الرأى (١) .

---

(١) حالى : حيات سعدى ص ٣٠٤-٣٠٦ .

وسواء اتفقنا مع حالى في توجيهه لنشأة الغزل بالمذكر أو اختلفنا معه ، إلا أن ذلك لا يمنعنا من الاعتراف بدقة نظره وسعة اطلاعه ، وخاصة اذا عرفنا أن الأدبين الفارسي والسنسكريتي يرجعان إلى أسرة لغوية واحدة ،وهي مجموعة اللغات الآرية ،وكأن حالى يشير إلى العلاقة بين الأدبين الفارسي والسنسكريتي ، وتأثير الثاني في الأول حتى في طريقة الغزل والخطاب للحبيب .

نقد الكتب :

أما نقده للكتب والمطبوعات فهوأشبه بالنقد الصحفي منه بالنقد الأدبي ،وذلك أنه كان يقرأ الكتاب ،ويكتب عنه في حينه ،وكثيرا ما يُطرِى على المؤلف ويتجاوز عن عيوب الكتاب . واذا انتقد أى مجموعة شعرية أوكتابا في الأدب أو التاريخ أو الموضوعات الأخرى فلا يهمه إلا أن يشجّع المؤلف على تأليفه ،ويرغّب القراء في قراءته والاستفادة منه ،ويتحدث عن بعض الموضوعات التي تعجبه . يقول حالى عن منهجه في نقد الكتب : " أرى أن منصب ناقد الكتب أن ينظر الى أى حد نجح المؤلف في أداء مهمته ،وليس على الناقد أن يبحث عن جزئيات المسائل التي تعرَّض لها المؤلف ويبين صوابها وخطأها ،فان هذا الأمر موكول الى عامة القراء . وعليه أن يركز فقط على أسلوب الكتاب ومنهجه وترتيبه ،وطريقته في الاستدلال والإقناع ، والأهداف التي يرمى إليها،وهل تتحقق في العصر الذى أُلّف فيه ؟ "(١) .

هذا هو المنهج الذى سار عليه حالي في نقد الكتب ،وليس معنى ذلك أنه يُغفِل تماما ذكرَ الأخطاء التي وقع فيها المؤلف ،لكثيرا ما يكشف عنها ولكن بأسلوب هادىء لا يجرح المؤلف . ومن أمثلة ذلك نقده لكتاب " خمخانهُ جاويد " (للالة سرى رام)(٢) ،و " حياة النذير " (لافتخار عالم مارهروى)(٣) ، و "آب حيات " (لمحمد حسين آزاد)(٤) . وقد يلجأ الى الرد على المؤلف اذا وجده يتعصب

---

(١) حالى : كليات نثر حالي ٢/ ٢١١-٢١٢ . (٢) المصدر السابق ٢/ ٢١٨

(٣) المصدر السابق ٢/ ٢٢٣ . (٤) المصدر السابق ٢/ ٢٨٧ فما بعد .

لدينه ويتعمد الكذب والافتراء ،ومن أمثلة ذلك نقده لكتاب "خاتون هند"(١) . ويعترف حالى بجهود المشاهير من زملائه وأصحابه ،وينوّه بها في العديد من المواضع ،ولم يمنعه من ذلك كِبَرُ سنّه وسوء معاملة الآخرين معه . ولو قرأنا ما كتبه عن محمد حسين آزاد (٢) ، وشبلى النعمانى (٣) ،ونذير احمد (٤) وغيرهم ربما لا نصدّق بأن بعضهم أساءوا اليه وحسدوه على مكانته المرموقة في الأدب الأردى الحديث : شعره ونثره ،ولكن حالى كان رجلا هادئا لم يعرف الإساءة إلى أحد ،فلم يتعرض لهم بكلمة واحدة .

فنون الأدب :

ونجد في "كليات نثر حالي" آراءه في بعض الفنون الأدبية ، فهو يعترف بأهمية "الرواية" وتأثيرها في النفوس وقيمتها في إصلاح الحياة الاجتماعية(٥) ، وان كان لا يرغب شخصيا في قراءتها ،ولكنه مع ذلك إذا وصلته أى "رواية" لتقييمها يقرؤها كاملة ويبدى رأيه فيها(٦) .

ويقول عن "الرسائل" :إنها تكشف عن أخلاق الإنسان وعواطفه بأساليبها السهلة المبسطة ، وهذا ما لا يمكن بأى وسيلة أخرى . ولذاقيل إن الرسالة نصف المقابلة . ولا تقل أهمية الرسائل حتى بعد وفاة الشخص ،وربما تكون لها أهمية أكثر لكونها المصدر الموثوق عن حياته وشخصيته(٧) .

أما الصحافة والتزام الصحفي بمهنته فقد خصّص للحديث عنها مقالا طويلا أحاط فيه بكثير من الجوانب(٨) .

---

(١) حالى : كليات نثر حالى ٢/٢٨٧-٢٨٩ .
(٢) المصدر السابق ٢/١٧٦-١٨٣ ، ١٨٦-١٩٤ .
(٣) المصدر السابق ٢/٢١٠-٢١٦ ، ٢٧٥ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ .
(٤) المصدر السابق ٢/٣١٩-٣٢٠ .
(٥) المصدر السابق ٢/٢٧٢ .
(٦) المصدر السابق ٢/٢٢١ .
(٧) المصدر السابق ٢/٣١٠ .
(٨) المصدر السابق ١/١٨٣-١٩٠ .

ومما يلفت الانتباه عنايته بالشعر الشعبي (أو الشعر الذى نُظِم في إحدى اللهجات العامية للغة الأردية) ونَقْده لمجموعة منه بعنوان "كليات دلمير" (للشاعر منور خان دلمير) ، فقد أطال في نقدها ،وبيان محاسنها وما تتميز به هذه المجموعة من الخصائص (١) ،وعرض نماذج منها ،واستدل بها على براعة الشاعر في هذا الميدان ، حيث نزل في موضوعاته وأساليبه الى مستوى الجهال ، ونجح في تقليد لهجتهم تماما ، وهذا في نظره مقتضى الفصاحة والبلاغة . ومن أجل ذلك يُفضِّل حالي هذا الشاعرَ الذى ينظم على ألسنة الجهال على أولئك الشعراء الذين ينظمون في موضوعات تقليدية بدون الابتكار والتجديد .

الصراع بين القديم والحديث :

أما قضية الصراع بين القديم والحديث فقد تعرض لها في بعض كتاباته . يقول في إحدى مقالاته (٢) : لسنا ضد الشعر القديم أو الشعر الحديث ، ولو أننا نعتبر من أنصار الشعر الحديث (الذى ظهرت نماذجه في الأمسيات الشعرية بلاهور حيث ينظم كل شاعر في موضوع معين بدلا من التقيد بقافية واحدة)، ولكنا لا نطمئن الى هذا الشعر ، فان الذين نظموا فيه اقتصروا دائما على بيان انحطاط المسلمين ، ولم يتناولوا الموضوعات الأخرى ، مع أن هناك ميدانا فسيحا من موضوعات الطبيعة يمكن للشعراء أن يغوصوا فيها ويُحلِّقوا في سمائها .

و في موضع آخر يقول (٣) : " من الممكن أن يترك المتأخرون تقليد القدماء في كثير من أفكارهم ،ولكن لا يمكن أن يتخلوا عن طريقتهم في التعبير عن المعاني وأسلوبهم في البيان ..... ولذا يلزم عليهم أن لا يبتعدوا عن أسلوب

---

(١) حالي : كليات نثر حالي ٢/٢٤٢-٢٥٤ .

(٢) المصدر السابق ١/٢٤٤، ٢٤٥ .

(٣) حالي : كليات نظم حالي ١/٣٨-٣٩ (ديباجة ديوان حالي) .

القدماء ،ويختاروابقدر الامكان تلك الأساليب التي ألفها الناس ،ويشكروا القدماء على أنهم تركوا لنا مجموعة قيمة من الكلمات والتعابير والأمثال والتشبيهات والاستعارات وغيرها".

يبدو مما ذكرنا أن حالي كان من أنصار الشعر الحديث ، ولكنه ليس ضد الشعر القديم ،بل إنه يشير على الشاعر الحديث أن ينهج في التعبير منهج القدماء .

تحدثنا فيما سبق عن آرائه النقدية المبعثرة في عدد من مؤلفاته ومقالاته ، ونحن نرى أنها ذات أهمية بالغة في تاريخ النقد الأردى ،وخاصة اذا اعتبرنا أن معظمها لم يُسْبَق اليها أحد من النقاد والمؤلفين في البلاغة الأردية . ولهذا عُدَّ حالي من مؤسسي النقد الأردى الحديث ، ونالت "مقدمته" شهرة واسعة ، وكان لها تأثير عميق فيما بعده وقد استطاع حالي بسعة اطلاعه على الآداب الشرقية (العربي والفارسي والأردى) وإلمامه بالأدب الإنجليزى عن طريق الترجمة أن يجمع بين القديم والجديد ،ويستفيد منهما ،ويعتمد عليهما في الكلام على عدد من القضايا النقدية . وهو من أوائل الذين دعوا إلى إصلاح الفنون الشعرية ، وقدم لذلك مقترحات كان لها أثرها في تطور هذه الفنون في العصر الحديث ،كما يرجع إليه الفضل في تعريف الناس بأصول النقد العربي ومصادره والاستفادة منها في مجال الدراسات النقدية .

الفصل الثاني

تأثره بالنقد العربي القديم

قبل أن نتناول التأثير العربي بالدراسة والبحث يجدر بنا أن نبين الخلفية الثقافية والحالة النفسية لحالي ،والتي كانت وراء تكوين شخصيته كناقد أدبي .

لقد تضافرت جملة من العوامل جعلت من حالي هذا الناقد الذي استطاع أن يعرض عددا من قضايا النقد والأدب في اللغة الأردية لأول مرة ،ويخرج في دراسته لها عن المنهج التقليدي الذي كان يقتصر في نقد الشعر والنثر على النظر في أمور اللغة وفنون البلاغة ،من ناحية خلوه من الأخطاء اللغوية ،وبنائه على فصاحة الكلمة وسلامة الوزن والقافية . وأول هذه العوامل دراسته الطويلة للآداب الشرقية (العربية والفارسية والأردية)،وتأمله في روائع الشعر والنثر،وقراءته لأمهات الكتب والمصادر في الأدب والنقد . وتبدو ثقافته الواسعة جلية في جميع مؤلفاته وكتاباته فهو عند ما يتحدث عن أي قضية لا يقتصر في البحث عنها في دائرة أدب واحد أو لغة من اللغات ،بل يرجع الى مصادر متنوعة في مختلف الآداب ،ويستشهد بآراء العلماء والمؤلفين القدامى ،وربما يجد عند بعض الأوربيين أيضا كلاما يفيده في الموضوع فيستفيد منه وينقله ،وان كان اطلاعه عليه لا يكون مباشرا ، بل بواسطة بعض زملائه الذين يترجمون له النص المطلوب بالأردية ،كما سنتحدث عن ذلك في الفصل الثالث بإذن الله .

وثاني هذه العوامل تلك الظروف السياسية والاجتماعية التي تحدثنا عنها فيما مضى ،واتصاله ببعض الشخصيات الكبار من الشعراء والأدباء والمصلحين . وكان للبيئة التي نشأ فيها أثر كبير في تكوين آرائه النقدية . ومن الشخصيات التي تأثر بها أبلغ تأثر : السيد أحمد خان مؤسس الجامعة الاسلامية بعلي كره ، فهو الذي دفعه لأول مرة الى النظر في الشعر والأدب من جديد ،والبحث عن العلاقة القوية بين الأدب والحياة ، وأن الشعر ينبغي أن يستخدم للنهوض بالشعب الهندي الى حياة أفضل . وقد اعترف حالي في مقدمة " مسدسه " المعروف بأن الذي

دفعه الى هذا النظم هو السيد أحمد خان [١] ،وهو الذى مهّد له السبيل الى التحرر من الصنعة اللفظية والطريق التقليدى للغزل ،ولولاه لبقى حالى على ماكان عليه في شبابه ،ولم يتحول الى ما صار اليه في مستقبل حياته . و نجد تأثير السيد أحمد خان واضحا جدا في كتاب "مقدمةُ شعر وشاعرى" حيث إنه يدعو الأُدباء والشعراء الى الشعر الهادف الذى يفيد الأُمة ،وينكر الشعر الذى يدعو الى الإباحية والمجون والانحلال الخلقي .

والشخصية الثانية التي تأثر بها حالي : أستاذه الشاعر الأُردى الكبير "غالب" . وقد استفاد منه حالي وأخذ عنه كثيرا من الدقائق والأسرار التي قلما توجد في الكتب . يقول حالي : " عندما ذهبتُ الى دلهي كنتُ أتردد كثيرا الى الميرزا أسد الله غالب ،وأسأله عن بعض المشكلات في ديوانيه الفارسي والأُردى ، وقد درستُ عليه بعضَ القصائد الفارسية من ديوانه "[٢] . هذا إلى جانب المكاتبات والرسائل المتبادلة بينهما والتي انتهت بوفاة غالب عام ١٨٦٩م ،كل ذلك قد أثّر في تكوين الآراء النقدية عند حالي .

والشخصية الثالثة التي يعترف حالي بفضلها عليه : "النواب مصطفى خان شيفته" ،أحد كبار العلماء والأُدباء في عصره ،وقد كان عنده ذوق أدبي رفيع يقول حالي : " وعندما وصلت إلى دلهي واجتمعتُ به نشأتْ عنده الرغبة في نظم الشعر على الطراز القديم . وقد استفدتُ أنا أيضا بهذا الاجتماع ،وصقل طبعي بمصاحبته ،ونظمتُ عدة غزليات فارسية وأُردية هناك ،وأرسلتُها إلى الأُستاذ غالب لغرض الإصلاح والنظر فيها،كما كان شيفته يرسل شعره اليه . والواقع أني استفدت من شيفته أكثر مما استفدته من غالب ، كان شيفته يكره المبالغة في الشعر ،ويعتبر خلق الجمال الفني في تصوير الحقائق منتهى ما يصل إليه الشعر ،وغالب وشيفته كلاهما كانا يتجنبان الكلمات السوقية والتعابير المبتذلة في الشعر"[٣] .

---

(١) حالى : "مسدس حالي" (ط. كانفور ١٩٠٩م) ص ٦ - ٩ .

(٢) حالى : كليات نثر حالي ١/٣٣٧ . (٣) المصدر السابق ١/٣٣٨ .

بقي حالي عند شيفته حوالي ثماني سنوات ،واستفاد من المناقشات والمحاورات الأدبية التي كانت تجري عنده . وقد أوضح حالي في "المقدمة" تلك الأمور التي أشار اليها في النص السابق ،مثل : النفور من المبالغة ،وتصوير الواقع ببراعة ،والابتعاد عن الكلمات الركيكة والأساليب الضعيفة والتعابير المبتذلة والأفكار السخيفة . وهذا يدل على مبلغ تأثير شيفته في ثقافة حالي .

الى جانب هذه الشخصيات التي أثرت في حالي ،كان هو نفسه يتمتع بصفات فردية ومواهب ذاتية هيأته لأن يكون قادرا على الكلام في عدد من القضايا الأدبية والنقدية ،وقد نَضِجتْ ملكة النقد عنده بالقراءة المتواصلة في الأدب العربي ، واطلاعه على مؤلفات كبار الأدباء والمؤلفين العرب ،مثل : أبي تمام ،والجاحظ ، وابن قتيبة ،وابن عبد ربه ،وقدامة بن جعفر ،وأبي الفرج الأصبهاني ،وابن رشيق ، وعبد القاهر الجرجاني ،وابن خلدون ،والسيوطي وغيرهم ،وكان حالي أول من عنى بدراسة المصادر العربية من بين الأدباء والنقاد الأردبين ، فلا نجد أحدا منهم قبله اتجه هذا الاتجاه ،وبذلك يكون له فضل السبق في هذا المجال .

والكلام حول تأثر حالي بالأدب العربي ونقده يحتاج الى أن نقسم ذلك الى ثلاث نقاط :

١ - المصادر التي رجع اليها حالي في كتابه (المقدمة) .

٢ - النصوص العربية التي اقتبسها أو ترجمها في الكتاب .

٣ - الموضوعات التي تأثر فيها بالنقد العربي .

وسنتحدث عن كل نقطة منها ليتضح لنا مدى استفادته من الأدب العربي ونقده ،والى أي حد كان مقاربا للصواب أو مجانبا له في تصوره .

(١)- المصادر التي رجع اليها حالي في كتابه "المقدمة":

رجع حالي الى عدد من المصادر في "المقدمة" ،ولكنه لم يذكر الا بعضها ، ومن بينها ثلاثة كتب بالأردية ،وهي : "آب حيات"[1] لمحمد حسين آزاد

---

(١) حالي : المقدمة ص ١٢٥ .

(ت ١٩١٢م) ،و "تذكره "[١] لصدر الدين آزرده (ت ١٢٨٥هـ) وكلاهما في تراجم شعراء الأردية . والثالث كتاب حالي نفسه "حيات سعدي "[٢] عن الشاعر الفارسي سعدي الشيرازي . كما اقتبس من كتابين بالفارسية ،أحدهما : "أساس الاقتباس "[٣] لنصير الدين الطوسي (ت ٦٧٢هـ) وهو كتاب في المنطق يحتوي على تسعة أبواب آخرها عن الشعر . والثاني : " تذكره "[٤] لميرزا محمد طاهر نصرآبادي (المتوفى في أوائل القرن الثاني عشر) وهو كتاب في تراجم شعراء الفارسية من العصر الصفوي . ويبدو أنه لم يستفد من هذه المصادر كثيرا ،فلم يرجع اليها الا قليلا ،ولم يأخذ عنها الأصول النقدية التي بنى عليها كتابه ،وجل ما في الأمر أنه استعان بها لإيراد بعض الأبيات الشعرية ومناسباتها . ولذلك لا نقف عندها طويلا .

أما المصادر التي استفاد منها كثيرا واعتمد عليها في كتابه فهي إما عربية أو انجليزية ،وسنتحدث عن تأثره بالمصادر الانجليزية في الفصل الثالث ،أما هنا فأقتصر على الحديث عن تأثره بالمصادر العربية .

يبدو من دراسة الكتاب أن حالي قرأ عند تأليفه عددا من المصادر العربية في اللغة والأدب والتراجم ،فهو يقتبس عشرات من النصوص ويذكر أبياتا لكثير من الشعراء العرب ،ويتحدث عن الأدب العربي وتطوره ،وما كان يجرى في المجالس الأدبية من المناقشات والمحاورات النقدية . ولكنه لم يذكر المصادر في كثير من الأحيان ،وانما صرح بأسماء أربعة كتب فقط ،وهي : " العمدة "[٥] لابن رشيق (ت ٤٥٨هـ أو ٤٦٣هـ) ،و "العقد الفريد "[٦] " لابن عبد ربه (ت٣٢٨هـ) ،

---

(١) حالي : المقدمة ص ٩٢ .
(٢) المصدر نفسه ص ١٢٨ .
(٣) المصدر نفسه ص ٤٤ .
(٤) المصدر نفسه ص ٣١ .
(٥) المصدر نفسه ص ٦١ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٩٥ . وسيأتي الكلام حول المصدر الحقيقي لهذه النصوص فيما بعد .
(٦) المصدر نفسه ص ٩٤ ، ١٠١ .

و "مقدمة" (١) ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) ،و "الديوان النفيس بأيوان باريس" (٢) لرفاعة الطهطاوى (ت ١٨٧٣م) . وقد ورد ذكر "ألف ليلة وليلة" عرضا (٣) أشار فيه الى قصة على بابا وأربعين لصا ،ولكنه لم يستفد منه مباشرة . وفي أثناء تأليفه للكتاب عام ١٨٨٢م كتب إلى بعض أصحابه أن يرسل إليه "المزهر" للسيوطي (٤) (ت ٩١١هـ) . وقد رجع اليه حالى في بعض المواضع . وهناك مؤلفات أخرى رجع اليها ،مثل : "ديوان الحماسة" لأبي تمام (ت٢٣١هـ) ،و "البيان والتبيين" للجاحظ (ت ٢٥٥هـ) ،و "الشعر والشعراء" لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) و "الكامل" للمبرد (ت ٢٨٥هـ) ،و "نقد الشعر" لقدامة بن جعفر (ت٣٣٧هـ) و "الأغاني" لأبي الفرج الأصبهاني (ت ٣٥٦هـ) ،و "دلائل الإعجاز" و "أسرار البلاغة" لعبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) . وسنبين فيما بعد الى أى حد تأثر بها عندما ندرس النصوص المقتبسة منها والموضوعات التي تناولها بالبحث والتحليل .

وهنا أمر يجب أن نشير اليه ،وهو أن حالي لم يكن أمامه جميع هذه المؤلفات وقت التأليف ،ولعله قرأها وحفظ منها بعض النصوص وعَلِقَ بذهنه بعضُ الأفكار وعند الإحالة اليها اعتمد على الذاكرة ،فكثيرا ما أخطأ في عزو القول الى قائله . ومن أمثلة ذلك أنه عزا إلى ابن رشيق هذا البيت:

فإذا قِيْلَ أَطْمَعَ الناسَ طُـرًّا واذا رِيْمَ أَعْجَـزَ المُعْجِزينـا

وقال : "انه أجمل وصف للشعر عندى ،ولم أجد أحدا وصفَ الشعر بأحسن من هذا الكلام" . ثم قارن بينه وبين تعريف ملتون (Milton) للشعر (٥) .

وعندما نرجع الى "العمدة" نجد أن البيت ليس لابن رشيق ،وانما هو من قصيدة لأبي العباس الناشئ الأكبر (ت ٢٩٣هـ) في صناعة الشعر (٦) ،

---

(١) حالى : المقدمة ص ٦١-٦٢ ، ١١٥-١١٦ . (٢) المصدر نفسه ص ٢٠
(٣) المصدر نفسه ص ٧١ . (٤) وحيد قريشى : مقدمته على "مقدمة شعر وشاعرى" ص١١.
(٥) حالى : المقدمة ص٩٥ . (٦) ابن رشيق : العمدة ٢/١١٣-١١٤ .

يذم فيها بعضَ من لا يعرف جيد الشعر من رديئه ،فيقول :

لَعَنَ اللهُ صَنْعةَ الشِّعـــرِ ،ماذا ... من صُنوفِ الجهَّال فيها لَقِينَا

يُؤْثِرون الغريبَ منه على مـا ... كان سهلاً للسامعين مُبِيْنَـا

وبعد أبيات يذكر صفات الشعر الجيد بقوله :

إنّما الشعرُ ما تناسبَ في النَّظْـ ... ـمِ ،وان كان في الصفاتِ فنونا

فأتى بعضُه يُشاكِل بعضًـــا ... قد أقامتْ له الصُّدور المتونـا

إلى آخر القصيدة في ١٧ بيتا ،آخرها البيت الذى ذكرها حالى . فنحن نرى أنه أخطأ في العزو ، وبنى كلامه على هذا الخطأ حيث قارن بين ابن رشيق وملتون تحت عنوان مستقل . ولو أن الكتاب كان عنده وقت التأليف لم يحدث مثل هذا الخطأ ، بل لعله نقل أبيات القصيدة بكاملها فانها تخدم الغرض الذى ألّف من أجله "المقدمة" ،وتوافق نظرته الإصلاحية في فنون الشعر المختلفة ، والتي خصص لها القسم الثاني من الكتاب . و مهما يكن من أمر فلا شك أنه أورد البيت المذكور اعتمادا على الذاكرة دون أن ينقل عن الكتاب مباشرة.

ومما يؤكد ذلك أن النصوص الثلاثة الأخرى التي نقلها عن "العمدة" لم أجدها بنصها فيه بعد قراءة الكتاب من أوله إلى آخره. ولما رجعتُ الى المصادر الأخرى اتضح لي أنه أخذها عن "مقدمة "ابن خلدون ،ونسبها الى ابن رشيق مع أنها من كلام ابن خلدون ،وانما توهم حالى أنها لابن رشيق لأن ابن خلدون ذكر في أثناء كلامه كتابَ " العمدة " ،وأحال إليه في بعض الموضوعات التي تحدث عنها وقال : " هو الكتاب الذى انفرد بهذه الصناعة (أى صناعة الشعر) وإعطاء حقها ،ولم يكتب فيها أحد قبله ولا بعده مثله "[1] . فظن حالى أن كل ما تحدث عنه ابن خلدون موجود عند ابن رشيق ،والواقع أنه كلام ابن خلدون

---

(١) ابن خلدون : المقدمة ص ٥٧٤ (ط. بيروت ١٩٨٢م) .

من عنده . لننظر مثلا النص الذى ترجمه حالى الى الاُردية ونسبه الى "العمدة" لابن رشيق ، وهو في موضوع تنقيح الشعر ومراجعته بعد نظمه ،يقول فيه ما نَصُّه بالاُردية :

"جب شعر سرانجام هو جائے تواس پر بار بار نظر ڈالنی چاهیے ،اورجهان تک هو سکے اس میں خوب تنقیح و تهذیب کرنی چاهیے ، پهر بهی اگر شعرمیں جودت اورخوبی پیدانه هو تواس کے دور کرنے میں پس و پیش نهکرنا چاهیے جیسا که اکثر شعرا کیاکرتے هیں - انسان اپنے کلام پراس لیے که وه اس کی مجازی اولاد هوتی هے مفتون اورفریفته هوتا هے ، پس اگراس کے دور کرنے میں مضائقه کیاجائے گاتوایک برے شعر کے سبب سارا کلام درجهٔ بلاغت سے گر جائے گا "(١) .

وهي ترجمة أردية لكلام ابن خلدون حيث يقول :

" وليُراجعْ شِعرَه بعد الخلاص منه بالتنقيح والنقد ،ولا يَضنّ به على الترك اذا لم يبلغ الإجادة ،فانّ الانسان مفتون بشعره ،إذ هو نبات فكره واختراع قريحته . ولا يستعمل فيه من الكلام إلا الاُفصح من التراكيب والخالص من الضرورات اللسانية ،فليهجرها ،فانها تنزل بالكلام عن طبقة البلاغة "(٢) .

وكذلك النص الآخر في موضوع حفظ الشعر الجيد وأثره في تكوين الملكة الشعرية(٣) ،ترجم فيه كلامَ ابن خلدون ونسبه الى ابن رشيق . يقول ابن خلدون :

" اعلم أن لعمل الشعر وإحكام صناعته شروطًا أولها الحفظ من جنسه . . . حتى تنشأ في النفس ملكة ينسج على منوالها ،ويتخير المحفوظ من الحر النقي الكثير الاُساليب . وهذا المحفوظ المختار أقل ما يكفى فيه شعر شاعر من الفحول . . . . . ومن كان خاليا من المحفوظ فنظمه ردىء ،ولا يعطيه الرونق والحلاوة الا كثرة

---

(١) حالى : المقدمة ص ٦١ .

(٢) ابن خلدون : المقدمة ص ٥٧٤- ٥٧٥ .

(٣) حالى : المقدمة ص ٦٤ .

المحفوظ . فمن قل حفظه أوعدم لم يكن له شعر ،وانما هو نظم ساقط ،واجتناب الشعر أولى بمن لم يكن له محفوظ . ثم بعد الامتلاء من الحفظ وشحذ القريحة للنسج على المنوال يُقبِل على النظم ،وبالإكثار منه تستحكم ملكته وترسخ "(١) .

ويرى حالى أن هذه التوجيهات ربما تكون مفيدة بالنسبة للغة العربية ، فان عمر الشعر فيها يزيد عن ألف وخمسمائة عام ،ثم إنها تمتاز بكثرة المفردات والتعبير عن معنى واحد بأساليب متنوعة . ولكنها بالنسبة للغة الأردية لا تناسب، فلو اقتصر الشاعر على حفظ شعر فحول الشعراء وتقليدهم في الموضوعات والأساليب لبقى الشعر الأردى دائما في حالة الطفولة . ولذلك فهو يذكر رأيا آخر في هذا الموضوع (وينسبه أيضا إلى ابن رشيق خطأ ،وهو من كلام ابن خلدون) ويوافقه(٢) . والنص الذى ترجمه حالى كمايلي :

" وربما يقال : إن من شرطه نسيان ذلك المحفوظ لتمحى رسومه الحرفية الظاهرة ،إذ هي صادرة عن استعمالها بعينها ،فاذا نسيها وقد تكيفت النفس بها انتقش الأسلوب فيها كأنه منوال يؤخذ بالنسج عليه بأمثالها من كلمات أخرى ضرورةً "(٣) .

وهكذا رأينا أن النصوص الثلاثة التي نسبها حالى الى ابن رشيق هي من "مقدمة" ابن خلدون ،وليس من "العمدة" (وان كان فيه أيضا بعض الإشارة إلى أهمية الحفظ(٤) وتنقيح الشعر وتهذيبه(٥) ،ولكنه بأسلوب آخر يختلف عما عند حالى) . وقد ذكرنا فيما مضى أن الشعر الذى عزاه إلى ابن رشيق ليس له وانما هو لأبي العباس الناشئ . ومعنى ذلك أن كل الأقوال التي نسبها حالى الى ابن رشيق لم يأخذ شيئا منها عن "العمدة" ،ولم يكن أمامه هذا المصدر عند تأليفه للكتاب.

---

(١) ابن خلدون : المقدمة ص ٥٧٤ . (٢) حالى : المقدمة ص ٦٥-٦٦ .
(٣) ابن خلدون : المقدمة ص ٥٧٤ . وانظر في هذا الموضوع : ابن طباطبا : عيار الشعر ص ٢٢-٢٤ (ط. الاسكندرية ١٩٨٠م) .
(٤) ابن رشيق : العمدة (١/ ١٩٧) . (٥) المصدر نفسه ١/ ١٢٩ .

واذا فات حالى أن يستفيد من "العمدة" مباشرة ،فقد أكثر الرجوع الى "العقد الفريد" لابن عبد ربه ، سواء أشار الى اسم المصدر أم أغفله . ولا أبالغ إذا قلتُ : ان معظم النصوص العربية التي نقلها أو ترجمها حالى مأخوذة من "العقد الفريد" و "الأغاني" ،وسنذكر هذه المواضع فيما بعد عندما ندرس تلك النصوص . وقد صرح حالى في موضعين فقط بالنقل عن "العقد الفريد" ، أولهما من باب "أى بيت تقوله العرب أشعر" حيث ينقل كلام ابن عبد ربه : "وأحسن من هذا كله (أى مما ذكر من الأقوال في الموضوع) قول زهير (١) :

وإنّ أحسنَ بيتٍ أنت قائلُـــه بيتٌ يقال اذا أنشدتَه صَدَقَا" (٢)

وقد أعجب حالى بهذا البيت وما يحتوى عليه من معنى الصدق ،فذكره مرة ثانية تبعا لذكر ابن عبد ربه مرة ثانية (٣) وان لم يشر هنا الى المصدر . والموضع الثاني الذى صرح فيه باسم "العقد الفريد" عندما أشار الى "باب" من رفعه المدح ووضعه الهجاء" (٤) . أما المواضع الأخرى فقد أخذ فيها عن "العقد الفريد" وغيره من الكتب ولكنه لم يذكر المصدر ،وسنبين ذلك فيما بعد .

وقد اطلع حالى على بعض المراجع العربية الحديثة أيضا ،فهو في موضع من الكتاب (٥) ينقل بعض الأبيات من قصيدتين فرنسيتين ترجمهما الى العربية شعرًا رفاعة الطهطاوى في كتابه "الديوان النفيس بأيوان باريس" ،أولاهما القصيدة الباريسية ،وتبدأ بقوله :

---

(١) هكذا نسب الى زهير في العقد الفريد ٥/٣٢٦ و ٢٧٠ ،وليس في ديوانه . وهو لحسان بن ثابت في ديوانه ص ٢٧٧ (ط. القاهرة ١٩٧٤م) ،والعمدة ١/١١٤ . ولبقيلة الأشجعي الأكبر في الإصابة لابن حجر ١/١٦٨ والموءتلف والمختلف للآمدى ص ٧٣ . وبدون نسبة في أسرار البلاغة ص ٢٥٠ (تحقيق ريتر)، وقانون البلاغة ص ١٤٤ .

(٢) حالى : المقدمة ص ٩٤ = قارن : ابن عبد ربه : العقد الفريد ٥/٣٢٦ .
(٣) حالى : المقدمة ص ١٠٠ = قارن : ابن عبد ربه : العقد الفريد ٥/٢٧٠ .
(٤) حالى : المقدمة ص ١٠١ = قارن : ابن عبد ربه : العقد الفريد ٥/٣٢٨ وانظر ٥/٣٠٦
(٥) حالى : المقدمة ص ٢٠ .

يا أهلَ فَرانِسَةَ الفَخـــــرَا ... يا شُجعانًا بِشَهامتِكُـــم
عِشْتُم في الرقّ ووَرْطَتِـــهِ ... والآن خذوا حُرّيّتكـــم
ما أحسنَ يومَ فَخارِكُـــمُ ... بتوافُقِكم في كلمتِكُـــم
كُـرُّوا كَرًّا للظَفرِ بهـــم ... النَّصْر حليفُ شَجاعَتِكُـم

وهي قصيدة طويلة(١) ذكر منها حالي الأبيات المذكورة. أما القصيدة الأخرى بعنوان القصيدة المرسيلية(٢) فهي ترجمة للنشيد القومي الفرنسي الذي نظمه "روجيه دي لوزال" ، وقد ذكر منها حالي الأبيات التالية :

فهيَّا يا بَني الأوطانِ هَيّـــا ... فوَقْتُ فَخارِكم لكم تَهَيَّـــا
أقيموا الرايةَ العظمى سَوِيّـــا ... وشُنُّوا غارةَ الهَيْجا مَليّـــا
عليكم بالسِّلاح أيَا أهالِـــي ... ونَظْمِ صفوفِكُمْ مثل اللآلِـــي
وخُوضُوا في دماءِ أولي الوبالِ ... فهم أعداؤكم في كلِّ حَـال
وجورُهُمُ غدَا فيكم جَلِيّـــا ... بنا خُوضوا دِماءَ أولي الوَبَالِ(٣)

وفي كتبه الأخرى غير "المقدمة" نجده دائما يرجع إلى المصادر العربيـــة القديمة منها والحديثة ،ولا نشير هنا إلى كتب الشريعة من فقه وحديث وتفسيـــر وتاريخ وعقيدة ، وما اقتبس من الآيات القرآنية والأحاديث والآثار ، فهي كثيرة جدا ، نجد آثارها في سائر كتاباته. واذا نظرنا في مجموعة مقالاته وجدنا أنه يرجـــع كثيرا الى كتب الأدب واللغة ويقتبس منها ويعلق عليها. ويبدو أنه كان مولعـا بكتاب "العقد الفريد" حيث لخّص في إحدى مقالاته فصلا طويلا منه وترجمـــه إلى الأردية ،وفيه ستّ حكايات لنساء القرون الأولى وجرأتهن في قول الحـــق أمام الخلفاء والأمراء(٤) . وهو ينقل أيضا ما قيل في الشعر العربي في تلـــك المناسبات ،ويترجمه إلى الأردية . وفي موضع من كتابه "حيات جاويد" أيضا يرجع

---

(١) انظر: رفاعة الطهطاوي : ديوانه (جمع :طه وادي ،ط. القاهرة ١٩٧٩م) ص ٢٠٦-٢٠٨.

(٢) المصدر نفسه ص ١٩٦-٢٠٢. (٣) حالي : المقدمة ص ٢٠.

(٤) حالي : كليات نثر حالي ١/ ٢٨٤-٢٩٦ . قارن: العقد الفريد ٢/ ١٠٤-١١٩.

إلى "العقد الفريد" ويذكر قصة أَسيرٍ أَفْحَمَ الحجاجَ بكلامه (١) .

وكان حالي معجبا بابن خلدون وآرائه في اللغة والأدب والتاريخ . وقد رأينا فيما مضى أن كل النصوص التي نسبها الى ابن رشيق هي في الواقع لابن خلدون . وقد صرح في موضعين من "المقدمة" بالاستفادة من "مقدمة ابن خلدون"، أولهما عندما تحدث عن قضية اللفظ والمعنى ،فترجم النص التالي إلى الأردية : "اعلم أن صناعة الكلام نظما و نثرا إنما هي في الألفاظ لا في المعاني ،وانما المعاني تبع لها ،وهي أصل .... وأيضا فالمعاني موجودة عند كل واحد و في طوع كل فكر منها ما يشاء ويرضى ،فلا يحتاج الى صناعة . وتأليف الكلام للعبارة عنها هو المحتاج للصناعة كما قلناه . وهو بمثابة القوالب للمعاني ، فكما أن الأواني التي يغترف منها الماء من البحر منها آنية الذهب والفضة والصدف والزجاج والخزف ،والماء واحد في نفسه ،وتختلف الجودة في الأواني المملوءة بالماء باختلاف جنسها ، لا باختلاف الماء ،كذلك جودة اللغة وبلاغتها في الاستعمال تختلف باختلاف طبقات الكلام في تأليفه "(٢) .

ولا يوافق حالي ابنَ خلدون ،مع أنه يرجح أيضا جانب اللفظ على المعنى ، ولكنه يؤكد على الاهتمام بالمعاني والأفكار أيضا ، ويرى أن الشاعر لو اقتصر على تلك المعاني التي نظم فيها السابقون ،ولم يستفد من التأمل في الكون والحياة والطبيعة ،ولم يُوسِّع مداركه فلا ينجح في شعره مهما تفنن في اختيار الكلمات الجزلة والأساليب الفصيحة .

والموضع الثاني الذى نقل فيه عن ابن خلدون رأيه في اللغة وتعلُّمها ، حيث يقول : من الممكن أن يحصل العجمي على الملكة في اللغة العربية بالممارسة والاعتياد والتمرن على كلام العرب ،ومثَّل لذلك بسيبويه وأبي علي الفارسي والزمخشري

---

(١) حالي : حيات جاويد ص ٤٧٨ . قارن : العقد الفريد ٢/١٧٤ .
(٢) حالي : المقدمة ص ٦٢ . قارن : ابن خلدون : المقدمة ص ٥٧٧ .

وغيرهم الذين أدركوا كنه اللغة وصاروا من أهلها ،فهم وان كانوا عجما في النسب فليسوا بأعجام في اللغة والكلام[١] . طبّق حالي هذا الرأي على اللغة الاُردية ، فيرى أن الذي يدرس كلام البلغاء وشعر الفحول ويتعرف على أساليبهم في الشعر والنثر يستطيع أن يكون كأحدهم و يُعَدّ من الفصحاء.

ويرجع الى "مقدمة" ابن خلدون في إحدى مقالاته[٢] ،وينقل عنه نصا طويلا من الفصل الذي عنونه بقوله : " إن نهاية الحسب في العقب الواحد أربعة آباء "[٣] ، يؤيد فيه كلامه . وكل هذه النصوص تدل على عنايته بمقدمة ابن خلدون وشدة تأثره بآرائه في اللغة والاُدب والاجتماع.

ومن الكتب التي استفاد منها في مقالاته : "نفح الطيب" للمَقَّري (ت١٠٤١هـ) ، فقد اقتبس منه نصا يتعلق بالحياة الاجتماعية بالاُندلس[٤] . ويذكر "الكتاب" لسيبويه (ت١٨٠هـ) ويصفه بأنه لم يؤلف في النحو مثله[٥] . ويذكر "الصحاح" للجوهري (ت بعد ٣٩٣هـ) و "القاموس المحيط" للفيروزابادي (ت٨١٦هـ) ،ويحكي قصة طريفة عن تأليفهما ،فيقول : إن الجوهريّ انتهى من تأليف "الصحاح" في عشرين سنة ،والفيروزابادي فرغ من "القاموس" في ثلاث سنوات ، وقد مدح رجلٌ صاحبَ "القاموس" عند بعض العلماء على تأليف مثل هذا الكتاب في ثلاث سنوات ،فردّ عليه وقال : لا تقل ثلاث سنوات ، بل أضف إليها عشرين سنة من الجوهري ،فتصير المدة ثلاثا وعشرين سنة[٦] .

ومن الكتب التي نوّه بشأنها وأطرى على مؤلفيها لتمكنهم في اللغة العربية: "سَواطع الإلهام" لاُبي الفيض فيضي (ت١٠٠٤هـ)[٧] . وهو كتاب عجيب في

---

(١) انظر رأي ابن خلدون بتفصيل في "مقدمته" ص٥٦٣-٥٦٤ . وقد اختصره حالي في كتابه ص١١٥-١١٦ .

(٢) حالي : كليات نثر حالي ١/٢١٦-٢١٨ . (٣) ابن خلدون: المقدمة ص١٣٧ .

(٤) حالي : كليات نثر حالي ١/١٠٦ . (٥) المصدر نفسه ١/٣٠٣ .

(٦) المصدر نفسه ٢/٢٠٥ . (٧) كليات نثر حالي ١/٢٠٢ .

التفسير ، التزم فيه مؤلفه أن يفسر القرآن الكريم كلّه بكلمات لا تحتوى على حروف منقوطة ،وهذا يدل على حسن تصرفه في اللغة العربية مع ما يبدو على الكتاب من الصنعة والتكلف لالتزام ما لا يلزم (١) .

اطلع حالى على كتب الرحلات أيضا لبعض المؤلفين المعاصرين من مصر ، مثل أحمد زكي (٢) وغيره (٣) ،ونقل عنها ما شاهدوا في أوربا من رقي وازدهار، وسجلوه في كتبهم . وهذا من أحب الموضوعات عند حالى ،لا يكاد يَملُّ عندما يتحدث عنه . وقد ذكرنا في الباب الأول أنه كان من المعجبين بالحضارة الأوربية، يدعو الناس الى تقليدها مع المحافظة على العقيدة الاسلامية ،ويذكر دائما أهمية دراسة العلوم الطبيعية وتعلُّم اللغات الأوربية ،فلا غرابة في أن يطلع على كتب الرحلات التي تتحدث عن بلاد أوربا وما وصلت إليه من التقدم في العلوم والصناعات .

وخلاصة القول في المصادر العربية التي رجع اليها حالي أنها كثيرة ومتنوعة ، من بينها كتبُ الشريعة التي لم نقف عندها لكثرتها ،وكتب الأدب واللغة والتاريخ والرحلات التي استفاد منها استفادة جمة في "المقدمة" وغيرها من كتبه ومقالاته ، وان كان لا يحيل إليها في كل المواضع ، وقلما يصرح باسم المصدر عندما يقتبس منه النصوص العربية أو يترجمها إلى الأردية . وهذا هو مجال دراستنا فيمايلي .

---

(١) طبع هذا التفسير على الحجر في مطبعة نول كشور بلكهنو ١٣٠٦هـ/١٨٨٩م. انظر دراسة عنه في زبيد أحمد : "عربي أدبيات مين پاك و هندكا حصه" (ترجمة : شاهد حسين رزاقى ،ط. لاهور ١٩٧٣م) ص ٥٠-٥٥ ،محمد سالم قدوائى : "هندوستاني مفسرين اورانكى عربى تفسيرين" ص ٥٩-٧١ (ط. دلهي ١٩٧٣م). وانظر ترجمة فيضى في : سبحة المرجان ص ٤٥-٤٦ ، أبجد العلوم ص ٨٩٧ - ٨٩٨ ،سخندان فارس ص ١٠٠-١٠٦ ، نزهة الخواطر ٥/ ٢٦-٣١ .

(٢) حالى : كليات نثر حالي ٢/ ١٠٦-١٠٧ . (٣) المصدر نفسه ٢/ ٨٢ .

(٢) النصوص العربية التي اقتبسها في "المقدمة":

نجد في "المقدمة" نصوصا كثيرة اقتبسها حالي أو ترجمها إلى الأردية، وهي إما أبيات شعرية وما يتعلق بها من حكايات وتفسيرات، أو اقوال لبعض الأدباء والعلماء بشأن الشعر ونقده. وقد فرّقها حالي في الكتاب حسب الموضوعات، فاستشهد بها في مكانها المناسب وبنى كلامه عليها، وربما يضيف إليها بعض الشروح والتعليقات من عنده، ويقوم بالمقارنة بينها وبين نصوص أخرى، أو يوازن بين أبيات عربية وفارسية أو أردية من حيث المعنى والأسلوب.

نريد فيما يلي أن نستعرض هذه النصوص، ونبين المصادر التي نقل عنها ولم يصرح بأسمائها في كثير من الأحيان. ونترك هنا الكلام على تلك المقتبسات التي ذكر مصادرها، والتي تحدثنا عنها فيما مضى. وقد أخطأ حالي في عزو بعض النصوص إلى أصحابها وعلّق عليها بما يخالف الواقع، وعلى كلٍّ فهذه النقول تدل على ثقافته العربية الواسعة واطلاعه على أهم المصادر في الأدب واللغة والتراجم.

ذكر حالي أقوال بعض العلماء في بيان أشعر بيت عند العرب، منها قول الأصمعي: "الذي يُسابقُ لفظُه معنَاه"، وقول الخليل بن أحمد: "البيت الذي يكون في أوله دليل على قافيته"[1]، ويبدو أنه نقلهما من "العقد الفريد"[2]. ومن الغريب أنه يعدُّهما تعريفا للشعر الجيد، ويقارن بينهما وبين قول ملتون (Milton) في الشعر الجيد (وهو ما تميز بالبساطة والواقعية والعاطفة). والواقع أن الأصمعي والخليل لم يذكرا إلا ما استحسناه في الشعر من الصنعة، وليس هذا حدا للشعر بحيث يكون جامعا مانعا كما فهم حالي.

---

(١) حالي: المقدمة ص ٩٤.

(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد ٥/ ٣٢٥، ٣٢٦.

ونقل في هذا الباب قول زهير [١] أيضا :

وإنّ أحسن بيت أنت قائلـــه بيت يقال إذا أنشدته صدقـا

وقول أبي العباس الناشئ الأكبر (الذى أخطأ حالى في نسبته إلى ابن رشيق) :

فإذا قيلَ أطمعَ الناسَ طُـرًّا واذا رِيْمَ أعجزَ المُعْجِزينـا

وقد سبق الكلام على البيتين من قبل . ونجد حالى يقارن بين ما قيل عن الشعر في البيت الثاني و بين قول ملتون ،وهو بهذا يُحمِّل البيت ما لا يطيقه ،فليس في هذا البيت أو غيره تعريف للشعر وبيان حدوده وأركانه ،ومن الخطأ أن نفهمه بهذه الطريقة التي فهم بها حالي .

ثم إن قول ملتون أيضا لم يفهمه كما ينبغي ،وسنبين ذلك في الفصل القادم ان شاء الله .

ومن الأمثلة التي أوردها للشعر الجيد الذى تتوافر فيه شروط الجودة : قول يحيى بن زياد الحارثي [٢] :

ولما رأيتُ الشيبَ لاح بَياضُـه بمفرِقِ رأسي قلتُ للشيب مرحبا

ولو خفتُ أنى إنْ كففتُ تحيتـى تنكَّبَ عني رُمْتُ أن يَتنكبـــا

ولكن إذا ما حَلَّ كُرهٌ فسامَحَتْ به النفسُ يوما كان للكُرهِ أذْهَبَـا

وهي أبيات معروفة في ديوان الحماسة وغيره من الكتب [٣] ،ويقال أنها أحسن ما ورد في الترحيب بالشيب .

---

(١) انظر الكلام حول نسبة البيت إلى زهير أو غيره فيما مضى .

(٢) حالى : المقدمة ص ٨١ . وفيه "ابن يحيى بن زيادة " ،وهو خطأ .

(٣) أبو تمام : ديوان الحماسة ١/٥٥٨ . وهي لأحمد بن زياد الكاتب في ديوان المعانى ٢/١٥٧ ،وسمط اللآلى ١/٣٣٤ . وبدون نسبة في شرح المختار من شعر بشار ص ٣٣٩ .

وذكر من أمثلة الشعر الجيد أبيات متمم بن نويرة يرثي بها أخاه مالكا [١] :

لقد لامَني عند القبورِ على البُكا ... رفيقي لتَذْرَافِ الدموعِ السَّوافكِ

فقال : أتبكي كلَّ قبرٍ رأيتَه ... لقبرٍ ثوَى بين اللِّوَى والدَّكادِكِ ؟

فقلتُ له : إنَّ الشَّجَا يَبعثُ الشجا ... فدَعْني فهذا كلُّه قبرُ مالكِ

وهي أيضا من الأبيات المعروفة في الحماسة وغيره من المصادر [٢] . وقد ترجمها حالي إلى الأردية واستحسنها ،ولم يعلِّق عليها بشيء .

وفي موضع آخر يذكر بيتَ ابنِ درَّاج القَسْطلي التالي [٣] :

عَمِيَّ بمرجوع الخطاب ولَحْظُهُ ... بموقعِ أهواءِ النفوسِ خبيرُ

وهو من قصيدة طويلة له في مدح المنصور بن أبي عامر [٤] ،أولها :

دعي عَزَماتِ المُستضامِ تَسِيرُ ... فتُنْجِد في عرضِ الفَلا وتَغُورُ

وقد حلل البيت المذكور تحليلا جيدا يقول فيه : إن الشاعر نجح في تصوير الطفل الذى يرى في وجه أبيه وهو يودّع أهلَ البيت ويسافر بعيدا،ولا يستطيع أن يعبر عن مشاعره بالكلام ،وانما تكمن كل هذه المعاني في أبصاره ، فهو يعرف كيف يطلب العطف والحب من أبيه بمجرد النظر اليه . وهذا تصوير بارع لتلك الحالة النفسية عند الطفل ،لا يقدر على ذلك رسام أو فنان غيرالشاعر.

---

(١) حالي : المقدمة ص ٨١-٨٢ .

(٢) انظر: حماسة أبي تمام ١/ ٣٩٠ ،والحماسة البصرية ١/ ٢١٠ ،ووفيات الأعيان ٦/ ١٧ ،ونهاية الأرب ٥/ ١٧٩ وفوات الوفيات ٢/ ٢٩٨ ،والبداية والنهاية ٦/ ٣٢٢ . والبيتان الأخيران في حماسة البحترى ص ٢٥٨ ،والزهرة ٢/ ٦٦، والعقد الفريد ٣/ ٢٦٣ .

(٣) حالي : المقدمة ص ٤٩ .

(٤) انظر: ديوان ابن دراج القسطلي ص ٢٤٩-٢٥٥ (تحقيق : محمود علي مكي ، ط. بيروت ١٩٦١م) ويتيمة الدهر ٢/ ١١٢-١١٤ ،ووفيات الأعيان ١/ ١٢٥-١٢٧ .

وهذا يدل على أن الشاعر يقدر على ما لا يقدر عليه الآخر ،وبذلك تكون للشعر ميزة خاصة من بين الفنون ،فانه أقوى وأصلح لتصوير النفسيات والتعبير عن المشاعر الداخلية التي تختلج في الصدور. إلى جانب الأمور الحسية الظاهرة التي يشترك فيها مع سائر الفنون .

وفي موضوع الاجتناب عن الكذب والمبالغة في الشعر ينقل حالى الأقوال التي تجعل الصدق مقياس جودة الشعر وحسنه . منها البيت التي تحدثنا عنه فيما مضى :

وإنَّ أشعرَ بيت أنت قائلـــه بيت يقال إذا أنشدته صدقا (١)

وينسب الى زهير أنه قال :"أحسنُ القول ما صدَّقه الفعل "(٢) . والصواب أنه من كلام ابن عبد ربه حيث عقب بهذا القول على البيت المذكور(٣) . ونسب الى الخليفة عمر بن الخطاب أنه قال في زهير: "إنه أشعر الشعراء ،لأنه لايمدح الا مستحقا "(٤) . وهذا منقول بالمعنى مع تصرف ،فالذى ورد في المصادر عن ابن عباس أنه قال : "قال لي عمر : أنشِدْني لأشعر شعرائكم . قلت: من هو ياأمير المؤمنين ؟ قال : زهير . قلت : وكان كذلك . قال : كان لا يُعاظِل بين الكلام ولا يتبع وحشيَّه ،ولا يمدح الرجل الا بمافيه "(٥) .

ويذكر أيضا في هذا الباب خبرا لبني تميم أنهم قالوا لسلامة بن جندل : "مَجِّدْنا بشعرك " . فقال :"افعلوا حتى أقول "(٦) . ويستدل بذلك على

---

(١) حالى : المقدمة ص ١٠٠ وقد نسبه إلى زهير كما في العقد الفريد ٥/ ٢٧٠ . وانظر الكلام حول نسبته وتخريجه من المصادر فيما مضى .

(٢) المصدر نفسه ص ١٠٠ . (٣) العقد الفريد ٥/ ٢٧٠ .

(٤) حالى : المقدمة ص ١٠٠-١٠١ .

(٥) ابن سلام : طبقات فحول الشعراء ١/ ٦٣ ،ابن قتيبة : الشعر والشعراء ص ٥٧ ،ابن عبد ربه : العقد الفريد ٥/ ٢٧٠ ، الأغاني ١٠/ ٢٨١ . ٣٠٠-٣٠١ ،ابن رشيق : العمدة ١/ ١٤٠ .

(٦) حالى : المقدمة ص ١٠١ ، والخبر في العقد الفريد ٥/ ٢٧٠ .

أن العرب لا يمدحون ولا يذمون الا بما يطابق الواقع . و يحمل على ذلك قول معاوية : " والله إن كان الحاقّ لَيروِيه فيَبَرُّ ،وإن كان البخيل ليرويه فيسخو ، وإن كان الجبان ليرويه فيقاتل "(١) ، ويذكر أن مثل هذا الشعر لا بد أن يكون خاليا من الكذب والمبالغة ،وإلا فلا يكون له مثل هذا التأثير .

أما قول أبي نواس :

وأَخَفْتَ أهلَ الشركِ حتى إنَّه لَتَخَافُكَ النُّطَفُ التي لم تُخْلَقِ

نقد اعتبره النقاد من المحال البعيد (٢) ،ويوافقهم حالي ويرد على من يوجهه بالتأويل . وكأنه يشير بذلك إلى ابن عبد ربه الذي قال : " مجاز هذا قريب اذا لحظ أن كل من خاف شيئا خافه بجوارحه وسمعه وبصره ولحمه ودمه ،والنطف داخلة في هذه الجملة ، فهو اذا أخاف أهلَ الشرك أخاف النطفَ التي في أصلابها "(٣) .

و في موضع آخر أشار إلى المقالة الشهيرة : " أحسن الشعر أكذبه "(٤) ، ويقول : انها تنطبق على الشعر الأردى تماما ،وهذا في رأيه وضع مؤسف . والشعر العربي كان بعيدا كل البعد عن الكذب والمبالغة سواء كان مدحا أو هجاء ، ويدل على ذلك الخبر الذي نقله في هذا الصدد ،وهو أن المتوكل قال لبعض الشعراء يوما : " الى كم تمدحُ الناسَ وتَذُمُّهم ؟ " فقال : " ما أساءوا وأحسنوا " . ثم قال : " نعوذ بالله أن نكون كالعقرب تَلْسِبُ النبيَّ والذميّ "(٥) .

---

(١) حالي : المقدمة ص ١٠١ = قارن : العقد الفريد ٥/٢٧٤ .

(٢) حالي : المقدمة ص ١٠١ . والبيت في ديوان أبي نواس ص ٦٢ ،والمرزباني : الموشح ص ٢٤٤ ،والقاضي الجرجاني : الوساطة ص ٦٢ ،٤٢٨ ، والعباسي : معاهد التنصيص ١/٢٥٩ .

(٣) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٥/٣٣٥ .

(٤) حالي : المقدمة ص ٩٢ . قارن = عبد القاهر الجرجاني : دلائل الاعجاز ص ٢٣٦ .

(٥) حالي : المقدمة ص ١٠٢ .

وهذا وقع لأبي العيناء مع التوكل في قصتين مختلفتين كما تذكر بعض المصادر[١]، جمع بينهما حالي ،واستدل بذلك على أن الشاعر العربي ما كان يمدح أحدا أو يذمه إلا بما يستحقه . وهذا في جملته صحيح ، وان كنا نجد بعض الشعراء لا يلتزمون بذلك .

وكانت المراثي العربية تحتوي على الأحداث الواقعية والصفات الحقيقية للموتى ،وقد مثّل حالي لذلك بالمراثي التي قيلت بعد وفاة عبد المطلب[٢] ، فنحن نستطيع أن نستنبط منها كثيرا من الحقائق والأمور التي تتعلق بشخصيته .

وهذه المراثي أوردها ابن هشام في السيرة النبوية[٣] ،وهي قصائد عديدة نظمتها بنات عبد المطلب : صفية ،وبرّة ،وعاتكة ،وأم حكيم ،وأميمة ،وأروى ،كما رثاه أيضا حذيفة بن غانم ومطرود بن كعب الخزاعي .

وكانت المراثي العربية تتميز بقوة العاطفة وصدقها ،ومن الأمثلة التي أشار اليها في هذا الصدد رثاء البرامكة ورثاء معن بن زائدة ورثاء أبي إسحاق الصابي[٤]. وقد ذكر رثاء جعفر البرمكي في موضع آخر[٥] ،ونقل بيتين من قصيدة قالها الرقاشي فيه مع أن الظروف لم تكن ملائمة لذلك ،إلا أن الشاعر تجرأ ،ولم يستطع أن يخفي مشاعره ، فقال :

أَهَا واللهِ لولا خوفُ واشٍ ... وعَيْن للخليفة لا تَنام

لطُفْنا حول قبرِك واستلمنا ... كما للناس بالحَجَرِ اسْتِلام

والرقاشي هو الفضل بن عبد الصمد بن الفضل الرقاشي ،كان منقطعا الى البرامكة ،

---

(١) الشريف المرتضى : الأمالي ١/٢٩٩، ٣٠٠.

(٢) حالي : المقدمة ص ١٨٩ وانظر : كليات نثر حالي ٢/٣٠.

(٣) ابن هشام : السيرة النبوية ١/١٦٩ - ١٧٨.

(٤) حالي : المقدمة ص ٢٠١.

(٥) المصدر نفسه ص ٣٥ ،وكليات نثر حالي ٢/٣١.

فلما نكبوا صار اليهم في حبسهم فأقام معهم مدة أيامهم ينشدهم ويسامرهم ، حتى ماتوا ، ثم رثاهم فأكثر ، ونشر محاسنهم وجودهم ومآثرهم فأفرط (١) . ولما أُمِـــر بقتل جعفر بن يحيى البرمكي وصُلِب اجتاز به الرقاشي وهو على الجذع ، فوقف يسبكي أحرَّ بكاء ، وأنشأ يقول تلك الأبيات (٢) ، فكتب أصحاب الأخبار بذلـــك الى هارون الرشيد ، فأحضره وزجره .

أما رثاء معن بن زائدة فقد أشار اليه حالى في موضع آخر ، وذكر أن مـــروان ابن أبي حفصة رثاه بقصيدة منها :

وقلنا أينَ نرحلُ بعد معـــــنٍ وقد ذهب النوالُ فلا نـــوالا

وأن المهدى أخرجه من مجلسه بعدما استنشده هذا البيت ، ولم يعطه أحد مـــن الخلفاء والأمراء غير جعفر البرمكى ، وعندما يذهب إلى أحد منهم يطلب النوال منه بمدائحه قيل له : قد ذهب النوال فيما زعمتَ ، فلم جئتَ تطلب نوالَنا ؟ لا شيءَ لك عندنا (٣) .

والخبر مذكور في " الأغاني " وغيره من المصادر ، وفيها ذكر القصيدة اللامية في رثاء معن (٤) . وورد في الأغاني أنه جاء الى المهدى في العام المقبل ، فأعطاه مائة ألف درهم ، ثم جاء في عهد هارون الرشيد فأخرجه ، ثم جاء مرة ثانية فأعطاه . وذكر ابن المعتز اعطاء جعفر البرمكي له ، واستحسن مراثيه في معـــن ابن زائدة ومدائحه فيه (٥) .

---

(١) أبو الفرج الاصبهاني ، الأغاني ١٦/ ٢٤٥ . وانظر ترجمته في : ابن المعتز : طبقات الشعراء ص ٢٢٦-٢٢٧ ، والمرزباني : معجم الشعراء ص ٣١١ ، والخطيب : تاريخ بغداد ١٢/ ٣٤٥-٣٤٦ ، وابن خلكان : وفيات الوفيات ٢/ ٢٥١ .

(٢) وهي في الأغاني ١٦/ ٢٤٩ والحماسة البصرية ١/ ٢٥٣ .

(٣) حالى : المقدمة ص ٣٤-٣٥ وانظر : كليات نثر حالى ٢/ ٣٠ .

(٤) انظر الأغاني ١٠/ ٨ ، وابن المعتز : طبقات الشعراء ص ٥١-٥٣ ، والمرزباني : معجم الشعراء ص ٣١٨ ، والخطيب : تاريخ بغداد ١٣/ ٢٤١-٢٤٤ ، وابن الشجري : الحماسة ص ٦٠ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ٥/ ٢٤١-٢٤٢ ، واليافعي : مرآة الجنان ١/ ٣١٩ .

(٥) ابن المعتز : طبقات الشعراء ص ٤٥ .

أما رثاء أبي إسحاق الصابي فقد ذكر حالي أن للشريف المرتضى قصيدة حارة فيه ،اعترف فيها بعلمه وفضله مع أنهما كانا يختلفان في الدين [١] . ولعله يشير بذلك الى قصيدته التي مطلعها :

ما كان يومُك يا أبا إسحاقِ إلّا وداعي للمنى وفِراقي

وهي طويلة [٢] ،إلا أنها ليست مشهورة مثل قصيدة أخيه الشريف الرضى في رثاء الصابي ،والتي مطلعها :

أطلتَ مَن حملوا على الأعْوادِ أرأيتَ كيف خبا ضِياءُ النادِي

ومنها :

جبلٌ هَوى لو خرَّ في البحرِ اغْتدى مِن وَقْعِهِ متتابع الإزْبَادِ

ما كنتُ أعلم قبلَ حَطِّكَ في الثَّرى أن الثَّرى يَعْلُو على الأطْواد

وهي طويلة رائعة [٣] . وقد عاتبه الناس في ذلك لكونه شريفا يرثي صابئا ،فقال : انما رثيت فضله . واستحسن هذه القصيدة الثعالبي [٤] من القدماء وعبدالله الطيب [٥] من المحدثين ،وغيرهما . وهذا يدل على أن حالي يشير الى قصيدة الشريف الرضى هذه ،لا قصيدة الشريف المرتضى ،فليست مشهورة مثلها . ولعله أخطأ في نسبة القصيدة الى الشاعر.

ويبدو من هذا الاستعراض السريع للحديث عن المراثي أن حالي كان

---

(١) حالي : المقدمة ص ٢٠١ .

(٢) انظر ديوانه ٢/٣٤٩-٣٥٢ (تحقيق : رشيد الصفار ،ط. القاهرة ١٩٥٨م) .

(٣) انظر ديوانه ١/٣٨١ - ٣٨٦ (ط. بيروت ١٩٦٠م) ،والثعالبي : يتيمة الدهر ٢/٣٠٦ - ٣١٠ ، وابن خلكان : وفيات الأعيان ١/٥٣-٥٤ .

(٤) يتيمة الدهر ٢/٣٠٦ .

(٥) المرشد ١/٢٧٩ في أثناء حديثه عن بحر الكامل .

معجبا بهذه المراثي العربية ،ويدعو شعراء الأردية الى هذا النمط من شعر الرثاء . ومما ينبغي الإشارة اليه أن فن الرثاء كان أقرب إلى نفسيات حالى ، فقد كان متألما من الوضع السيء للمسلمين في الهند ، يَبكي عليه ويُبكي الناس بقصائده التي يصور فيها الماضي المجيد والوضع الراهن ،ويقارن بينهما ،ويستحث الناس لاستعادة المجد الضائع . وقد وجد أن كل النماذج القديمة من شعر الرثاء في الشعر الأردى والفارسي لا تصلح للتقليد ،فوجّه عنايته الى الشعر العربي وأشهر مراثيه ،فدرسها وتأمل فيها وبيّن خصائصها ، وعرضها للشعراء والأدباء ليحتذوها في شعرهم .

ولشدة إعجابه بالمراثي العربية أشار على بعض الشعراء بمعارضة قصيدة أبي البقاء الرُّنْدِي (ت ٦٨٤هـ) في رثاء الأندلس[1] ، فنظم الشيخ وحيد الدين قصيدة طويلة في ١١٧ بيتا في نفس القافية والبحر يرثي فيها أحوال المسلمين في الهند ،ويبكي على قتلهم وتشريدهم ،وضياع دولتهم وشوكتهم في البلاد . وقد تَرجم القصيدةَ حالى إلى الأردية ،وطُبِعَت الترجمة مع الأصل في مدينه آكره عام ١٣٢٤هـ / ١٩٠٦م[2] . ومطلع القصيدة :

هل من سبيل إلَى وَصْلِ الأُلَى بانوا بَيني وبينهُمُ بِيْدٌ وقِيْعَانُ

ولا أريد أن أقف عند هذه القصيدة طويلا ، فهي ليست من شعر حالي ،وإنما نُظِمَتْ بإشارة منه . وهي تدل على اهتمامه بالمراثي العربية وحرصه على دراستها وتقليدها في الشعر الأردى . وكان هذا الفن أحب إليه من الفنون الشعرية الأخرى كما ذكرنا ،

---

(١) هي من أشهر قصائد رثاء المدن بالعربية في ٤٣ بيتا ،مطلعها :

لكل شيء إذا ماتمَّ نقصانُ فلا يُغَرَّ بطِيْبِ العيشِ إنسانُ

والقصيدة في المقَّري : أزهار الرياض ١/ ٤٧-٥٠ ،ونفح الطيب ٤/ ٤٨٦-٤٨٨ . وقد نبَّه المؤلف في الكتابين على زياداتٍ طرأت على القصيدة أضافها إليها محيي الترشي . وانظر : الخفاجي : ريحانة الألباء ١/ ٣٠٠-٣١٤ .

(٢) وانظر النص الكامل لهما في : كليات نثر حالي ١ : ٥٠٠-٥١٨ .

فلا نجده يذكر الغزل والفخر والهجاء والمدح وغيرها الا قليلا .

ومن أمثلة ما ذكر من شعر الفخر للدلالة على قوة العاطفة في الشعر العربي : قصيدة بشامة بن حزن النهشلي ، ولم يذكر النص العربي لها ، وإنما اكتفى بترجمتها الأردية مع الإشارة إلى أن هذه الترجمة لا تحتوى على جميع محاسن النص العربي . والقصيدة تحتوى على ثلاثة عشر بيتا (١) إلا أن حالي اكتفى بترجمة تسعة أبيات منها (٢) ، وهي :

إنّا بنى نهشلٍ لا نَدَّعِي لأبٍ ... عنه ولا هو بالأبناء يَشرينا

إنْ تُبتدَرْ غايةٌ يوما لمكرمةٍ ... تَلْقَ السوابقَ منّا والمُصلّينا

وليس يَهلكُ منا سيّدٌ أبدًا ... الا افْتَلَيْنَا غلاما سيدًا فينا

انا لنُرْخِص يوم الرَّوعِ أنفسَنا ... ولو نُسَامُ بها في الأمن أُغْلِينا

بِيضٌ مفارقُنا تَغْلِي مراجلُنا ... نَأْسُو بأموالِنا آثارَ أيدِينا

إنّي لمن مَعْشرٍ أفنَى أوائلَهم ... قولُ الكُماةِ ألا أينَ المُحَامونا

لو كان في الألف منا واحدٌ فدَعَوْا ... مَنْ فارسٌ خالَهم إيّاهُ يَعْنُونَا

ولا تَرَاهُم وان جَلَّت مصيبتُهم ... مع الكماةِ على من ماتَ يَبْكونا

وتركبُ الكره أحيانا فيفرجُه ... عنّا الحفاظ وأسيافٌ تُواتِينا

وأشار حالي أيضا إلى قصيدة الأعشى في مدح النبي صلى الله عليه وسلم (٣) ، وهي داليته التي مطلعها :

ألم تَغْتمِضْ عيناكَ ليلةَ أرمدا ... وبتّ كما باتَ السليمُ مُسهَّدا

---

(١) أبو تمام : الحماسة ١/ ٧٧-٧٨ ، والبغدادي : خزانة الأدب ٣/ ٥١٠-٥١١ . ومعظمها في المبرد : الكامل ١/ ١١١ ، والعبيدي : التذكرة السعدية ١/ ٤٤-٤٧ ، وابن قتيبة : الشعر والشعراء ص ٤٠ ، والعيني : المقاصد النحوية ٣/ ٣٧٠-٣٧١ ، والآمدي : المؤتلف والمختلف ص ٨٧-٨٨ ، ونسبت الأبيات في بعض المصادر إلى نهشل بن حَرّي ، والمرقّش الأكبر .

(٢) حالي : المقدمة ص ٧٩-٨٠ .

(٣) المصدر نفسه ص ٢١ .

وتوجد كلها في الديوان وغيره من المصادر (١) .

وعند حديثه عن تأثير الشعر الجاهلي ذكر قصة الأعشى مع المحلّق ، وكان خامل الذكر فقيرا ذا بنات ، فمدحه الأعشى بقصيدة وأنشدها بعكاظ ، فما أتم القصيدة إلا والناس ينسلون إلى المحلّق يهنئونه ، والأشراف من كل قبيلة يتسابقون إليه جريا يخطبون بناته ، فلم تمس منهن واحدة إلا في عصمة رجل أفضل من أبيها ألف مرة . وقد أشار حالي إلى هذه القصيدة ولم يذكر أبياتها (٢) ، وهي طويلة مطلعها :

أرِقتُ وما هذا السهادُ المؤرّقُ وما بِيَ من سُقْمٍ وما بِيَ مَعْشَقُ (٣)

وذكر في هذا الباب قصة عمرو بن معدى كرب الزبيدي وتعيير أخته كبشة له بأبيات ، تحثه فيها على أخذ الثأر . وذلك أن عبدالله أخا عمرو بن معدى كرب وكان رئيس قومه ، جلس يوما مع بني مازن يشرب ، وكان عبد من عبيد المخزّم يسقي القوم وبدأ يتغنى بتشبيب امرأة من بني زبيد ، فلطمه عبدالله وقال له : أما كفاك أن تشرب معنا حتى تشبب بالنساء ؟ ، فقام رجل نشوان من بني مازن فقتل عبدَ الله . وجاءت بنو مازن إلى عمرو فقالوا له : قتله رجل منا سفيه ، ونحن يدك عليه وعضدك ، وانما قتله سكران فنسألك بالرحم أن تأخذ الدية وتأخذ بعد ذلك ما أحببت ، فأخذ عمرو الدية ، وزادوه بعد ذلك أشياء كثيرة ، فغَضِبتْ أختُه كبشة تسمى فقالت تعيّر عمرا :

---

(١) الأعشى : ديوانه ص ١٣٥-١٣٧ (تحقيق : محمد محمد حسين ، ط. القاهرة ١٩٥٠م) ، وابن هشام : السيرة النبوية ١/ ٣٨٦-٣٨٨ ، وأبو الفرج الأصبهاني : الأغاني ٩/ ١٢٥ ، والبغدادي : خزانة الأدب ١/ ١٢٢ ، والشّيْزَري : جمهرة الإسلام ذات النثر والنظام : الورقة ٥ ب - ٨ أ . وهي منشورة بشرح الشيزري في طبعة ١٩٦٨م بتحقيق مختار الدين أحمد .

(٢) حالي : المقدمة ص ٢١-٢٢ .

(٣) راجع للقصة والأبيات : ابن عبد ربه : العقد الفريد ٥/ ٣٢٦-٣٣٠ ، وأبو الفرج الأصبهاني : الأغاني ٩/ ١٢٣-١٢٤ ، وابن رشيق : العمدة ١/ ٤٥-٤٦ .

أرسل عبدُاللّهِ إذْ حانَ يومُه ... إلى قومِه لا تَعْقِلوا لهمُ دَمِيْ

ولا تأخذوا منهم إفالاً وأبْكُرًا ... وأُتْرُكَ في بيتٍ بِسَعْدَةَ مُظْلِمِ

ودعْ عنك عمرًا إن عمرًا مُسَالِمٌ ... وهل بطنُ عمروٍ غيرُ شِبْرٍ لمطعمِ

فان أنتمُ لم تَثْأَرُوا واتَّدَيْتُمُ ... فمُشُّوا بآذانِ النَّعَامِ المُصَلَّمِ

ولا تَرِدُوا إلّا فُضُولَ نسائِكم ... إذَا ارْتَمَلَتْ أعقابُهنَّ من الدَّمِ

فلما حضَّتْ كبشةُ أخاها عمرا أكبَّ بالغارة عليهم وهم غارُّون ،فأوجع فيهم (١) .

ذكر حالي خبر هذه القصة بطولها واستدل به على شدة تأثير الشعر في العصر الجاهلي . وتحدث في موضع آخر عن مكانة الشاعر في قومه ،وذكر بهذه المناسبة قصة الأعشى مع علقمة بن عُلاثة وعامر بن الطفيل ،وهجو الأول ومدح الثاني بقصيدة له (٢) ، وهي معروفة في المصادر (٣) ،ومن الأبيات التي قالها :

علقمَ ما أنتَ الى عامرِ ... الناقضِ الأوتارِ والواترِ

إنْ تَسُدِ الحُوْصَ فلمْ تَعْدُهُمْ ... وعامرٌ سادَ بني عامرِ

وهناك موضوعات تأثر فيها بالمصادر العربية ،وأورد فيها نصوصا عديدة ،معظمها من " العقد الفريد " و " الأغاني " و " الشعر والشعراء " و " العمدة " . وقد عقد بابا بعنوان " متى يقول الشعر " (٤) نقل فيه أقوالا لبعض الأدباء والشعراء والنقاد ،

---

(١) حالي : المقدمة ص ٢٢-٢٣ = قارن : أبو الفرج الأصبهاني : الأغاني ١٥/٢٣٠ ، القالي : ذيل الأمالي ص ١٩٠ ،العيني : ذيل اللآلئ ص ٨٩-٩٠ ،البغدادي : خزانة الأدب ٣/٧٧ . والأبيات فقط دون القصة في : البصري : الحماسة البصرية ١/٧٣ ،وابن منقذ : لباب الآداب ص ١٨٢ (منسوبة لريحانة أخت عمرو) . وبعض الأبيات في : الجاحظ : الحيوان ٤/٣٩٦ ، ٣٩٧ ،والبحتري : الحماسة ص ٢٨ .

(٢) حالي : المقدمة ص ٣٤ .

(٣) انظر : ابن قتيبة : الشعر والشعراء ص ١٣٩ ،أبو الفرج الأصبهاني : الأغاني ٩/١٢٠-١٢١ ،ابن رشيق : العمدة ١/٣٢-٥٤ ، البغدادي : خزانة الأدب ١/٨٠-٨٩ ، ٢/٤١-٤٤ .

(٤) حالي : المقدمة ص ١٢٢-١٢٦ .

منها قول البعض : "أسلس ما يكون الشعر في أول الليل قبل الكرى ،وأول النهار قبل الغداء "(١) . وقول بعض الحكماء : " لم يُسْتَدْعَ شاردٌ بأحسنَ من الماء الجاري والمكان الخالي والشرف العالي " . وهو الأصمعي كما تذكره بعض المصادر(٢) . ولا يوافقه حالي على هذا الكلام بل يقول : ليست هناك مناسبة أحسن للشاعر من أن توجد عنده الرغبة في نظم الشعر بدون أن يتكلف له ،سواء كان في الصحراء أو البستان ،في الخلوة أو مجمع من الناس ،في الرياض المعشبة أو أرض قفر ، عند الماء الجاري أو الأرض اليابسة ،فكلها سواء بالنسبة للشاعر المطبوع الذي توجد في داخله رغبة في نظم الشعر(٣) . وكأنه بهذا القول يخالف ما قاله الشعراء وغيرهم في هذا الصدد . وقد نقل قصة أبي العتاهية مع أبي نواس أن أبا العتاهية قال له: أنت الذي لا تقول الشعر حتى تُوْتَى بالرياحين والزهور فتوضع بين يديك ؟ فقال: وكيف ينبغي للشعر أن يقال إلا على هكذا ؟ قال : أما أني فأقوله على الكنيف ،قال : ولذلك توجد فيه الرائحة(٤) . وعقّب حالي عليها بقوله : إنّ نظم الشعر في رأيي لا يحتاج إلى باقات الزهور ولا إلى الجلوس في الكنيف ،وإنما يحتاج إلى العاطفة القوية والرغبة الصادقة .

وهكذا ينقل أقوالا أخرى ويعقب عليها ويؤيد رأيه المذكور ،منها أنه قيل لكُثَيِّر عَزَّة : لِمَ تركتَ الشعر؟ قال: ذهب الشباب فما أعجب ،وماتت عزة فما أطرب ،ومات ابن أبي ليلى فما أرغب . يريد عبد العزيز بن مروان(٥) . وكأنه يشير

---

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٥/٣٢٧ ،ابن قتيبة : الشعر والشعراء ص١٩ ، ابن رشيق العمدة ١/٢٠٨ .

(٢) العمدة ١/٢٠٦ . وانظر: الشعر والشعراء ص١٨ ،والعقد الفريد ٥/٣٢٦ .

(٣) حالي : المقدمة : ص١٢٢-١٢٣ .

(٤) المصدر نفسه ص١٢٣ = قارن: ابن عبد ربه : العقد الفريد ٥/٣٢٦ .

(٥) المصدر نفسه ص١٢٣ = قارن: ابن عبد ربه : العقد الفريد ٥/٣٢٦ .

إلى أن الشعر لا يكون إلا إذا كان هناك باعث يثير في القلب العواطف . وجعل حالي قول كُثَيِّر مؤيدا لرأيه ،وكذلك قول الفرزدق : "أنا أشعر الناس عند اليأس ، وقد يأتي عليَّ حينٌ وقَلْعُ ضِرْسٍ عندي أهونُ من قول بيت شعر"(١) . وهذا أيضا اعتبره مما يؤيد رأيه .

ومن الأقوال التي نقلها في هذا الصدد قول الخُرَيْمي عندما قيل له: ما بال مدائحك لمحمد بن منصور بن زياد أحسن من مراثيك ؟ فقال: "كنا حينئذ نعمل على الرجاء ،ونحن اليوم نعمل على الوفاء ، وبينهما بون بعيد"(٢) .

ويبدو أن حالي كان متأثرا في رأيه المذكور بكلام ابن عبد ربه حيث يقول: " وأقوى ما يكون الشعر عندي على قدر قوة أسباب الرغبة أو الرهبة "(٣) . ثم نقل ابن عبد ربه تلك الأقوال التي ذكرناها ،وقال: " والدليل على صحة هذا المعنى وصدق هذا القياس أن كثير عزة والكميت بن زيد كانا شيعيين غاليين في التشيع ، وكانت مدائحهما في بني أمية أشرف وأجود منها في بني هاشم ،وما لذلك علة إلا قوة أسباب الطمع "(٤) . ونجد حالي أيضا يذكر ما قاله ابن عبد ربه ،ويستشهد بما استشهد به هو(٥) ،ولذلك أرى أنه أخذ هذه الفكرة عن ابن عبد ربه . ويظهر بمقارنة الفصل الذي كتبه حالي بما في باب " أحسن ما يجتلب به الشعر " في "العقد الفريد"(٦) أن معظم النصوص والأفكار عند حالي مأخوذة عن "العقد الفريد" وكأنه اعتمد عليه اعتمادا كبيرا عند كتابته هذا الفصل .

---

(١) حالي : المقدمة ص ١٢٣ = قارن ابن عبد ربه : العقد الفريد ٥/ ٣٢٧ ،وابن قتيبة : الشعر والشعراء ص ١٩ ،وابن رشيق : العمدة ١/ ٢٠٤ .

(٢) حالي : المقدمة ص ١٢٣ = قارن : ابن عبد ربه : العقد الفريد ٥/ ٣٢٧ ، ابن رشيق : العمدة ١/ ١٢٣ . وانظر ابن قتيبة الشعر والشعراء ص ١٨ و ٥٤٣ .

(٣) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٥/ ٣٢٧ . (٤) المصدر نفسه ٥/ ٣٢٧ .

(٥) حالي : المقدمة ص ١٢٤ .

(٦) حالي : المقدمة ص ١٢٢-١٢٦ = قارن ابن عبد ربه : العقد الفريد ٥/ ٣٢٦-٣٢٨ .

ومن الموضوعات التي تحدّث عنها حالي في الكتاب موضوع "السرقات" وقد نقل فيه نصوصا عديدة ،وذكر أنه لا مانع من أن يأخذ المتأخرون عن المتقدمين ويستفيدوا من أفكارهم وأساليبهم ،وينظموا في موضوعاتهم . وهذا أمر معروف منذ القديم ، والدليل على ذلك قول كعب بن زهير (١) :

ما أرانا نقول إلّا مُعَارًا أو معادًا من قولنا مَكْرُورا

وهذا يعني أنه لا غِنَى عن الاستفادة من القدماء . ويذكر حالي أن هناك قولين متناقضين في العربية : "كم ترك الأول للآخر" ، و"ما ترك الأول للآخر شيئا"(٢). ويوفّق بينهما بقوله : "إن القدماء تركوا كثيرا من الموضوعات للمتأخرين ليكملوها ، ولكنهم لم يتركوا شيئا لا توجد نماذج منه عندهم".

ويقرر أن المتأخرين دائما كانوا يستفيدون من القدماء ،وتوجد أمثلة عديدة لذلك في الأدب العربي . منها بيت أبي نواس :

وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالَمَ في واحد

أخذ معناه من قول جرير :

إذا غضبتْ عليكَ بنو تميم حسبتَ الناس كلّهُمُ غضابا

والبيتان من شواهد كتب البلاغة في موضوع السرقات (٣) ،وقد أخذ عنها حالي

---

(١) حالي : المقدمة ص ١٤٦ = قارن : ديوان كعب بن زهير ص ١٥٤ (بشرح السكري ط. دار الكتب بالقاهرة).

(٢) حالي : المقدمة ص ١٤٦ . = قارن : ابن رشيق : العمدة ١ / ٩١-٩٢ .والأول شطر بيت لأبي تمام في ديوانه ص ١٤٣ (نشر: محي الدين الخياط ، ط. القاهرة) والصولي : أخبار أبي تمام ص ٢٢٨ ،والشريشي : شرح مقامات الحريري ١/ ١٥.

(٣) الخطيب القزويني : الإيضاح ص ٥٧١-٥٧٢ (ط. بيروت ١٩٨٠م) ،والعباسي : معاهد التنصيص ٢/ ١٣٩ (ط. القاهرة ١٣١٦هـ). وبيت أبي نواس في ديوانه ص ٤٥٤ (تحقيق: أحمد عبد المجيد الغزالي . ط. القاهرة ١٩٥٣م) ،وعبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ص ١٣٠ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ (ط. القاهرة ١٩٤٨م) . وبيت جرير في ديوانه ص ١٧ (طبعة الصاوي ،القاهرة ١٣٥٣هـ) ،والبغدادي : خزانة الأدب ٢/ ١٢٦ .

وذكر أنه ليس عيبا أن يأخذ المتأخر عن المتقدم ،وخاصة إذا نقل الفكرة الى لغة أخرى و نظمها في شعره ،ولذلك أمثلة كثيرة في الآداب الشرقية ،وقد كان الشاعر الفارسي سعدى الشيرازى ربما يترجم الأمثال العربية والأقوال المأثورة إلى الفارسية ، وينظمها في شعره . قارن حالى بين عدد من الأقوال المأثورة العربية وأبيات سعدى الفارسية ،وهي فيما يلي (١) :

الأقوال المأثورة		أبيات سعدى
١/ الكلب أنجس ما يكون إذا اغتسل	=	سگ بدريای هفتگانه بشوی چونکه تَرشُد پليد تر باشد
٢/ الصمت زينة العالم وستر الجاهل	=	تراخاموشی أی خداوند هوش وقاراست وناأهل را پرده پوش
٣/ راعِ أباك يُرَاعَ ابنُك	=	تو بجای پدر چه کردی خير تا همان چشم داری از پسرت
٤/ سَناءُ ذُكاءَ لا يزولُ من دعاءِ الخُفَّاش	=	شپّره گر نورِ آفتاب نخواهد رونقِ بازارِ آفتاب نخواهد

كما قارن بين بعض الأقوال المأثورة العربية وكلام سعدى في النثر :

- السعيد من أكل وزرع ،والشقى من مات ووَدَع = نيک بخت آنکه خورد وکشت ،وبدبخت آنکه مرد وهشت .

- السلطان الى العقلاء أحوج من العقلاء الى السلطان = پادشاهان بخردمندان محتاج تراند که خردمندان بپادشاهان .

وفي مواضع أخرى يقارن بين الآيات القرآنية والأبيات الأردية والفارسية التي أخذت معناها . ومن أمثلة ذلك (٢) قول الشاعر الأردى ميردرد :

---

(١) حالى : المقدمة ص ١٥٥ ،وذكر المثال الثاني في حياة سعدى ص ١٦٥ أيضا .
(٢) حالي : المقدمة ص ١٦٤ .

دل بھی تیرے ھی ڈھنگ سیکھا ھے

آن میں کچھ ھے ،آن میں کچھ ھے (١)

نظر في الشطر الثاني منه إلى قوله تعالى "كل يوم هو في شأن "(٢) .

وأخيرا بعد دراسة هذه النصوص العربية التي وردت في "مقدمة شعر وشاعرى" نستطيع أن نقول : إن حالي استفاد من المصادر العربية كثيرا ،وكان دائما يرجع إليها لينقل منها ما يوافق موضوع الكتاب . فلم يقتصر فيه على الاستفادة من المصادر الأردية والفارسية ، بل أكثر الرجوع الى المصادر العربية ، والواقع أنه استفاد من الكتب العربية أكثر من غيرها . وكانت ثقافته العربية الواسعة تؤهله للقيام بتأليف مثل هذا الكتاب الذى يعتبر بحق أول كتاب من نوعه باللغة الأردية.

والى جانب هذه النصوص والمقتبسات هناك آراء له في الأدب والنقد تأثر فيها بالنقد العربي وكتب البلاغة والأدب ،وفيما يلي دراسة عنها .

---

(١) ديوان درد ص ٨٧ (تحقيق : رشيد حسن خان ،ط. دلهي ١٩٨٢ (م) .

(٢) سورة الرحمن : ٢٩ .

(٣) الموضوعات التي تأثرفيها بالنقد العربي القديم:

تأثر حالي في كثير من آرائه النقدية بالنقد العربي القديم ،وبنى عليه كتابه "المقدمة" مع إضافة بعض الأمثلة من الشعر الأردى والفارسي ، ولم يستفد من النقد الأوربي الحديث إلا ما يتعلق بتعريف الشعر وقيمة الشعر والقافية والخيال فيه ،وأمورا أخرى لها علاقة بالأدب الأوربي ،وسنتحدث عنها فيما بعد . وإذا استثنينا هذه الأمور فلا نجده إلا متبعا للنقد العربي القديم في جميع الموضوعات التي تناولها في كتابه . وقد قرر ذلك بعض الباحثين ،حيث يقول : " إن حالي وشبلي وغيرهما مع تأثرهم ببعض آراء النقاد الأوربيين ، اعتمدوا أساسا على النقد القديم "(١) ،ويقول آخر : " إذا استثنينا من كتاباته النقدية بعض الأمور المحدودة ،فلا يبقى عنده إلا النظام النقدي القديم "(٢). وسنعرض هنا تلك الموضوعات التي تأثر فيها بالنقد العربي ،ونبين مدى موافقته أو مخالفته لآراء النقاد العرب .

(أ) اللفظ والمعنى :

تعرض حالي لقضية اللفظ والمعنى (٣) ، ونقل كلام ابن خلدون في تفضيل اللفظ على المعنى ،وهو قوله : " اعلم أن صناعة الكلام نظما ونثرا إنما هي في الألفاظ لا في المعاني ،وإنما المعاني تبع لها وهي أصل ، فالصانع الذى يحاول ملكة الكلام في النظم والنثر انما يحاولها في الألفاظ بحفظ أمثالها من كلام العرب ..." الى آخر ما قال (٤) . وقد عقب عليه بأننا نسلّم أن مدار الشعر على الألفاظ أكثر منه على المعاني ، ولكن لا يمكن صرف النظر عن المعاني بحجة أنها معروفة لدى الجميع ولا تحتاج إلى الاكتساب (٥) . وهو يشير بذلك

---

(١) غلام حسين ذو الفقار : اردو شاعرى كاسياسى اور سماجى پس منظر ص٣٢ .
(٢) وحيد قريشى : مقدمته على "مقدمة شعر وشاعرى" ص ٣٩ .
(٣) حالي : المقدمة ص ٦١-٦٤ .
(٤) ابن خلدون : المقدمة ص ٧٧ و . (٥) حالي : المقدمة ص ٦٢ .

الى قول الجاحظ المشهور : " والمعاني مطروحة في الطريق ،يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني . وانما الشأن في اقامة الوزن ، وتخير اللفظ ،وسهولة المخرج ،وكثرة الماء ،وفي صحة الطبع ،وجودة السبك . "(١) ولا يرضى به ، بل يرى أن الجمال البلاغي أو الأدبي لا يصدر عن اللفظ فقط ، أو عن المعنى ،بل عنهما جميعا . ويجعل بينهما علاقة وثيقة وارتباطا قويا ، ويعتبر أنهما في الكلام كالروح والجسد في الإنسان . وهو بهذا يوافق أولئك النقاد الذين يقدّرون قيمة كلٍّ من اللفظ والمعنى ، مثل ابن قتيبة وابن رشيق وغيرهما . يقول ابن رشيق بعد أن نقل كلام غيره في المفاضلة بين اللفظ والمعنى : " إنّ اللفظ جسم وروحه المعنى ،وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم، يضعف بضعفه ويقوى بقوته . فاذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصا للشعر وهجنة عليه ، . . . . وكذلك ان ضعف المعنى واختل بعضه كان للفظ من ذلك أوفر حظ"(٢) .

ويبدو أن حالي تأثر بابن رشيق في هذه القضية ، حيث لم يُغَلِّب جانب اللفظ على المعنى ، بل أعطى لكل منهما أهمية ، ورد على الجاحظ وابن خلدون ومن نحا نحوهما في انتصارهم للفظ على المعنى . وهذه القضية من أشهر القضايا التي شغلت النقاد العرب في جميع العصور ،وتناولها بالبحث عدد من الدارسين (٣) ،ولذا لا نريد أن نقف عندها طويلا .

---

(١) الجاحظ : الحيوان ٣/١٣١ . وتبعه أبوهلال العسكري في الصناعتين ص٥٧ ،٥٨ .

(٢) ابن رشيق : العمدة ١/١٢٤ .

(٣) محمد غنيمي هلال : النقد الأدبي الحديث ص ٢٤١ - ٢٧١ ،وأحمد أحمد بدوي : أسس النقد الأدبي عند العرب ص ٣٦٠ - ٣٧١ ، وعبدالله عسيلان : بحوث ودراسات في الأدب والنقد ص ٥٣ - ٧٨ ، وهند حسين طه : الشعرية النقدية عند العرب ص ١٧٥-١٨٠ .

(ب) الصدق والكذب والمبالغة :

ويعتبر حديثه عن الصدق والكذب في الشعر والمبالغة والإغراق والغلو فيه من أهم مباحث كتابه " المقدمة " ،فهو يأسف على أن شعراء عصره لم يلتزموا بالصدق وتصوير الواقع ،جريا على أن " أحسن الشعر أكذبه " ،وهكذا فَقَدَ شعرُهم العاطفة الصادقة(١) . ولذا فيجب - في نظره - الاحتراز عن الكذب والمبالغة والإغراق والغلو والأمور التي تنافي الصدق ،لأنها كانت سببا لانحطاط الشعر منذ العصر العباسي إلى الآن ، بعد أن اعتُبِرَتْ حلية وزينة له . وقد كان العرب في العصر الجاهلي وعصرِ صدر الاسلام ينفرون من الكذب ،ويعتبرونه من معايبه . هذا زهير بن أبي سلمى يقول : "أحسن القول ما صدَّقه الفعل "، ويقول :

وإن أحسنَ بيتٍ أنت قائلُه بيتٌ يقال إذا أنشدتَه صدقا

ثم يذكر أقوالا أخرى للخليفة عمر بن الخطاب ،وسلامة بن جندل ،ومعاوية بن أبي سفيان ،وابن عبد ربه صاحب "العقد الفريد "وغيرهم ،ويستخلص منها أن الكذب في الشعر يفقد التأثير الذى هو المقصود منه(٢) .

وقد تأثر حالى هنا بأولئك النقاد الذين ينكرون المبالغة وما يتبعها من إغراق وغلو جملة ،لأنها لا تتمشَّى مع الواقع والصدق ،والصدق مزية لا تُهمل ولا تُجحد ،ثم إن المبالغة لا يلجأ إليها إلا من لديه خواءٌ وعجز في الطاقة الشعورية . يقول ابن رشيق ردا على من يستحسن المبالغة : " ومن الناس من يرى أن فضيلة الشاعر إنما هي في معرفته بوجوه الإغراق والغلو ،ولا أرى ذلك إلا محالا ، لمخالفته الحقيقة ،وخروجه عن الواجب والمتعارف "(٣) وقد أورد ابن رشيق أقوال

---

(١) حالى : المقدمة ص ٩٢ ، وانظر ص ٢٠٨ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٠٠-١٠٢ .

(٣) ابن رشيق : العمدة ٢/ ٦٠ .

بعض العلماء والنقاد وأشار إلى الاختلاف في تقديرهم لها بالاستحسان أو الاستهجان ،ثم ذكر ما رآه بعض الحذاق بنقد الشعر من أن "المبالغة ربما أحالت المعنى ولبسته على السامع ،فليست لذلك من أحسن الكلام ولا أفخره ، لأنها لا تقع موقع القبول .... ولو كان الشعر هو المبالغة لكانت الحاضرة والمحدثون أشعر من القدماء" ،و "المبالغة في صناعة الشعر كالاستراحة من الشاعر إذا أعياه إيراد معنى حسن بالغ فيشغل الأسماع بما هو محال ، ويهول مع ذلك على السامعين ،وانما يقصدها من ليس بمتمكن من محاسن الكلام"(١).

وقد تعرض عبد القاهر الجرجاني لهذه القضية ،فرد على من استحسن المبالغة مستدلا بقول القائل (خير الشعر أكذبه)(٢) ،وانتصر لمن قال (خير الشعر أصدقه) ،وأوجب ترك الإغراق والمبالغة وتحرّى التحقيق والتصحيح ،واعتماد ما يجرى من العقل على أساس صحيح ،ولا عبرة عنده بالعبارة الطلية التي تزين الباطل وتصور الكذب ، إذ الحق أوسع ميدانا ،وأجدر بتوجه الهمم اليه(٣).

على أن الغالبية العظمى من النقاد العرب يرون أن المبالغة في الشعر خير مذهب ،منهم : قدامة بن جعفر(٤) ،والقاضي الجرجاني(٥) ،وأبو هلال العسكرى(٦) ،وابن سنان الخفاجي(٧) . وبعضهم توسطوا في الأمر ،فقالوا : " إن المبالغة فن من فنون الكلام ونوع من محاسنه ،ولا شك ان للكلام بها

---

(١) المصدر نفسه ٢/٥٣ ،٥٤.

(٢) عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة ص ٢٣٥.

(٣) المصدر نفسه ص ٢٣٦ - ٢٣٨.

(٤) انظر : نقد الشعر ص ١٧ - ١٨.

(٥) انظر : الوساطة ص ٤٢٣.

(٦) انظر : ديوان المعاني ١/٢٤.

(٧) انظر : سر الفصاحة ص ٣١٩ - ٣٢٠.

فضل بهاء ... ولكن ليس على جهة الإطلاق ،فان الصدق فضله لا يُجْحد ، وحسنه لا ينكر ،فمهما كانت المبالغة جارية على جهة الاعتدال بالصدق فهي حسنة جميلة ،ومهما كانت جارية على جهة الغلو والإغراق فهي مذمومة"(١) .

وأرى أنه ليس من الصواب قبولُ المبالغة وما يتصل بها على وجه الاطلاق ولا رفضها كذلك ،ولا تسليم القول بقبولها في حال الاعتدال والتوسط كما قالوا ، بل الصواب أن نقبل هذه الوجوه وسواها على أساس الصدق الفني ،أي أصالة الشاعر في تعبيره ، ورجوعه فيه إلى ذات نفسه لا إلى العبارات التقليدية المحفوظة . إلا أن حالي وكثيرا غيره من النقاد لم يقصدوا بالصدق الا الصدق الواقعي ،واستندوا الى قول الخليفة عمر بن الخطاب وزهير بن أبي سلمى وغيرهما . وهناك بعض النقاد ممن لا يجعلون الصدق باعتباره المطابقة للواقع مقياسا للشعر ،ففي المدح والهجاء والفخر لا يُلزِمون الشاعر بأن يقف عند الواقع ولا يتعداه ، بل يبيحون له أن يكذب ،وأن يأتي من الأحكام بما لا يتفق مع الحقيقة ،ولا يعتبرون مخالفته للحقيقة تحط من قيمة الشعر. يقول قدامة بن جعفر :" ان الشاعر ليس يوصف بأن يكون صادقا ، بل انما يراد منه اذا أخذ في معنى من المعاني -كائنا ما كان- أن يجيده في وقته الحاضر"(٢) ، وفي موضع آخر يرى أن "أحسن الشعر أكذبه"(٣) .

إلا أن الكذب الذي أبيح للشعراء ليس معناه قلب حقائق التاريخ ، فذلك خطأ معيب(٤) ،ولا قلب حقائق الوجود ،ولا تصوير العواطف تصويرا مزوّرا غير إنساني ،فذلك مردود على صاحبه ،ولكنه يعني ألوان الخيال المختلفة التي يستخدمها الشاعر ليجعل شعره أكثر وضوحا وتأثيرا .

---

(١) العلوي : الطراز ٣/١١٩ .

(٢) قدامة : نقد الشعر ص ٦ .

(٣) المصدر نفسه ٥٥-٥٦ .

(٤) أبو هلال العسكري : الصناعتين ص ١٤١ .

وليس صحيحا ما قال حالى من أن المبالغة لم تكن موجودة قبل العصر العباسي ،فاننا نجد نماذج منها في شعر القدماء[١] ،إلا أنها مقتصدة ومستساغة ،وان كان في بعضها شيء من المغالاة فانه لا يصل الى درجة المغالاة التي نراها عند ابن الرومي وأبي تمام وأبي نواس والمتنبي وغيرهم من الشعراء المحدثين ،وتوجد شواهدها مبثوثة في دواوينهم وكتب الأدب والنقد. ومنها بيت أبي نواس الذى ذكره حالى[٢] :

وأخفتَ أهلَ الشرك حتى إنه لتخافُك النطفُ التي لم تُخْلَقِ

وأشار إلى أن بعض النقاد يدافع عن هذا البيت ويستحسنه ، مع أن فيه تزييفا للحقيقة وإغراقا غير ممكن أبدا . والإشارة هنا إلى قدامة بن جعفر وابن عبد ربه اللذين يدافعان عن هذا البيت[٣]. وقد أورده أيضا ابن الأثير في المثل السائر وأشار الى ما فيه من افراط[٤].

(ج) الشعر والأخلاق :

ومما يتصل بهذه القضية علاقة الشعر بالأخلاق والدين ، وقد أشار إليها حالى ،وجعل الشعر قرينا للأخلاق في إصلاح المجتمع وتربية الناس[٥] ، وردّ على من ينظم الفحش والمجون في الشعر[٦] ويستهزئ بشعر الدعوة الإسلامية والإصلاح الاجتماعي[٧] ،ودعا إلى نظم الموضوعات الأخلاقية حتى في الغزليات لتكون أشد تأثيرا في النفوس[٨].

---

(١) انظر: الجاحظ : البيان والتبيين ١/ ١٢٤ ،المرزباني : الموشح ص ٧٨ ، ابن رشيق : العمدة ٢/ ٦٢ ،ابن أبي الإصبع : تحرير التحبير ص ٣٢٤.

(٢) حالي : المقدمة ص ١٠١.

(٣) انظر: نقد الشعر ص ١٨-٢٠ ، والعقد الفريد ٥/ ٣٣٥.

(٤) المثل السائر ٢/ ٣٣٣ (٥) حالي : المقدمة ص ٢٧-٢٨.

(٦) المصدر نفسه ص ٢٢٦-٢٢٧ ، ٢٢٤.

(٧) المصدر نفسه ص ٤١. (٨) المصدر نفسه ص ١٣٩ ، ١٤٠.

ولا يخفى أن حالي تأثر هنا بأولئك النقاد الذين يرون أن يتقيد الشعر بعقائد الدين وقواعد الخلق ، وأن لا يتناول من المعاني ما يبيح للناس الخروج عليهما أو الاستهانة بأمورهما . ومن أقدم من نقل عنهم هذا الرأى الخليفة عمر بن الخطاب (١) ، وعبد الملك بن مروان (٢) ، وعمر بن عبد العزيز (٣) . وإلى جانب هؤلاء الخلفاء هناك بعض العلماء الذين نظروا إلى الشعر بهذا المنظار ،منهم : مسكويه الذى يُحَذِّر من النظر في الأشعار السخيفة وما فيها من ذكر العشق وأهله ،ويمنع من رواية الشعر الفاحش وقبول أكاذيبه واستحسان ما يوجد فيه من ذكر القبائح ،لأن هذا الباب مَفْسَدة للأخلاق (٤) . ومنهم : ابن وكيع التنيسى الذى يَضِيق بالأبيات التي يلمح فيها شيئا من المغالاة يمس الناحية الدينية (٥) . ومنهم : الثعالبي الذى يقول : ان "للاسلام حقّه من الإجلال الذى لا يسوغ الإخلال به قولا وفعلا ونظما ونثرا . ومن استهان بأمره ولم يضع ذكره وذكر ما يتعلق به في موضع استحقاقه فقد باء بغضب من الله تعالى وتعرض لمقته في وقته" (٦) . ومنهم : عبد القاهر الجرجاني الذى يقول : "وأبعد ما يكون الشاعر من التوفيق إذا دعته شهوة الإغراب إلى أن يستعير للهزل والعبث من الجد (يعنى الدين)" (٧) . ومنهم : ابن جزم الذى يقرّ الشعر ما دام يحثّ على الفضيلة ،وينكره ما دام مباينا للقواعد الدينية والخلقية (٨) .

---

(١) انظر: الأغاني ٤/٣٥٦ .
(٢) انظر : المرزباني: الموشح ص ٢٠٣ .
(٣) انظر : الأغاني ٦/٦٤ - ٦٥ .
(٤) انظر : تهذيب الأخلاق ص ٤٩ - ٥٠ .
(٥) انظر: إحسان عباس : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ص ٣٠٨ ، ٣٠٩ .
(٦) الثعالبي : يتيمة الدهر ١/١٨٤ .
(٧) عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة ص ٢١٥ (تحقيق : ريتر) .
(٨) انظر ابن حزم : الرد على ابن النغريلة ص ١٦٢ .

وقد ذكرتُ هؤلاء العلماء والنقاد للدلالة على أنهم لم يكونوا أقل شأنا من أولئك الذين كانوا ينظرون إلى الأدب من حيث هو أدب فحسب ،ولا يجعلون لعقيدة الشاعر أو حديثه عن سلوك يخالف الدين والخلق أثرا في الحكم على شعره . وقد اشتهر في هذا الباب قول قدامة بن جعفر : " ليس فحاشةُ المعنى في نفسه مما يُزيل جودةَ الشعر فيه "(١) . وقول الصولي في أبي تمام : "وقد ادعى قوم عليه الكفر ، بل حققوه ،وجعلوا ذلك سببا للطعن على شعره وتقبيح حسنه ،وما ظننتُ أن كفرا يَنقصُ من شعر ولا إيمانا يزيد فيه "(٢) . وقول القاضي الجرجاني في العلاقة بين الدين والشعر أشهر من أن يذكر هنا.(٣)

كان حالي بسبب الظروف التي عاش فيها والعوامل الدينية التي نشأ تحت تأثيرها يوافق رأى الفريق الأول في هذه القضية ،ويخالف الفريق الثاني ، الا أنه مع ذلك لم يستنكف عن الحكم على بعض القصائد بالجودة مع أنها لا تتفق مع الأخلاق(٤) . وهذا يشير الى أنه ينظر الى الناحية الفنية أيضا ،وان كان الغالب عليه أن يضع الجانب الخلقي والديني في الاعتبار .

(د) الطبع والصنعة :

ومن القضايا التي تحدث عنها في" المقدمة " قضية الطبع والصنعة(٥) ، حيث يردُّ على من يقول : إن الشعر المطبوع أفضل وألطف من الشعر الذى نُظِم بعد فكر و تدبر . ويرى أن الشعر الذى نظم بعد روية هو الأفضل والأشد تأثيرا وعمقا والأكثر شيوعا ورواجا من الشعر المطبوع . ثم ذكر طريقة بعض الشعراء الكبار في نظم الشعر ، وكيف أنهم كانوا يكررون النظر فيه ،ويقومون

---

(١) انظر : نقد الشعر ص ٤ .
(٢) انظر : أخبار أبي تمام ص ١٧٢ - ١٧٣ .
(٣) انظر : الوساطة ٦٤ .
(٤) انظر حالي : المقدمة ص ٢١٤ ، ٢٣١ .
(٥) المصدر نفسه ص ٥٩ - ٦١ .

بالاصلاح والتنقيح . وانتهى بذلك الى نتيجة أنه لا توجد هناك قصيدة طويلة أو قصيرة أثّرت في الجمهور نظمت على عجل وبدون تأمل ،وكل قصيدة نجد فيها البساطة والعفوية والتأثير فلنعلم أنها نُظِمت بعد فكر ورويّة وصدرت بعد إصلاح وتهذيب .

تأثر حالي هنا بالنقاد العرب ،فقد نَقَلَ في هذا الباب قولَ ابن خلدون (الذى نسبه خطأً إلى ابن رشيق ،كما أشرنا إلى ذلك فيما مضى) تأييدا لرأيه . يقول ابن خلدون : " وليراجع شعره بعد الخلاص منه بالتنقيح والنقد ، ولا يَضنّ به على الترك ،إذا لم يبلغ الإجادة ،فان الانسان مفتون بشعره ،اذ هو نبات فكره واختراع قريحته . ولا يستعمل فيه من الكلام إلا الأفصح من التراكيب والخالص من الضروريات اللسانية ،فليهجرها ،فانها تنزل بالكلام عن طبقة البلاغة "(١) .

ونُقّادُ العرب يكادون يُجمِعون على أن الشاعر وان كان عبقريا يعود الى شعره فيقوّمه ويهذّبه ،ويغيّر من قوافيه اذا كانت قلقة نافرة ، ومن عباراته حتى تسلس وتنقاد ،ويبدل من كلماته ما يرى وجوب تبديله ،ومن وضع أبياته حتى يتم الربط بينها في تسلسل واضح ، ويزيد في القصيدة بين الأبيات ما يسد الفجوات ويكمل المعاني الناقصة . وقد روى المرزباني تفضيلَ النقاد للشعر المنقّح(٢) ،وما قام به الشعراء من تثقيف شعرهم وتقويمه(٣) . وكان ابن طباطبا من أوائل من نظروا في الشعر وقالوا بتثقيفه ،ودعوا الشاعر الى التوقف والتأمل وتنسيق الأبيات ،ومراعاة حسن تجاورها ،والملاءمة بينها لتنتظم له معانيها ،ويتصل كلامه فيها ،ويخلو من الحشو(٤) . وهناك آخرون

---

(١) ابن خلدون : المقدمة ص ٥٧٤ - ٥٧٥ .

(٢) المرزباني : الموشح ص ١٢٥ .

(٣) المصدر نفسه ص ١٣ .

(٤) ابن طباطبا : عيار الشعر ص ٣ - ٥ .

من النقاد ،مثل الجاحظ (١) ،وابن قتيبة (٢) ،والقاضي الجرجاني (٣) ، وأبي هلال العسكري (٤) ،والمرزوقي (٥) ،وابن رشيق (٦) ، تحدثوا عن هذه القضية ،وفرقوا بين الصنعة والتكلّف ،فالتكلف يأتي من تعنية الشاعر نفسَه تلمُّسَ الصناعاتِ البديعية والزخارف اللفظية ، فلا يبالى أن يكون المعنى غامضا أو تافها ، قريبا أو بعيدا ، شريفا أو وضيعا ، وقد ذمّه كثير من النقاد . أما الصنعة الشعرية فهي وقوف الشاعر عند إنتاجه يُغيّر فيه ويبدل اعتمادا على العقل والذوق الفني ،ولذلك فهي عظيمة الجدوى وبعيدة الأثر ،ولا منافاة بينها وبين الطبع ،فانها ضرورة يقتضيها النص الأدبي ليخرج في أحسن صورة . وكلاهما عاملان متفاعلان متكاملان لا غنى لأحدهما عن الآخر لإتمام الصورة الأدبية المطلوبة ،وإبرازها في أحسن مايكون .

(هـ) الصراع بين القديم والحديث :

تعرض حالي لقضية الصراع بين القديم والحديث أيضا في بعض كتاباته ، فقال في احدى مقالاته : " لسنا ضد الشعر القديم أو الشعر الحديث ، وان كنا نعتبر من أنصار الشعر الحديث "(٧) . وفي موضع آخر يقول : " ومن الممكن أن يترك المتأخرون تقليد القدماء في كثير من أفكارهم ،ولكن لا يمكن أن يتخلوا عن طريقتهم في التعبير عن المعاني وأسلوبهم في البيان .... ولذا يلزم عليهم أن لا يبتعدوا عن أسلوب القدماء ،ويختاروا بقدر الامكان تلك الأساليب التي ألفها الناس ،ويشكروا القدماء على أنهم تركوا لنا مجموعة قيمة من الكلمات

---

(١) انظر : البيان والتبيين ٢/ ٩ ، ١٣ - ١٤ .
(٢) انظر : الشعر والشعراء ص ١٧ .
(٣) انظر : الوساطة ص ٢٤ - ٢٥ .
(٤) انظر : الصناعتين ص ١٣٩ .
(٥) انظر : شرح ديوان الحماسة ١/ ١٢ .
(٦) انظر : العمدة ١/ ١٢٩-١٣٤ .
(٧) حالي : كليات نثر حالي ١/ ٢٤٤ ، ٢٤٥ .

والتعابير والأمثال والتشبيهات والاستعارات "(١) . ويقول أيضا : " إن الملكة القوية للشعر لا تختص بزمن دون زمن ، وبلد دون بلد ، فمن الخطأ القول بأن المتأخرين لا يمكن أن يصلوا الى مرتبة القدماء ، أو أن ملكة الشعر لا توجد عند شعراء الهند - مثلا - كما توجد عند شعراء ايران . فان الشعر مثل التصوير والغناء ،وكما أنهما موجودان في كل عصر ومصر ، و يتفاوتان في الجودة فكذلك الشعر "(٢) .

ولا يخفى أن حالي تأثر في هذه القضية بآراء المنصفين من النقاد العرب الذين لا ينتصرون للقديم ولا للحديث ، بل يستحسنون من الشعر جيده ، ويعيبون رديئه ،ويدعون الى البعد عن الهوى والمحاباة . وقد كان ابن قتيبة من هؤلاء ،فقد قرر أنه مع الجودة أينما كانت . يقول في أول كتابه "الشعر والشعراء" : " ولم يَقصُرِ الله العلمَ والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ،ولا خص به قوما دون قوم ، بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده في كل دهر "(٣) .

ويبدو تأثر حالي بابن قتيبة في النص الثاني الذى أوردنا ترجمته ،فهو يتفق مع ما قاله ابن قتيبة في كتابه : " وليس لمتأخر الشعراء أن يخرج عن مذهب المتقدمين في هذه الأقسام ، فيقف على منزل عامر أو يَبكي عند مشيد البنيان ،لأن المتقدمين وقفوا على المنزل الداثر والرسم العافي ... "(٤) .

فابن قتيبة يقرّرهنا أنه يلزم على المتأخر أن لا يخرج عن التقاليد الشعرية وأساليب القدماء ،أما الموضوعات فيمكن أن يجدد فيها بشرط أن يكون التعبير عنها جاريا على الطريقة المألوفة . وهذا الذى يدعو اليه حالي كما ذكرنا. ولم يقتصر على الدعوة إليه ، بل نظم شعره متبعا لأساليب القدماء مجددا في

---

(١) حالي : كليات نظم حالي ١/٣٨-٣٩ .

(٢) حالي : يادگار غالب (حصه فارسى) ص٤٥٥-٤٥٦ .

(٣) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ص ٥ .

(٤) المصدر نفسه ص ١٦ .

UMM AL-QURA UNIVERSITY MAKKAH

موضوعاته ،ولم يخرج عن الوزن والقافية في شعره ،كما رأينا ذلك في الباب الثاني .

(و) موضوعات أخرى :

وهناك آراء متناثرة تأثر فيها بالنقاد العرب ،حيث اقتبس أقوالهم واستحسنها ،أوعلّق عليها بما يدل على مخالفته لها ، وقد سبق أن درسنا أكثرها فيما مضى . منها : تعريفه للشعر ،حيث نقل فيه قول الخليل والأصمعي وشعر زهير ،واستحسن قول أبي العباس الناشيء الأكبر (الذى نسبه الى ابن رشيق خطأ ،كما سبق أن نبهنا على ذلك) في هذا الموضوع (١) . وفي باب متى يقول الشعر (٢) نقل أقوال بعض الشعراء والنقاد العرب ، وعلق عليها بما يخالفها ،وتأثر في هذا التعليق بكلام ابن عبد ربه كما ذكرنا . وفي موضوع السرقات (٣) نقل نصوصا عديدة ، وذكر أنه لا مانع من أن يأخذ المتأخرون عن المتقدمين و يستفيدوا من أفكارهم وأساليبهم ،وينظموا في موضوعاتهم .

وهذا أمر معروف منذ القديم ،والدليل على ذلك قول كعب بن زهير :

ما أرانا نقول الا معارا أومعادا من قولنا مكرورا (٤)

وهذا يعني أنه لا غنى عن الاستفادة من القدماء .

وتحدث في مواضع عديدة عن ثقافة الشاعر ،وضرورة حفظه لكلام القدماء ، و نظره في دواوين الشعر (٥) . وينقل كلام ابن خلدون (الذى وهم في نسبته الى ابن رشيق ،كما سبق أن تحدثنا عن ذلك) في هذا الباب (٦) . وقد

---

(١) حالي : المقدمة ص ٩٤ - ٩٥ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٢٢-١٢٦ .

(٣) المصدر نفسه ص ١٤٥ - ١٤٦ ، ١٥٠ - ١٥٥ .

(٤) ديوان كعب بن زهير ص ١٥٤ .

(٥) حالي : المقدمة ص ٦٤ - ٦٦ ، ١١٦ ، ١٥١ .

(٦) ابن خلدون : المقدمة ٥٧٤ .

خالفه في هذا الرأى ، كما خالف الجاحظَ في اعتقاده بأن الشعر ظهر بعد النثر[١] . وأكّد أن الشعر في كل أمة أسبق إلى الظهور من النثر[٢] .

أما فكرة أن الشعر يزدهر في زمن البداوة فقد تعرض لها حالي وذكر اختلاف النقاد حولها[٣] . ويبدو أنه أشار هنا إلى قول الجاحظ المشهور : " القضية التي لا أحتشم فيها ولا أهاب الخصومةَ فيها أن عامة الأعراب والبدو والحضر من سائر العرب أشعر من عامة شعراء الأمصار والقرى من المولدة والنابتة"[٤] .

وقد أقر معظم النقاد أن خير أشعار الشعوب هو ما قالته أيام بداوتها الأولى[٥] ، حتى ليخيل إلينا أن الشعر الجيد لا تستطيعه الا النفوس الوحشية الفحل القوية ، واذا استطاعه أحد من المتحضرين فهو في الغالب رجل أقرب الى الفطرة منه الى المدنية المعقدة . ولعل في عنف الرجل البدائي وقِصَرِ مُدرَكاته على معطيات الحس وصوره ما يفسر تلك الظاهرة .

أما فكرة تفضيل شاعر على شاعر بأن يكون الجيد في شعره أكثر من الجيد في شعر غيره[٦] ، فهي مأخوذة عن ابن قتيبة ، حيث يقول : " ولا أحسب أحدا من أهل التمييز والنظر نظر بعين العدل وتركَ طريقَ التقليد ، يستطيع أن يقدم أحدا من المتقدمين المكثرين على أحد إلا بأن يَرى الجيدَ في شعره أكثرَ من الجيد في شعر غيره"[٧] .

---

(١) انظر : الحيوان ١/١٧٤ .
(٢) حالي : حيات سعدى ص ١٠٣ .
(٣) حالي : المقدمة ص ٢٥-٢٧ .
(٤) الجاحظ : الحيوان ٢/١٣٠ .
(٥) انظر : محمد مندور : النقد المنهجي عند العرب ص ٢٤ .
(٦) حالي : يادگار غالب (حصه اردو) ص ١٣٢ .
(٧) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ص ١٩-٢٠ .

تطرق حالي أيضا الى قضية اعجاز القرآن ، إلا أنه لم يدخل في تفاصيلها بل اقتصر على القول بأنه "لا يمكن أن يكون جميع الشعر لأحد الشعراء الفحول في الدنيا على مستوى رفيع من حيث الجودة والجمال ،فان هذه ميزة اختص بها القرآن الكريم. وهذا ما أشار اليه سبحانه وتعالى في قوله : ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ﴾"(١) .

وقد تأثر حالي هنا بالباقلاني ،حيث تناول هذه النقطة بتفصيل ،وقارن بين الشعر والقرآن ،وذكر من وجوه الإعجاز هذا الوجه الذى أشار اليه حالى . قال في كتابه "إعجاز القرآن " : " ومتي تأملتَ شعر الشاعر البليغ رأيت التفاوت في شعره على حسب الأحوال التي يتصرف فيها ، فيأتي بالغاية في البراعة في معنى ، فاذا جاء الى غيره قصر عنه ووقف دونه ،وبان الاختلاف على شعره . . . ثم نجد من الشعراء من يجود في الرجز ولا يمكنه نظم القصيدة أصلا . ومنهم من ينظم القصيد ،ولكن يقصر تقصيرا عجيبا . . . ومنهم من يبلغ في القصيدة الرتبة العالية ولا ينظم الرجز ، أو يقصر فيه مهما تكلفه أو تعمله "(٢) .

ثم يذكر إعجاز القرآن بقوله : " وقد تأملنا نظم القرآن ، فوجدنا جميع ما يتصرف فيه من الوجوه . . . . على حد واحد في حسن النظم وبديع التأليف والرصف ،لا تفاوتَ فيه ،ولا انحطاطَ عن المنزلة العليا ،ولا إسفاف فيه إلى المرتبة الدنيا . . . "إلى آخر ما قاله (٣) .

ومن الموضوعات التي تناولها حالى في كتابه : أهمية الشعراء عند العرب (٤) ، وتأثير الشعر الجاهلي (٥) ،والشعر في صدر الإسلام (٦) ،وفي القرن الرابع

---

(١) حالى : المقدمة ص ٩٥ - ٩٦ والآية من سورة النساء ٨٢ .
(٢) الباقلاني : اعجاز القرآن ص ٣٧ .
(٣) المصدر نفسه ص ٣٧ .
(٤) حالي : المقدمة ص ٣٣-٣٤ .
(٥) المصدر نفسه ص ٢١-٢٣ .
(٦) المصدر نفسه ص ٣٦ .

ومهما يكن من أمر فلا شك أن حالي اطلع على كتب الأدب والنقد ،واستفاد منها استفادة جمة في تكوين آرائه النقدية ،وتأثر بها إلى أبلغ حد كما رأينا فيما سبق . وقد كان أول ناقد أردي اتجه في النقد هذا الاتجاه ،وتبعه كثير من النقاد مثل: حامد الله أفسر (في كتابه " نقد الأدب ") ، وعبد القادر سروري (في كتابه " جديد اردو شاعري ") ، ويگانه چنگيزي (في كتابه " چراغ سخن ") ،وآه سيتاپوري (في كتابه " فلسفهٔ مير ") ، وعبدالسلام ندوي (في كتابه "شعر الهند ") وغيرهم (١) ، ولم يضيفوا إلى ما قاله حالي الا قليلا . ويكفي لحالي شرفا أن يكون رائدا في هذا الميدان .

---

(١) انظر : وحيد قريشي : مقدمته على "مقدمهٔ شعر وشاعري" ص ١٦ .

الفصل الثالث

تأثره بالنقد الأوربي الحديث

لم يكن يَعرف حالي اللغةَ الانجليزية ولم يدرس آدابها ،كما صرح بذلك في عدد من المواضع[١] ، وقال في مقدمة " مجموعة نظم حالي " : " لم أكن أعرف أصول الشعر الأوربي زمنَ إقامتي بلاهور ،ولا أعرفها الآن ،وأرى أن لغة نامية مثل الأردية لا تستطيع أن تقلِّد الشعر الأوربي بصورة مرضية ،وكل ما في الأمر أنني شخصيا كنت لا أرغب في المبالغة والإغراق في الخيال ،ووافق هواى حركة الشعر الحديث التي نشأت في لاهور . وليس هناك أمر آخر في شعرى مما يشير الى تقليد الشعر الانجليزى والخروج عن طريقة الشعر القديم "[٢] .

يتضح من بيانه أنه لم يدرس الأدب الإنجليزى ،ولكنه من جانب آخر كان معجبا بآراء بعض النقاد الأوربيين ،حيث اطلع على بعض الكتب المترجمة الى الأردية أو استمع إلى من يقرأ ويترجم له بعض النصوص منها بالأردية ،ونجد أنه كثيرا ما يجانب الصواب في فهم المقصود وأحيانا يعكس المعنى تماما لأنه ينقل هذه المقتبسات بعد قطعها عن السياق ،ويبنى عليها كلامه ويعتمد عليها في شرح النظرية وتفصيلها .

ذكر حالي في "مقدمته " أسماء بعض النقاد واقتبس أقوالهم ، مثل : مكالى[٣] (Thomas Babington Macaulay) (١٨٠٠-١٨٥٩م) ، وملتون[٤] (John Milton) (١٦٠٨-١٦٧٤م) . ويبدو أنه لم يستفد من كتاب الثاني مباشرة وانما وجد أقواله في المصادر الأخرى فأخذ عنها أو قرأ له وترجم " رسالته في التعليم "(Tracte of Education)

---

(١) انظر : حالى : كليات نثر حالي ٢/١٢١، ٢٣٨، ٢٦٨.

(٢) حالي : كليات نظم حالي ١/٥٣.

(٣) حالي : المقدمة ص ٤٦-٤٧ ، ٧٠ ، ١١٣.

(٤) المصدر نفسه ص ٦١ ، ٦٨ ، ٩٥ .

أحدُ الأشخاص الذين لم تكن لديهم المقدرة الجيدة على الترجمة ،فاننا لو نظرنا إلى القول الذى اقتبسه حالى : (Poetry is simple , sensuous & Passionate) (الشعر بسيط ،حسي،وعاطفي) وقطعناه عن السياق وجعلناهنه نظرية كما فعل حالى في كتابه فلا يمكن أن تنطبق حتى على شعر ملتون فضلا عن الشعـــراء الآخرين ،ويخرج عن تعريف الشعر معظمُ شعر الشاعرين العظيمين : غالب واقبال (١) . والواقع أن ملتون كتب هذه الجملة إلى أحد أصدقائه ،ولم يكن غرضه من ذلـك أن يبين حدود الشعر وخصائصه ،وإنما ذكر بعض الأمور التي تتعلق بالشـــعر دون أن ينفي تسمية ما لا تحتوى عليهـا شعرا فليس لهذه الجملة تلك الأهمية التي أعطاها حالي وركّز عليها وبنى عليها نظريته وشرحها في كتابه . فملتـون نفسه يذكر في رسائله أمورا أخرى كثيرة تتعلق بالشعر وأصوله وخصائصه ،كما أشار إليها الذين كتبوا عن ملتون ودرسوا آراءه (٢) .

وربما يكون لحالي بعض العذر في ذلك ،فان أحد النقاد الإنجليز وهـو: كولردج (Coleridge) (١٧٧٢-١٨٣٤م) ركز على الأمور الثلاثـــة المذكورة في محاضراته عن ملتون ،وذكر أن ملتون اختصر خصائص الشعر فـــي ثلاث كلمات ،وكان لهذا الرأى تأثير كبير في الشعراء الرومانسيين ،فامتـــاز ورد زورث (Wordsworth) (١٧٧٠- ١٨٥٠م) بالبساطة ، و شـــيلـــي (Shelley) (١٧٩٢-١٨٢٢م) بالعاطفة القوية ،وكيتس (Keats) (١٧٩٥-١٨٢١م) بالحسية الشهوانية (٣) . إلا أن النقاد المحدثين الآن لا يتحدثون عن الأمور الثلاثة المذكورة في دراساتهم عن ملتون ولا يركزون عليهـــا عندما يتكلمون عن خصائص الشعر . والأمر كما قلنا مجرد إشارة من ملتون إلى بعض

---

(١) انظر كليم الدين احمد : اردو تنقيد پرايک نظر ص ٩٩ ، ووحيد قريشي : مقدمته على مقدمةُ شعر وشاعرى ص ٤٥-٥٥ .

(٢) انظر: محمد أحسن فاروقي : مقاله ضمن كتاب " مطالعةُ حالي " ص ١١٩ .

(٣) انظر Anthony Burgess, English Literature(Hong Kong 1980) pp. 166-169, 170 , 172.

صفات الشعر لا حصرها في ثلاثة كما فهم حالي .

و هناك أمر آخر ينبغي أن نشير اليه ،وهو أن حالي عندما ترجم هـــذه المصطلحات إلى الأردية بقوله : " سادگی (البساطة) ،أصليت (الواقعية) ، جوش (العاطفة) " أصاب في ترجمة الكلمة الأولى والثالثة الى الأردية ، ولكنه أخطأ في ترجمة الكلمة الثانية (Sensuous) ، فليس معناه أن يكون الشعر واقعيا ،وانما يريد أن يكون " حسيا أو شهوانيا " . ولعل حالي أخطـأ في فهم ما قاله كولردج في هذا الصدد من أنه لا بد أن تكون تلك الحسية مرتبطة بالواقع والحقيقة (Reality) ولا تكون مجرد تخييل أومبالغة . وقد حذف حالي " الحسية " من هذا الكلام وأخذ الواقعية والحقيقة وشرحها كما فهمها ،وذهب بعيدا عما أراده ملتون (١) .

أما مكالى فقد نقل حالى بعض آرائه في " المقدمة " وغيرها (٢) ،وبعد الرجوع الى " مقالات مكالى "(Essays) يبدو أن حالى استفاد من مقالتين منها ،وهما " Milton " و " Moor's life of Lord Byron " (حياة اللورد بايرون لمور) ،وترجم حرفيا ما وجد فيهما من الآراء التي تفيده (٣) . ولعله لأول مرة في النقد الأردى تحدث عن نظرية المحاكاة لأرسطو وعرضهـــا وقارن بين الشعر والتصوير والنحت والتمثيل ،كل ذلك نقلا عن كتاب مكالى (٤) ، كما تحدث عن تأثير شعر ملتون وسبب ذلك (٥) . ووافق على قوله : إننا لا نجد شاعرا برع في نظم الشعر في غير لغته الأم ووصل فيه إلى المستوى الفنى الرفيع، وقد نظم بعض كبار شعراء الروم بالفرنسية ،إلا أن شيئا منها لم يبق الآن ،ولكثير من الإنجليز دواوين شعر لاتيني إلا أن أحدا منها لا يعد في المرتبة العليـــا

---

(١) انظر حالى : مقدمة ص ٧٣ - ٧٦ .

(٢) انظر حالي : مقدمة ص ٤٦ -٤٧ ، ٧٠ ، ١١٣ ،ويادگار غالب (فارسي)ص ٤٦٠ .

(٣) انظر وحيد قريشى ، مقدمته على المقدمة ص ٥٥ .

(٤) حالى : مقدمه ص ٤٦-٤٧ .

(٥) المصدر نفسه ص ٧٠ .

ولا في المرتبة التالية منها ،حتى ديوان الشعر اللاتيني لملتون أيضا لم يصل الى هذا المستوى (١) . ولذلك يشير حالى على المواطنين أن لا ينظموا الشعر إلا بالأردية فانها اللغة الأم بالنسبة لهم ،وهذه اللغة فقط من بين اللغات الهندية تناسب للتعبير عن جميع الأفكار والمشاعر لكونها أغنى اللغات الهندية من حيث المفردات ،ويفهمها العامة والخاصة في سائر أرجاء الهند . ثم إن تراثها الشعرى والأدبي أكثر من تراث اللغات المحلية الأخرى ،ولهذه الأسباب يرى حالي أن يختار أهل الهند اللغة الأردية للتعبير عن عواطفهم ومشاعرهم في الشعر (٢) .

ومن الغريب أن حالي يخالف هذا الرأى في كتابه الآخر "حيات سعدى" حيث ينقل كلام مكالى ،ويعقب على ذلك بقوله (٣) : ان ما قاله مكالى صواب اذا نظرنا الى الشعر الأوربي ،فانه في الواقع تصوير للطبيعة ،وميدانه واسع جدا ،فلا يمكن أن يراعى الشاعر متطلباته وحدوده إلا في لغته الأم ، بخلاف الشعر الشرقي وخاصة الشعر الفارسي عند المتأخرين ،فليس فيه الا تقليد القدماء في موضوعاتهم والتعبير عنها بطرق متنوعة وأنواع من الزخارف اللفظية ،ويعتبر ذلك فضيلة للشاعر. ومثل هذا الشعر لا يُستَخدم فيه الا جزء محدود من مفردات اللغة ، ويمكن أن يتعلمه أحد ولو كان من بلد آخر ،و يستطيع أن يستخدمه في الشعر مثل شعراء تلك اللغة أو أفضل منهم ،بشرط أن تكون عنده ملكة الشعر.

وأرى أنه اضطر الى هذا التأويل أو التوجيه ليقرر بذلك فضل أستاذه الشاعر "غالب" في الشعر الفارسي على شعراء إيران ،فهو يرى أن "غالب" يساوى في فن القصيدة والغزل مرتبةَ "عُرْفِي" و "نَظِيري" و يَفضُل على "ظهورى" ،و في فن المثنوى يتساوى مع "ظهورى" ويفوق "عرفى" و "نظيرى" ،وفي النثر يفضل عليهم جميعا (٤) .

---

(١) حالى : مقدمة ص ١١٣ . (٢) المصدر نفسه ص ١١٣-١١٤ .

(٣) حالى : حيات سعدى ص ٤٦٠ . (٤) المصدر نفسه ص ٤٦٢ .

وفي أول كتابه " المقدمة " نقل قولا لبعض العلماء أنه شبّه الشعر بالفانوس السحرى ،أى كما أنه يضيء أكثر في الغرفة المظلمة فكذلك الشعر يكون أروع وأجمل في عصور الجهل والبداوة (١) . ثم يؤكد ذلك فيما بعد بقوله : ان كثيرا من العلماء يرون أن انتشار العلم يؤدى الى ضعف الشعر ،فان أساس الشعر هو التخيل ، ومهما ازداد العلم والبحث عن الأسباب قلّ الخيال . ثم نقل قول العالم المذكور الذى يشبه الشعر بالفانوس السحرى بتفصيل أكثر (٢) .

هذا الرأى كان شائعا بين علماء الطبيعة في أوائل القرن العشرين ،وتحدث عنه مكالي في إحدى مقالاته في مجموعته التي أصدرها بعنوان (Essays) ، ولا قيمة له الآن في الدراسات النقدية . وقد حاول حالى أن يجمع بين هذا الرأى والرأى المعاكس له والذى يقول إن العلوم وان أثرت على جانب من اللغة الا أنها أفادت أكثر مما جنت عليها ، فقد تطورت اللغة بواسطتها وأصبحت ملائمة للتعبير عن كل الأفكار والمشاعر ،وابتدعت صورا وتشبيهات لم تكن في السابق ،كما أن الخيال أيضا لا يمكن أن يضعف ما دامت الطبيعة والكون والحياة والعواطف بجميع أنواعها موجودة عند الانسان ،وانما يحتاج الى التأمل فيها والانفعال بها وقوة الابداع عند الشاعر.

وفي مواضع أخرى من " المقدمة " ينقل آراء بعض العلماء الأوربيين ولا يصرح بأسمائهم ،وأحيانا يتأثر بأقوال بعض النقاد بدون أن ينسب الأقوال اليهم ونستعرض فيما يلي هذه المواضع ،ونحاول أن نحدد المصادر التي رجع اليها حالى أو استفاد منها بواسطة بعض زملائه وأصحابه .

تحدث حالي عن عظمة الشعر واقتبس اقتباسا طويلا من كلام أحد الأوربيين يذكر أن الشعر ينبّه تلك القوى التي تتعطل بسبب الاشتغال بأعمال الدنيا ، ويجدد فينا تلك العواطف والمشاعر اللطيفة التي كانت عندما كنا أطفالا . .والشعر يخرجنا من دائرة المحسوسات ويجعل الماضي والمستقبل ماثلَين أمامنا ،وهو يؤثر

---

(١) ص ١٤ . (٢) انظر حالى : مقدمة ص ٢٥-٢٦ .

على أخلاقنا ليس عن طريق العقل فحسب ،بل عن طريق الاحساس والشعور أيضا . . . ولو أن أفلاطون نجح في محاولته لاخراج الشعراء من جمهوريته المثالية لم يكن ذلك في صالح الأخلاق الفاضلة ،وتولد بعد ذلك مجتمع جامد بعيد عن عواطف الحب والإخاء والمودة ،لا يستجيب للمشاعر ولا يعمل برغبة القلب ، بل ينظر دائما إلى المصلحة والمناسبة . وهذا هو السر في أننا نرى كل شعوب العالم تعظم الشعراء وتحترمهم (١) .

وهذه العبارة ترجمة حرفية لكلام الكاتب جون استوارت ميل (John Stuart Mill) (١٨٠٦-١٨٧٣م) في مقاله عن الشاعر ورد زورث (٢) . ولم يتنبه حالي إلى أن الكاتب يريد بذلك أن يبين خصائص شعر ورد زورث ومميزاته ،كما يبدو من السياق .ولا يريد أن يعمم هذا الكلام على جميع الشعراء . ولو بدأنا نطبقه على الشعر عامة - ونضع في أذهاننا أنه يهذّب الأخلاق - لوجدنا أن أكثر الشعر الأردى والفارسي وجزءا كبيرا من الشعر العربي والانجليزى لا قيمة له ،وهذا لا يمكن لأحد أن يقول به .

وأخطأ حالي أيضا عندما يقول عن جولد سمث (Goldsmith) (١٧٣٠-١٧٧٤م) وإصلاحه للشعر : " إنه لما خرج عن مذهب الشعراء القدامى الذى كان أساسه الكذب والمبالغة والفحش ،ونظم شعر الطبيعة واجهَ مشاكل كثيرة وقد ذكرها الشاعر في قصيدة له يخاطب فيها شعرَه على المنهج الجديد مشيرا الى تلك الظروف والمشاكل ،ثم تَرجَمَ قطعة من تلك القصيدة (٣) .

و في هذه الفقرة أخطاء علمية عديدة ،مَن هُم الشعراء القدامى ؟ وهل بدأ جولد سمث نظم شعر جديد يُخالف به منهجَ القدماء ؟ كل من درس تاريخ الشعر الإنجليزى يعرف أن الشعر الانجليزى لم يفسُدْ بسبب الكذب والمبالغة

---

(١) حالى : مقدمة ص ٢٨-٢٩ .
(٢) انظر: محمد أحسن فاروقي : مقاله في كتاب " مطالعةُ حالى " ص ١١٧ .
(٣) حالى : مقدمة ص ٤١-٤٢ .

والفحش ، بل على عكس ذلك أصابه الجفاف والجمود أحيانا بسبب غلبة الموضوعات الخلقية عليه ،وقد كان جولد سمث متبعا لهذا المنهج الخلقي في شعره طوال حياته ،إلا أنه كان ذا موهبة شعرية حيث أحيا هذا النوع البارد من الشعر بقوة تعبيره ،فلم يكن رائد الشعر الحديث ولا مصلحا للشعر القديم بحيث يغير مجرى الشعر.

أما القصيدة التي أشار إليها حالي فهي بعنوان (The Deserted Village) وهي من أشهر القصائد الانجليزية في القرن الثاني عشر الميلادى (١) ،وقد ترجم حالي القطعة الأخيرة منها . وليس فيها التنبيه على فساد الشعر كما فهمه ،وانما بكى فيها الشاعر على انهماك أهل العصر في المادية وعدم حصول الشاعر على مكانته في المجتمع وابتعاده عن العصر ومتطلباته . ولقد أخطأ حالى عندما اقتبس من القصيدة للدلالة على فساد الشعر القديم وانتهاجه منهجا جديدا يختلف فيه عن الشعراء الآخرين ،فليس الأمر كما توهم.

ونجد تأثير كتاب "حياة الشعراء" لجونسون (Johnson, Lives of Poets.) في مواضع من "المقدمة" ،حيث يتحدث فيها حالى عن بعض الشعراء الأوربيين ويبين بعض ما يتعلق بحياتهم وشعرهم ،ومن أمثلة ذلك بيان خصائص شعر والتر اسكوت (٢) (Sir Walter Scott) (١٧٧١-١٨٣٢م) ،وطريقة نظم الشعر والتأني في صياغته عند ڤرجيل (Virgil) (٨٩-١٩ ق.م) ،وأرستوفان (Aristophanes) (٤٤٨-٣٨٠ ق.م) ،وملتون (٣) . وذكر قصة سولون (Solon) (٦٤٠ ؟ -٥٦٠ ؟ ق.م) وتحريضه لشعبه بواسطة الشعر في أثينا (٤) ، كما أشار الى تأثير الشعراء في انجلترا عندما هاجم الملك ادوارد على مدينة ويلز فقام الشعراء يحرضون أبناء أمتهم لمقاومة الملك (٥) ،

---

(١) انظر : Anthony Burgess, English Literature. p.145.

(٢) حالى : المقدمة ص٥٦-٥٧ . (٣) المصدر نفسه ص ٦٠-٦١ .

(٤) المصدر نفسه ص ١٧-١٨ . (٥) المصدر نفسه ص ١٨-١٩ .

وذكر مدى تأثير قصيدة الشاعر بايرون (Byron) (١٧٨٨-١٨٢٤م) بعنوان (Childe Harolds Pilgrimage) [١] ،وتأثير مسرحيات شكسبير [٢] (William Shakespea re) (١٥٦٤-١٦١٦م) .

ووردت أسماء بعض شعراء أوربا عرضا في عدد من المواضع [٣] ،مثل : هوميروس (Homerus) (بين القرنين ١٢-٩ ق.م ؟) ،ودانتي (Dante) (١٢٦٥-١٣٢١م) وسوفوكليس (Sophocles) (٤٩٥-٤٠٦ ق.م) ، وبندار (Pindar) (٥١٨ - ٤٣٨ ق.م) الا أنه لم يقف عندهم طويلا .

كان حالي مولعا بذكر الأمثلة من تاريخ الأدب الأوربي الى جانب الاستشهاد بنصوص الآداب الشرقية (العربية والفارسية والأردية) ،ويمزج هذه بتلك ويستخرج منها نتيجة و يبنى عليها كلامه ،وكثيرا ما يخطيء عندما يطلق الكلام بدون تخصيص أو يقطع المقتبسات من سياقها فتُوهِم خلاف المراد . فمثلا ما قاله عن الشاعر بايرون و تعظيم المجتمع له [٤] لم يكن الا في مرحلة من مراحل حياته حيث أكرمه الشعب و تعلّق به ولكن فيما بعد كرهه وأساء اليه حتى اضطر الى أن يغادر بلده ويسكن في ايطاليا . أما قوله عن قصيدة بايرون المذكورة : "إن الشاعر حرّض بها أوربا على قتال الأتراك ،وقد أثرت القصيدة فيهم كما تؤثر النار في المواد المتفجرة" [٥] فليس الا مبالغة في رفع شأن القصيدة ،وخطأ من الناحية التاريخية . وكذلك عندما يقول عن الشعر المسرحي : " إنه أثّر في أوربا وأفاد أهلَها سياسيا وخلقيا واجتماعيا ،و تعد مسرحيات شكسبير في مرتبة الكتاب المقدس (Bible) لآثارها الطيبة التي تركت في المجتمع" [٦] .

والواقع أن الشعر المسرحي كان له تأثير سيء أيضا وخاصة من الناحية الخلقية ، ولا يخفى على دارس الأدب الإنجليزي أن كثيرا من الشعر الإنجليزي يدعو إلى

---

(١) انظر حالي : المقدمة ص ١٩-٢٠ .

(٢) المصدر نفسه ص ٢١ ورد اسمه عرضا في ص ٦٩ ، ٧٢ .

(٣) المصدر نفسه ص ٤٦ ، ٦٨ ، ٧٢ ، ٧٨ . (٤) المصدر نفسه ص ١٦-١٧

(٥) المصدر نفسه ص ١٩ . (٦) المصدر نفسه ص ٢١ .

الانحلال الخلقي ،وبعضه مكشوف وصريح للغاية ،ولا قيمة له من الناحية الخلقية والاجتماعية ،وان كانت له أهمية من الناحية الفنية . أما مسرحيات شكسبير فقد فُسِّرتْ بتفسيرات مختلفة ،واعترَضَ على كثير منها أولئك الذين يرجحون الجانب الخلقي على الفن . وانما أهمية شكسبير أنه يصور الحياة بكل جوانبها تصويرا حيا ، فلا وجه لمقارنته بالكتاب المقدس ،لأنه لم يهدف الى توجيه الناس وإصلاحهم ودعوتهم الى التمسك بالمبادىء الخلقية والاجتماعية ، فتأثير شكسبير لم يكن في هذه الجوانب كما فهم حالي . ولعله قال هذا الكلام ليخدم بذلك الغرض الذى ألّف من أجله كتابه " المقدمة " ،وذلك أنه كان يريد النهوض بالشعر الأردى وتوجيهه واصلاحه ،ويدعو الى احتذاء النماذج الشعرية الرفيعة التي تفيد المجتمع ،والخروج على الطريقة التقليدية في النظم والتعبير عما يهم المجتمع والشعب ،ويرى أن يكون الشعر هادفا لا يعارض الدين والأخلاق . وعلى أساس هذه الأفكار التي كانت نتيجة للظروف السياسية والاجتماعية التي عاشها حالى ، بنى آراءه في الأدب والنقد ،ودعمها بما وجد من نصوص في الآداب الشرقية والغربية ،وأخطأ في فهم بعض منها ، وهذا لا يقلل من شأنه ،وانما يدل على حرصه الشديد على تتبع هذه النصوص والاستفادة منها لتأييد آرائه .

تأثر حالي بجونسون في شرحه لمعنى " الشعر الطبيعي " أيضا ، فهو يُعرّف ذلك بقوله : " هو الشعر الذى يكون مطابقا للفطرة والطبيعة والعادة من حيث الموضوع أو الأسلوب ،أى أن كلماته توافق الأسلوب المألوف المستخدم عند أهل اللغة وتكون كشيء طبيعي بالنسبة لهم ،ولا تكون غريبة لديهم . وموضوعاته تتفق مع ما يحدث في الواقع ويجرى في الحقيقة "(١) .

وهذا مأخوذ عن جونسون ولو لم يذكر حالي مصدره ،فنحن نجده يشرح كلمة (Nature) (الطبيعة) في كتابه " حياة الشعراء الإنجليز " (Lives of The English Poets) فيقول :

---

(١) حالى : مقدمة ص ١٠٢ .

" If by nature is meant what is commonly called nature by the criticks, a just representation of thing really existing and actions really performed , nature cannot be properly opposed to art , nature being in this sense , only the best effect of art". (١)

وكان هذا المعنى شائعا ومعروفا لدى نقاد أوربا ،وقد كان حالى وزملاء السيد أحمد خان هم الذين قاموا بالدعوة إلى الشعر الطبيعي لأول مرة في الأدب الأردى ،ونظموا قصائد كثيرة تخالف المنهج القائم على المبالغة والخروج عن الواقع وكثرة استخدام المحسنات والصنائع اللفظية .

وقد اطلع حالي أيضا على نظرية الخيال عند كولردج ولكنه لم يستوعبها وإنما أخذ جزءا منها وشرحه من عنده . يقول حالى : " الخيال تلك القوة التي ترتب المعلومات التي تختزن في العقل عن طريق المشاهدة والتجربة ،وتنظمها من جديد ،وتبرزها في قالب جميل عن طريق الكلمات باستخدام أسلوب خاص يختلف عن الأساليب العادية "(٢) .

واضح أن هذا التعريف للخيال ليس إلا جزءا من نظرية الخيال عند كولردج ، فهو يقول في كتابه الشهير "السيرة الأدبية" (Biographia Literaria):

" إنني أعتبر الخيال إذن إما أوليا أو ثانويا . فالخيال الأولى هو في رأيي القوة الحيوية أو الأولية التي تجعل الإدراك الانساني ممكنا ،وهو تكرار في العقل المتناهي لعملية الخلق الخالدة في الأنا المطلق . أما الخيال الثانوى فهو في عُرفي صدَى للخيال الأولى ،غير أنه يوجد مع الإرادة الواعية ،وهو يشبه الخيال الأولى في نوع الوظيفة التي يؤديها ،ولكنه مختلف عنه في الدرجة وفي طريقة نشاطه ،إنه يُذيب ويُلاشِى ويُحطِّم لكي يَخلُق من جديد ،وحينما لا تتسنى له هذه العملية فانه على الأقل يسعى إلى إيجاد الوحدة ،وإلى تحويل الواقع الى

---

(١) Samual Johnson , Lives of the English Poets. Vol. II , pp. 347-348.

(٢) حالى : مقدمة ص ٥٢ .

المثالي . انه في جوهره حيوى ، بينما الموضوعات التي يعمل بها (باعتبارها موضوعات) في جوهرها ثابتة لا حياة فيها "(١) .

ويقول في كتاب آخر له تحت عنوان الخيال الثانوى : " الخيال هو القدرة التي بواسطتها تستطيع صورة معينة أو إحساس واحد أن يهيمن على عدة صور أو أحاسيس (في القصيدة) ، فيحقق الوحدة فيما بينها بطريقة أشبه بالصهر . . وهذه القوة التي هي أسمى الملكات الإنسانية تتخذ أشكالا مختلفة ، منها العاطفي العنيف ، ومنها الهادىء الساكن ، ففي صور نشاطها الهادئة التي تبعث على المتعة فحسب نجدها تخلق وحدة من الأشياء الكثيرة (بينما تفتقد هذه الوحدة في الرجل العادى الذى لا تتوافر لديه لملكة الخيال لهذه الأشياء ، اذ نجده يصفها وصفا بطيئا الشيء تلو الشيء بأسلوب يخلو من العاطفة) . وهذه الوحدة التي تحققها قوة الخيال إنما تشبه الوحدة التي تخلقها الطبيعة ذاتها التي هي أعظم الشعراء جميعا ، فحينما نفتح أعيننا على منظر طبيعي منبسط أمامنا إنما نشعر بوحدة هذا المنظر "(٢) .

نرى في كلام كولردج أنه يقسم الخيال إلى أولى وثانوى ويجمع بينهما في أشياء ويفرق بينهما في أشياء أخرى ، ففي عملية الخيال الأولى تسبر النفس أغوار الموضوع وتلتحم به حتى لتكاد الذات تصبح موضوعا والموضوع ذاتا ، ومن خلال هذا الالتحام الذى يتم فيه اندماج الذات بالموضوع تتكشف للذات حقيقة الموضوع الجوهرية ، فيصل الإنسان إلى حقيقة الشيء الذى أمامه ، وتكون هذه العملية بمثابة الأساس الذى تقوم عليه المعرفة كلها .

---

(١) انظر : Biographia Literaria, Vol. I, p.200

و محمد مصطفى بدوى : "كولردج" ص ١٥٦ ، ١٥٧ (ط. القاهرة ١٩٥٨م) .

وجميل جالبي : "ارسطو ليحيط تك" ص ٣١٥ (ط. دلهي ١٩٧٧م) .

(٢) انظر: Coleridge , Shakesperean Critioiem Vol. I, pp. 212-213

و محمد مصطفى بدوى : "كولردج" ص ١٥٨ - ١٥٩ .

واذا كان الخيال الأولى يقوم بهذا الكشف بأن يسبر أغوار الموضوع ،فكذلك الحال في الخيال الثانوى الذى هو الخيال الشعرى ، فالذى يحدث في الخيال الشعرى شبيه بالذى يحدث في الخيال الأولى مع وجود بعض فروق هامة وضرورية ،فالخيال الأولى يسعى إلى الوقوف على ماهية الأشياء وإدراكها ، ويحتاج إلى سبر أغوار الشيء والنفاذ إلى أعماقه ، ولكن الإدراك في الخيال الشعرى أو الثانوى ليس إدراكا يقوم على استقصاء الصفات والجزئيات التي يتركب من مجموعها الشيء المدرك ،وانما هو إدراك يقتصر فيه الشاعر على الصفات التي تهمه فقط من الشيء المدرك .

والصورة في الخيال الثانوى تستلزم أن يكون موضوعها غائبا ، على النقيض من الإدراك الذى يفترض وجود موضوعه . فالخيال الثانوى يتخذ مادته من الواقع ولكنه يلغيه أو يعتبره غير حاضر ،وإلى هذا أشار كولردج في قوله : " أما الخيال الثانوى فهو في عرفى صدى للخيال الأول غير أنه يوجد مع الإرادة الواعية ،وهو يشبه الخيال الأولى في نوع الوظيفة التي يؤديها ،ولكنه يختلف عنه في الدرجة وفي طريقة نشاطه ،انه يُذيب ويُلاشِى ويُحَطِّم لكي يخلق من جديد" .

كل هذه التفاصيل وغيرها (١) مما أتعبت الدارسين والنقّاد في شرح تعريف الخيال عند كولردج ،وقد أقروا بصعوبتها (٢) ،وهذا الأمر يجعلنا نعذر حالي في عدم استيعابه لفكرة الخيال ، واقتباس جزء منها وترجمته إلى الأردية ، ويكيفه فضل اثارة هذا الموضوع في النقد الأردى لأول مرة (٣) .

---

(١) انظر : محمد غنيمي هلال : النقد الأدبي الحديث ص ٣٨٩-٣٩٢ ،ومحمد زكي العشماوى : قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث ص ٥٥-١٢١ (ط. القاهرة ١٩٧٨م) .

(٢) انظر: إليوت في كتابه The Use of Poetry & The Use of Criticism pp.77.
و ريتشاردز : مبادىء النقد الأدبي ص ٢٥١-٢٥٢ .

(٣) وينبغي الإشارة هنا الى أن بعض المصادر الشرقية أيضا شرحت "الخيال" والقوة المتخيلة . انظر مثلا : نظامى سمرقندى : چهار مقاله ص ٧-٨ (ط. ليدن ١٩٠٩م) ، ومن الممكن أن يكون حالى قد اطلع عليه .

ومن القضايا التي أثارها حالى متأثرا بالنقد الأوربي قضية الوزن وقيمته في الشعر ،فقال : " إن الوزن للشعر مثل الكلمات للنغم ، فكما أن النغم لذاته لا يحتاج الى الكلمات ، كذلك الوزن ليس داخلا في ماهية الشعر ،وهناك كلمتان في الإنجليزية بمقابل "الشعر" و"النظم" : (Poetry) و (Verse) ، وكما أن الأوربيين لا يشترطون الوزن لـ (Poetry) بل لـ(Verse) فقط ،فكذلك علينا أن لا نجعل الوزن شرطا للشعر بل للنظم فقط "(١) .

كما أخرج القافية أيضا من ماهية الشعر ،وقال : إن الشعر المرسل أكثر رواجا في أوربا الآن . وأضاف إلى ذلك أن القافية (وخاصة في الشعر الفارسي والأردى) تَصْرِف الشاعر عن أداء مهمته . وكما أن الصنعة اللفظية تحول بين الشاعر وبين الانطلاق ،فكذلك القافية تمنعه من إيضاح الفكرة . وبدلا من أن يجيء الخيال في الذهن أولا ويختار لأدائه الكلمات المناسبة ،يحدد أولا القوافي ويجعل الخيال في المرتبة الثانية تابعا لها وموافقا لما توحي اليه القافية ،ومعنى ذلك أن الشاعر لا يعبر عن الأفكار والأحاسيس التي يشعر بها بكل حرية ، بل يتقيد بالقافية ،فلا يمكن له أن يعرض أى فكرة اذا لم تسمح بها القافية وتتسع لها (٢) .

لقد تحدثنا في الفصل الأول من هذا الباب عن آراء حالى في الوزن والقافية وما أحدثت من ضجة في الأوساط الأدبية ،حيث قام عدد من النقاد والكتّاب للرد عليها . ويهمنا هنا أن نبين أن حالى تأثر في هذا البحث بآراء بعض النقاد الأوربيين ، وقد كان الرمزيون أول من دعا الى ذلك حيث أرادوا أن يجددوا في أوزانهم في لغاتهم الأوربية -على سمتها في أوزانها- وأن يتخلصوا من سلطان القافية . وعندهم أن الوحدةَ الحقَّ هي وحدة الشعور والاحساس ،ويجب تطويع الكلمات والتعبيرات لتلائم الفكرة في التجربة أو الشعور المختبر .

---

(١) حالى : المقدمة ص ٤٣ . (٢) انظر المصدر السابق ص ٤٤-٤٥ .

ولهذا لا بد من تحطيم القوالب الرتيبة ،لتغيير الوحدة الموسيقية مع تغير العبارة وتتنوع بتنوع الاحساس . فالموسيقى جوهر الشعر وأقوى عناصر الإيحاء فيه .والموسيقى تنبعث من وحدة الدافع في الجملة على حسب الشعور الذى يعبر عنه . وتطابق الشعور مع الموسيقى المعبرة عنه هو ما يؤلف وحدة القصيدة كلها . ولا ينبغي أن تكون هذه الموسيقى رتيبة بحال ،لأنها تعبيرية إيحائية تضفي على الكلمات أقصى ما يستطاع التعبير عنه من معنى ،وتتنوع من وزن الى وزن على حسب الحاسة الفنية للنغمات عند الشاعر نفسه في القصيدة الواحدة . فوحدة الإيقاع في تغير - في نفس التجربة الشعرية - على حسب ما يمكن فيها من قوى تعبيرية تكشف عن خلجات النفس . والكلمات أصوات ،ودلالة الأصوات موسيقية إيحائية قبل أن تكون تعبيرية وضعية . والشاعر الحقّ هو من يستطيع أن يروى من نبع هذه الدلالات الموسيقية الأصيلة في اللغة (١) .

وأما القافية فقد هوّن بعض الرمزيين من قيمتها ،فنادوا بإهمالها ،أو اكتفوا بتقارب في الأصوات الأخيرة في الأبيات التي تتوافق فيها ،ولم يهتموا كذلك بأن يكون للبيت مصراع ،بل يكون وحدة كله .

على أن الرمزيين لم يقضوا على استعمال الأوزان القديمة ،بل أباحوا للشاعر أن ينظم بها أو ينوّع فيها ،وله كذلك أن يخترع أوزانا على الأساس السابق ، ولكنهم لم يحتموا عليه ذلك ،فالموسيقى رهينة بتجربته كما يراها الشاعر.

وقد كان لهذه الآراء تأثير كبير في المذاهب الأدبية الأخرى ،كما تأثرت بها الآداب الشرقية ،حيث نادى بها كثير من النقاد والأدباء في القرن العشرين في مختلف البلاد ،وبدأ الشعراء العرب والفرس والترك والهنود ينظمون قصائد في الشعر المرسل والشعر الحر والشعر المنثور ،ولا يزال الصراع قائما بين المحافظين والمجددين في قبول هذا الشعر ورفضه (٢) .

---

(١) انظر : محمد غنيمي هلال : النقد الأدبي الحديث ص ٤٤٥ ، ٤٤٦ .

(٢) انظر لتاريخ هذه القضية في الشعر الأردى : حنيف كيفي : " اردو ميں نظم معرا اور آزاد نظم " (ط. دلهي ١٩٨٢م) ،وحامدى كشميرى : " جديد اردو نظم اور يورپي اثرات " (ط.دلهي ١٩٦٨م) .

ولا غرابة في أن يتأثر حالي بتلك الآراء ،ويدعو إليها في كتابه المقدمة ، وخاصة إذا رأينا أنه كان يهدف منها إلى إصلاح الشعر وتجديده . على أنه لم ينكر فائدة الوزن والقافية إطلاقا فقد قال : لا شك أن الوزن يزيد في جمال الشعر وتأثيره . ثم نقل عن أحد الأوربيين أن الوزن وان لم يكن داخلا في ماهية الشعر ،وكان الشعر في بعض العصور عاطلا عن الوزن ،الا أنه مما لا شك فيه أن الوزن يزيد من تأثيره وسحره (١) .

ولعل حالي يشير الى ورد زورث الذى انتهى الى ما ذكره حالى (٢) ، وأقر بزيادة التأثير في الشعر عن طريق الوزن . وهذا ما توصل اليه كولردج أيضا ، حيث يرى أن الوزن والمادة بتآلفهما يمكن للشاعر أن يحقق عملا فنيا رائعا ،أما الوزن وحده فلا يمكنه أن يحقق قيمة فنية في ذاته . ومن أجل ذلك يشبهه كولردج بالخميرة فيقول : " ان الوزن اذا ما قصد استعماله لأغراض شعرية أشبه ما يكون بالخميرة . . . فالخميرة في ذاتها عديمة القيمة ، بل انها كريهة المذاق ، ومع ذلك فهي تضفي على الشراب الذى تمتزج به بنسب معقولة روحا وحيوية" (٣) .

هذه بعض القضايا والموضوعات التي تأثر فيها حالي بالنقد الأوربي ، وقد ذكرنا في بداية الفصل أنه لم يطلع على المصادر الغربية مباشرة ،بل استفاد من بعض نصوصها المبتورة والمترجمة إلى الأردية بواسطة بعض زملائه . ونستطيع أن نقول إن تأثير النقد الأوربي في آرائه ضعيف بمقابل النقد العربي كما رأينا في الفصل السابق . وهو وان كان معجبا بآراء النقاد والكتّاب الأوربيين إلا أنه لم يرجع إلى مؤلفات كثير من النقاد المعروفين ،فلم يعرف " مقدمة " ورد زورث على مجموعة شعره : (Lyrical Ballads) ،والا لاستفاد منها كثيرا،بل أدخل ترجمتها كلها في كتابه ، فان فيها الحديث عن بساطة الأسلوب ،التي ركز

---

(١) انظر حالى : المقدمة ص ٤٤ .

(٢) انظر: محمد احسن فاروقى : مطالعۂ حالى ص ١٣٢ .

(٣) انظر محمد زكى العشماوى : قضايا النقد الأدبي ص ٢٤٩ .

عليها حالي في مقدمته . ولا رجع إلى مؤلفات الناقد الشهير ماثيو آرنولد ،ولو وقع بيده مقالة (Literature & Science) لاستفاد منه في بيان تأثير العلوم الطبيعية في الشعر.

وعلى كل فكل ما جاء حالي في كتابه ينقول أو مقتبسات غربية جديرة بالعناية والاهتمام ، نظرا إلى أنه سبق إلى اقتباسها قبل حوالي قرن من الآن . ونحن وان كنا لا نوافق الآن على كثير من آرائه وتصوراته ،ولكنا لا نستطيع أن ننكر الفضل له في إثارة بعض الموضوعات والقضايا لأول مرة في تاريخ النقد الأدبي الحديث في الهند .

الخاتمة

الخاتمـــــة

حاولنا في هذا البحث أن نتحدث عن اللغة الأردية وعلاقتها باللغة العربية ،واخترنا شخصية أدبية من العصر الحديث لتكون موضوع دراسة تفصيلية تتناول حياته وشعره وآراءه النقدية ، وألحقنا بها الترجمة العربية الكاملة لقصيدته " مسدس مد وجزر اسلام " (قصيدة في تصوير مدّ الاسلام وجَزْره) ،نظرا لأهميتها في الشعر الأردى الحديث ،فهي أشهر قصيدة أردية على الاطلاق ، وكان لها تأثير كبير في المجتمع الاسلامي بالهند .

ولقد ركزتُ في دراسة شعره على إبراز تلك الجوانب التي تأثر فيها حالي بالثقافة العربية ،سواء في الأنواع الشعرية أو الموضوعات أو الظواهر الفنية من الألفاظ والمعاني والصور والأوزان . وخصصتُ فصلا كاملا للحديث عن قصيدته " المسدس " ،فهي من قصائده التي تتجلى فيها مظاهر التأثير العربي بوضوح .

أما في باب النقد ،فقد تناولت آراءه النقدية بالبحث والتحليل أولا ، وعقبتُ على ذلك بدراسة تأثير النقد العربي القديم فيها ،بالحديث عن المصادر العربية التي رجع اليها ،ودراسة النصوص العربية التي اقتبسها أو ترجمها ، ومقارنة آرائه بآراء النقاد العرب في أهم القضايا النقدية .

ويمكن أن الخص أهم النتائج التي توصل إليها البحث كما يلي :

١ - تأثرت اللغة الأردية باللغة العربية في كثير من الجوانب ،مثل : الخط ،والحروف ،والأصوات ،وعلامات الشكل ،والمفردات ،والقواعد ،والتراكيب ، والمصطلحات ،والتعابير والأقوال المأثورة ،والصور البيانية وأوزان الشعر . وتشكّل الألفاظ العربية في الأردية جزءا كبيرا من مفرداتها الأساسية ، حيث تبلغ - على أقل تقدير - حوالي ٣٣٪ من الألفاظ التي تستخدمها المجلات والجرائد ، فضلا عن لغة الشعر والنثر الفني ، التي تكثر فيها الكلمات العربية . أما أوزان الشعر فهي مأخوذة عن العروض العربي بعد تعديل قليل .

٢ - كان حالي من رواد الشعر الأردى الحديث ،وقد تميز من بين الشعراء المحدثين باستفادته من الثقافة العربية والأدب العربي ،واستيحائه

كثيرا من المعاني والصور منهما ،وقد كان مولعا باستخدام الألفاظ والتعابير العربية ،وربما نظم أبياتا عربية أو ملمّعة (مركبة من شطرين أحدهما أردى ، والآخر عربي) في داخل قصائده الأردية ،مما يدل على شدة تأثره بالثقافة العربية .

٣ - اتبع حالي منهج الشعراء العرب في المدح والرثاء وغيرهما ،ولا سيما رثاء المدن ،كما قلّد أسلوبَ شعراء إيران في بعض الأنواع الشعرية ،مثل : الغزل ،والمثنوى ،والرباعي ،ونظم في موضوعات جديدة لم تكن في الشعر الأردى من قبل ،مثل : الشعر الاجتماعي ، وشعر الدعوة الاسلامية .

٤ - كان حالي كثير الاقتباس من القرآن والحديث والأقوال المأثورة ، دائم الاشارة إلى القصص القرآنية والأحداث التاريخية والشخصيات الإسلامية . نجد هذه الظاهرة في الجزء الأكبر من شعره ، بينما لا نعثر على تصوير البيئة الهندية واستيحاء التراث الهندى إلا في عدد قليل من قصائده .

٥ - تأثر حالي في نثره أيضا بالثقافة العربية ،ويعتبر أثر الثقافة الانجليزية بمقابلها ضئيلا جدا يكاد يكون محصورا في استعارة بعض الكلمات الانجليزية .

٦ - كان حالي أول من اتجه في العصر الحديث الى شعر الدعوة الاسلامية ،ويعتبر الشاعر محمد اقبال متبعا له في هذا الاتجاه ،كما أن الشعراء الآخرين من البلاد العربية وتركيا وايران ممن نظموا شعر الدعوة الاسلامية يتأخرون عنه زمنيا ، فقد سبقهم الى ذلك ، حيث نظم قصيدته "المسدس" عام ١٨٧٩م.

٧ - نظم حالي في أوزان الشعر العربي / الفارسي ، ولم يستخدم الأوزان الفارسية الخالصة ،أو الهندية الخالصة إلا في قصيدة واحدة ، وهذا يدل على التزامه بالأوزان المعروفة وعدم الخروج عليها . وقد نظم قصيدته "المسدس" في بحر المتقارب ،وكذلك قصائده الأخرى في البحور العربية ، إما على أصلها ،أو بشيء من التعديل بالزحافات والعلل .

٨ - أما في النقد فقد انتهج حالي منهج النقاد العرب القدامى ، وتأثر بآرائهم في كثير من القضايا النقدية ، مثل : قضية اللفظ والمعنى ،وقضية

الصدق والكذب ،وقضية الشعر والأخلاق ،وقضية الطبع والصنعة ،وقضية الصراع بين القديم والحديث ،وغيرها .

٩ - كشفت دراسةُ المصادر العربية التي رجع إليها حالى والنصوص التي اقتبسها أو ترجمها ،عن تأثره الشديد بمقدمة ابن خلدون ، والعقد الفريد لابن عبد ربه ، والأغاني لأبي الفرج الأصبهاني وغيرها . ولعل هذه الدراسة تنبّه لأول مرة على خطأ شائع منذ أن نشر حالى "مقدمتَه "عام ١٨٩٣م الى الآن ، وهوإشارته إلى ابن رشيق في ثلاثة مواضع منها ،وقيامه بالمقارنة بين آرائه وآراء ملتون ،حتى ساد الاعتقاد عند النقاد والمؤرخين بأن حالى تأثر بابن رشيق في آرائه النقدية ،والواقع أنه لم يرجع إلى كتابه "العمدة" ، ووهم في عزو الأقوال اليه ، فوليست لابن رشيق .

١٠- تأثر حالى بالنقد الأوربي الحديث في بعض الموضوعات مثل : بيان ما هية الشعر وحقيقته ،والوزن والقافية والخيال في الشعر . وكان اطلاعه على هذه الآراء عن طريق الترجمة التي قام بها بعض زملائه . أما هو فلم يكن يعرف الانجليزية ولم يدرس آدابها ، وكانت ثقافته شرقية خالصة . وقد أخطأ في فهم بعض الآراء التي نقلها عن النقاد الأوربيين أو الاقوال التي اقتبسها من المصادر العربية ، وقد تكلمنا عليها في مكانها .

وأخيرا أدعو الله أن يوفقنا للمزيد من خدمة ديننا وتراثنا وأدبنا ، إنه سميع مجيب .

الملحق

الترجمة العربية لقصيدة "مسدس مدوجزاسلام"

ترجمة "مسدس حالي" - أو - "مسدس مد وجزر اسلام"

(قصيدة في تصوير مدّ الإسلام وجَزْره)

١

سألوا الحكيم اليوناني بقراط : ما هي الأمراض العويصة في رأيك ؟

قال : "ليس في الدنيا داء لم يخلق الله له دواء ،

إلا ما يعتبره المريض سهلا ، وبحسب نصائح الطبيب له هذيانا ،

٢

ولو وصف الطبيب علّته يزعم عنده أخطاء لا تحصى ،

ويتهرب من تناول الدواء وأخذ الحمية ،فيستفحل مرضه يوما بعد يوم ،

ومع هذا لا يتفاعل مع الأطباء ،حتى يصل إلى حال لا أمل بعدها في الحياة".

٣

إنها حال الأمة التي تبتلع سفينتَها دوامةُ البحر ،

والمرفأ بعيد ،والطوفان هادر ،والخطر مُحدِق يُنذِرها بالغرق كل آن ،

وركابها غافلون ،وربّانها يَغِطّ في نوم عميق .

٤

غيوم الذل والهوان تُظِلّ رؤوسَهم ،والبؤس يلفح وجوههم ،

والنحس يُلفُّهم من كل جانب ،وصوتٌ من اليمين والشمال :

تأملوا ،كيف كنتم في الماضي ،وإلى أين صرتم الآن ؟ كنتم تسامرون قبل قليل حتى

صادَكم نوم طويل .

٥

بيد أنهم غافلون ، قانعون بما هم فيه من الانحطاط ،

يُبدون الكِبر وهم تحت الثرى ، وأصبح الناس وهم نائمون ،

لا يأسفون لما وقعوا فيه من الهوان ،ولا يحسدون الأمم الأخرى على العز والسلطان .

٦

هم والبهائم سواء ،فرحون بما لديهم في كل حال ،

لا رغبةَ في العز ،ولا نفورَ من الذل ،لا شوقَ إلى الجنة ،ولا خوف من النار ،

لم يفيدوا من دينهم وعقولهم ،وقد شوهوا الإسلام بانتمائهم إليه .

٧

ذلك الدين الذى ألف بين قلوب الأعداء ،وارتفع بالوحوش والبهائم إلى عالم الانسان ،
وألقى في قلوب السباع المساواة والأخوة ، ونصب الفقراء ملوكا للعالم ،
والأرض التي كانت مسكنا لأرذل الدواب ، جعلها في الميزان أثقل من جميع العالم .

٨

ماذا كانت بلاد العرب التي اشتهرت الآن ؟ كانت جزيرة نائية عن بقية العالم ،
لا علاقة لها مع غيرها ،لم يكن أهلها فاتحين ،ولم يرغب في حكمها أحد ،
لم تُطِلَّ الحضارةُ عليها أبدا ،ولم تصل إليها أقدامُ المدنية .

٩

أما جوها فلم يكن لطيفا ،حيث يَنبتُ فيه المباقرة وعظماءُ الرجال عادة ،
ولم يكن هناك من الأشياء ما تتفتح بها القلوب وتتنور ،
لا بساتين فيها ولا أنهار ،تتوقف حياتهم فيها على ماء السماء .

١٠

الأرض صخرية ،والهواء يفجّر النار ،والسَّموم تلفح الوجوه ،والطوفان يدمدم بريح صرصر ،
جبال وتلال ، صحراء وسراب ،أشجار النخيل وأشواك الغضاه ،
لا زرعَ ولا مرعى ، هذا كل ما كان يتمتع به العرب .

١١

لم يصل إليهم نور الحضارة المصرية ،ولم يقفوا على علوم اليونان ،
كانوا على فطرتهم الأصلية ، ولم تكن أرضهم محروثة بعد ،
يسكنون في الجبال والصحارى ،ويقضون الأيام تحت أديم السماء .

١٢

هنا تعبد النار ، وهناك تسجد للكواكب ،
منهم من يؤمن بالتثليث ، وآخر يقدس الأصنام والأوثان ،
هذا معجب بخوارق الرهبان ، وذاك أسير لطلاسم الكهان .

١٣

وكان أول بيت وُضِع للناس في العالم ،الذى بناه الخليل ،
والذى قُدِّر له في الأزل أن تتفجر منه ينابيع الهدى ،
صار مزارا لعُبَّاد الأصنام ،ولم يكن من بينهم من يوحد الله ،

١٤

لكل قبيلة صنم خاص : هذه تعبد "هُبَل"، وتلك تُمجِّد "صفا" ،
وهنا يُسجد "للعُزَّى" ،وهناك "للنائلة" وهكذا كان في كل بيت إله جديد ،
لقد احتجبت الشمسُ وراءَ السحاب وأظلمتْ قِمَمُ جبالِ "فاران".

١٥

كانوا يعيشون مثل السباع والوحوش ، لا نظير لهم في القتال والفساد ،
يقضون أعمارهم في الحروب ،ولا يردَعُهم عنها أي قانون ،
كانوا مضرب المثل في القتل والإغارة كما تكون وحوش الغابات ،

١٦

لا يتقاعسون عن عمل إذا عزموا عليه ،ولا يتصالحون اذا تحاربوا ،
وإذا تنازع شخصان نهضت لهما مئات القبائل ،
وإذا قُدِحَتْ شرارة من نار التهبتْ بها سائر البلاد .

١٧

تلك الحرب التي كانت بين بكر و تغلب ،والتي قضوا فيها قرابة نصف قرن ،
ذهب ضحيتَها جموعٌ من القبائل ،وأشعلتِ النارَ في بلاد العرب قاطبة ،
لم تكن من أجل الملك والمال، بل كانت مظهرا من مظاهر جاهليتهم .

١٨

هنا حرب بسبب رعي الغنم ،و هناك حرب من أجل سباق الخيل في الرهان ،
وهنالك حرب نتيجة سقي الماء في الموارد ،
هكذا يقع بينهم الجدال كل يوم ،وتُسَلُّ بينهم السيوف دائما .

١٩

إذا وُلدتْ بنتٌ في بيت أحد وأدتْها أمها في التراب ،
مخافةَ العار وشماتة الأعداء، و مخافةَ زوجها إذا رأت في وجهه الكراهية ،
كانت تُخْلِي حِجْرَها كارهةً ،كأنها ولدت أفعى !

٢٠

شُغْلُهم الميسر ليلَ نهار، وإدمان الخمر صباحَ مساءَ ،
والترف والغفلة والجنون . لقد كانت أحوالهم سيئة للغاية ،
هكذا مضت عليهم قرون سيطر فيها الشر على الخير ،

٢١

إذ تحركت الغيرة الإلهية ،وأقبلتْ سحائب الرحمة إلى جبل "أبي قبيس" ،
وأخرجت أرضُ البطحاء تلك "الوديعة" التي شهد بها السابقون ،
لقد ظهر من بطن آمنة دعاء الخليل وبشارة المسيح .

٢٢

انقشعت غياهبُ الظلام عن العالم عندما طلع قمرُ برجِ السعادة ،
ولم ينتشر نوره لفترة ،لأنّ قمر الرسالة كان في السحاب ،
وعندما استكمل أربعين سنة نوَّر الأرضَ من غار "حراء" .

٢٣

ذلك النبي الذى لُقّب "رحمةً للعالمين" ،الذى يعين الفقراء على حوائجهم ،
و يساعد الناس عند النوائب ،ويواسى القريب والبعيد ،
الذى كان عصمة الفقراء ومأوى الضعفاء ومربى اليتامى ومولى العبيد ،

٢٤

الذى يعفو عن المذنبين ،ويدخل في أعماق قلوب الأعداء ،
ويستأصل الفساد من جذوره ويوحّد بينالقبائل المتناحرة ،
نزل من غار "حراء" وجاء الى قومه ومعه الكتاب الخالد .

٢٥

هو الذى جعل النحاس الخام ذهبا مصفى ،و فرق بين الغث والسمين ،
والعرب الذين عمَّهم الجهل منذ قرون عديدة غيّرهم بغتةً بتعاليمه ،
لا خطرَ الآن للأسطول من أمواج البحر،فقد تغير مجرى الرياح من جانب إلى آخر .

٢٦

الجواهر الثمينة التي لم تُعرَفْ قيمتها من قبل تغيرتْ ،
فالأصيل منها استحال طينا لملازمته الثرى ،
ولكن قدر الله في الأزل أن يجعل هذا التراب تبرا خالصا .

٢٧

ذلك النبيّ الذى كان مفخرة للعرب ،وزينة للمحراب والمنبر، جمع سائر أهل مكة ذات يوم
بأمرٍ من الله الذى أرسله ،وصعد بهم إلى جبل "الصفا" ،
وقال لهم :"يا آلَ غالب هل تظنون أنني صادق "؟

٢٨

قالوا بلسان واحد لم نعلم فيك كذبا حتى هذه الساعة ،

فقال : لو اعتقدتم فِيَّ بذلك فهل تصدّقونني لو قلتُ لكم :

إن وراءَ هذا الجبل معسكرا عظيما يتربّصُ بكم الدوائر ؟

٢٩

قالوا : نصدّق ما تقول ، فانك صادق أمين من صِغَرك ،

فقال : إذا اعترفتم بذلك فاسمعوا أنه لا شك

أن الناس كلهم راحلون عن هذه الدنيا ،فاتقوا يوم القيامة فموعده قريب .

٣٠

هذا الرعد المدوّى والصوت المجلجل زلزل أرضَ العرب جميعا ،

وزرعَ في قلوبهم أمنيةً جديدة ،ونبه البلد الغارق في النوم ،

وكان من آثار هذه الدعوى الإلهية أن ضجّت الصحارى والجبال بهتافات التكبير .

٣١

ثم قدّم لهم دروس الشريعة ،وعلّمهم أسرار الدين ،

وأصلح مُنْآدَهم وأيقظهم من مناسهم الطويل ،

وكشف عن أسرار لم تُعرف إلا عندما رُفعَ الستار دفعة واحدة .

٣٢

لم يكن أحد يحفظ العهد الذى أُخِذ عنه في الأزل ،ونسى العباد أحكام الله ،

تُدار في المجالس كئوسُ خمرِ الباطل ولا تُعرَفُ لذةُ شراب الحق الطهور ،

لم يمسَّ أحدٌ كأسَ التوحيد ولم يُفتَح فَمُ المعرفة ،

٣٣

لم يعرفوا قضاءَ الله وجزاءه ،ولا مبدأهم ومنتهاهم ،

كلٌّ يعتقد في غير الله ،وجميعهم ضَلُّوا عن سواء الطريق ،

وقد ارتعدتْ تلك الجماعات عندما نادى راعيها بصوته القوي المُرعب :

٣٤

أن لا إله إلا الله فله العبادة وحده ،المشهود له بالتوحيد من قلوبنا وألسنتا ،

وهو الذى يجب أن يُطاع أمره ،وهو الذى يستحق الخدمة منا في ملكه ،

فاذا عبدتم فاعبدوه وحده ،واذا سجدتم فأفردوه بالسجود .

٣٥

وتوكلوا عليه دائما ،وأحبوه من قلوبكم ،

واتقوا غضبَه وعقابه ،وموتوا في طلب رضاه ،

هو المعبود لا شريك له ، ولا عظمةَ لأحد معه .

٣٦

لا يدركه عقل ولا يحيط به إدراك ،والشمس والقمر أدنى خادم له ،

ملوكُ العالم أذلة عنده ،ولا طاقة لنبي أو صديق أمامه ،

ولا يُنْظَر هناك إلى الرهبانِ والأحبار ،ولا يُلتَفَتُ إلى الصالحين والأبرار .

٣٧

فلا تفتروا مثل غيركم ،ولا تجعلوا أحدا ابنا لله ،

ولا ترفعوني فوق منزلتي فيكون ذلك حطًّا من شأني ،

فانما أنا عبد من عباد الله مثل سائر البشر .

٣٨

ولا تجعلوا قبرى وثنا يُعْبَد ، ولا تسجدوا له بعد وفاتي ،

فلستم أقل منى في العبودية ،وأنا وأنتم سواء في العجز

وإن فضَّلني الله عليكم بأني عبده ورسوله .

٣٩

وهكذا فقد قطع صلتَهم بغير الله ،وصرف وجوههم عن القبلة الموجّهة ،

وقوّى علاقةَ العباد مع ربهم ،

والذين كانوا ينفرون من معبودهم جعلهم يسجدون أمامه مطمئنين .

٤٠

وعندما حصلوا على المقصود ،ووجدوا مفتاحَ الكنوز ،

وامتلأت قلوبهم بحرارة الحب والإيمان ،وتكيَّفوا بالتوحيد وتعلَّقوا به ،

علَّمهم آدابَ المعيشة ،وألقى عليهم دروسَ الحضارة ،

٤١

بيَّن لهم قيمة الوقت ،ورغَّبهم في العمل ،

وقال لهم : " ينقطع الإنسان عن كل شيء : عن ابنه وأهله وماله ،

إلا العمل الصالح الذى قضى فيه أوقاتَه فهو الذى يصحبه بعد موته " ،

٤٢

فاغتنموا الصحة قبل المرض ،والفراغ قبل ازدحام العمل ،
والشباب قبل الهرم والإقامة قبل السفر ،
والغنى قبل الفقر ،فاعملوا مابدا لكم إن الوقت قصير .

٤٣

وحثَّهم على طلب العلم قائلا : ألا إن الدنيا ملعونة وملعون ما فيها ،
إلا مَن ذكر الله ،وعالم ومتعلم ،
فهم الذين أنعم الله عليهم في الدنيا ويعمهم برحمته في الآخرة .

٤٤

وعلَّمهم الرِّفقَ ببني آدم ،فقال : من علامات السوء من الكامل
أن يحسن إلى جاره ويوفّر له الراحة ليلَ نهار ،
ويحبَّ للناس ما يحب لنفسه .

٤٥

لا يرحم اللهُ رجلاً لم يحِسَّ ألمَ أخيه في قلبه ،
وإذا أُصيب أحد بالبلاء لم يتأوَّهْ عليه ذلك القاسي ،
ارحموا مَنْ في الأرض يرحَمْكم من في السماء .

٤٦

وحذَّرهم من العصبية قائلا : ليس منا من دعا إلى عصبية ،
وليس منا من قاتل عصبية ،وليس منا من مات على عصبية ،
حبُّك الشيءَ يُعمِي ويُصِمّ ،وليس ذلك من الحق في شيء .

٤٧

وخوَّفهم من المعاصي بقوله : ترك المعاصي أفضل من الطاعات ،
وأهلُ الورع لا يبلغ مرتبتَهم العُبّادُ ،
وإذا ذكرتم المتقين فلا تعدِلوهم بالعُبّاد .

٤٨

ورغَّب الفقراء في كسب الأرزاق بكدّ يمينهم وعرق جبينهم ،
حتى يتمكنوا من رعاية أنفسهم وأولادهم ولا يتكفّفوا أمام الناس ،
وإذا طلب الدنيا أحدٌ استعفافاً عن المسألة ،لقي الله يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر .

٤٩

ونبَّه الأغنياء بقوله : إذا كان أمراؤكم خياركم ،
وأغنياؤكم سُمحاءكم ،
وأموركم شورى بينكم، ولا يَتّبع كلٌّ منكم هواه ،

٥٠

فظهر الأرض خير لكم من بطنها ، وبورك من يجد مثلَ هذا العصر .
أما إذا كان أمراؤكم شراركم ،أغنياؤكم بُخلاءكم لا يُراعون حقوقَ غيرهم ،
فلا خيرَ في ذلك العصر ،وبطن الأرض خير لكم من ظهرها .

٥١

لقد صَرَفَ قلوبَهم عن الخداع والرياء ،وملأ قلوبهم بأنوار الصدق والمحبة ،
وحذَّرهم من الكذب والافتراء ،وقوَّى صلتهم بالله وبالناس ،
فلم يخافوا في الحق لومةَ لائم بعدما طهَّرهم من النجاسات بماء واحد .

٥٢

وعلَّمهم الضوابط الصحية، ورغَّبهم في السفر والسياحة ،
وذكر لهم فوائد التجارة ،ووضع لهم أصول الحكم والسياسة ،
وبيّن لهم معالم الطريق وجعلهم قُوّاد البشرية كلها .

٥٣

ظب عليهم حبُّ العلم ،فصاروا شُداة الحق بعد أن كانوا مُغرَمين بالباطل ،
واستبدلوا بالمثالب المناقبَ ،وامتزجتْ أرواحهم بأجسامهم ،
وانتصب الحجرُ الذى أشاح عنه المعماري سخطى رأس البناء في آخر الأمر .

٥٤

وبعدما تمّت نعمة الله على الناس ، وأدّت الرسالة فريضتها ،
ولم يبق على الله حجة للعباد ،والتحق الرسول بالملأ الأعلى ،
ترك وراءه قوما ورثوا الإسلام ،لم يوجد لهم نظير في التاريخ .

٥٥

كانوا مطيعين لأوامر الله ،يواسون إخوانهم من المسلمين ،
نَذَروا حياتهم لله وللرسول ،وساعدوا اليتامى والأرامل ،
واجتنبوا طريق الكفر والضلال ،وسَكِروا بصهباء الحق .

٥٦

رفضوا تقاليدَ الجاهلية وهدموا أساسَ الكهانة ،
وامتثلوا أوامرَ الدين ، وتنازلوا عن بيوتهم لله وحده ،
وصمدوا أمام كل فتنة وبلاء ، ولم يخشوا إلا الله .

٥٧

واذا قام بينهم خلافٌ فالاخلاص منشوءه ،
واذا تشاجروا صالحَ بعضُهم بعضًا ،فكان خلافهم أجمل من صلحهم ،
هكذا كانت الديمة الأولى للحرية ،التي اخضرت بها حدائق الأرض في المستقبل .

٥٨

لم يكن هناك نوع من التكلف في طعامهم ولا يقصدون من الملبس التزين والتجمل ،
الأمير والمأمور ،القائد والجيش كلهم على هيئة واحدة ،والفقير والغنى كلاهما في حال واحد ،
فقد زرع الرجلُ حديقةً زهورُها منسَّقة ،ليس فيها نبات صغير وكبير .

٥٩

الخلفاء كانوا مراقبين للأمة ،كما أن الراعي يكون مراقبا لمواشيه ،
كان الذمي والمسلم سواء عندهم في الحقوق الإنسانية لا فرق بين عبد وحر ،
وتتعامل الحرة والأمة كالأختين الشقيقتين ،

٦٠

كانت جهودهم في سبيل الحق ،ولا صداقةَ مع أحد الا في الله ،
لا تشتعل نار الحرب بينهم بدون سبب ،فقد كان عِنانهم بيد الشريعة ،
فاذا أُلِينوا لانوا ،واذا طُلِب منهم القسوة قسوا .

٦١

الإمساك والقبض في مكان الإمساك ،والسخاء والبذل في مكان السخاء ،
والعداء والمحبة باعتدال ،لا صداقة ولا نفور بدون سبب ،
واذا أطاع أحد للحق أطاعوه ،وإذا امتنع بالحق امتنعوا .

٦٢

عندما فكروا في الرقي والازدهار كان الظلام سائدا في جميع العالم ،
وقد أظلَّ على جميع الأمم التخلفُ الذى أسقطهم من أوج الرفعة الى حضيض السكنة ،
والأقوام التي تعد الآن نجوم العالم كانت قابعة في مقابر الجهل والخلف .

٦٣

لم يكن هناك ازدهار للعبرانيين ،ولا كانت نجوم النصارى ساطعة ،
كانت علوم اليونان مشتتة ،وكان شمل الساسانيين مفرقا ،
وكانت سفينة الروم مترنّحة ،وكان سراج الفرس آفلا .

٦٤

أما الهند فكان الظلام متفشيا في جميع أنحائها ،وارتحلت عنها العلوم والفنون ،
وأما العجم فكانوا غارقين في الجهل ، صارفين أنفسهم عن أمور الدين والعمل الصالح ،
فلم يبق التوجه إلى الله عند العُبّاد الهنود ،ولا التوحيد الخالص عند عُبّاد "يزدان".

٦٥

كانت الريح الهوجاء تعصِف في كل مكان ،والظلم يسود في جميع أنحاء العالم ،
لم يكن هناك حدٌّ للعقوبة ،ولا سوءال عن الذنب ، وكانت الودائع نهبًا بين العبيد ،
كانت سحاب الظلم مسطرة على الأرض ،وكان مركب بني آدم في خطر .

٦٦

الأمم التي بيدها اليوم زِمام البشرية كانت هي والبهائم سواء في فطرتها ،
والأماكن التي ينتشر فيها العدل الآن كانت قد لطّخت بأوحال الظلم والطغيان ،
والذين يَدّعون أنهم رُعاتُنا اليوم كانوا كالذئاب الضارية الآكلة للحوم البشر .

٦٧

والبلاد التي نَفقتْ فيها سوقُ الفنون والصناعات ،والتي تنتشر فيها العلوم والتكنولوجيا
والتي تمطر عليها سحائبُ الرحمة ،وكثرت فيها الأموال والنقود الآن ،
لم يكن هناك شيء من الحضارة ولم تصل إليها أمواج البحر .

٦٨

لم يكن طريقُ التقدم منتوحا ،ولا مَصاعِدَ للوصول إلى المعالي ،
وكأنهم كانوا مسافرين في صحراء ، لا أثرَ فيها لقدم ، ولا صليلَ لجَرس ،
وعندما وقع صوتُ الحق في آذانهم ، هدَتْهم قلوبهم إلى سواء الطريق .

٦٩

وارتفعت سحابةٌ من جبال "البطحاء" حدثَتْ لها ضجّةٌ في جميع أنحاء العالم ،
ووصل رعدها وبرقها إلى بعيد ،فاذا أرعدتْ عند نهر الأندلس أمطرتْ في نهر "الكنج" ،
ولم يُحرَم من آثارها أصحابُ البر والبحر ،واخضرّتْ أرض الله كلها .

٧٠

لقد نشر الأميون نورَ الهدى في العالم ، فصارت كلمةُ الإسلام هي العليا ،
وقضَوا على أصنام العرب والعجم ،وأسكوا السفينةَ المترنّحة فوق أمواج البحر ،
وقد نشروا التوحيدَ الخالص في الدنيا ،حتى ضجّت كلُّ البيوت بأصوات "لا إله الا الله".

٧١

تغلغلت أصواتُ الحق بين الأشرار ،وحدثت ضجّةٌ في بلاد الكفر،
وانطفأت النار في معابدها ،وبدأ التراب يتطاير على الصوامع ،
وعُمِّرتِ الكعبة بعدما خَربت كل أماكن العبادة ،واجتمع الناس كلهم في ميدان واحد بعد تفرقهم

٧٢

اقتبس النصارى علومَ والفنون ،واكتسب الصوفية الأخلاق والزهد ،
وتعلم الأصفهطنيون الأدب،وأدان لهم الفرس ولبّوا دعوتهم ،
وقد قطعوا شريانَ الجَهل من كل قلب ،ولم يتركوا في الدنيا أى بيت مظلم .

٧٣

بعثوا العلوم الميتة لأرسطو ، وأحيوا أفلاطون من جديد ،
وجعلوا كل إقليم مثل اليونان في الرقي والتقدم ،وأذاقوا الناس لذة العلم والحكمة ،
ونزعوا الحجاب عن أعين العالم وأيقظوهم من نومهم العميق .

٧٤

ملأوا كئوسهم من كل الحانات ،وشربوا من كل مورد ،
وتساقطوا على كل نور مثل الفراش وأسكوا يقول النبي لهم :
"الحكمة ضالة المؤ من أينما وجدها فهو أحق بها".

٧٥

بحثوا عن كل شيء وسبقوا العالمَ في كل علم وفن ،
لم يكن لهم نظير في معرفة الزراعة ، واشتهروا في العالم بالرحلات الواسعة ،
كل بلد يشهد على فن العمارة عندهم ، وتعلّم منهم كل قوم أصول التجارة .

٧٦

عمروا كلَّ بلد خراب ،أتاحوا للجميع وسائلَ الراحة ،
أما الجبال والصحارى الموحشة بالجدب والخوف ، فجعلوها حدائق وبساتين .
وموسم الربيع الذى نجده الآن في العالم نتيجة لغرسهم الأشجار في أوانه .

٧٧

هذه الشوارع الواسعة ،والطرق النظيفة التي تُظلِّلها الأشجار من الجانبين ،
وعليها علامات للأميال والفراسخ ،وتتوفر فيها الآبار ونُزُلُ المسافرين ،
كلهط من آثار تلك القافلة .

٧٨

كانوا دائط في حل وترحال ،تجولوا في كل قارة ،
ووصلوا إلى كل بحر وبر ،واذا كانت خيلهم في "سَيْلان" فبيوتهم في "البربر" ،
كان السفر والحضر عندهم سواء وكأن جميع الصحارى والقِفار بيوتهم .

٧٩

يتذكر العالم سيرهم ،فان نقوش أقدامهم واضحة حتى الآن ،
آثارهم في "ماليزيا" ،وتبكى عليهم "طيبار" ،
وتحفظ جبالُ "الهملايا" وقائعَهم ،ويذكر جبلُ "طارق" نقوشَهم .

٨٠

ولا توجد في الأرض قارة ليس فيها مبانيهم الفخمة ،
بالعرب ،والهند ،ومصر ،والأندلس ،والشام ،والديلم كلها تشهد على فنونهم التشكيلية والمعمارية ،
من جبل "آدم" (في سيلان) إلى "القلعة البيضاء" (في الأندلس) أينما ذهبتم تجدون آثارها .

٨١

تلك القصور الشامخة التي شُيِّدتْ بالحجارة والتي ينمو على أطلالها الطُّحلب الآن ،
والأضرحة ذات القباب المذهّبة ،والمساجد التي كانت تتجلى فيها الأنوار الإلهية ،
لا يخلو منها أى مكان في الدنيا وان فقدت الآن نضارتَها وبهجتَها .

٨٢

لقد أزهت بهم الأندلس وتفتّحتْ أزهارُها ،ولا زالت آثارهم قائمة فيها ،
يشاهِدها هناك من شاء ،و"القلعة الحمراء" تقول :
"الذين بنوا هذه القلعة كانوا من آل عدنان ،وأنا أثر من آثار العرب في هذه الأرض" .

٨٣

تشهد "غرناطة" على شوكتهم ،وتبدو من "بلنسية" قدرتهم ،
وتعرف "بَطَلْيَوْس" عظمتهم ،وتتلهّف "قادس" على زمانهم ،
ساء حظهم في "إشبيلية" وبكت عليهم "قرطبة" ليل نهار .

٨٤

هذه أطلال "قرطبة" ،وتلك المساجد والمحاريب فيها ،
وهذه بيوت أمراء العرب ،انظروا إلى آثار هذه الخلافة الزائلة ،
يلمع بريقُ جلالهم في هذه الأطلال ،كما يتلألأ التبر الخالص في الطين .

٨٥

وتلك مدينة بغداد التي كانت مفخرة مدن العالم ،التي كانت لها السيطرة على البحروالبر ،
والتي كانت فيها آثار العباسيين ،والتي كانت العراق تُحسَد عليها ،
طارت بها عاصفةُ الكبر ،واجتاحها موج التتر .

٨٦

لو نظر أحد بعين الاعتبار ،وأصغى إلى هذا الصوت الذى يرتفع من كل بقعة من بقاعها :
إن العصور التي كانت فيها شمس الإسلام منيرة كانت الريح التي تهبّ منها تحيى العالم ،
وقد عادت الحياة إلى أرض "أثينا" من هنا ،وعُرِف اسم اليونان مرة ثانية .

٨٧

الدرر الكامنة من أفكار لقمان وسقراط ،وأسرار بقراط ودروس أفلاطون ،
وتعاليم أرسطو وقوانين سولون ، كانت كلها دفينة في القبور ،
وقد تحدثت عن نفسها في بغداد بعدما سكتَتْ طويلا وعبق أريجُها من هذه الجنة .

٨٨

كما يفتّش الجريحُ عن الدواء ،كانوا يفتّشون عن العلوم والفنون ،
لا مطرُ الفنِّ ينقعُ صداهم ولا سحابُ العلم يُطفِئ أوارَهم ،
كانت الجِمال تدلف إلى دار الخلافة حاملة أسفار مصر واليونان .

٨٩

تلك النجومُ التي سطعت في الشرق ،هاهو يَقبِس من نورها الغربُ ،
هذه إبداعاتهم تزخر بها مكتبات باريس وروما ولندن ،
أولئك الذين كانت شوكتهم لا تُكْسَر ،ها هم يُوسَّدُون الآن في مقابر بغداد .

٩٠

وهذه "سِنْجار" وتلك "الكوفة" مَقَرّا علماء الهيئة والمساحة
أولئك السابقين الى معرفة مساحة الأرض ،
تبكيان عليهم ،وتبحثان عن ذلك الجمع العباسي .

٩١

من سمرقند إلى الأندلس ،كانت مراصدهم منتصبة
في مدينة "مراغة "وعلى جبل "قاسيون "،الأصوات تأتيك من أعماق الأرض :
أين هؤلاء المنجمون والمهندسون المسلمون الذين ترى آثارهم في كل مكان ؟

٩٢

أساطينُ التحقيق من أرباب التاريخ اليوم ،ذوو الطرق البارعة في البحوث ،
الذين فتّشوا عن الكتب في جميع مكتبات العالم ،وفَحَصوا كل بقعة من بقاع الارض ،
ورِثوا الجرأة والشجاعة وعلوَّ الهمة من أولئك العظماء من العرب .

٩٣

كان التاريخ تائهاً في مجاهل الظلام ، فقد كسف نجمُ الرواية ،
وخسفت شمسُ الدراية ،وكان الضباب يَلُفُّ كلمةَ الحق ،
فأشعل العربُ قنديلا متوهجا لم يزل يضيء الطريق لكل قافلة .

٩٤

فإذا برجال الحديث يكشفون النقاب عن كل مفترٍ كذّاب ،
فلا مجال للكذب ، فقد ضاق الكلام بما رحب على كل مدلّس
بوضع قواعد في الجرح والتعديل أوقفتْ سلعةَ الباطل وفضَحَتْ دهاءه .

٩٥

ركبوا ظهورَ الإبل في سبيله ،وجابوا البر والبحر يدفعهم شوق غريب ،
ينقبون عن حَفَظَةِ هذا العلم ، يلقطون منهم الخير والأثر ،
ويعرِضونه على قواعدهم فيخرج للناس سائغا بعد التأكد من طِيب مذاقه .

٩٦

كشفوا عيوب الرواة وحققوا مناقبهم ومثالبهم ،
ودلّوا على هَنَةِ المشايخ وضَعْفِ الأئمة متى وجد ،
وأماطوا اللثامَ عن أهل الزهد والتقى ،فلم يبالوا بعالم أو متصوف

٩٧

هذه كتب الرجال والحديث ، تشهد بصراحتهم وحريتهم ،
وليس فضلُهم مقصورا على المسلمين لقد كانوا سادةً لكل قوم ،
متى استاز الغربُ بحريته هذه وظهرَ على العالم ؟

٩٨

كانت كتب "الفصاحة" كلها مخرومة، وطرق "البلاغة" مجهولة ،
واندثرتْ كتابةُ الروم ،وخمدتْ نارُ الفرس ،
وفجأةً سطعتْ شمسُ العرب ،فأعْشَتِ العيونَ وبَهَرتْها .

٩٩

استمع الناس إلى فصاحة العرب وأنصتوا إلى بلاغتهم ،
وأصاخوا إلى شعرهم الذى يأخذ مجامعَ القلوب بسحره ،والى خطبهم التي كانت تتداح كموج البحر الصاخب ،
أذعنوا لتلك العبارات والجمل التي تخلُب اللبَّ فأدركوا أنهم بُكْم .

١٠٠

لم يعرفوا أساليبَ المدح والذم ،ولا بَسْطَ الحُزن والفرح ،
ولا ارتجال الخطب والحِكَم، وكانت كنوزالخطابة والكتابة مدفونة
فاستخرجها العرب ،وتعلَّم الناس منهم وحُلت عُقَدُ ألسنتِهم في هذا الميدان .

١٠١

بوسطتهم قد عم الطب رواقه ،فأفاد منه البشر ،واعترف بفضلهم الشرق والغرب ،
ذلك هو معهد الطب الذى كان في مدينة "سلرنو"
كالعطار الذى يَنقُل مِسْكَ العرب إلى الغرب .

١٠٢

أبو بكر الرازى ،وعلى بن عيسى ، والحكيم المعروف : حسين بن سينا ،
والقسيس حنين بن إسحاق ،ورأس الأطباء : الضياء ابن البيطار ،
هؤلاء يَعرِفُ عِلمَهم الشرقُ ،يَدِين بفضلهم الغربُ .

١٠٣

واختصاراكلُّ طوم الدين والدنيا ،مثل الطبيعيات والإلهيات ،والرياضيات ،والفلسفة ،
والطب ،والكيمياء والهندسة والهيئة ، والسياسة ،والتجارة ،والعمارة ،والزراعة ،
ابحثْ عن آثارِهم فيها تجدْ بصماتِهم ماثلةً للعيان .

١٠٤

واذا كان قد صوَّحتْ بساتينُ العرب فلم يزل يَدِينُ العالمُ بجهودهم ،
لقد هَمَى غيثُهم على كل منتجع ،فالمنة لهم على كل أسود وأبيض .
وهؤلاء القومُ سادة العالم في عصرنا - يدينون لأولئك العرب .

١٠٥

كان المسلمون يسيرون على الطريق المستقيم عندما كانت تؤدى جميع أركان الإسلام ،
كانوا كالعسل المصفى إذا ما قيس بالكدر ، وكالتبر الخالص الذى لا يدخله البهرج ،
كان الإسلام وحده ينشر لواءه و يبسط نوره فوق سائر البقاع .

١٠٦

وعندما تكدّر المنهلُ الصافي ، وانقطعتْ رابطةُ الدين ،
وانحسر عن الرأس ظلُّ الاسلام ، قُضِى الأمرُ الذى أشار إليه قوله تعالى :
" إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يُغيّروا ما بأنفسهم " .

١٠٧

ساءت أحوالُ المسلمين ، وخربتْ ديارُهم بعدما شيَّدوا كلَّ العالم وعمروه ،
وتفرقت مجتمعاتهم في سائر الأوطان ، وفسدوا بعدما صلحوا ،
وانقرضوا مثل الحدائق التي تذبل بعد الربيع وانحسر السحاب بعدما أظلَّ العالمَ كلَّه .

١٠٨

جافاهم العزُّ والجاه ، وتعالى عليهم المجد والرياسة ،
ورحل عنهم كل علم وفن ، وضاعَتْ كل المحاسن واحدة بعد أخرى ،
فلم يبقَ لهم من القرآن إلا رسمه ، ولا من الإسلام الا اسمه .

١٠٩

ولو صَعِدَ أحد العقلاء الى قمة جبل ، حيث ينظر من هناك إلى العالم كله ،
وأراد أن يرى عجائبَ القدرة وألاعيبَها ،
سيجد بونا شاسعا بين الأمم الموجودة ، وسيُلْفِى العالمَ رأسا على عَقِب .

١١٠

سيرى الحدائق الغنّاء ، والبساتين الوارفة كالجنان ،
وأخرى أقل منها بهاء ورونقا ، وسيبصر روابي خضراء قليلةَ النضارة ،
بيدَ أنها مُورِقة ، تلبس رداءً سُندسيًّا أخضر اللون .

١١١

ثم يرى حديقةً صوَّح الزمنُ ببهائها ، فكسا النقعُ أرضَها ،
لا أثر فيها للحياة ، تساقطت أوراقها ، وتشقّق لِحاؤُها ، ويَبِست ،
لا أمل فيها لحمل آخر ، لقد أصبحت وقودا للنار .

١١٢

يؤثر فيها المطر مثل السّمّ ،وتبكي السحابُ عندما تُطِل عليها ،
وتخرب أكثر بالخوف المحيط بها ،ولا يروقها الربيع ولا الخريف ،
ولسان حالها يقول : هذه جنة الإسلام التي خربت .

١١٣

ذلك المركب الحجازي المغامر ، الذي عمّت شهرته الآفاق ،
لم يَثْنِ همّتَه الخطرُ ،فلم يَرْسُ في بحر "عمان" ، ولم يتوقف في البحر الأحمر و
وقطع سبعةَ أبحر ، لفظَ أنفاسَه في ملتقى نهر "الكنج" .

١١٤

لو أصغى أهل الاعتبار لسمعوا أن الأرض والشجر والأزهار والورود والصحارى والجبال كلها
من سيلان إلى "كشمير" و "تِبّتْ" تنادي باليأس والحسرة :
الذين كان يفتخر بهم العالم لحق العارُ بالهند من أجلهم .

١١٥

لو سقط التاج من على رؤوسكم فلا غرابة ،لأنها ليست مقصورة عليكم ،
ومن ذا الذي يَسْلم من صروف الزمان ؟ مرة نجد هنا "الإسكندر" وأخرى "دارا" ،
فليست الرئاسة مثل ألوهية الله يوم لك ويوم عليك .

١١٦

وعندما اقتضت الحكمة الإلهية أن تنتشر تعاليم الشريعة الإسلامية ،
ويغلب دين الهدى على العالم أصبح حكم العالم بأيديكم ،
لتنشروا العدل وتنفّذوا الحدود ،وتُتِموا الحجة على عباد الله .

١١٧

فلما أدّتِ الدولة حقها ،لم يبق للاسلام حاجة اليها .
يا للحسرة على أمة خير البشر ،هوت فذهبت معها الإنسانية ،
وكأن الدولة كانت ستارا لعوراتكم ، عندما انحسرت ظهرت مساوئكم .

١١٨

هذه شعوب العالم ،لا مزية لها في الحكم ،
إلا أنه لم يصبها بلاء كبلاء المسلمين الذين ضرب الذل عليهم بجرانه ،
الشاهين والبازي وكلّ الصقور تحلّق في أوج السماء ،ونحن كبُغاث الطيرِ التي قُصَّتْ
أجنحتُها ونُتِف ريشها .

١١٩

الأمة التي كانت تخبّ أقدامها في العالم ورياتها خفاقة على السوارى ،
الأمة التي أذعن لها من في المعمورة ولقّبت خير أمة ،
لم يبق من مجدها إلا الوهم المنغرس في نفوسنا بأننا مسلمون .

١٢٠

أين النجابة التي تجرى في دمائنا وعروقنا ،
وتسكن في عزائمنا ،وتعشّش في قلوبنا وشفاهنا ومقولنا
وطبائعنا وأخلاقنا وعاداتنا ،لا شيء ،وان ظهرت فيه فمحض الصدفة ،

١٢١

السخافة تلوح في كل أمورنا ،عاداتنا أسوأ من عادات اللئام ،
انطمست بسببنا أمجادُ آبائنا ، ووجودنا عارٌ لبلادنا ،
فقدْنا عزةَ عظمائنا ،وأغرقْنا شرف أسلافنا العرب .

١٢٢

لا مهابة لنا بين الأمم ولا مكانة لنا وسط المؤتمرات،لا حب بيننا ولا تسامح ،
الجُبْن طبعنا ،والكِبْر همنا ،والسذاجة في أفكارنا ،
والعداوة قابعة في صداقاتنا ، حتى التواضع نسخّره لمصالحنا .

١٢٣

لا جدوى لنا في الدولة ولا عز عند المَلِك ،
ولا ميزةَ في العلم ،ولا سَبْقَ في الصناعات والحرف ،
ولا أفضلية لنا في الوظائف ،ولا سهم في التجارة .

١٢٤

استعمرتنا المهانة واستحوذت علينا الأساة ،
ماتت هيبتنا في قلوب أعدائنا كل سبيلِ رِفْعَتِنا أظلمتْ ،
نعيش على أمل واحد هو الجنة !!

١٢٥

لا نعرف السياحة ولا نعشَق السفر ،وتجهل هذا الكونَ الذى خلقه الله ،
هذه الغرف الكرتونية التي نشاهدها نظنها منتهى المستعمرات البشرية .
كأننا أسماك في حوض تظن أنه كل العالم ..

١٢٦

الجنة وإرَم والسلسبيل والكوثر ،الصحارى والغابات والجزر والبحار ،
وكل الأسماء الأخرى التي يقرؤونها في الكتب ،
إذا لم يشاهدوها بعيونهم ،كيف يعرفون : أهي في السماء أم على هذه الأرض ؟

١٢٧

رأس المال الوقت الذى لا يُقدَّر بثمن ،
وهو مكسب التجارة عند الأمم المتقدمة وكنز السعادة في البلدان المتحضرة ،
لا قيمة له عندنا ،إنه يَضِيْع سُدًى في مجتمعاتنا .

١٢٨

لو مُدَّتْ لنا يدٌ في فلسٍ واحد ثَقُلَ إخراجه علينا ،
لكن رأس مال الدين والدنيا الذى لا يقدر ثمنه ،
لا نَبخلُ بإهداره ،بل كرماء في هذا أشد الكرم .

١٢٩

لو أحصَيْنا أنفاسنا في كل يوم وليلة ما وجدنا إلا القليل الذى يحتفظ به للغد ،
وهكذا تدور عجلة الزمن علينا ،
وكأنه لا يوجد أحد يُدرِك أن هذه الأنفاس قد ترحل بعد لحظة .

١٣٠

ذلك هو كلب الراعي المطيع ،له آذان صاغية للغنم في كل آن ،
لو سمع صوت ورقة تسقط لهَبَّ كالأسد ،
إنه أفضل منا لا يغفل عن مهمته طرفة عين .

١٣١

الأمم التي قَطَعت الطريق كله وجَمعتِ الذخائر من كل جنس،
وحطت الأثقال على رؤوسها ،وعُدَّت من الأحياء بعد موتها ،
هكذا تسعى وتمشى في الطريق ،كأنها تذهب الى بعيد ،ولم تصل الهدفَ بعد .

١٣٢

هم لا ينامون من الليل إلا غرارا ،ولا يَملُّون من بذل الجهد والمشقة ،
ولا يخسرون رأسَ مالهم ، ولا يضيّعون من أوقاتهم ،
لا يتعبون من السير ولا يسأمون ،وقد قطعوا أشواطا نحو التقدم وما زالوا يواصلون المسيرة .

١٣٣

أما نحن فما زلنا نراوح في أماكننا ،كأننا أعباء على الأرض مثل الجمادات ،
نسكن في العالم كأنه لا وجود لنا فيه ، غافلون منذ أمد طويل ،لا عملَ لنا هنا ،
كأننا أدينا كلَّ الفرائض ولم يبق الآن إلا أن نموت .

١٣٤

الأمم الأخرى الموجودة هنا في الهند ،التي يتألق نصيبُهم الآن ،
امتازت بالتجارة عُرِفتْ بالثراء ،وواكبتِ العصر ،وسعتْ للرقي ،
لم تغفل عن تربية الأولاد ، ولم تُقصِّر في تثقيفهم ،

١٣٥

أسواقهم ومحلاّتُهم التجارية تجتاح أسواق العالم ،
وشيوخهم وشبابهم مُغرَمون بالتجارة والتسويق ،
وعليهم الاعتماد اليوم في إدارة شئون الدولة .

١٣٦

محترمون في كل المجالس ،ومعزّزون في نظر الدولة ،
ليست أخلاقهم ذميمة ،وليسوا متناقضين في القول والعمل ،
لا يستنكفون عن الصناعات والحرف ولا يتحاشون عن بذل الجهد والمشقة .

١٣٧

يتماسكون حينما يَزِلّون في الطريق ،وينجون عندما يعرض لهم الضرر ،
يتأقلمون مع شتى الظروف ويتطوّرون بتطور العصر ،
يعرفون متطلبات العصر ،ويعلمون اتجاهات الزمان .

١٣٨

أما أبصارنا فهي عالية ،فلا فرق لنا بين المرتفعات والوهاد !
لا نعرف ما معنى النهضة والتقدم ؟
أينما تلفت أبصارنا ترى الزمان أقل شأناً منا .

١٣٩

العصر ينادي ليلَ نهار ،البقاء هنا كامن في المصالحة معي ،
ومن لا يتبعني سأشيح عنه ،
والسفينة لا تعانِدُ الموج فلا تحدقوا ضد التيار .

١٤٠

ترى آثار الخريف تُخيِّم على الحديقة ، بيد أن صاحبها لا يدركها إلا بعد زمن
عندما يبح شدو العندليب وتتقلص نغمات البلبل وتكون الحديقة في خطر ،
هذه إرهاصات الضياع والفراق ، والفجر متشح بالنكبة .

١٤١

الإفلاس الذى يُدعَى "أم الجرائم" لا يستقر بعده القلب على الإيمان ،
ويتحرك الانسان به حيوانا ، ولا يطمئن بعده المصلون والصائمون ،
عمَّ المسلمين جميعا ، وأصبح نسمة لهم .

١٤٢

يُعلِّمنا المكرَ والخديعة أحيانا ، ويرشدنا إلى الكذب أخرى ،
ويبين لنا حيل الخيانة ، ويُوقعنا في حبائل المجاملات ،
واذا لم تفد هذه الطرق يجعلنا نستجدى ونتكفف أمام الناس .

١٤٣

وكل الطوائف التي هنا في الهند يوجد فيهم اثنان في الألف فقط من الفقراء ،
أما نحن فاذا كان فينا اثنان في كل مائة ألف من الأغنياء فهم يعانون سكرات الموت ،
لو كانت عندنا غيرة لعرفنا إلى أيّ حد وصلنا في الذل والهوان .

١٤٤

غارت عليهم نوائب الدهر فتشعبوا ، لا يعرفون كيف يكسبون قُوتَهم ،
فعقدوا العزم على التسول والاستجداء ،
يظهرون في كل مكان فيه الأثرياء ،

١٤٥

تارة يذكرون الآباء والأجداد ، وأخرى يعتمدون على المعرفة القديمة ،
وثالثة يخدعون الناس بالمواعد الكاذبة وهكذا يكسبون الأموال من أماكن متفرقة ،
الأسلاف الذين يفتخر بهم هؤلاء يبيعون أسماءهم رخيصة في كل مكان .

١٤٦

هذه هي عادات تلك الأمة المنكوبة التي لم يمضِ على انحلالها كبير وقت ،
ويعرف العالم بأنها من أولاد وأحفاد أى أمة ؟
هي معروفة في كل بلد ،ومكارمها وأنسابها مشهورة لدى كل إنسان ،

١٤٧

الا أن آثارها انقرضت الآن وأصبحت أساطير غابرة
ذكرت في القصص والروايات ،وقد ضاقت الأرض على أخلاقها بما رحبت ،
لم يبق لها مكان ولا هيبة لدى الأمم ولا يجود أحد عليها بلقمة العيش .

١٤٨

الذين يكدحون في المقاهي بإيقاد النار للنارجيلة يحملون على أكتافهم حزم الأعشاب ،
ويستجدون الناس في الطرقات والشوارع، ويموتون جوعا بسبب القاقة والفقر ،
لو سألتَ عن أصلهم و معدِنهم ،وجدتَهم من أسر الملوك والحكام .

١٤٩

كان أسلافهم في الماضي من كبار الحكام وكان يَصفُر أمامهم كل شيخ وشاب ،
كانوا عصمة للمساكين والفقراء يأتيهم الناس من " الديلم " و" أصفهان " ،
كانوا محافظين على رعاياهم وذوى سلطة و نفوذ .

١٥٠

يا أهل الإسلام ،هذا من أعظم العبر فاعتبروا، إن أولاد الملوك صاروا متسولين ،
متى سمعتَ فلن تسمع إلا عن ذلّهم ،و متى رأيتهم فلن ترى إلا فقرهم ،
ليس فيهم من يكسب العيش بعرق ،وإنما يُجيدون الاستجداء والتكفف .

١٥١

أصبحوا مُحترَفين في الاستجداء، لهم طرق عديدة ،
و ليس التسول مقصورا على الفقراء فحسب ، بل إن هناك الكثير ممن ينتظر عطاء المحسنين،
كثير من هؤلاء يتكففون تحت أسمالهم، وآخرون يستجدون في بيض شبابهم .

١٥٢

تارة يسألونك لبناء المساجد وأخرى يذكرون أنهم من سراة القوم وأسرة "السادات"، وبأساليب شتى من البكاء والاستعطاف وأنواع من عبارات المدح والاطراء يقنعونك، وكثير منهم يظهرون أنهم خَدَمٌ للأضرحة، ثم يتسولون ويستجدون في كل مكان.

١٥٣

يعتبرون الكدح والتعب في تحصيل المعاش عارا، ويحتقرون الحرف والصناعات، ويستصعبون التجارة والزراعة، ويُحرِّمون عليهم القروشَ التي يصدرها الإنجليز، يريدون أن يجمعوا بين العز والراحة البدنية، سيفرقون قريبا إن لم يكن قد غرقوا بالأمس

١٥٤

إن وجدوا وظيفة فهي محتقرة، وإن كسبوا الرزق فذلٌّ وهوان،
وان خدموا فالخدمة غير محترمة، ياسلام على حظهم الطيب!
اذا رافقوا الأمراء والحكام تخلّوا عن الحمية والأنفة.

١٥٥

يشتغلون معهم بالغناء والموسيقى وأنواع من اللهو والمجون،
أحيانا يُجارَوْن على المداعبات، وأحيانا تُوجَّه إليهم الشتائم بسبب الإزعاج،
هناك آخرون يشتغلون بهذه الأمور، لكن المسلمين يفوقونهم في مثل هذا.

١٥٦

لا تسأل عن أحوال الأثرياء، فطبعهم مختلف ومزاجهم عجيب،
يناسبهم كل ما لا يناسب، ويجوز لهم كل ما لا يجوز،
بهم تعتز الشريعة! وبهم يفتخر الاسلام!

١٥٧

يصدّق أصحاب المجالس كل ما يقولون ويوافقون على كل ما يصدر منهم،
فلا مجال للخطأ في أقوالهم، ولا فساد في أعمالهم،
من ذا الذى يتفوّه بالحق أمامهم؟ لقد جعلهم الندماء فراعنة.

١٥٨

المال الذى عليه مدار الدين والدنيا ،والذى هو زاد السفر لطريق العقبى ،
والذى تمناه النبي سليمان واشتهر به في الآفاق اسم كسرى ،
والذى خلَّد حاتمًا في التاريخ ،وجعل يوسف مسجودًا لإخوانه ،

١٥٩

صار أصلا للشقاء عند المسلمين ،ومصدرًا للجهل والغفلة ،
وسُكْرَ الكبر والنخوة .
عصبُ الحياة في عالم اليوم أصبحَ عند هؤلاء سُبَّةً زعافا .

١٦٠

عندما أقبل عليهم المال أدبر عنهم العز والجاه ،
وقُبِضتِ البركة من البيت الذى أطلَّ عليه الثراء .
إن المال لا يليق بهم كما لا يناسب الريشُ النملةَ .

١٦١

كل العادات المستهجنة والأخلاق البوهيمية ،
والخصال المجونية والأفعال الصبيانية ،
كلها راسخة في هؤلاء الأثرياء لا يخافون الله ولا يخجلون من محمد .

١٦٢

اللهو والقمار ديدنهم ، والتبذير سبيلهم ،
والجنس والدعارة أغلى مطالبهم ،في سبيله باعوا أمتعتهم ،
فلجأوا إلى التسول والاستجداء وهكذا هلكت آلاف من الأسر .

١٦٣

لم يفكروا في مبدأهم ، ولم يخشوا مصيرهم ،
ولم يربوا أبناءهم ،ولم يبالوا بذلة قومهم ،
خسروا الدنيا والآخرة ، فكيف يواجهون الله يوم القيامة ؟

١٦٤

إذا حاق الهلاك بأُمة من الأمم ،أمِرَ الأثرياءُ فيها بالفساد ،

فلا تبقى لهم فضيلة، ولا يرشدهم عقل، ولا يهديهم نقل،

ولا يبالون بذل وشنار وعز وسلطان، ولا يرجون الجنة ولا يخشون النار ،

١٦٥

لا يتقون دعوة المظلوم، ولا يرحمون الفقراء ،

يتبعون الشهوات ويتجاوزون الحدود، و يعيشون في الرفاهية والنعيم ويتشبثون بالمظاهر ،

يغرقون في نوم الغفلة، ويخدعون أنفسهم إلى آخر لحظة من الحياة .

١٦٦

وإذا حلّت بالعالم مجاعة فلن يهمهم ذلك لأن منازلهم مليئة ،

واذا داهمَ الخريفُ بستانَ الأمة فحدائقُهم زاهرة ،

ليس لبني جلدتهم حقٌ لأنهم جنس آخر .

١٦٧

ما أبعدَهم عن عباد الله الفقراء ، يعيشون عيشة ناعمة ،لا هَمَّ ولا نكدَ من أجل لقمة العيش ،

يلبسون ملا بسَ فاخرة من الفَرْوِ والكتّان، و يسكنون في منازل شامخة تباهي الجنان ،

لا يمشون على أرجلهم ولو بعضَ الخطى ،ولا يصبرون للحظة واحدة عن الغناء والموسيقى ،

١٦٨

الرجال ستعبدّون لخدمتهم ،والنساء في صحبتهم ،

والجودة واللطافة من طبائعهم ،

يفوح المسكُ من أدويتهم و ينتّ العطر من ملابسهم .

١٦٩

المقارنة بينهم وبين غيرهم عبث ،أولئك الذين لا راحة لهم ،

ولا مراكبَ ولا خدمَ ولا منزلَ ولا فراشَ ،

لا ثوبَ يستر العورة ، ولا قطعةَ خبز تسدّ الرمق ، حظهم سوء و تدبيرهم معكوس .

١٧٠

كان أول درس من كتاب الهدى أن الخلق كلهم عيال الله ،
فأحبّهم إلى الله مَن أحسن إلى عياله ،
وإنما الدين والعبادة أن يحسن الناسُ بعضُهم إلى بعض .

١٧١

الذين علوا بهذا القول المحكم هم الآن الأقوياء على وجه الأرض
فوق كل عزيز وذليل ، والإنسانية مقصورة عليهم ،
وها نحن ننقض عهدَ الشريعة فنتخلف ، ويفي بها الغرب فينطلق ركبُهم .

١٧٢

أولئك الذين يُعدُّون من "الضالين" لا رجاء في مغفرتهم يوم الدين ،
ليست الجنة من نصيبهم ، ولا الحور والغلمان من جزائهم ،
ومأواهم النار بعد الموت ، وطعامهم الحميم والزقوم ،

١٧٣

نذروا حياتَهم لخدمة دينهم وبلادهم ، وواسى بعضُهم بعضا ،
واهتم علماؤُهم وأثرياؤُهم بمصالح البشرية ،
وكان هذا الوسام خاص بهم أن "حب الوطن من الإيمان" .

١٧٤

أموال الأثرياء ، وكدح الفقراء ، وكتابات الأدباء ، وحِكَم الفلاسفة ،
خُطَب الفصحاء ، وشجاعة الأبطال ، وأسلحة الجنود ، وقوة الملوك ،
مشاعر القلوب ، والأفراح والآلام ، كلها مبذولة لصلاح البلاد والمواطنين .

١٧٥

هذا التقدم الذى أحرزوه هم أصحابه ، والمسطرون على العالم ،
وكل البشر يدينون لهم ، لقد بلغوا الثريا في المجد ،
كل ذلك ثمرة شجاعتهم ونتيجة تعاونهم .

١٧٦

الأثرياء الذين هم أصحاب المعالي بيننا ،والذين يُعرَفون بالجود والكرم ، يصرفون أموالهم على أولاد المشايخ والصوفية لأنّ لهم علاقة خاصة بهم ، يحيا العاطلون تَرَفًا ويموت الكادحون جوعا .

١٧٧

اذا امتثلوا وعظ الوعاظ يرجون المغفرة عند الله ،
واذا تعوّدوا أداء الصلاة والزكاة فلا خوف إذن من يوم الحساب ،
وإذا بنوا مسجدا في مدينة فقد وضعوا أساسا لبيت في الجنة ،

١٧٨

مساكنُهم شامخة علاقة لا مثيلَ لها في أنحاء البلاد ،
أموالهم تضيع في الحفلات والمظاهر الخادعة ورياء الناس وحفلات الزواج ، وهذه غاية أمانيهم .

١٧٩

ولكن المبنى الضعيف للدين الحق الذى تزلزلت أركانه من زمان ،
ولا بقاء له إلا لفترة وجيزة فلا تجد من يهتم بأمره من بين المسلمين ،
لقد صرف الناس عنه عنايتهم والله يتولى بناءه .

١٨٠

خربتْ كل الزوايا والدور التي كانت ملجأ للفقراء والسلوك ،
والتي كانت فيها أبواب الزهد وعلم الباطن مفتوحة والتي كانت تقع عليها أنظار الملائكة ،
أين موارد معرفة الله ؟ وأين أولئك الربانيون ؟

١٨١

أين المتمكنون من علم الشريعة ؟ وأين نقّاد الأحاديث والأخبار ؟
أين الأصوليون وعلماء الجدل والمناظرات ؟ أين المحدثون والمفسرون ؟
المرس المتوهج بالأمس ، ذبلت مصابيحه اليوم .

١٨٢

أين المدارس والجامعات لتعليم الشريعة ؟ أين مراكز العلم واليقين ؟
أين علماء الشرع المتين ؟ أين ورثة الرسول الأمين ؟
لم يبق مرجع لهذه الأمة: لا قاض ، ولا مفت ،ولا صوفي ،ولا عالم .

١٨٣

أين خزائن الكتب الدينية ؟ أين مناظر العلوم الإلهية ؟
جرت على هذا المحفل صرعاتية أطفأت جميع مشاعل النور ،
لم يبق شيء من الأدوات والوسائل: لا جَرَّةَ ،ولا ساقي ،ولا مطربَ ،ولا طُنْبور .

١٨٤

كثير من الناس يتظاهرون بمظاهر التقوى والصلاح ويشهد لهم السفهاء بالفضل والورع ،
يتجولون في القرى والمدن ويجمعون الأموال ،
هؤلاء اليوم زعماء الإسلام الملقبون بورثة الأنبياء .

١٨٥

وغيرهم كثير من أبناء الصوفية والمشايخ الذين لا كفاءة لهم ولا علم ،
كل ما عندهم الفخر بالاسلام ،
يتصيَّدون الناس بحركات عجيبة ،ويستَجْدون بطرق غريبة .

١٨٦

هؤلاء الذين يسلكون مسالم "الطريقة" ويتجاوزون حدود "الشريعة" ،
وبهم تنتهي كل الكشوف والكرامات ، وفي قبضتهم مقادير العباد ،
هم الآن المتبوعون وأتباعُ جنيد والبسطامي ،

١٨٧

يقذفون بكلماتٍ تُوقِع الخلاف بين الناس ، ويكتبون كتاباتٍ تفرِّق بين القلوب ،
ويُهِينون مرتكبي الخطايا ،ويكفرون إخوانهم المسلمين ،
هذه هي طريقة علمائنا ،وتلك هي عادة دعاتنا .

١٨٨

لو سألهم أحد عن مسألة عاد حاملا ثِقْلَه على كتفه ،
ولو شك - من سوء حظه - في شيء من ذلك حُكِم عليه بأنه من أهل النار ،
واذا اعترض عليه بلسانه فرجوه سالماً قريب من المستحيل .

١٨٩

يرفعون أصواتهم عند الكلام فيخرج الزبد من أفواههم ،
ويسمون السائل بالكلب والخنزير، وربما أدّبوه بالعصا ،
هؤلاء أركان الدين، وهذه هي أخلاق رسول الله - حرسهم الله - !

١٩٠

واذا أراد أحد أن يبتهج بلقاء أحدهم فيجب أن يكون من قومه ،
وتكون على جبهته علامة السجود ،ويكون كاملا في أداء واجبات الشريعة ،
لا يطول شاربه، ولا تقصر لحيته ، ولا يسبل إزاره ،

١٩١

عليه أن يوافقه في العقيدة، ويتفق معه في الأصول والفروع ،
ويسيء الظن بمخالفيه ، و يفرق بالمدح تابعيه ،
اذا لم يكن كذلك فهو مردود ، لا يصلح لمقابلة أهل الشرف والجود .

١٩٢

كانت أحكام الشريعة في منتهى البساطة بحيث تغار عليها اليهود والنصارى ،
والقرآن بذلك شاهد، والنبي يقول: " الدين يسر " ،
ولكن علماء العصر جعلوها عِبئا ثقيلا حتى أصبح العوام في حيرة من أمره .

١٩٣

لم يرشدوا الناس إلى الأخلاق الفاضلة ،ولم يزكوا قلوبهم من أدران السيئات ،
وأكّدوا عليهم أحكام الشريعة الظاهرة بحيث لا محيدَ لهم عنها ،
الدين الذى كان منبعا للأخلاق الكريمة قَصَروه على مسألة القلتين في الوضوء .

١٩٤

يبغضون المحققين من الفقهاء، ويظنون العمل بالحديث مُروقًا من الدين ،
جُلُّ اعتمادهم على كتب الفتاوى ، جاعلين من الرأى الفقهي خيرَ بديل للقرآن ،
لم يبق من الكتاب والسنة إلا اسمها، إهجروا كلام الله ورسوله .

١٩٥

وإذا اختلفت الروايات فلا نطمئن إلى رواية ثابتة صريحة ،
أما التي يُبعِدها العقل والدراية فنقدمها على سائر الروايات ،
الكبار والصغار كلهم سواء في هذا الأمر، لقد سَسَخَتْ عقولَنا التقاليدُ والعاداتُ .

١٩٦

من عبدَ الأصنامَ من غيرنا فهو كافر ، ومن جعل لله ابنا فهو كافر ،
ومن جعل النار قبلة له فهو كافر ، ومن اعتقد في النجوم قوةً فهو كافر ،
أما المسلمون فالطريق أمامهم مفتوح ليعبدوا ما شاءوا على راحتهم .

١٩٧

حتى شاءوا جعلوا النبي إلها ،وقدَّموا الأئمة على النبي في الرتبة ،
وساقوا القرابين والنذور إلى المقابر ليلَ نهار ، واستغاثوا بالشهداء واستعانوا بهم ،
كل ذلك لا يؤثر في التوحيد ، ولا يبطل به الايمان ولا يفسد الاسلام-

١٩٨

الدين الذى نشر التوحيد في العالم ،وظهر الحق به في أرجاء المعمورة ،
واندحر الشرك أمامه حتى في الخيال ، قد مسخ هذا الدين في الهند .
التوحيد الذى كان مفخرة للإسلام في العصور الغابرة فقده المسلمون هنا آخر الأمر .

١٩٩

العصبية التي هي العدو اللدود للبشر والتي خرَّبت كثيرا من الدور العامرة ،
وفرقت مجالس نمرود ، وأغرقت فرعونَ في اليم ،
وذهب ضحيتَها أبو لهب، وأطاحت بأبي جهل ،

٢٠٠

تتجلى هذه العصبية هنا في مظهر عجيب ، يختفي وراءها الضرر ،
والكأس الذى يمتلىء بالسم تظنه رحيق الحياة ،
لقد جعلنا العصبية ركنا من الدين وظننـــا جهنم جنة الخلد .

٢٠١

وقد علّمنا الوعاظ والخطباء أن العمل سواء كان دينيا أو دنيويا ،
لا يجوز فيه مسابقة الآخرين ، ومن علامة الغيرة على دين الحق :
أن لا تصدقوا أقوال الآخرين أبدا ولو كانت صوابا ، وإذا قال أحد هذا نهار فعدوه ليلا !

٢٠٢

وإذا وجدتموه على الصراط المستقيم فتنكبوا عنه واسلكوا سبيلا آخر ،
واحتملوا في سبيله كل العقبات التي تعترضكم ، وسيروا مهما تعثّرتم ،
وإذا سلمت سفينتُه من مأزقٍ ألقُوا فيه سفينتكم لتغرق !

٢٠٣

واذا مُسِخَتْ صُوَرُكم ، وشاكلتْ أخلاقُكم البهائمَ ،
وتغيرت طبائعكم ، وانقلبت أحوالُكم رأسا على عقب ،
فاعلموا أن ذلك أيضا من معالم الحق ، وأنه مظهر من مظاهر نور الإيمان !

٢٠٤

لا يساويكم أحد في الأوضاع الاجتماعية ولا يسبقكم في الأخلاق الفاضلة ،
ليست له الأطعمة الشهية ولا الملابس الأنيقة وأدوات الزينة ،
أنتم السابقون في كل طم بلا شك وفي جهالتكم نوع من التدلل !

٢٠٥

لا تظنوا أي شيء فيكم قبيحا ، ودائما قدّموا أقوالكم على كل قول ،
وما دمتم في رعاية الإسلام فأنتم بريئون من كل الذنوب ،
المسلمون لا تضيرهم معصية ، فمعاصيكم وطاعات الآخرين سواء !

٢٠٦

وان ذكرتم اسم العدو فاذكروه بحقارة واستهان ،
ولا تنتظروا منه الخير أبدا ،وإلا ستجدون عقابه يوم القيامة ،
وسيكفّر عن ذنوبكم عندما تسبون أعداءكم .

٢٠٧

لا ألفةَ بين سنى و شيعي ، ولا محبةَ بين حنفي وشافعي ،
ولا قرابةَ بين صوفي ووهابي ،و يلعن المقلِّدُ غيرَ المقلد ،
وهكذا تستمر الحرب بين أهل القبلة الواحدة ،ويضحك على ذلك العالم كله .

٢٠٨

وإذا أراد أحد إصلاح ذات البين ، فاعلموا أنه أخبث من الشيطان !
والذى يقترب من هذا "المُفْسِد" بعيد عن جادة الحق ،
يعطّلون الشريعة ويفسدونها ، سواء في ذلك المشايخ وتلاميذهم .

٢٠٩

الدين الذى غرس المحبةَ في أتباعه ، وانتشل التنافر من القلوب ،
وجعل الأجانب موالى ،وأخرج العداوة من قلوب الأعداء ،
العرب والأحباش والأتراك والتاجيك والديلم صاروا كلهم أمة واحدة ،

٢١٠

إلا أن العصبية كدرت هذا النبع الصافي بأوشاب البغض والعداوة .
فصار الإخوان أعداء فيما بينهم وانتشر النفاق بين أهل القبلة جميعا ،
لا تجد مسلما واحدا من العشرة يفرح بمقابلة أخيه .

٢١١

كان الواجب علينا أن نكون أصدقاء نواسى إخواننا إذا نزلت بهم كارثة ،
كل واحد منا يساعد الآخر حسب طاقته ويتألم بما يصيب أخاه ،
لو كنا كذلك في المودة والإخاء لجاز لنا أن نقول نحن خير الأمم .

٢١٢

لو عملنا بقول الرسول : " المسلم أخو المسلم " ،
وما دام العبد في عون أخيه كان الله في عونه " ،
لم يقع الدمار والهلاك بأسطولنا ، ومع فقرنا صرنا ملوكا .

٢١٣

البيت الذى تتآلف فيه قلوب سكانه ، ويتآخون في الأفراح والأتراح ،
ويفرحون بفرح الواحد ويتألمون لألمه ،
هذا البيت أكثر بركة من قصر الملك الذى ينفرنيه كل فرد من صاحبه .

٢١٤

وإذا اعتبرنا معاملاتِ أهل الدين مع بعضهم مقياسا للدين ،
ورأينا سوقهم فيها رابحة أو كاسدة ، والأقوال والأعمال صادقة أو كاذبة ،
فلا نجد إلا نماذج قليلة تقوم على هَدْى الإسلام ،

٢١٥

تكثر الغيبة في المجالس ، وكل إنسان واقع فيها لا مَحَالة ،
لا أحد يعفو عن أخيه زلاتِه ، ولا يجتنب عنها حتى العلماء والمشايخ ،
ولو كانت الغيبة مُسكِرة كالخمر لما وُجِد أحد من المسلمين صاحيًا أبدا .

٢١٦

والذى يملك هنا قدرا من المال لا يتعامل مع الإنسان كإنسان ،
أما المفلس الذى ساء حظه في هذا الزمن فلا يمكن له أن يرى غيره جذلان ،
هذا تغرقه نشوةُ الكبر ، وذاك تعتصره قبضة الحسد .

٢١٧

واذا كان أحد مرجعا للخلائق وليس فيه سوء في الظاهر ،
ويصفه الناس بالتقي ، ويقدره كل فرد ،
فينظر إليه أخوه بعين الغضب ، ويوء لمه جدا ، كأنه شوكة سلت عينه .

٢١٨

واذا أفلس أحد من بعد ثراء ،وأصبح فقيرا
بعدما كان حسنَ الحظ تسجد له جباه الناس ،
تظاهرَ أخوه بالحسرة وهو في أعماقه سرور ، فقد زاد عدد أصحابه المعدمين .

٢١٩

واذا ضحى بنفسه أحد الأبطال الشجعان ،من أجل قومه ،
يتهمه قومه بأن له في ذلك مصلحة كامنة ،
وإلا فلماذا يعمل الواحد على حساب الآخر ؟ هذه الحيل كلها من أجل المصالح الشخصية

٢٢٠

واذا أرشدهم إلى طريق الخير والصلاح وضعوا أمامه المعراقيل مهما وجدوا إلى ذلك سبيلا ،
واذا كان له طِيْبُ الذكر ابتدعوا له أنواعا من التهم ،
خسروا الدنيا والآخرة فلا يحبون أن يرتفع صيتُ أخيهم المسلم .

٢٢١

وإذا شاهدوا الود والصفاء بين شخصين ألقوا بينهما أشواك العداوة والبغضاء ،
وإذا اختصمت جماعتان ،ظفروا بمرادهم ،
لا عملَ أروع من هذا ،ولا متعةَ ألذ منه .

٢٢٢

المكر وسوء الظن والخداع والرياء والتصنع والكيد والاحتيال ،
الافتراء والكذب والنميمة في مجالس الأصدقاء والأعداء ،
لا تجد أمة أخرى منّا ، فلماذا لا يرتفع شأن الاسلام بنا ؟!

٢٢٣

تبرز فينا القدرة الفائقة على التملّق فنوجّه الإنسان إلى ما نشاء ،
فأحيانا نسفّه العقلاء ، وأخرى نَسْخَر بالأذكياء ،
نَخْفِض هذا و نُعْلِي ذاك ،وهكذا نَنْصِبهم في هذه المناصب .

٢٢٤

نُعلّق على الحكايات المزوّرة ،ونحلِف مئات المرات على المواعيد الكاذبة ،
ونتجاوز الحدّ إذا مدحنا شخصا ،ونقيم القيامة إذا ذممنا أحدا ،
هذه برامجنا اليومية ،نحن المسلمين الذين لا يعدلهم أحد في الفصاحة .

٢٢٥

الذى يهدى إلينا عيوبَنا نظنه أكبر أعدائنا ،
نكره النصح ،ونمقت الناصحين،ونعتقد أن مرشدينا قطاعُ الطرق ،
هذا هو الداء الذى أفقدنا كلّ جميل وأغرق سفينتنا في البحر .

٢٢٦

ذلك العهد السيمون الذى يعتبر خير القرون لأنّ أسس الخلافة كانت موطدة ،
وكانت ظلال النبوة ترشد إلى الطريق ،وسادته الخير والبركة كل مكان ،
كانوا متحلين فيه بالعدل وكانت رياض النبي خضرة مثمرة .

٢٢٧

كان من سعادة ذلك العهد أن الناس ينقادون للنصح إذا وجه إليهم،
ولا يخشون كلمة الحق ، ولا يظنون الحق مرا ،
كان السيد يمتثل قول غلامه ، وكانت السيدة تجادل بالحق مع الخليفة .

٢٢٨

الشخص الذى لقّبه النبي بفخر الأمة ،وبشّره بالجنة في الدنيا ،
والذى اشتهر عدلُه في العالم وتزين به عرش الخلافة ،
كان يدور في الليل حول البيوت خفية ليُصلِح نفسه إذا سمع معايبه .

٢٢٩

وأما نحن فالطيور والوحوش أفضل منا ، لا توجد فينا صفة محمودة في الظاهر والباطن ،
لا عزلنا بين أقراننا ولا يوجد فينا كفاءات أسلافنا ،
نكره النصح أشد الكره ،كأننا نعرف أنفسنا جيدا .

٢٣٠

لو لم تُختَم النبوة على العرب وبُعِثَ إلينا الرسول ،
لكان كما هو مذكور في القرآن عن ضلالات اليهود والنصارى ،
حَكَى عنا ذلك الكتابُ الذى نَزَل على محمد .

٢٣١

سيئاتنا معروفة ،وفضائلنا معدومة ،
أخلاقنا سيئة مذمومة ،كلنا محرومون من الراحة وهدوء البال والمال ،
الجهل نديمنا ، والعصبية مرضنا العضال الذى لا يسمح لنا بالقدرة على الحركة والنهوض.

٢٣٢

ذلك التقويم اليوناني القديم ، والفلسفة التي هي منبع التُرّهات ،
والتي أبطلها العلم في العصر الحديث وكشفت عن زيفها التجارب ،
نظنها أقدس من الوحي بحيث لا نقبل فيهما زيادة ولا نقصا .

٢٣٣

الكتب المقدسة كلها مُعرَّضة للنسخ والنسيان ،
ولكن الأصول التي وضعتها اليونان يستحيل فيها النسخ والتغيير ..
لا يشطب منها حرف حتى تنتهي الدنيا وتقوم القيامة.

٢٣٤

الآثار التي خلفتها العلوم الحديثة تلمسها في الهند منذ مائة عام ،
إلا أن العصبية أسدلتْ ستارا عليها ،فلا نشاهدُ الحقيقة أبدا .
لقد نُقشتْ آراءُ اليونان في القلوب فلا نوء من بخلافها ولو نزل بها الوحى .

٢٣٥

الذين يعشَقون الآن تلك الفلسفة القديمة ، ويُقدِّمون "الشفاء" و"المجسطي"،
ويسجدون في محراب أرسطو ،ويقلّدون أقوال أفلاطون ،
هم مثل بقر الزيات ، يدورون طول العمر وهم في نفس المكان .

٢٣٦

عندما ينتهون من دراسة هذه الفلسفة، ويتخرجون منها، ويحصلون على الشهادة فيها،
فاذا نشط أحدهم يكون أكبر همه :
أنه إذا قال عن الليل : "هذا نهار" أثبته على الناس رغم أنوفهم .

٢٣٧

لا يعرفون غير أن ينقلوا إلى الآخرين ما درسوا، ويعلّموهم ما تعلّموا ،
ويُلقّنوهم الكلماتِ التي سمعوها ويُحفّظوهم ما حفظوا كالببغا وات .
هذه خلاصة ما درسوه، وهذا فخرهم على أقرانهم .

٢٣٨

لا يصلُحون للعمل في وظائف الدولة ،ولا للخطابة في المجالس ،
ولا لرعي المواشي في الغابات، ولا لحمل الأثقال في الأسواق ،
لو لم يدرسوا كسبوا المعاش بشتى الطرق ،والآن فهم عاطلون بعد الدراسة .

٢٣٩

وإذا سألتهم ما المقصود من دراستكم لهذه العلوم ؟
وما الفائدة منها في الدنيا والآخرة ؟ وهل هناك من ثمرة ؟
يهذون كهَذَيان المجاذيب، ولا يجيبون على أي سؤال .

٢٤٠

لا يقدرون على إثبات النبوة ،ولا الحديث من فضائل الإسلام ،
ولا ذكر عظمة القرآن، ولا التعريف بالحق سبحانه ،
كل حُجَجِهم الآن تافهة ، لا تفيد سيوفُهم اليوم أمام المدافع.

٢٤١

وقعوا في مشكلاتٍ لا نهاية لها، وأمورٍ لا طائل تحتها ،
مثل الشاة التي ضلّت فيتبعها سائر القطيع ،
لا تعرف مصيرها ،هل هي على الجادة ،أم ضلت الطريق ؟

٢٤٢

مثلهم كمثل القرود ، التي أُحست البرد في مكان ،
فبحثت عن النار هنا وهناك ولم تجد ضوءها في أى موضع ،
وأخيرا وَجَدتْ يَراعةً تلمع ، فظنتها شرارة من النار ،

٢٤٣

فقَبضَتْ عليها وكدستْ عليها الأعشاب ،
وبدأت تُشعِلها بكل جهودها ، ولكن النار لم تشتعل والبرد لم يذهب ،
وهكذا قَضَتِ الليلَ بلا راحة وبلا فائدة ، ولم تستفد من جهودها شيئا ،

٢٤٤

كانت تمرُّ بها الحيوانات فتَسْخَرمنها عندما تراها على تلك الحال ،
وتضحك عليها وتسخر منها لتتخلى عن أوهامها ،
ولكنها لم تترك جهودها ، بل غضِبتْ بسبب اللوم والنصح ،

٢٤٥

ولم تعرف الحقيقة حتى طلعت الشمسُ . وهكذا حال من يعارض الحقيقة ،
لا ينفضون غبارَ الوهم عن أهدابِهم حتى ينقشع الظلامُ ويطلع نُورُ الصباح ،
وسيبدو جليا عن قريب أنهم كانوا " يظنون اليراعةَ شرارةً من نار " .

٢٤٦

الطب اليوناني الذى شُغِفَ به أطباؤنا وعَدُّوه وصفةً ناجعة ،
وبَخِلوا بذكر أسراره ، وأخفوا كثيرا من حقائقه كما تُخْفَي العيوب الخلقية ،
لم يبق هذا الطب إلا في مجموعة من الوصفات التي تناقلتها الصدور كابرا عن كابر ،

٢٤٧

لم يدرسوا النباتات ، ولم يكتشفوا الثروات المعدنية ،
ولم يعرفوا علم التشريح ، والطبيعة والكيمياء ،
والجيولوجيا والفضاء ، فالله يرعى مرضاهم .

٢٤٨

لا يمكن أن يخطيء كتابُ "القانون" ولا مجال للغلط في "المخزن"،
والذى قاله "سديدى" واجب الامتثال ، وما ذكره "نفيسى" على الرأس والعين،
وكل ما كتبه الأسلاف باجتهاداتهم مثل الصحف المنزلة من السماء .

٢٤٩

وتلك الدواوين المحشوة بالقصائد الماجنة ، التي تفوق المراحيضَ بعفونتها
وتتزلزل منها الأرض والجبال وتستحي منها الملائكة في السماء ،
وفسدت بها الأخلاق والعقائد ، تُوصَفُ من بين علومنا بعلم الأدب !

٢٥٠

وإذا كان هناك عقاب على نظم الشعر الماجن وكان الكذب والافتراء محرما في الشريعة ،
فالمحكمة العليا التي قاضيها هو الله، والتي يتقرر فيها الجزاء والعقاب ،
سيغفر لكل المذنبين هناك ،إلا الشعراء الذين يطوُون النار بدخولهم إياها .

٢٥١

كل العمال والخدم الآن يكسبون الأرزاق بعرق جبينهم وكدّ يمينهم ،
حتى المطربون والمغنون لجأوا إلى بعض الامراء يطبّلون لهم ليحصلوا على أرزاقهم ،
ولكن الذين أصيبوا بمرض الشعر المضنى فلا ندرى بماذا يشتغلون وفيم يعملون ؟

٢٥٢

لو لم يوجد السقّاؤون لمات الناس عطشا، ولو انقرض الغسّالون لاتّسَخَ جميعُ العالم ،
ولو ذهب العمّال ابتُلِي أهلُ المدن بمشكلات بالغة ،ولو ارتحل الكنّاسون لتكدّست البيوت
بالأقذار .
أما إذا اغترب الشعراء عن المجتمع استبشر بذلك كل واحد وفرح .

٢٥٣

العرب الذين أجادوا هذا الفن ولم يكن لهم شبيه في العالم
والذين اعترفت بفصاحتهم كلُّ الأمم ،وأسفاه ! ضيع الناس آثارهم وطمسوا أعلامهم ،
وفقدوا كل الفضائل والمحامد ،وأخيرا أغرقوا سفينة الشعر .

٢٥٤

نهض الأدبُ واستقام بلغتهم ، وصقل الدينُ بفصاحتهم ،

واستخدموا اللسان في موضع السيف والسنان ،وكانت اللغة أشدَّ وأنكى من الرماح وعتاد الحرب ،

تهذّبت أخلاقهم بالشعر ،وأحدثتْ خطبُهم ضجّة كبرى في العالم.

٢٥٥

أما خلفهم الموجودون الآن الذين اشتهروا بسحر البيان ،وعُرِفوا في أوساط الناس بالفصاحة ،

وطار صيتهم في البلاغة في أرجاء الهند ، فهم في حالة لا يُحسَدون عليها ،

بعدما قضَوا حياتهم في الشعر لم يكن لهم أى مكانة إلا أن يُغنّى المطربون ببعض غزلياتهم في المحافل.

٢٥٦

تَحفَظ الماهراتُ دواوينَهم، ولهم منة عظيمة على المغنيين ،

تتحقق أمانيهم في الزوايا والمجالس ، ويُطرِى عليهم إبليسُ وجنوده ،

إنهم ظلّموا عقولَ الناس ، وأراحوهم من التعب .

٢٥٧

أما أولاد الشرفاء فلا عناية بتربيتهم ،وأحوالُهم تثير العجب ،

بعضهم يرغب في اللعب بالحمام وتنشئته ، وآخرون مشغوفون بإيقاع الحرب بين السواني والسلوى ،

هذا مولع بالمخدّرات والسكرات ، وذاك غارق في الخمر والروحيات .

٢٥٨

ينادمون لئام الناس ورَعَاعَهم ،أصدقاؤهم من الفُجّار والفاسقين ،

ينفرون من العلماء والمثقفين ،ومن المعاهد الدينية والدراسة فيها ،

يقضون حياتَهم بين هؤلاء اللئام وأولئك الخبثاء ،يخالطونهم ويتبادلون بينهم المنكرات.

٢٥٩

لا تجدهم في معاهد العلم ، ولا تراهم في محافل الأدب ،

يزيّنون مجالسَ الأسواق والغناء بحضورهم ، يتجوّلون فيها ويذهبون إليها بكل شوق ،

ينفرون عن الكِتَاب والمعلّم ويتهاوون إلى مجالس الرقص والغناء .

٢٦٠

وإذا أحصيتَ هؤلاء الشباب الداعرين ،

والذين أذلُّوا أُسَرهم العزيزة ودفنوا كرامةَ آبائهم ،

تجد معظمهم من أولاد الشرفاء متفرقين ومتشتتين في كل مكان .

٢٦١

نشأوا في طفولتهم في حراسة شديدة كما يَقضِي السجينُ حياتَه في غياهب السجن ،

ولما بلغوا أشُدَّهم استولى الشباب على عقولهم مثل الجنون ،

فلا يستطيعون الاستقرار في المنازل ،بل يجعلون الملاعب ودور الفسق منازل لهم وأماكن زيارة .

٢٦٢

غرقوا في سُكْرِ خَمْرِ العشق ، وأُسِرُوا بتزجيج الحواجب والعيون ،

وتعذَّبوا من أجلها وتحرَّقوا بنار سهامِها ،ووقعوا أسرى القلوب العاشقة ،

ما الحيلة ؟ وقد انغمسوا في الحب ، وتغلغلتْ حرارتُه إلى أعماقهم .

٢٦٣

إذا كان في العالم أى معشوق تعلقوا به وهو غائب ،

ومتى ما رأوا حلما في المنام تحدَّثوا عنه ليلَ نهارَ ،

قصصهم مُضْحِكة غريبة ،كأن كل واحد منهم "قيس" و "فرهاد".

٢٦٤

إذا كانت الأم حزينة فلا ضَيْر عليهم ،وإذا كان الأب مُصَابا بعاهة فلا اهتمام بشأنه ،

إذا كان في البيت مجاعة وفقر فلا حرج ، وإذا مات الأقربا فلا شيء عليهم ،

إذا أحبوا معشوقا فلا علاقة بعده مع الآخرين .

٢٦٥

لا يتحرجون من السباب والشتائم ،ولا يجتنبون الجدال والخصام ،

وإذا ذهبوا إلى الأسواق أظهروا سوء الخلق وقلة الحياء ،وإذا جلسوا في المحافل أثاروا فتنا جديدة ،

يخاف حتى المُجَّانُ من ضحكاتهم ، و يبتعد حتى الفساق عن معاشرتهم .

٢٦٦

وإذا زوّج الآباءُ هؤلاء "البررةَ" أخذوا على عواتقهم كفالة أزواجهم ،
وإذا أصلحوا أمورَ البنات وجدوا أولادَ الإخوان والأخوات متحللين ،
وهذا الوضع سائد في كل بيت، لا قرارَ لأزواج الأبناء، ولا أكفاءَ لتزويج البنات.

٢٦٧

لا يَعرِفون الكتابةَ، ولا يتعلمون أدبَ البلاط ،
ولا يفهمون متطلّبات النيابة ولا يتعلمون كيف الطاعة والخدمة ؟
الخادم يفيد المجتمع، ولكن هؤلاء بماذا يفيدون ؟

٢٦٨

الذين لا يكسبون لقمة العيش منهم، يعيشون بشتى الحيل و مختلف الطرق ،
والذين يعيشون في رفاهية يدعون ليلَ نهار على آبائهم بالموت .
هؤلاء ممثّلون للأشراف وأعيان القوم! وهؤلاء خلف لأولئك السلف!

٢٦٩

و لعلهم ذلك النبات لشجرة الإسلام الذى ينظر إليه كل الناس ،
ويأملون أن ينهض به الإسلام في المستقبل ويقوم به من جديد ،
ويُحيي هذا النباتُ الحديقةَ الذابلةَ، ومنه ينبعث فصل الربيع في ذلك البستان .

٢٧٠

هذه هي السلالات المباركة التي تقيم الدين !
وتواسي الأقوام الأخرى، وكل الآمال معقودة بها للنهضة الجديدة،
هذه التي تشعل قناديل الإسلام وتُعرِّف بعظمائه الخالدين !

٢٧١

واذا كان هؤلاء خلفَهم والمحافظين على تراث سلفهم ،
وكانوا هم ذكريات الكرام السابقين وسلالات الأشراف والأعيان ،
فلا يبقى في التاريخ غير أنه كان هنا قوم بهذا الاسم وانقرضوا .

٢٧٢

الذين يظنون أنفسهم مثقفين ، ويفخرون بحرية الفكر عندهم ،
ويضحكون على أبناء القوم في سلوكهم ، ويعتبرون المسلمين سخفاء ،
لو بحثتَ عن المخلصين من بينهم لم تجد إلاّ قلة منهم .

٢٧٣

لا يحزنون على فقر المسلمين ولا يفكرون في تعليمهم و تثقيفهم ،
ولا جرأة عندهم ولا نقودَ ولا مساعدة ، ولكن يَسْخَرون من كل فرد مهما كان ،
يضحكون على ملابسه تارة ، ويشمئزُّون من مأكله ومشربه أخرى .

٢٧٤

إذا التمسوا عيبا عند أقربائهم ضحِكوا عليهم وسخروا منهم ،
وآلموا قلوب إخوانهم بشماتتهم ، وأغاظوا الأصدقاء بتنكرهم لهم ،
لا يحسون بالألم في قلوبهم و نفوسهم ، ولا قطرة دم بعيونهم .

٢٧٥

وقعت السفينة في لجة البحر ، وأصيب بالبلاء كل صغير وكبير ،
لا منفذَ ولا مفرَّ ولا ملجأَ ، بعضهم ينامون فيها ، وآخرون يستيقظون ،
النائمون غارقون في نوم عميق ، والمستيقظون تضحك عليهم النساء .

٢٧٦

يسألهم أحدهم : يامعشر العقلاء ، لماذا تضحكون ؟
وقد قربَ غرق السفينة ، فلا يبقى النُّوَّام ولا يسلم المستيقظون ،
لا تبقون أنتم ولا أصحابكم ، إذا غرقت السفينة تغرقون جميعا .

٢٧٧

إلى متى نحصي معايبنا وفضائحنا ؟ فكلهم - من الصغير إلى الكبير - وقع في الفساد ،
العلماء والجهال ، والضعفاء والأقوياء أحوالهم جميعا تثير العجب والدهشة ، فواأسفاه !
لا يوجد في العالم مريض يئس من حياته مثلنا نحن الذين لا ننتبه أبدا بعد الرقاد .

٢٧٨

سألوا بعض الحكماء ما هي النعمة العظمى في العالم ؟

فقال : العقل الذى يُنَال به الدينُ والدنيا ،فقيل : إذا لم يظفر به شخص ؟

قال : فالعلوم والصنائع والحِرَفُ ،التي تعتبر مفخرة من مفاخر البشرية،

٢٧٩

فقيل : وإذا لم تحصل هذه ؟ قال : فالمال والثراء هو الأفضل ،

فقيل : إذا كان بابه مغلقا ؟ قال : فالأجدر به أن تنزل الصاعقة عليه ،

لينجو هذا الشخص من المذلة والهوان، ويسلم الآخرون من نحسه وشؤمه .

٢٨٠

أخاف يا أبناءَ قومي أن تكونوا عارا للبشرية ،

إذا كان عندكم شيء من الحماس للاسلام فانهضوا مسرعين وتداركوا الأمر ،

وإلا يصدق عليكم قول القائل : إن عدمهم أفضل من وجودهم .

٢٨١

إلى متى تكونوا مطمئنين ؟ ولا تغيّرون من عاداتكم وأحوالكم ؟

إلى متى يبقى النشأ الجديد ضائعا وحائرا؟ ومتى تتركون سُلُوكَ شريعةِ الذئاب ؟

تناسَوْا كلَّ الأمجادِ القديمة والبطولاتِ السابقة ،وأخمِدوا نار العصبية .

٢٨٢

الدولة منحتكم الحرية ، وأبواب النهضة مفتوحة تماما ،

ولسان حالها يقول : الحكام والمحكومين كلهم في رفاهية ،

يسود البلادَ الأمنُ والاستقرار، ولا يُتَعرَّضُ لأى قافلة في الطريق ،

٢٨٣

ليس هناك أحد يبغض الدين والإيمان ، ولا معارض للكتاب والسنة ،

ولا هادمَ لأركان الإسلام ،ولا مخالفَ لأحكام الشريعة ،

صَلُّوا في المساجد بدون رهبة ،وأذّنوا في المساجد وتجمّعوا بدون خوف .

٢٨٤

سبلُ السفر والتجارة مفتوحة عليكم ، وطرق الصنائع والحرف ليست مسدودة ،
واذا كانت أبواب العلوم مشروعة فوسائل كسب المال مهيأة .
لا خوفَ من لصّ أو عدو ، ولا خطر من قطاع الطرق .

٢٨٥

تُقطَع مسافاتُ الشهور في ساعات ، ومنازل السفر ودور الضيافة آمَنُ من البيوت ،
والغابات في جميع الجهات مُوَطَّأةٌ ومذلَّلة ، والقوافل تروح وتغدو ليلَ نهار ،
السفر الذى كان قطعةً من النار في الماضي صار وسيلة للظفر بالمطلوب وطريقا للنجاح .

٢٨٦

تصل أنباءُ البلاد في كل لحظة ، وأخبار الأفراح والافتراح من كل مكان ،
لا يخفى على الناس ما يحدث في العالم ، وما يجرى في كل القارات ،
ليست هناك حادثة تخفي عن الآخرين ، فقد أصبحت أحوال الأرض واضحة مثل المرآة .

٢٨٧

فاغتنموا هذا الأمن والحرية ، واعلموا أن باب النهضة مفتوح في كل جانب ،
والزمان ساير لكل مسافر ، ويجيء هذا الصوت من كل مكان :
لا خوف من عدو ، ولا خطرَ من قاطع طريق ، فاخرجوا ، فالطريق آمن .

٢٨٨

بعض القوافي ترحل متأخرة ، وبعضها تحمِل الأمتعة والعُدَّة وتستمدّ ،
وبعضها تفزع من السرعة ، وبعضها تتأسف على بطء السير ،
ولكنكم في نوم الغفلة ، فلا قدَّر الله أن لا تصِلوا إلى المنازل .

٢٨٩

لا تسيئوا الظنَّ بالأصدقاء ، ولا تظنوا المرشدين قطاع طريق ،
ولا تلوموا الناصحين ، بل انظروا إلى أنفسكم وبيئاتكم ،
كيف خزائنكم ؟ أهي مملوءة أم فارغة ؟ وكيف أخلاقكم ؟ حسنة أم سيئة ؟

٢٩٠

لقد سمعتم قصص الأمراء والأثرياء، وذكرتم أحوال العلماء والفقهاء ،
ولا يخفى وضع الأشراف عليكم ، فكلهم مستعدون للفساد والانحلال ،
لعل هذا البيت البالي القديم يهوى للسقوط قريبا فقد تنحّى عمود مركز الثقل عن مكانه .

٢٩١

وكل ما حدث بنا قليل من كثير ، وما يجرى في المستقبل أشد وأعظم ،
وإذا خفض الدهر أحدا من علوه ، فسيدفنه في الأرض ويجعله ترابا ،
لم يبق في القوم أيّ أمل الآن ، وسيتأكد عليهم المزيد من الهلاك والدمار .

٢٩٢

هذه نهاية كل نهضة ، ومصير كل قوم وملة ،
وعادة العصور السابقة ، وحقيقةٌ من حقائق هذا العالم السحرى ،
فقد نضبت كثير من الأنهار بعد جَرَيانها ، وقُطِعَتْ كثير من الحدائق بعد ما أزهرتْ وأثمرت .

٢٩٣

أين الذين بنوا أهرامَ مصر ؟ وأين أسرة رستم الشجاع ؟
وأين ملوك فارس وسلاطينها ؟ أفناهم الدهر وقَضَى عليهم الزمان .
ابْحَثُوا أين آثار الكلدانيين في بابل ؟ وقولوا لنا أين ملوك ماما ن ؟

٢٩٤

هو الله الذى له البقاء الدائم ، وهو الذى يرث الأرض ومن عليها ،
ومصير الآخرين جميعا الفناء ، لم يبق أحد في الماضي ولن يبقى في المستقبل ،
كلنا مسافرون : الفتي والفقير ، والحر والعبد . . . نذهب إلى ما أراد الله .

الفهارس

فہرس المصادر والمراجع

(أ) الكتب الأردية :

- آزاد ،ابو الكلام : نقش آزاد (لاهور ١٩٥٩)
- آزاد ،محمد حسين : آب حيات (لاهور ١٩٠٧)
- ـــــ سخندان فارس (لاهور ١٩٠٦)
- آفاق حسين آفاق : نادرات غالب (دلهي ،د.ت)
- ابو الحسنات ندوی : هندوستان کی قدیم اسلامي درسگاهين (اعظم کره ١٩٣٦م)
- ابو الحسن علی ندوی : سيرت سيد احمد شهيد (لكهنو ١٩٣٩)
- ابو سلطان شاهجهان پوری : برصغير مين مسلمانون کے علمی تعليمی اورادبی ادارے ١ - ٢ (كراتشی ١٩٧٥)
- ابو الليث صديقي : آج کا اردو ادب (اله آباد ١٩٧٩)
- ـــ تذکرۂ حالی (علی کره ١٩٦٥)
- ـــ جامع القواعد ـ حصه صرف ـ (لاهور ١٩٧١)
- احمد خان ،سيد : اسباب بغاوت هند (كراتشی ١٩٥٧)
- احمد دهلوی ،سيد : فرهنگ آصفيه ١-٤ (لاهور ١٩١٨)
- اختر انصاری : حالی اور نیا تنقیدی شعور (علی کره ،د.ت)
- اسحاق جليس ندوی : تاريخ ندوة العلماء ١٢ (لكهنو ،د.ت)
- اسلم فرخی : محمد حسين آزاد ١-٢ (كراتشي ١٩٦٥)
- اسماعيل پاني پتي : تذکرۂ حالی (باني پت ١٩٣٥)
- اسماعيل دهلوی ،شهيد : تقوية الايمان (لاهور ١٩٦٨)
- اعجاز حسين : نئے أدبی رجحانات (حيدرآباد ١٩٤٦)
- اقبال : كليات اقبال ـ اردو ـ (لاهور ١٩٧٥م)
- امام بخش صهبائي : حدائق البلاغت (لكهنو ١٨٤٢)
- امداد امام اثر : كاشف الحقائق (لاهور ١٩٥٦)

- امداد صابری : تاریخ صحافت اردو ۱-۳ (دلهي د.ت)
- — فرنگیوں کا جال (دلهي ۱۹٤۹)
- امیرأحمد علوی : مثنویات اردو (لکهنو ۱۹۳٦)
- أمین زبیری : تذکرۂ حالی (لاهور ۱۹٦٥)
- این زاهدی : مقالات یوم حالی (لاهور ۱۹٥۱)
- پنجاب یونیورسٹی لاهور: اردو دائرۂمعارفِ اسلامیه ۱-۱۷ (لاهور)
- — تاریخ ادبیاتِ مسلمانانِ پاکستان وهند ج ۱۰ (لاهور۱۹۷۲
- ترقی اردو بیورو نئی دهلی :درسِ بلاغت (دلهي ۱۹۸۱)
- جلال الدین أحمد جعفری: تاریخ قصائد اردو (اله آباد د.ت)
- — تاریخ مثنویات اردو (لاهور د.ت)
- جمیل جالبي : ارسطو سے ایلیٹ تک (دلهي ۱۹۷۷)
- — تاریخ ادب اردو ۱-۲ (لاهور ۱۹۷٥ ۱۹۸۳)
- — قدیم اردو لغت (لاهور ۱۹۷۳)
- حالی ،ألطاف حسین : جواهرات حالي ،مرتبه : محمد اسماعیل پاني پتي (باني پت ۱۹۲۲)
- — حیات جاوید (دلهي ۱۹۸۲)
- — حیات سعدی ،مرتبه : محمد اسماعیل پاني پتي (لاهور ۱۹۷۰)
- — کلیات نثر حالي ۱-۲ ،مرتبه محمد اسماعیل پاني پتي (لاهور ۱۹٦۷ ۱۹٦۸)
- — کلیات نظم حالي ۱-۲ مرتبه : افتخار احمد صدیقي (لاهور ۱۹٦۸ ۱۹۷۰)
- — مجالس النساء ،مرتبه : صالحه عابد حسین (دلهي ۱۹۷۱
- — مسدس حالي (کانفور ۱۹۰۹)
- — مسامینِ حالی ،مرتبه : وحید الدین سلیم (باني پت ۱۹۰۲)

- حالی ،ألطاف حسین : مقدمۂ سفرنامہ حکیم ناصر خسرو، ترجمۃ : محمد صدیق ظاہر شادانی (لاہور ١٩٧٣)
- — مقدمۂ شعر وشاعری ،مرتبہ : رشید حسن خان (دلہی ١٩٨١)
- — مقالات حالی ١-٢،مرتبہ : عبدالحق (دلہی ١٩٨٢)
- — مکاتیب حالی ،مرتبہ : محمد اسماعیل پانی پتی (لاہور ١٩٥٠)
- — مکتوبات حالی ١- ٢،مرتبہ : خواجہ سجاد حسین (پانی پت ١٩٢٥)
- — مولود شریف (پانی پت ١٩٣٢)
- — یادگار غالب ١-٢،مرتبہ : مالک رام (دلہی ١٩٨١ ١٩٧١)
- حامد اللہ افسر : نقد الادب (لکھنو ١٩٣٣)
- حامد کشمیری : جدید اردو ادب اور یورپی اثرات (دلہی ١٩٦٨)
- حبیب الحق ندوی (مرتب) : باکستان میں فروغ عربی (کراتشی ١٩٧٥)
- حمید أحمد خان : أرمغان حالی (لاہور ١٩٧١)
- حنیف کیفی : اردو میں نظم معرا اور آزاد نظم (دلہی ١٩٨٢)
- خلیق احمد نظامی : سرسید اور علی گڑھ تحریک (الہ آباد ١٩٨٢
- — سید احمد خان (دلہی ١٩٧١)
- خلیل الرحمن اعظمی ترقی پسند تحریک (الہ اباد ١٩٨٤)
- — نئی نظم کا سفر (دلہی ١٩٧٢)
- خلیل حامدی : ترکی قدیم وجدید (لاہور)
- خواجہ احمد فاروقی : اردو میں وہابی ادب (دلہی ١٩٦٩)
- خورشید مصطفی رضوی : جنگ آزادی ١٨٥٧ (دلہی ١٩٥٩)
- خیالی ،نخر الدین : مسدس خیالی بجواب مسدس حالی (لکھنو د ت)
- درد دہلوی ،میر: دیوان درد ،مرتبہ : رشید حسن خان (دلہی ١٩٨٢)
- رشید حسن خان : زبان اور قواعد (دلہی ١٩٧٦)

- زُبَید أحمد : عربي ادبیات مین پاك وهند کا حصه ، ترجمهٔ : شاهد حسین رزاقي (لاهور ١٩٧٣)
- سردار جعفری : ترقی پسند ادب (دلهي ١٩٥١)
- سکسینه ،رام بابو : تاریخ ادب اردو ،ترجمه : مرزا محمد عسکری (لاهور د.ت)
- سلیمان ندوی ،سید : نقوشِ سلیمانی (اعظم کره ١٩٨٠)
- شارب ردولوی : جدید اردو تنقید (لکهنو ١٩٨١)
- شبلی نعماني : مقالات شبلی ١-٨ (اعظم کره ١٩٥٥)
- — مکاتیب حالي ١-٢ (اعظم کره د.ت)
- شجاعت علی سندیلوی : حالی بحیثیث شاعر (لکهنو ١٩٦٠)
- شجاعت علی وناظر کاکوروی : مطالعهٔ حالی (لکهنو ١٩٧٧)
- شرف الدین اصلاحي : اردو سندهي کے لساني روابط (لاهور ١٩٧٠)
- شمس الرحمن فاروقي : چار سمت کا دریا (لکهنو ١٩٧٧)
- — عروض، آهنگ اوربیان (لکهنو ١٩٧٧)
- شمیم أحمد : اصناف سخن اور شعری هیئتین (دلهي ١٩٨١)
- شمیم حنفي نئی شعری روایت (دلهي ١٩٧٨)
- شوکت سبزواری : اردو زبان کا ارتقا (دکا ١٩٥٦)
- — اردو لسانیات (اله آباد ١٩٨٢)
- — داستان زبان اردو (کراتشي ١٩٦٠)
- صادق قریشي : ذکر حالي (لاهور ١٩٤٩)
- صالحه عابد حسین : یادگار حالی (دلهي ١٩٧٥)
- ضمیر جعفری : مسدس بے حالی (کراتشي ١٩٧٩)
- ظفر أدیب : دوحالي (دلهي ١٩٧٤)
- عبادت بریلوی : اردو تنقید کا ارتقا (دلهي ١٩٤٩)
- — (مرتب) اردو تنقید نگار (دلهي د.ت)

- عبادت بریلوی : جدید شاعری (دلهي ١٩٧٣)
- عبدالحق : اردو صرف ونحو (دلهي ١٩٧٧)
- — سرسید احمد خان (کراتشي ١٩٥٩)
- — مرحوم دهلي کالج (دلهي ١٩٤٥)
- — مقدمۂ گلشن هند (لاهور ١٩٠٦)
- عبدالحق، ڈاکٹر : متاعِ سخن (دلهي ١٩٧٨)
- عبدالرحمن : مرآة الشعر (لکهنو ١٩٧٨)
- عبدالسلام خورشید : صحافت پاکستان وهند میں (لاهور ١٩٦٣)
- عبدالسلام ندوی : شعر الهند ١-٢ اعظم کره (١٩٨١ ١٩٥٤)
- — مقالات عبد السلام اعظم کره (١٩٦٨)
- عبدالقادر سروری : اردو مثنوی کا ارتقا (حیدرآباد ١٩٤٠)
- — جدید اردو شاعری (لاهور ١٩٤٦)
- عبد القیوم: حالی کی اردو نثر نگاری (لاهور ١٩٦٤)
- عبدالله ،سید : سرسید احمد خان اوران کے نامور رفقاکی نثر کا فکری وفنی جائزه (دلهي د.ت)
- — میر امن سے عبدالحق تک (دلهي د.ت)
- عبدالله عباس الندوی: عربی میں نعتیه کلام (کراتشي ١٩٧٨)
- عبدالمجید سالك : مسلم ثقافت هندوستان میں (لاهور د.ت)
- عتیق صدیقي : هندوستانی اخبار نویسی کمپني کے عهدمیں (دلهي١٩٥٧)
- عزیز احمد : ترقی پسند ادب (حیدرآباد ١٩٤٥)
- عظمت الله خان : سریلے بول (حیدرآباد ١٩٢٧)
- عنوان چشتي : اردو شاعری میں هیئت کے تجربے (دلهي ١٩٧٥)
- غلام حسین ذوالفقار: اردو شاعری کا سیاسی اورسماجي پس منظر (لاهور ١٩٦٦)
- غلام رسول مهر: جماعت مجاهدین (لاهور د.ت)

- غلام رسول مہر: سرگذشت مجاهدین (لاهور ١٩٥٦)
- — سید احمد شہید (١-٢) (لاهور ١٩٥٢)
- — غالب (لاهور ١٩٤٦)
- — ١٨٥٧ (لاهور د.ت)
- غلام مصطفی : اردو میں قرآن وحدیث کے محاورات (اسلام اباد ١٩٨١)
- — جامع القواعد - حصۂ نحو (لاهور ١٩٧٣)
- — حالی کا ذهنی ارتقا (لاهور١٩٦٦)
- کلیم الدین احمد : اپنی تلاش میں (کیا ١٩٧٥)
- — اردو تنقید پرایک نظر (لکھنو ١٩٨١)
- — اردو شاعری پرایک نظر (١-٢) (پتنه ١٩٦٦)
- کنول کرشن بالی : مطالعۂ حالی (لکھنو ١٩٨٠)
- کیفی ،برجموهن دتاتریه: کیفیه (لاهور ١٩٥٠)
- — منشورات (لاهور١٩٥٠)
- گارسان دتاسی : مقالات گارسان دتاسی (دلهي ١٩٤٣)
- گل کرسٹ : قواعدِ زبانِ اردو ،مرتبه : خلیل الرحمن داؤدی (لاهور ١٩٦٢)
- گیان چند جین : اردو مثنوی شمالی هند میں (کراتشي د.ت)
- — لساني مطالعے (دلهي ١٩٧٩)
- مالک رام : تلامذۂ غالب (دلهي١٩٥٨)
- — ذکرِ غالب (دلهي ١٩٧٦)
- — قدیم دلی کالج (دلهي ١٩٧٥)
- — (مرتب) نذرِ ذاکر (دلهي ١٩٦٩)
- محمد اکرام : حیات غالب (لاهور ١٩٨٢)
- — موج کوثر (لاهور ١٩٨٢)
- محمد انصار الله : بانیِ درس نظامی (علی گڑھ د.ت)

- محمد سالم قدوائي : هندوستاني مفسرين اوران کی عربی تفسیرین (دلهی ١٩٧٣)
- محمد صادق : محمد حسین آزاد - احوال وآثار (لاهور ١٩٧٦)
- محمد عقیل : اردو مثنوی کا ارتقا شمالی هند میں (اله آباد ١٩٦٥)
- محمد فاروق چریاکوٹی : عوالي بجواب مسدس حالي (لکهنو ١٣١٩ھ)
- محمد منور ،میرزا : میزانِ اقبال (لاهور ١٩٧٢)
- محمود الهي : اردو قصیده نگاری کا تنقیدی جائزه (لکهنو ١٩٨٣)
- محمود شیراني : پنجاب میں اردو (لاهور ١٩٦٣)
- مسعود حسن رضوی : هماری شاعری (لکهنو ١٩٧٩)
- مسعود حسین خان : اردو زبان وادب (اله اباد ١٩٨٣)
- ـــــ اردو میں صوتیات کا خاکه [في مجموعة: " شعر وزبان "] (حیدرآباد ١٩٦٦)
- ـــــ مقدمۂ تاریخِ زبان اردو (علی کره ١٩٥١)
- مسعود عالم ندوی : هندوستان کی پهلی اسلامي تحریك (لاهور ١٩٤٨)
- مسیح الزمان : اردو تنقید کی تاریخ (لکهنو ١٩٨٣)
- مظفر علی اسیر (مترجم) : زرِ کامل عیار (لکهنو ١٩٨٣)
- معین احسن جذبي : حالی کا سیاسی شعور (علی کره ١٩٥٩)
- معین الحق : اردو زبان کی قدیم تاریخ (لاهور ١٩٧٢)
- مناظر احسن گیلاني : هندوستان میں مسلمانوں کا نظام تعلیم و تربیت (دلهي ١٩٤٤)
- مهدی حسن : افادات مهدی (دلهي ١٩٤٩)
- ناظر کاکوروی : حالي کا نظریۂ شعری (اله آباد ١٩٥٩)
- نذر احمد : جائزۂ مدارسِ عربیه مغربي پاکستان (لاهور ١٩٦٦)
- نسیم لکهنوی ،دیاشنکر : مثنوی گلزار نسیم (دلهي ١٩٨١)
- نصیر الدین هاشمي : دکن میں اردو (حیدرآباد ١٩٤٦)

- نعيم أحمد : شهر آشوب كا تحقيقي مطالعه (على كره ١٩٧٩)
- نور الحسن هاشمي وغيره : نقش حالي (لكهنو د. ت)
- نوشهرى ،امام خان : تراجم علماء حديث هند ج١ (دلهي ١٩٣٨)
- واضح زيدى : حالى ميرى نظر مين (لاهور ١٩٥٠)
- وحيد الدين سليم : افادات سليم ،مرتبه ؛ محمد سردارعلى (حيدرآباد ١٩٣١
- ـــــ وضع اصطلاحات (كراتشى ١٩٦٥)
- وحيد قريشي : مطالعۂ حالى (لاهور ١٩٦١م
- ـــــ (مرتب) : مقدمۂ "مقدمۂ شعر وشاعرى" (اله آباد ١٩٨١)
- وزير آغا : اردو شاعرى كا مزاج (لاهور ١٩٦٠)
- ـــــ نظم جديد كى كروٹين (لاهور د.ت)
- هارون الرشيد : اردو ادب اوراسلام ،حصه نظم (لاهور ١٩٦٨)
- هاشمي فريد آبادى ،سيد : تاريخ مسلمانانِ پاكستان وبهارت ١-٢ (كراتشي ١٩٥٣)
- يوسف حسين خان : اردو غزل (دلهي ١٩٥٢)

(ب) الكتب العربية :

- آزاد البلكرامى ،غلام على : سبحة المرجان في آثار هندوستان (بومباى١٣٠٣هـ)
- الآمدى : المؤتلف والمختلف ، تحقيق : عبدالستار أحمد فراج (القاهرة ١٩٦١م
- إبراهيم انيس : موسيقى الشعر (القاهرة ١٩٧٨)
- ابن أبي الإصبع : تحرير التحبير ،تحقيق حفنى محمد شرف (القاهرة١٩٦٣)
- ابن أبي الفرج البصرى : الحماسة البصرية ١-٢ ،تحقيق : مختار الدين أحمد (حيدرآباد ١٩٦٤
- ابن الأثير : المثل السائر ١-٣ ،تحقيق : الحوفي وطبانة (القاهرة١٩٥٩
- ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ١-٤ (القاهرة ١٣٢٣هـ
- ابن حزم : الرد على ابن النغريلة اليهودى ، تحقيق : إحسان عباس (القاهرة ١٩٦٠)

- ابن خلدون : المقدمة (بيروت ١٩٨٢)
- ابن خلكان : وفيات الأعيان ١-٨ ، تحقيق : احسان عباس (بيروت ١٩٦٨)
- ابن داود الأصفهاني : الزَّهْرَة ، النصف الثاني تحقيق : ابراهيم السامرائي ونوري حمودي القيسي (بغداد ١٩٧٤)
- ابن درّاج القسطلي : ديوانه ، تحقيق : محمود علي مكي (بيروت ١٩٦١)
- ابن رشيق : العمدة ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد (القاهرة ١٩٣٤)
- ابن سلّام الجمحي : طبقات فحول الشعراء ١-٢ ، تحقيق وشرح : محمود محمد شاكر (القاهرة ١٩٧٤)
- ابن سنان الخفاجي : سر الفصاحة ، تحقيق : عبد المتعال الصعيدي (القاهرة ١٩٥٢)
- ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ١-٤ ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد (القاهرة ١٩٥١)
- ابن الشجري : الحماسة ، تحقيق : ف. كرنكو (حيدر آباد ١٣٤٥)
- ابن طباطبا : عيار الشعر ، تحقيق : طه الحاجري و محمد زغلول سلام (القاهرة ١٩٥٦)
- ابن عبد ربه : العقد الفريد ١-٧ ، تحقيق : أحمد أمين وآخرين (القاهرة ١٩٦٩)
- ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ١-٨ (القاهرة ١٣٥٠ هـ)
- ابن فارس : الصاحبي في فقه اللغة ، تحقيق : مصطفى الشويمي (بيروت ١٩٦٣)
- ابن قتيبة : الشعر والشعراء (ليدن ١٩٠٢)
- ـــ عيون الأخبار ١-٤ (القاهرة ١٣٤٣ هـ)
- ابن كثير : البداية والنهاية ١-١٤ (القاهرة ١٣٥١)
- ابن المعتز : شعر ابن المعتز رواية : الصولي (بغداد ١٩٧٨)
- ـــ طبقات الشعراء ، تحقيق : عبد الستار احمد فراج (القاهرة ١٩٥٦)

- ابن منظور : لسان العرب ١-٢٠ (بولا ق١٣٠٨هـ)
- ابن منقذ : لباب الآداب ،تحقيق:أحمد محمد شاكر(القاهرة ١٩٣٥)
- ابن وهب الكاتب : البرهان في وجوه البيان (بغداد ١٩٦٠)
- ابن هشام : السيرة النبوية ١-٤،تحقيق :
مصطفى السقا وآخرين (القاهرة ١٩٥٥)
- أبو تمام : الحماسة ١-٢،تحقيق :
عبدالله عسيلان (الرياض ١٩٨١)
- — ديوانه ،شرح محي الدين الخياط(بيروت ١٣٢٣هـ)
- أبو الحسن علي الندوى: إذا هبت ريح الإيمان (الكويت ١٩٧٤)
- — (مترجم) رسالة التوحيد (لكهنو ١٩٧٤)
- — روائع اقبال (بيروت ١٩٦٨)
- — الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة
الغربية في الأقطار الإسلامية (الكويت ١٩٨٣)
- — المسلمون في الهند (دمشق١٩٦٢)
- أبو حيان التوحيدى: المقابسات ،تحقيق:السندوبي (القاهرة ١٩٢٩)
- أبو سليمان المنطقي : صوان الحكمه (مخطوط في مكتبة مراد
ملا ،بتركيا ،تحت رقم ١٤٠٨)
- أبو الشيص الخزاعي : أشعار أبي الشيص الخزاعي ،جمع :
عبدالله الجبورى (النجف ١٩٦٧)
- أبو طاهر البغدادى : قانون البلاغة ،تحقيق : محسن
غياض عجيل (بيروت ١٩٨١)
- أبو عبيد البكرى: اللآلى في شرح أمالى القالى ١-٢
تحقيق : عبد العزيز الميمنى (القاهرة ١٩٣٦)
- أبو العلاء المعرى : رسالةالغفران ،تحقيق : عائشة
عبد الرحمن بنت الشاطئ (القاهرة ١٩٥٢)

- أبو الفرج الأصبهاني : الأغاني ١-٢٤ ، طبعة دار الكتب
+ الهيئة المصرية (القاهرة)
- أبو نواس : ديوانه ، تحقيق : أحمد عبد المجيد
الغزالي (القاهرة ١٩٥٣)
- أبو هلال العسكرى : ديوان المعاني ١-٢ (القاهرة ١٣٥٢هـ)
- — الصناعتين ، تحقيق : البجاوى ومحمد
أبي الفضل إبراهيم (القاهرة ١٩٥٢)
- إحسان عباس : تاريخ النقد الأدبي عند العرب (بيروت ١٩٧٨)
- أحمد أحمد بدوى : أسس النقد الأدبي عند العرب (القاهرة ١٩٦٤)
- أحمد عبد اللطيف الجدع وحسني أدهم جرار: شعراء الدعوة
الإسلامية في العصر الحديث ١-٩ (بيروت ١٩٨٣ -
١٩٨٥
- أحمد محرم : ديوان مجد الإسلام - أو -
الإلياذة الإسلامية (القاهرة ١٩٦٣)
- الأعشى : ديوانه ، تحقيق : محمد محمد حسين (القاهرة ١٩٥٠)
- الباقلاني : إعجاز القرآن ، تحقيق : السيد أحمد صقر (القاهرة ١٩٧١)
- البحترى : الحماسة ، تحقيق : لويس شيخو (بيروت ١٩١٠)
- براون : تاريخ الأدب في إيران ، ترجمة :
إبراهيم أمين الشواربي (القاهرة ١٩٥٤)
- البغدادى ، عبد القادر: خزانة الأدب ١-٤ (بولاق ١٢٩٩هـ)
- البوصيرى : ديوانه
- التجيبي ، أبو طاهر إسماعيل بن احمد : شرح "المختار من شعر بشار"
للخالديين ، تحقيق : محمد بدر الدين
العلوى (القاهرة ١٩٣٤)
- الثعالبي : يتيمة الدهر ١-٤ ، تحقيق :
محي الدين عبد الحميد (القاهرة ١٩٥٦)

- الجاحظ : البيان والتبيين ١-٤ ،تحقيق :
عبد السلام هارون (القاهرة ١٩٦١)

- — رسائل الجاحظ ١-٤ ،تحقيق :
عبد السلام هارون (القاهرة ١٩٦٤)

- — كتاب الحيوان ١-٧،تحقيق :
عبد السلام هارون (القاهرة ١٣٥٧هـ)

- جامعة الملك عبد العزيز بجدة : بحوث المؤتمر الأول
للأدباء السعوديين ج ١ (جدة ١٩٧٤)

- الجرجاني ، القاضي علي بن عبد العزيز : الوساطة بين المتنبي
وخصومه ،تحقيق : محمد أبي الفضل
إبراهيم ،والبجاوي (القاهرة ١٩٥١)

- جرير : ديوانه ، تحقيق : الصاوي (القاهرة ١٣٥٣هـ)

- جميل أحمد : حركة التأليف باللغة العربية في
الإقليم الشمالي الهندي في القرنين
الثامن عشر والتاسع عشر (دمشق ١٩٧٧)

- الجوهري : الصحاح ١-٦،تحقيق : أحمد
عبد الغفور عطار (القاهرة ١٩٥٦)

- حاجي خليفة جلبي : كشف الظنون عن أسامي الكتب
والفنون ١-٢ (استانبول ١٩٤١)

- حسان بن ثابت: ديوانه ،تحقيق : حنفي حسنين (القاهرة ١٩٧٤)

- الحوفي ،أحمد : الإسلام في شعر شوقي (القاهرة ١٩٧٢)

- الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١-١٤ (القاهرة ١٩٣١)

- الخطيب القزويني : الإيضاح (بيروت ١٩٨٠)

- خليل عبد الحميد عبد العال : جوانب من التراث الهندي
الإسلامي الحديث (القاهرة ١٩٧٩)

- رفاعة الطهطاوى : ديوانه ،جمع : طه وادى (القاهرة ١٩٧٩)
- ريتشاردز : مبادىء النقد الأدبي ترجمة (القاهرة)
- زكي مبارك : المدائح النبوية (القاهرة)
- سمير عبد الحميد : اللغة العربية وقضية التنمية اللغوية في باكستان (القاهرة١٩٨٢)
- سيبويه : الكتاب (بولاق ١٣١٦هـ)
- السيوطي : بغية الوعاة ١-٢،تحقيق : محمد أبي الفضل إبراهيم (القاهرة ١٩٦٥)
- ــ شرح شواهد المغنى (القاهرة ١٣٢٢هـ)
- الشريشي : شرح مقامات الحريرى (بولاق ١٣٠٠هـ)
- الشريف الرضي : ديوانه ١-٢ (بيروت ١٩٦١)
- ــ أمالي المرتضي ١-٢،تحقيق : محمد أبي الفضل إبراهيم (القاهرة ١٩٥٤)
- ــ ديوانه ١-٢ ،تحقيق : رشيد الصفار(القاهرة١٩٥٨)
- شوقي : دول العرب وعظماء الاسلام (القاهرة ١٩٧٠)
- ــ الشوقيات ١-٤ (بيروت د . ث)
- الشيبي كامل مصطفى : ديوان الدوبيت في الشعر العربي في عشرة قرون (بيروت ١٩٧٢).
- صديق حسن خان،النواب : أبجد العلوم (بوفال ١٢٩٦هـ)
- الصولي : أخبار أبي تمام ،تحقيق : خليل عساكر وغيره (القاهرة ١٣٥٦هـ)
- العباسى : معاهد التنصيص شرح شواهد شروح التلخيص ١-٢ (القاهرة ١٣١٦هـ)
- عبد الحليم الندوى : مراكز المسلمين التعليمية والثقافية والدينية في الهند (مدراس ١٩٦٧)

- عبدالحي الحسني : نزهة الخواطر ١-٨ (حيدراباد ١٩٤٧ - ١٩٧٠)
- عبدالسلام فهمي : شاعر الإسلام محمد عاكف (مكة المكرمة ١٩٨٥)
- عبدالقاهر الجرجاني : أسرار البلاغة (القاهرة ١٣٦٧هـ)
- — دلائل الإعجاز (القاهرة ١٣٦٩هـ)
- عبدالله الطيب : المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ١-٣ (بيروت ١٩٧٠)
- عبدالله عباس الندوى : دراسة عن اللغة الأردية والتطبيقات التربوية (تحت الطبع)
- عبدالله عسيلان : بحوث ودراسات في الأدب والنقد (الرياض ١٩٨٢)
- عبدالمنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند (القاهرة ١٩٥٩)
- العبيدى : التذكرة السعدية ج ١ ، تحقيق : عبدالله الجبورى (النجف ١٩٧٢)
- عدى بن زيد العبادى : ديوانه ، جمع وتحقيق : محمد جبار المعيبد (بغداد ١٩٦٥)
- المَكّوك ، على بن جَبَلة : شعر على بن جبلة المكوك ، جمع وتحقيق : حسين عطوان (القاهرة ١٩٨٢)
- العلوى : الطراز ١-٣ (القاهرة ١٩١٤)
- على بن أبي طالب : ديوانه ، جمع : عبدالعزيزالكرم (بيروت د . ت)
- عمر بن أبي ربيعة : ديوانه . (بيروت ١٩٦٦)
- العيني : المقاصدالنحوية ١-٤ (بولاق ١٢٩٩هـ)
- فيضى : سواطع الإلهام (لكهنو ١٨٨٩)
- القالي ،أبو على : الأمالي وذيله ١-٣ ، طبعة دار الكتب (القاهرة ١٩٢٦)
- قدامة بن جعفر : نقد الشعر ،تحقيق : كمال مصطفى (القاهرة١٩٤٨)
- كعب بن زهير : ديوانه ،بشرح السكرى ، طبعة دار الكتب (القاهرة ١٩٥٠)

- المبرد : الكامل (١-٤ تحقيق بمحمد أبي الفضل إبراهيم (القاهرة ١٩٥٦)
- المتنبي : ديوانه ،بشرح البرقوقي (١-٤ (بيروت ١٩٨٠)
- مجدى وهبة : معجم مصطلحات الأدب (بيروت ١٩٧٤)
- محمد زكي العشماوى : قضايا النقد الأدبي (القاهرة ١٩٧٨)
- محمد عزير شمس: حياة المحدث شمس الحق وأعماله (بنارس ١٩٧٩)
- محمد غنيمي هلال : النقد الأدبي الحديث (القاهرة ١٩٧٩)
- محمد لقمان الصديقي : قواعد اللغة الأردية (القاهرة ١٩٦٣)
- محمد مصطفى بدوى : كولردج (القاهرة ١٩٥٨)
- محمد مندور : النقد المنهجي عند العرب (القاهرة د.ت)
- محي الدين الألوائي : الأدب الهندى المعاصر (القاهرة ١٩٧٢)
- المرزوقي : شرح ديوان الحماسة ج ١ ، تحقيق : أحمد امين وعبد السلام هارون (القاهرة ١٩٥١)
- المرزباني : معجم الشعراء ،تحقيق : عبد الستار أحمد فراج (القاهرة ١٩٦٠)
- — الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ،تحقيق : محب الدين الخطيب (القاهرة ١٣٤٣هـ)
- مسعود عالم الندوى: تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند (دمشق د.ت)
- — نظرة إجمالية في تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند وباكستان (لاهور ١٩٥٢)
- مسكويه ،أبو علي أحمد بن محمد : تهذيب الأخلاق ، تحقيق : قسطنطين زريق (بيروت ١٩٦٦)
- المقّري : أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ١-٣ تحقيق : مصطفى السقا وآخرين (القاهرة ١٩٣٩ ١٩٤٢)

- المقّرى : نفح الطيب ١-٨ ، تحقيق:إحسان عباس (بيروت ١٩٦٨)
- ممدوح حقي : العروض الواضح (دمشق ١٩٥٦)
- نشوان الحميرى: القصيدة الحميرية (الجزائر ١٩١٤)
- النويرى : نهاية الأرب (القاهرة ١٣٤٢هـ)
- هند حسين طه : النظرية النقدية عند العرب (بغداد ١٩٨١)

(ج) الكتب الفارسية :

- جلال الدين همائي تاريخ أدبيات ايران (تبريز ١٣٠٨ش) .
- — صناعات ادبي (طهران ١٩٦٠)
- سعدى شيرازى : كليات سعدى ١-٢ (لاهور ١٣٠٢هـ)
- شمس قيس رازى : المعجم في معايير أشعار العجم (طهران ١٣٣٥ش)
- نظامي سمرقندى : چهار مقاله (ليدن ١٩٠٩)

(د) الكتب الإنجليزية :

- Aziz Ahmad, An Intelectual History of Islam in India. (Edinburgh 1969).
- ---- , Hali. in Encyclopaedia of Islam (New Edition).
- ---- , Islamic Modernism in India and Pakistan. (Oxford 1967).
- M.A. Barker , An Urdu Newspaper Word Count. (Montreal 1969).
- A. Bausani, Altaf Husain Hali's Idia on Ghazal . in :Christeria Orientalia , Prague 1956.
- Anthony Burgess, English Literature. (Hong Kong 1980).
- Grahame Bailey, A History of Urdu Literature. (London 1932).
- Majumdar, R.C., The Revolt and Mutiny of 1857.(Calcuta 1957).
- Malik Ram, Hali. (Delhi 1982).
- Mehta , Asoka , 1857 The Great Rebellion. (Bombay 1946).

- Pakistan Historical Society, History of Freedom Movement. (Karachi 1961).

- Oiyamuddin Ahmad , Wahbi Movement in India. (Calcuta 1966).

- M. Sadiq . A History of Urdu Literature,(London 1964).

- R. Saksena , A History of Urdu Literature (Allahabad 1940).

- Shaikh Abdul Qadir , The New School of Urdu Literature. (London 1898).

- Elwel -Sutton , The Persian Meters . (London 1976).

- Tahir Jamil , Hali's Poetry. (Bombay 1938).

- G.E. Ward , The Quartrain of Hali. (Oxford 19o4).

- A. Yusuf Ali, Cultural History of India during the British Period (Bombay 1940).

- Zubaid Ahmad , The contribution of India to Arabic Literature. (Lahore 1967).

(هـ) المجلات :

- "اردو" الصادرة بكراتشى .

- "اردو" الصادرة بعلى كره .

- "انسٹی ٹیوٹ گزٹ" الصادرة بعلى كره .

- "اودھ پنچ" الصادرة بلكهنو .

- "تهذيب الأخلاق" الصادرة بعلى كره .

- "جامعه" الصادرة بدلهي .

- "چودهوين صدى" الصادرة براولبندى .

- "خدا بخش لائبريرى جرنل" الصادرة بپتنه .

- "خير الواعظ" الصادرة بدلهي .

- "زمانه" الصادرة بكانفور .

- "الزهراء" المصرية .

- "الفتح" المصرية .

- "فروغ أردو" الصادرة بلكهنو.
- "المجلة العربية" الصادرة بالرياض.
- "مجلة كلية الآداب" جامعة بغداد.
- "مجلة كلية الآداب" جامعة فؤاد الأول (القاهرة).
- مجلة المجمع العلمي العربي (مجمع اللغة العربية) بدمشق.
- "نقوش" الصادرة بلاهور.
- "نگار" الصادرة بلكهنو.

فهرس الموضوعـــات

الموضـوع	الصفحـة
شكر و تقدير	٢
المقدمة	٣
تمهيد : في اللغة الأُردية وصلتها باللغة العربية	١١
ـ الخط والحروف	١٥
ـ الأصوات	١٦
ـ علامات الشكل	١٧
ـ المفردات	١٧
ـ قواعد اللغة	٢٠
ـ التراكيب	٢٢
ـ المصطلحات	٢٥
ـ التعابير والأقوال المأثورة	٢٦
ـ الصور البيانية	٢٨
ـ أوزان الشعر	٣١
الباب الأول : شخصية حالى	٣٧
الفصل الأول : عصره	٣٨
الفصل الثاني : حياته	٥٣
الفصل الثالث: ثقافتـه	٦٥
الفصل الرابع : مؤلفاتـه	٧٤

الباب الثاني - شعر حالي	٨٤
الفصل الأول : الأنواع الشعرية	٨٩
١ - القصيدة	٩٠
٢ - المثنوى	٩٣
٣ - الغزل	٩٦
٤ - الرباعي	١٠١
٥ - القطعة	١٠٧
٦ - أنواع أخرى	١١٣
الفصل الثاني : الموضوعات	١١٧
١ - الغزل	١١٧
٢ - المدح	١٢١
٣ - الرثاء	١٢٦
٤ - الوصف	١٣٢
٥ - الشعر التعليمي	١٣٦
٦- - الشعر الاجتماعي	١٣٧
٧- - شعر الدعوة الإسلامية	١٤٠
الفصل الثالث : الظواهر الفنية	١٤٨
أ - الالفاظ	١٤٨
ب - المعاني والصور	١٥٥
ج - الأوزان	١٦٤

الفصل الرابع :	قصيدة "مسدس مدّ وجزر اسلام"	١٦٩
أ	ـ سبب نظم هذه القصيدة	١٧١
ب	ـ تأثيرها في المجتمع الهندى	١٧٤
ج	ـ قيمتها الأدبية	١٧٨
د	ـ تحليل القصيدة وتلخيص الأفكار العامة فيها	١٧٩
هـ	ـ خصائصها الفنية	١٩٠
و	ـ الموازنة بينها وبين القصائد العربية	٢٠٢
الباب الثالث :	النقد عند حالي	٢٠٧
الفصل الأول :	آراؤه في النقد ـ عرض وتحليل	٢٠٨
أ	ـ أهمية الشعر وتأثيره	٢١١
ب	ـ الشعر والمجتمع	٢١١
ج	ـ ماهية الشعر	٢١٤
د	الوزن والقافية في الشعر	٢١٤
هـ	ـ صفات الشاعر الحقيقي	٢١٧
و	ـ ثقافة الشاعر	٢١٩
ز	المحاسن التي لا بد من توافرها في الشعر	٢٢٠
ح	ـ النقد التطبيقي	٢٢٢
	١/ الغزل	٢٢٢
	٢/ القصيدة	٢٢٧
	٣/ الرثاء	٢٢٨
	٤/ المثنوى	٢٣٢
ط	ـ أسس الشعر	٢٣٩
ى	ـ نقد الكتب	٢٤٤
ك	ـ فنون الأدب	٢٤٥
ل	ـ الصراع بين القديم والحديث	٢٤٦

الفصل الثاني : تأثره بالنقد العربي القديم ٢٤٨

١/ المصادر التي رجع إليها حالى في كتابه "المقدمة" ٢٥٠

٢/ النصوص العربية التي اقتبسها في "المقدمة" ٢٦١

٣/ الموضوعات التي تاثر فيها بالنقد العربي القديم ٢٧٨

(أ) اللفظ والمعنى ٢٧٨

(ب) الصدق والكذب والمبالغة ٢٨٠

(ج) الشعر والأخلاق ٢٨٣

(د) الطبع والصنعة ٢٨٥

(هـ) الصراع بين القديم والحديث ٢٨٧

(و) موضوعات أخرى ٢٨٩

الفصل الثالث : تأثره بالنقد الأوربي الحديث ٣٩٤

الخاتمة ٣١٠

الملحق : الترجمة العربية لقصيدة "مسدس مد وجزر اسلام" ٣١٤

الفهارس : ٣٦١

فهرس المصادر والمراجع ٣٦٢

فهرس الموضوعات ٣٨٠

*